

دار المنى

يوناس يوناسـون

المئـوي
الـذي هبـط من النـافـذة
واختـفـى

النص العربي علاء الدين أبو زينه

دار المنـى

المنوي

الذي هبط من النافذة

واختفى



ولد يوناس يوناسون Jonas Jonasson عام ١٩٦١ في بلدة فاكسجو الصغيرة في السويد. وبعد دراسة اللغة في جامعة غوتنبيرغ، أصبح صحفياً، حيث عمل أولاً للصحيفة المحلية سمولاندسبوستن، ثم لصحيفة إكسبرسّن. وبعد بضع سنوات، أسس شركة الاستشارات والإنتاج التلفزيوني المسمّاة OTW. وبعد أكثر من عشرين سنة من عمله في الإعلام والتلفزة والصحف، شعر يونسون بالإنهاك وقرر بيع كل شيء، بما في ذلك أسهمه في الشركة، والانتقال إلى الخارج. وهو ما غادر بعده إلى قرية بونتي تريسا في سويسرا حيث عاش ثلاثة سنوات مع عائلته. وخلال ذلك الوقت، أتمّ الرواية التي كان عاكفاً على كتابتها في السنوات الأخيرة: «المئوي الذي هبط من النافذة واختفى». وهو يعيش اليوم في الريف، في جزيرة غوتلاند السويدية، مع ابنه وقططه ودجاجاته.

علاء الدين أبو زينة: كاتب وصحفي ومترجم. ولد في عمان- الأردن في العام ١٩٦٣. درس اللغة والأدب الإنجليزيين في الجامعة الأردنية، ثم أتم دراساته العليا في الأدب الإنجليزي والمقارن في نفس الجامعة. عمل في التصميم الغرافيكي والتدريس الجامعي قبل أن يعمل مديراً لتحرير دائرة الترجمة وكاتب عمود في صحيفة «الغد» اليومية الأردنية.



First published by Piratförlaget
Cover: Erik Thunfors
Published by agreement with Brandt New Agency
Printed at ScandBook, Sweden 2013
Original title in Swedish: Hundraåringen som klev ut genom fönstret och försvann

ISBN 978 91 87333 18 7

Dar Al Muna
Box 127
182 05 Djursholm
Sweden

www.daralmuna.com

لا أحد كان أفضل من جدي في أسر انتباه المستمعين، عندما يجلس على حشيته المفضلة لرواية القصص، ويمضغ التبغ مرتكزا على عكازه.

«ولكن، يا جدي .... هل هذا صحيح حقا؟» كنا نسأل نحن الأحفاد، وقد اتسعت حدقاتنا.

«أولئك الذين يقولون الحقيقة فحسب، ليسوا قمينين بالاستماع إليهم،» يرد جدي.

هذا الكتاب مهدى إليه.

يوناس يوناسون



أولاً

الاثنين، ٢ مايو ٢٠٠٥

قد تظنُّ أنه قرر ذلك في وقت أبكر، وأنه كان رجلاً بما يكفي ليبلغ المحيطين به بقراره. لكن آلَنْ كارلسون لَم يحظَ أبْداً بموهبة تأمُّل الأشياء لوقت طويل.

وهكذا، لم يكد الخاطر يُلِمُّ بذهن الرجل العجوز حتى فتح نافذة غرفته في الطابق الأرضي من دار المسنّين في مالمكوبينغ، وتدلّى منها هابطاً في حوض الزهور.

وتطلبت هذه المناورة بعض الجهد، بما أن آلَنْ كان في المائة من عمره - في هذا اليوم نفسه في حقيقة الأمر. كانت أقل من ساعة قد تبقّت على بدء حفلة عيد ميلاده في الصالة الرئيسية لدار المسنّين. وسيكون عمدة المدينة حاضراً هناك. والصحيفة المحلية. وكل العجائز الآخرين. وكامل موظفي الدار، وعلي رأسهم المديرة سيئة المزاج، أليس.

لكنّه صبيّ عيد الميلاد نفسه فقط هو الذي لم ينوِ الظهور في تلك الحفلة.

ثانياً

الاثنين، ٢ مايو ٢٠٠٥

تردد آلَنْ كارلسون وهو يقف هناك في حوض الزهور الممتد على طول أحد جوانب دار المسنين. كان يرتدي سترة بنية وبنطالاً بنياً، وينتعل في قدميه زوجاً من الأحذية المنزلية الخفيفة. لم يكن لوحة أزياء، فنادراً ما يكون الناس كذلك في هذه السن. كان هارباً من حفلة عيد ميلاده هو نفسه، وهو شيء غير اعتيادي آخر بالنسبة لشخص في المائة من عمره، لأسباب ليس أقلها أن بلوغ المرء مائة عام هو أمر بالغ الندرة في حد ذاته.

فكر آلَنْ فيما إذا كان يتعيّن عليه أن يتكلف عناء الزحف عائداً مرة أخرى عبر النافذة ليجلب قبعته وحذاءه، لكنه عندما تحسّس محفظته ووجدها في جيبه الداخلي، قرر أنها ستكون كافية. وإلى جانب ذلك، تبيّن له المرّة تلو المرة أن للمديرة أليس حاسة سادسة (كانت تعثر على زجاجات الفودكا مهما اجتهد في إخفائها)، وربما تتجول المديرة أليس في هذه اللحظة بالذات، وتتشمّ المكان هناك في الداخل، حتى في هذا الوقت، مشتبهة بأن شيئاً مريباً يجري.

من الأفضل أن يمضي في طريقه ما دام يمكنه ذلك، فكر آلَنْ وهو يخطو خارجاً من حوض الزهور، متكئاً على ركبتين تئنان تحت ثقله. إنّ لديه في محفظته، بقدر ما يستطيع أن يتذكر، بعض الأوراق النقدية المدّخرة – وهو شيء طيب، لأن الاختفاء ربما لن يكون بلا كلفة.

استدار ليلقي نظرة أخيرة على دار المسنين الذي كان يعتقد –حتى لحظات قليلة

ماضية- أنه سيكون آخر مسكن له على الأرض، ثم قال لنفسه إنه يمكن أن يموت في وقت آخر، ومكان آخر.

انطلق المئوي منتعلاً حذاء التبوّل الخفيف (سمي هكذا لأن الرجال في السن المتقدمة نادراً ما يتبولون أبعد من أحذيتهم)، أولاً عبر متنزّه، ثم بجوار حقل مفتوح حيث تقام سوق أحياناً في البلدة الريفية التي تكون هادئة بخلاف ذلك. وبعد بضع مئات من الأمتار، دار آلَنْ حول الجانب الخلفي من كنيسة الحي المتبقية من القرون الوسطى، وجلس على مقعد خشبي طويل بجوار بعض شواهد القبور حتى يريح ركبتيه المتألمتين. ولم تكن البلدة متدينة ورِعةً بحيث يمكن أن يقلق آلَنْ إزاء إقلاق راحته في ساحة الكنيسة. ثم لاحظ مصّادفة تنطوي على شيء من المفارقة. كان قد وُلِد هو نفسه في العام الذي وُلِد فيه هذا الهينينغ ألفوتسون الراقد تحت الحجر مقابل المقعد الطويل مباشرة. لكن ثمة فرقاً مهماً هناك -لقد أسلم هينينغ الروح قبله بواحد وستين عاماً. ولو أن آلَنْ أكثر فضولاً، لكان قد تساءل عن ذلك الشيء الذي مات به هينينغ في التاسعة والثلاثين من العمر. لكن آلَنْ اعتاد أن يدع الناس لشؤونهم، أحياء كانوا أم أمواتاً - هكذا فعل دائماً وهكذا سيفعل.

بدلاً من ذلك، فكر بأنه ربما كان مخطئاً طوال كل تلك السنين عندما جلس في ملجأ العجزة، شاعراً بأنه ربما يموت هو أيضاً ويترك كل شيء خلفه. لكنّها مهما كانت الأوجاع والآلام التي عانى منها، فإن الهرب من المديرة أليس لا بدّ أن يكون أكثر فائدة وإثارة من استلقائه متصلباً على عمق ستة أقدام تحت التراب.

وهي الفكرة التي نهض صبي عيد الميلاد عندها، بالرغم من ركبتيه الشاكيتين، وودّع هينينغ ألفوتسون، ومضى في رحلة هروبه سيئة التخطيط.

شق آلَنْ طريقه عبر فناء الكنيسة باتجاه الجنوب، حتى اعترضه جدار حجري. لم يكن الجدار يعلو أكثر من متر واحد، لكن آلَنْ كان مئوياً، وليس بطلاً في القفز العالي. على الناحية الأخرى كانت محطة حافلات مالمكوبينغ، وأدرك الرجل العجوز فجأة أن ركبتيه المتهالكتين كانتا تأخذانه إلى بناء يمكن أن يكون بالغ

الفائدة. ذات مرة، قبل الكثير من السنوات، عبرَ آلَنْ جبال الهيمالايا. لم يكن ذلك نزهة. وقد فكر آلَنْ في تلك التجربة الآن بينما يقف أمام العائق الأخير الحائل بينه وبين المحطة. لكنه تأمل باستغراق كبير، حتى بدا الجدار الحجري وأنه ينكمش أمام عينيه. وعندما أصبح الجدار في أدنى مستوياته، انسلّ آلَنْ زاحفاً من فوقه. اللعنة على كِبر السنّ والركبتين.

ليست مالمكوبينغ ما يمكنك أن تسميه مدينة صاخبة، ولم يكن صباح هذا اليوم المشمس من أيام الأسبوع استثناءً. لم يشاهد آلَنْ روحاً حيّةً منذ قرر فجأة أن لا يظهر في حفلة عيد ميلاده المائة. كانت غرفة الانتظار في المحطة فارغةً تقريباً عندما دخلها آلَنْ متثاقلاً. تقريباً. لأنه على اليمين، ثمة نافذتان للتذاكر، إحداهما مغلقة. وخلف الأخرى جلس رجل ضئيل، بنظارات مستديرة صغيرة، وشعرٍ غير كثيف مسرّح إلى جانب، مرتدياً سترة رسمية قصيرة. حدجه الرجل بنظرة غاضبة بينما يرفع عينيه عن شاشة حاسوبه. ربما شعر بأن صالة الانتظار تصبح شديدة الاكتظاظ، لأنه كان يقف هناك مُسبقاً في الزاوية شاب نحيل البنية، ذو شعر طويل دهنيّ أشقر، ولحية خفيفة، وسترة من الجينز كُتب على ظهرها: ليس ثانية أبداً.

بدا كما لو أن الشاب لا يعرف القراءة، لأنه يشدّ باب مرحاض المعاقين، كما لو أن شاخصة «خارج الخدمة» المكتوبة بحروف سوداء على خلفية برتقالية لا تعني شيئاً.

بعد قليل، انتقل إلى الحمام الآخر، لكنه واجه هناك مشكلة مختلفة. من الواضح أنه لم يرد الافتراق عن حقيبته الرمادية الكبيرة ذات العجلات، لكن المرحاض كان صغيراً جداً على كليهما معاً ببساطة. وبدا لآلَنْ أن الشاب سيضطر إما إلى ترك الحقيبة في الخارج بينما يقضي حاجته، أو أنه سيسمح للحقيبة باحتلال المرحاض، بينما يبقى هو نفسه في الخارج.

لكن لدى آلَنْ مخاوف أكثر إلحاحاً. وبينما يبذل جهداً لتحريك ساقيه بالتسلسل الصحيح، جرّ قدميه ومشى متثاقلاً بخطوات قصيرة حتى وصل الرجل الضئيل في شباك التذاكر المفتوح، واستفسر عن وجود أي وسيلة نقل على وشك الانطلاق إلى

مكان ما -أي شيء سينفع- خلال الدقائق القليلة التالية، وإذا كانت هناك وسيلة، فكم ستكلف؟

بدا الرجل الضئيل خلف النافذة متعباً. وربما يكون قد فوّت مسار الحديث في منتصف الطريق أثناء استعلام ألَنْ، لأنه قال بعد بضع ثوان:

«وأين تريد أن تذهب؟»

أخذ ألَنْ نفساً عميقاً، وذكّر الرجل الضئيل بأنه سبق وأن أوضح وجهته الفعلية، وبأن وسيلة النقل في هذه المسألة أقل أهمية من: أ) وقت المغادرة، و، ب) التكلفة.

فحص الرجل الضئيل جداوله الزمنية بصمت، تاركاً كلمات ألَنْ تغور.

«الحافلة رقم ٢٠٢ ستغادر إلى سترانغاناس في غضون ثلاث دقائق. هل ينفع هذا؟

نعم، اعتقد ألَنْ أنه سينفع. قال له الرجل الضئيل إن الحافلة غادرت باب قاعة الانتظار، وإنه سيكون من الأنسب لو يشتري تذكرة مباشرة من السائق.

تساءل ألَنْ في دخيلته عما يفعله الرجل الضئيل وراء النافذة إذا لم يكن يبيع التذاكر، لكنه لم يقل شيئاً. وربما تساءل الرجل الضئيل عن الشيء نفسه بدوره. وشكره ألَنْ على مساعدته وحاول لمس قبعته التي لم يجلبها معه بسبب العجلة.

جلس المئويّ على أحد المقعدين الطويلين الفارغين في قاعة الانتظار، وحده مع أفكاره. سوف تبدأ حفلة عيد الميلاد البائسة في دار المسنّين عند الساعة الثالثة، أي بعد اثنتي عشرة دقيقة من الآن. وفي أي لحظة، سوف يشرعون في طرق باب غرفته، وعندئذ، سينفلت الجحيم كله من عقاله. وابتسم للخاطر.

عندئذ، رأى ألَنْ، من زاوية عينه، شخصاً يقترب. كان الشاب نحيل البنية يتجه نحوه مباشرة، بينما تتدحرج خلفه حقيبته الكبيرة على أربع عجلات صغيرة. وأدرك ألَنْ أنه قد لا يستطيع تجنب الاشتراك مع الشاب ذي الشعر الطويل في محادثة. ربما لا يكون ذلك سيئاً كثيراً. ربما يجعله يأخذ فكرة عما يفكر به شباب هذه الأيام إزاء هذا وذاك من الشؤون.

وجرت محادثة فعلاً، وإنما بلا عمق التحليل الاجتماعي الذي توقعه ألَنْ. فقد توقف الشاب على بعد بضعة أمتار، وبدا وأنّه يدرس الرجل العجوز للحظة، ثم قال:

«هيه.»

أجاب ألَنْ بلهجة ودية، وقال إنه يتمنى له مساء طيباً، ثم سأله عما إذا كان يستطيع أن يخدمه بطريقة ما. واتضح أن هناك طريقة. طلب الشاب من ألَنْ إبقاء عينه على الحقيبة بينما يذهب صاحبها ليقضي حاجته. أو كما أعرب عن ذلك:

«أحتاج الذهاب للتغوُّط».

أجاب ألَنْ بأنه، على الرغم من كونه مسناً وبالياً، فإن بصره ما يزال في حالة جيدة، وبأن إبقاء عينه على حقيبة الشاب ليس مهمة شاقة. لكنه أوصى الشاب مع ذلك بقضاء حاجته ببعض الاستعجال، دون أن يستخدم، بطبيعة الحال، نفس مصطلحات الشاب، -لأن لدى ألَنْ حافلة ينبغي أن يلحق بها.

ولم يسمع الشاب هذا الجزء الأخير. فقد دفعته حاجته الملحة نحو المرحاض قبل أن ينتهي ألَنْ من الكلام.

لم يسبق للمئوي أن سمح لنفسه بأن يغتاظ من الناس، حتى عندما يكون هناك سبب وجيه للغيظ، ولم يتضايق من سلوك هذا الشاب الفظّ. لكنه لم يشعر بالدفء نحوه أيضاً، وربما يكون ذلك قد لعب دوراً ما فيما حدث بعد ذلك.

درَجت الحافلة رقم ٢٠٢ خارجة من مدخل المحطة بعد ثوانٍ معدودة فقط من إغلاق الشاب باب المرحاض خلفه. ونظر ألَنْ إلى الحافلة، ثم إلى حقيبة، ثم مرة أخرى إلى الحافلة، ثم ثانية إلى الحقيبة.

«إن لها عجلات»، قال لنفسه. و«هناك حزام يمكن سحبها به أيضاً.»

وعندئذ، فاجأ ألَنْ نفسه باتخاذ ما يمكنك اعتباره -كما ينبغي الاعتراف- قراراً يقول «نعم» للحياة.

كان سائق الحافلة مهذباً وصاحب ضمير. ولذلك، ترجل من الحافلة وساعد الرجل العجوز في وضع الحقيبة الكبيرة على متن الحافلة.

شكره ألَنْ واستلّ محفظته من جيب سترته الداخلي. وتساءل سائق الحافلة عما إذا كان الرجل سيذهب كل الطريق إلى سترانغناس، في حين عدّ ألَنْ ستمائة وخمسين كرونة في شكل أوراق نقدية، وبعض قطع العملة المعدنية. لكن ألَنْ فكر بأن من الأفضل أن يكون مقتصداً، ولذلك رفع ورقة نقدية من فئة الخمسين كرونة، وسأل:

«إلى أين يمكن أن توصلني هذه؟»

قال السائق ببشاشة إنه معتاد على رؤية أناسٍ يعرفون إلى أين يذهبون، وليس ما سيكلفهم ذلك، لكن الذي يحصل الآن هو العكس تماماً. ثم نظر في جدوله، وأجاب بأنه يمكن السفر بثمان وأربعين كرونة على متن الحافلة إلى محطة بايرينغ.

اعتقد ألَنْ بأن ذلك يبدو جيّداً. ووضع السائق الحقيبة المسروقة توّاً في منطقة الأمتعة وراء مقعده، بينما جلس ألَنْ في الصف الأول على الجانب الأيمن. ومن هناك استطاع أن يرى عبر نافذة صالة الانتظار في المحطة. كان باب المرحاض ما يزال مغلقاً عندما انطلقت الحافلة. وأمل ألَنْ، من أجل خاطر الشاب، أنه يقضي وقتاً لطيفاً في الداخل هناك، واضعاً في اعتباره خيبة الأمل التي تنتظره.

لم تكن الحافلة المتجهة إلى سترانغناس مزدحمة كثيراً في عصر ذلك اليوم. في الصف الخلفي، جلست امرأة في أواسط العمر، وفي المنتصف أم شابة كانت قد ناضلت للصعود على متن الحافلة مع طفلين، أحدهما في عربة أطفال، وفي المقدمة تماماً رجل طاعن في السنّ.

كان هذا الراكب يتساءل عن السبب الذي جعله يسرق حقيبة رمادية كبيرة بأربع عجلات. هل فعل ذلك لأنه يستطيع ذلك ولأن صاحبها أخرق؛ أم لأن الحقيبة ربما تضمّ زوجاً من الأحذية، بل وربما قبعة؟ أم أن ذلك حدث لأنه ليس لدى الرجل العجوز ما يخسره؟ لم يستطع ألَنْ أن يخمّن لماذا فعل ما فعله حقاً. فكّر بأن من الأسهل على المرء أن يتصرّف على هواه وبمطلق الحريّة عندما تدخل الحياة في الوقت الإضافيّ. واتخذ وضعاً أكثر راحةً في مقعده.

حتى الآن، أحسّ ألَنْ بالرضا عن الطريقة التي تطورت بها أحداث اليوم.

وعندئذٍ، أغلق عينيه من أجل قيلولة الظهيرة.

وفي تلك اللحظة نفسها، طرقت المديرة أليس باب الغرفة رقم ١ في دار المسنّين. وطرقت مرة، وأخرى.

«كُفّ عن العبث والحمق، يا ألَنْ. لقد وصل رئيس البلدية والجميع. هل تسمعني؟ إنك لم تشرب مرة أخرى، هل فعلت؟ اخرج في هذه اللحظة، يا ألَنْ! ألَنْ؟»

وفي الوقت نفسه تقريباً، فُتِح بابُ ما كان، في الوقت الحاضر، المرحاضَ الوحيد العامل في محطة مالمكوبينغ. ومنه خرج شاب مُرتاح بشكل مضاعف. سار بضع خطوات نحو منتصف قاعة الانتظار، وهو يشدّ حزامه بيد ويمشط شعره بأصابع اليد الأخرى. ثم توقف، وحدق في المقعدين الطويلين الفارغين، ونظر يميناً ويساراً. ثمّ صاح مندهشاً:

«ماذا بحق جهنم الدموية الملعونة...!»

ثم خذلته الكلمات، قبل أن يجد صوته مرة أخرى:

«أنت رجل ميت، أيها النّغل العجوز ابن الحرام. ما إن أضع يدي عليك.»

ثالثاً

الاثنين ٢ مايو، ٢٠٠٥

مباشرة بعد الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم ٢ مايو، تبدد هدوء مالمكوبينغ. في البداية تملّك المديرة أليس في دار المسنّين شعور بالقلق أكثر من الغضب، وأخرجت مفتاحها العمومي الذي يفتح كل الغرف. وبما أن ألَنْ لم يهتم بإخفاء طريق هروبه، اتّضح على الفور أن صبي عيد الميلاد قفز من النافذة. وبالحكم من آثار قدميه، فإنه وقف بعد ذلك بين زهور الثالوث في حوض الورود، قبل أن يختفي.

بحكم منصبه، شعر عمدة البلدة بأن عليه أن يتولى زمام القيادة. فأمر موظفي دار المسنين بالخروج للبحث في أزواج. لا يمكن أن يكون ألَنْ قد ابتعد كثيراً؛ ولذلك ينبغي على الباحثين التركيز على المنطقة المجاورة مباشرة. وهكذا، تم إرسال أحد الأزواج إلى الحديقة، وآخر إلى محل الخمور الذي تديره الدولة (وهو مكان كان ألَنْ يتردد عليه أحياناً، كما تعلم المديرة أليس)، وزوج آخر إلى المحلات التجارية الأخرى في الشارع الرئيسي، وواحد إلى المركز الاجتماعي في أعلى التلة. وبقي العمدة نفسه في بيت المسنّين ليبقي عينيه على النزلاء الذين لم يتلاشوا في الأثير بعد، وليفكر في الخطوة التالية. وقال للباحثين إنهم ينبغي أن يتوخوا الحذر، لم تكن ثمة حاجة لخلق بلبلة ودعاية غير ضرورية حول هذا الموضوع. وفي غمرة الارتباك العام، نسي رئيس البلدية أن واحداً من أزواج الباحثين الذين أرسلهم تواً يتكونّ من مراسل الصحيفة المحلية ومصورها.

•••

لم تكن محطة الحافلات ضمن منطقة البحث الأساسية التي حددها عمدة البلدة.

ومع ذلك، كان في ذلك المكان شاب غاضب جداً، نحيل البنية، ذو شعر طويل دهني أشقر، ولحية خفيفة، وسترة من الجينز مكتوب على ظهرها «ليس ثانية أبداً»، والذي فتش بالفعل كل ركن من المبنى. ولما لم يجد هناك أي أثر، لا لرجل عجوز ولا لحقيبة، قام الشاب ببعض الخطوات الحاسمة باتجاه الرجل الضئيل وراء شباك التذاكر الوحيد المفتوح، ليحصل منه على معلومات عن خطط السفر المحتملة للرجل العجوز. ومع أن الرجل الضئيل كان يشعر بالملل مع عمله بشكل عام، فقد ظل محتفظاً بغروره المهني. وهكذا، أوضح للشاب المتشدق أن خصوصية الركاب ليست شيئاً يمكن تعريضه للخطر، مضيفاً بصرامة أنه لن يقدم له تحت أي ظروف أي معلومات من النوع الذي يرغب الحصول عليه.

وقف الشاب صامتاً للحظة. ثم انتقل خمس ياردات إلى اليسار، إلى باب مكتب حجز التذاكر الذي لم يكن كثير الصلابة. ولم يكلف نفسه عناء التحقق مما إذا كان مُقفلاً بالمفتاح. بدلاً من ذلك، خطا خطوة إلى الوراء وركل الباب إلى الداخل برجله اليمنى حتى أن الشظايا طارت في كل اتجاه. ولم يتسنّ للرجل الضئيل الوقت حتى لرفع سماعة الهاتف والاتصال طلباً للنجدة، قبل أن يصبح متدلياً في الهواء أمام الشاب الذي قبض عليه بحزم من أذنيه.

«ربما لا أعرف شيئاً عن الخصوصية، لكنني جيد في جعل الناس يتحدثون»، قال الشاب لبائع التذاكر قبل أن يتركه ليسقط مرتجاً على كرسيّ مكتبه الدوّار. وعندئذ أوضح الشاب ما ينوي فعله بالأعضاء التناسلية للرجل الضئيل، بمساعدة مطرقة ومسامير، إذا لم يمتثل الرجل الضئيل لرغباته. كان الوصف واقعياً جداً حتى أن الرجل الضئيل قرر أن يقول ما يفكر فيه على الفور، وبالتحديد أن الرجل العجوز المعنيّ يفترض أنه استقل حافلة في اتجاه سترانغناس. أما إذا كان الرجل قد أخذ حقيبة معه، فهو ما لا يعرفه على وجه التأكيد، لأنه لم يكن من نوع الشخص الذي يتجسس على زبائنه.

توقف بائع التذاكر عن الحديث عند تلك النقطة ليتأكد من مدى رضا الشاب عما قاله، وقرر على الفور أنه سيكون من الأفضل له تقديم المزيد من المعلومات.

وهكذا، قال إن هناك خلال الرحلة بين مالمكوبينغ وسترانغناس اثنتا عشرة محطة، وإنه يمكن للرجل المسن أن يترجل في أي واحدة منها، بطبيعة الحال. أما الشخص الذي سيعرف، فهو سائق الحافلة. ووفقاً للجدول الزمني، فإنه سيعود إلى مالمكوبينغ في الساعة السابعة وعشر دقائق من نفس ذلك المساء، أثناء رحلة عودة الحافلة إلى فلِن.

جلس الشاب بجوار الرجل الضئيل المذعور الذي تخفق أذناه.

«أريد أن أفكّر فقط.»

وفكّر. فكر أنه ينبغي أن يتمكن بالتأكيد من انتزاع رقم هاتف سائق الحافلة المحمول من الرجل الضئيل، ثم يُهاتف السائق ويقول له إن حقيبة الرجل العجوز هي في الواقع ممتلكات مسروقة. لكنه هناك بطبيعة الحال خطر أن يُقحِم سائق الحافلة الشرطة في الموضوع، وهو شيء لم يرده الشاب. إلى جانب ذلك، فإن الأمر ربما لا يكون ملحاً حقاً، لأن الرجل العجوز بدا مُسناً بشكل مخيف، والآن بعد أن أصبحت لديه حقيبة ليسحبها، فإنه سيحتاج إلى التنقل بالقطار أو الحافلة أو بسيارة أجرة إذا أراد مواصلة رحلته من المحطة في سترانغناس. وهكذا، فإنه سيترك آثاراً جديدة خلفه، وسيكون هناك دائماً شخص ما يمكن تعليقه من أذنيه ليقول أين اتجه الرجل العجوز. كان الشاب واثقاً في قدرته على إقناع الناس بإخباره بما يعرفون.

عندما انتهى الشاب من التفكير، قرر أن ينتظر عودة الحافلة المعنية حتى يتمكن من مقابلة السائق من دون المداراة والتهذيب الذي لا مبرر له.

وعندما قرر ذلك، نهض الشاب مرة أخرى، وشرح لبائع التذاكر ما سيحدث له، لزوجته، ولأولاده، وبيته إذا أخبر الشرطة أو أي شخص آخر بأيّ شيء مما حدث للتوّ.

لم تكن للرجل الصغير زوجة ولا أولاد، لكنه كان حريصاً على الاحتفاظ بأذنيه وأعضائه التناسلية سليمة بشكل أو بآخر. وهكذا، أعطى وعده، كموظف للسكك

الحديدية الوطنية، بأنه لن يقول حتى ولا كلمة واحدة.

كان ذلك وعداً حافظ عليه حتى اليوم التالي.

•••

عادت مجموعات البحث المكونة من أزواج إلى دار المسنّين، وقدمت تقريراً عما رأته. أو بالأحرى، عما لم تره. لم يكن عمدة البلدة يريد غريزياً إشراك الشرطة، وكان يحاول بيأس أن يفكر في بدائل، عندما تجرأ مراسل الصحيفة المحلية على السؤال:

«وماذا تنوي أن تفعل الآن، سيدي العمدة؟»

صمت العمدة بضع لحظات، ثم قال:

«سوف أستدعي الشرطة، بطبيعة الحال.»

يا الله، يكره الصحافة الحرة!

•••

استيقظ ألَنْ عندما ربّت السائق عليه بلطف وأعلن أنهم وصلوا الآن محطة بايرينغ. وبعد قليل، ناور السائق لإخراج الحقيبة من باب الحافلة الأماميّ، بينما يسير ألَنْ على أعقابه. سأله السائق عمّا إذا كان سيتمكن من تدبُّر أمره الآن من تلقاء نفسه، وقال ألَنْ إنه لا داعي لأن يقلق السائق بهذا الشأن. ثم شكره على مساعدته ولوح له مودعاً بينما درجت الحافلة عائدة إلى الطريق السريع مرة أخرى.

حجبت أشجار التنوب حرارة شمس ما بعد الظهيرة، وبدأ ألَنْ يبرُد قليلاً في سترته الرقيقة ونعاله المنزلية الخفيفة. ولم يستطع رؤية أي علامة لبلدة بايرينغ، فضلاً عن محطتها. كان ثمة غابة فقط؛ غابة، وغابة في كل الاتجاهات –وطريق صغير مفروش بالحصى يقود إلى اليمين.

فكر ألَنْ في احتمال وجود ملابس دافئة في الحقيبة التي كان قد جلبها معه بقوة

الدفع. لكن الحقيبة مقفلة لسوء الطالع، وستكون محاولة فتحها دون مساعدة مفك أو أداة أخرى يائسة بالتأكيد. لم يكن أمامه خيار آخر سوى البدء بالتحرك، وإلا فإنه سيتجمد حتى الموت.

كان للحقيبة حزام في أعلاها. وإذا قمت بسحبها، فإنها ستتدحرج جيداً على عجلاتها الصغيرة. سلك ألَنْ الطريق الوعر المفروش بالحصى إلى الغابة بخطوات قصيرة متعثرة. وتبعته الحقيبة على الأعقاب مباشرة، متقافزة على الحصى.

وبعد بضع مئات من الأمتار، وصل ألَنْ إلى ما يجب أن يكون محطة بايرينغ - بناء مغلق إلى جوار ما ينبغي أن يكون حتماً وبالتأكيد خط سكة حديدية سابق.

كان ألَنْ من عيّنة فريدة بالقدر الذي يخصّ المئويين، لكن الأمور بدت وأنها ستصبح كثيرة عليه بعض الشيء. جلس على الحقيبة ليستجمع أفكاره وقوته.

إلى يساره، وقف بناء المحطة الأصفر الرثّ المكوّن مِن طابقين. كانت جميع نوافذ الطابق السفلي مغطاة بالألواح الخشبية. وإلى يمينه، يمكن تعقب خط السكك الحديدية المتروك الذي لم يعد يستعمل وهو يُمعِن في المدى، داخلاً في عمق الغابة، مستقيماً كالسهم. لم تنجح الطبيعة بعد في التهام الآثار تماماً، لكنها ليست سوى مسألة وقت وحسب.

لم يكن المشي على أرضية رصيف المحطة الخشبية آمناً بكل وضوح. وعلى الألواح الخشبية الأبعد، ما يزال بالوسع قراءة الكلمات التحذيرية المكتوبة: لا تمشِ على المسار. فكر ألَنْ بأن السير على المسار ليس خطيراً بالتأكيد. ولكن، من هو الذي ما يزال يمتلك عقله، ويمكن أن يسير طوعاً على رصيف المحطة؟

جاء الرد على السؤال سريعاً، لأنه في تلك اللحظة بالذات، انفتح باب مبنى المحطة المتهالك، وخطا خارجاً من المنزل رجل في السبعينات من عمره، يرتدي قبعة وحذاءً صلباً. وبدا واضحاً أنه يثق بأن الألواح الخشبية لن تتداعى تحت حذائه الكبير، وكان مركّزاً كلياً على الرجل العجوز أمامه. كان موقفه المبدئي معادياً، لكنه بدا وأنّه غيّر رأيه بعد ذلك، ربما نتيجة لرؤية أي عينة متهالكة للبشرية هي التي غزت منطقته.

جلس ألَنْ على الحقيبة المسروقة حديثاً، غير عارف ما يقول، ومفتقراً إلى الطاقة لقوله على أي حال. لكنه نظر إلى الرجل بثبات، تاركاً له أمر القيام بالخطوة الأولى.

«من أنت، وماذا تفعل في محطتي؟» سأل الرجلُ صاحب القبعة.

لم يجب ألَنْ. لم يستطع أن يقرر ما إذا كان يتعامل مع صديق أم عدو. لكنه قرر عندئذ أنه لن يكون من الحكمة التجادُل مع الشخص الوحيد في الجوار، الشخص الذي يمكن حتى أن يدعوه إلى الداخل قبل أن يحلّ صقيع المساء. وقرر أن يقول القصة كما هي.

أخبر ألَنْ الرجل بأن اسمه ألَنْ، بأن عمره مائة سنة بالضبط وبأنه نشيط قياساً بعمره، نشيط جداً في الحقيقة حتى أنه هرب من دار المسنّين؛ بأنه كان لديه الوقت أيضاً لسرقة حقيبة من شاب، والذي لا بدّ أنه ليس سعيداً بشكل خاص حيال ذلك الآن بالتأكيد، وبأن ركبتيه ليستا في هذه اللحظة في أفضل حالاتهما، وبأنه يودّ كثيراً لو منحهما استراحة.

ثم صمت ألَنْ، في انتظار حكم المحكمة.

«هكذا الأمر إذن»، قال صاحب القبعة؛ وابتسم. «لص!»

ثم قفز برشاقة هابطاً من رصيف المحطة واتجه إلى المثوي ليلقي نظرة أقرب.

«هل عمرك مائة سنة حقاً؟» سأل. «في هذه الحالة، لا بد أن تكون جائعاً.»

لم يستطع ألَنْ تعقب الصلة المنطقية، لكنه كان جائعاً بالطبع. ولذلك سأل عن الموجود على قائمة الطعام، وإذا كان يمكن إدراج رشفة من «الشيء الصعب» فيها.

مدّ صاحب القبعة يده، وقدم نفسه على أنه يوليوس يونسون، وسحب العجوز وأوقفه على قدميه. ثم أعلن أنه سيحمل حقيبة ألَنْ بنفسه، وأن لحم الأيائل المشوي موجود على القائمة إذا كان ذلك يناسبه، وأنه ستكون هناك بالتأكيد رشفة من «الشيء الصعب» معه، أو بالأحرى ما يكفي منه للعناية بركبتيه وببقيّته أيضاً.

لم يكن لدى يوليوس يونسون أحدٌ ليتحدث إليه منذ عدة سنوات، ولذلك كان من دواعي سروره أن يقابل رجلاً عجوزاً مع حقيبة. قطرة من «الشيء الصعب» للركبة الأولى ثم للأخرى، تلتها قطرة إضافية للظهر والعنق، والبعض بعد ذلك لشحذ الشهية، كلها أفضت معاً إلى صناعة جو بهيج. وسأل آلَنْ يوليوس عن عمله، وحصل على القصة كلها.

ولد يوليوس في شمال السويد، وهو الابن الوحيد لأندريس وإيفلينا يونسون. اشتغل يوليوس عاملاً بمزرعة العائلة وتعرض للضرب كل يوم من والده الذي كان رأيه أن يوليوس لا يصلح لشيء. وعندما أصبح يوليوس في الخامسة والعشرين، توفيت والدته بسبب السرطان –وهو ما أصاب يوليوس بحزن إضافي– وبعد فترة وجيزة، ابتلع المستنقع والده أثناء محاولته إنقاذ بقرة صغيرة. وزاد ذلك حزن يوليوس أيضاً، لأنه كان مولعاً بالبقرة.

لم تكن لدى الشاب يوليوس موهبة لحياة الزراعة (في هذا الشأن كان والده محقاً في الأساس) كما لم تكن له أي رغبة في ذلك. وهكذا، باع كل شيء سوى بضعة أفدنة من الغابات التي اعتقد أنها قد تنفعه وتكون في متناول يده في شيخوخته، وذهب إلى ستوكهولم. وخلال عامين بدد كل نقوده. ثم عاد إلى الغابة.

وبحماس كبير، تقدم يوليوس بعطاء لتوفير خمسة آلاف من أعمدة الكهرباء لشركة كهرباء محافظة هوديكسفال.

وبما أن يوليوس لم يشغل نفسه بالتفاصيل، مثل مسألة الضرائب على الأجور، فاز بالعطاء، حتى أنه تمكن، بمساعدة نحو عشرة من اللاجئين المجريِّين، من تسليم الأعمدة في الوقت المحدد، ودُفع له قدر من المال أكثر مما اعتقد بأنه موجود في العالَم.

حتى الآن، سار كل شيء على ما يُرام. لكن المشكلة هي أن يوليوس اضطر إلى الغش قليلاً. لم تكن الأشجار قد نمت تماماً بعد، ولذلك كانت الأعمدة أقصر بمقدار ياردة من المطلوب. وكان ذلك ليمرّ دون أن يلحظه أحد على الأرجح، لو لم يحدُث في الحقيقة أن كل مزارع في المنطقة اشترى حصّادة آلية ثلاثية الوظائف.

نصبت شركة كهرباء محافظة هوديكسفال الأعمدة طولاً وعرضاً في حقول المنطقة ومروجها. وعندما جاء وقت الحصاد، وفي صباح واحد، سُحبَت جميع الكابلات والأسلاك إلى الأسفل في ستة وعشرين موقعاً بواسطة اثنين وعشرين حصادة مختلفة مشتراة حديثاً. وأصبحت المنطقة كلها بلا كهرباء لعدة أسابيع؛ وفُقدت المحاصيل، وتوقفت آلات الحلب عن العمل. ولم يمض طويل وقت قبل أن يتحول غضب المزارعين -الذي كان موجهاً في البداية إلى شركة كهرباء محافظة هوديكسفال- ضدّ الشاب يوليوس.

«لم يكن شعار المدينة «هوديكسفال السعيدة» يتردد على شفاه الكثير من الناس في ذلك الوقت، يمكن أن أقول لك. اضطررت إلى الاختباء في فندق البلدة في سوندسفال طوال سبعة أشهر، ثم نفدت نقودي. هلا شربنا جرعة كبيرة أخرى من الشيء الصعب؟»

اعتقد ألَنْ أنهم ينبغي أن يفعلوا. ونُقِعَ لحم الأيائل في البيرة أيضاً. والآن، شعر ألَنْ بالرضا الكامل حتى أنه بدأ يخشى أن يموت تقريباً.

مضى يوليوس في قصته. بعد أن كاد يدهسه جرار في وسط سوندسفال (يقوده مزارع ذو نظرة قاتلة في عينيه)، أدرك أن السكان المحليين لن ينسوا غلطته الصغيرة في المائة سنة القادمة. ولذلك سافر مسافة طويلة إلى الجنوب، وانتهى به المطاف في ماريفريد، حيث قام ببعض السرقات الصغيرة لفترة من الوقت حتى تعب من حياة المدينة، واستطاع شراء مبنى المحطة السابق في بايرينغ مقابل ٢٥,٠٠٠ كرونة صادف أنه عثر عليها ذات ليلة في خزنة نُزُل غريبشولم.

الآن، يعيش هنا في المحطة، بشكل أساسي على أعطيات الدولة، والصيد الجائر في غابة جاره، وإنتاج المشروبات الكحولية على نطاق صغير بواسطة جهاز تقطيره المنزلي وبيعها، وإعادة بيع السلع التي يمكنه الحصول عليها من جيرانه. لم يكن يحظى بشعبية خاصة في الحي، مضى يوليوس إلى القول، وأجاب ألَنْ بين قضمات الطعام بأنه يمكن أن يتخيّل هذا الجزء.

وعندما اقترح يوليوس رشفة واحدة أخيرة «كحلوى»، أجاب ألَنْ بأن لديه دائماً

نقطة ضعف تجاه الحلويات من هذا النوع، لكنه يجب أن يذهب أولاً إلى المرحاض إذا كان هناك واحد في المبنى. نهض يوليوس، وأضاء مصباح السقف لأن الظلام بدأ يحل، ثم أشار إلى الدرج وقال إن هناك دورة مياه عاملة على اليمين. ووعد برشفتين جديدتين ستكونان مسكوبتين وجاهزتين في انتظار ألَنْ عندما يعود.

وجد ألَنْ المرحاض حيث قال يوليوس إنه سيكون. وقف في وضع التبوُّل، وكالعادة لم تتمكن القطرات الأخيرة قطع كل المسافة تماماً إلى الحوض. وحطّت بعضها بهدوء على نعال التبوّل التي ينتعلها بدلاً من ذلك.

في منتصف هذه العملية، سمع ألَنْ ضجيجاً على الدرج. كان خاطره الأول هو أن ذلك هو يوليوس، يفرّ بحقيبته المسروقة حديثاً. لكن الضجيج أصبح أعلى. وثمة أحدٌ يصعد الأدراج. وأدرك ألَنْ أن هناك احتمالاً لأن تكون الخطوات التي سمعها خارج الباب للشاب نحيل البنية، صاحب الشعر الطويل الدهني الأشقر، واللحية الخفيفة، وسترة الجنيز المكتوب على ظهرها: «ليس ثانيةً أبداً.» إذا كان هو، فإن اللقاء ربما لن يكون لطيفاً.

***

وصلت الحافلة العائدة من سترانغناس إلى محطة مالمكوبينغ قبل موعدها بثلاث دقائق. ولم تكن تحمل أي ركاب، ولذلك أسرع السائق أكثر قليلاً بعد آخر موقف حتى يوفر وقتاً يلتقط فيه أنفاسه قبل مواصلة الرحلة إلى فلِن.

لكن السائق لم يكد يشعل سيجارته قبل أن يصل شاب ذو شعر طويل أشقر دهني، ولحية هزيلة، وسترة من الجينز مكتوب على ظهرها «ليس ثانية أبداً.» بالطبع، لم يكن السائق يرى الكلمات المكتوبة على ظهر السترة، لكنها كانت هناك، مع ذلك.

«هل أنت ذاهب إلى فلِن؟» سأل السائق متردداً بعض الشيء، وقد أحسّ بأن في الشاب شيئاً ليس على ما يُرام.

«لستُ ذاهباً إلى فلِن. ولا أنت أيضاً»، أجاب الشاب.

كان التسكع في انتظار عودة الحافلة لمدة أربع ساعات كثيراً على الصبر الذي استطاع الشاب أن يحشده. وإلى جانب ذلك، فإنّه أدرك بعد انقضاء نصف ذلك الوقت أنه لو سرق سيارة على الفور بدلاً من الانتظار، لكان قد لحق بالحافلة قبل مسافة طويلة من سترانغناس.

فوق كل ذلك، شرعت سيارات الشرطة بالطواف في أنحاء البلدة صغيرة. ويمكن أن يأتي رجال الشرطة إلى المحطة في أي وقت، ويبدأوا في استجواب الرجل الضئيل وراء نافذة مكتب التذاكر عن السبب في أنه يبدو مذعوراً ولماذا كان باب مكتبه معلقاً على مفصل واحد.

لم تكن لدى الشاب أدنى فكرة عما يفعله رجال الشرطة هناك. وقد اختار رئيسه في «ليس ثانية أبداً» مالمكوبينغ مكاناً لإبرام الصفقة لثلاثة أسباب: أولاً، لأنها قريبة من ستوكهولم؛ ثانياً، أن فيها وسائل نقل جيدة نسبياً، والسبب الثالث –والأهم– لأن ذراع القانون الطويلة لم تكن طويلة بما يكفي لتصل إلى هناك. لم يكن هناك ببساطة أي رجال شرطة في مالمكوبينغ.

أو، إذا أردنا أن نكون أكثر دقة: لا ينبغي أن يكونوا هناك، لكن المكان يغصّ بهم الآن. فقد رأى الشاب سيارتين وما مجموعه أربعة من رجال الشرطة؛ من وجهة نظره، كان ذلك حشداً.

في البداية، ظن الشاب أن الشرطة تسعى وراءه. لكن ذلك سيعني أن الرجل الضئيل صوصاً واشتكى، واستطاع الشاب استبعاد هذا الاحتمال بشكل قاطع. فأثناء انتظاره الحافلة القادمة، لم يكن لدى الشاب ما يفعله سوى إبقاء عينيه مفتوحتين على الرجل الضئيل، وتحطيم هاتف مكتبه تماماً، وإصلاح باب المكتب بأفضل ما يستطيع.

وعندما وصلت الحافلة في نهاية المطاف، ولاحظ الشاب أنها خالية من الركاب، قرر على الفور أن يخطف السائق والحافلة معاً. واستغرق الأمر كله عشرين ثانية لإقناع سائق الحافلة بالاستدارة والقيادة باتجاه الشمال مرة أخرى. شيءٌ قريب من رقم قياسي شخصي، فكّر الشاب وهو يجلس في نفس المقعد الذي جلس فيه العجوز

الذي يطارده الآن في وقت سابق من نفس اليوم.

كان سائق الحافلة يرتجف من الرعب، لكنه تجاوز أسوأ ما في الأمر بسيجارة مهدئة. كان التدخين، بطبيعة الحال، ممنوعاً على متن الحافلة، لكن القانون الوحيد الذي يخضع له السائق في تلك اللحظة كان يجلس مباشرة خلفه، بشكل قطري، في الحافلة. كان نحيل البنية قليلاً، بشعر أشقر ولحية هزيلة، وسترة من الجينز خُطت على ظهرها عبارة: «ليس ثانية أبداً».

على الطريق، سأل الشاب عن المكان الذي ذهب إليه سارق الحقيبة العجوز. وقال السائق إن العجوز نزل من الحافلة في محطة بايرينغ، وإن ذلك الاختيار كان عشوائياً تماماً، موضحاً الطريقة الملتوية التي دار بها العجوز حول الأشياء، حين عرض ورقة نقدية من فئة ٥٠ كرونة وسأل إلى أين يمكن أن يصل بها.

لم يكن السائق يعرف الكثير عن محطة بايرينغ، سوى أن من النادر أن ينزل فيها أو يصعد منها أحد. يفترض أن هناك محطة مغلقة للسكك الحديدية في مكان ما أسفل الطريق في الغابة، وهناك قرية بايرينغ في مكان ما في المنطقة المجاورة. ولا يمكن أن يكون العجوز قد ذهب أبعد من ذلك، كما خمن السائق. كان الرجل عجوزاً جداً والحقيبة ثقيلة، حتى لو أنّ لها عجلات.

هدأ الشاب على الفور. كان قد أحجم عن الاتصال برئيسه في ستوكهولم، لأن رئيسه واحد من الناس القلائل الذين يستطيعون إرعاب الناس بطريقة أكثر فاعلية من الشاب نفسه. وقد ارتعد الشاب لمجرد التفكير فيما قد يقوله رئيسه عن ضياع الحقيبة. من الأفضل حل المشكلة أولاً وإخباره لاحقاً. وبما أن الرجل العجوز لم يقطع كل المسافة إلى سترانغناس، أو حتى أبعد، ينبغي أن تعود الحقيبة إلى الشاب بأسرع مما كان يخشاه.

«ها هو موقف الحافلة في محطة بايرينغ...»

دحرج السائق الحافلة ببطء إلى جانب الطريق، واستعدّ للموت. لكن اتضح أن أجلَه لم يحِنْ بعد، ولو أن الحظّ جانبَ هاتفه المحمول الذي صادف موتاً سريعاً تحت أحدِ حذاءَي الشاب. واندفع من فم الشاب سيلٌ كامل من التهديدات بالقتل لأقارب

السائق، مصممة لتفادي أي احتمال لاتصال السائق بالشرطة بدلاً من الاستدارة بالحافلة ومواصلة الرحلة إلى فلِن.

بعد ذلك، ترجل الشاب وسمح للسائق والحافلة بالفرار. كان السائق المسكين مرتعباً حتى أنه لم يجرؤ على الاستدارة بالحافلة؛ وواصل المسير في نفس الاتجاه ليقطع كلّ الطريق إلى سترانغناس، وتوقف في منتصف شارع ترادغاردز، وسار في حالة من الصدمة داخلاً إلى فندق ديليا، حيث تجرع بسرعة أربع كؤوس من الويسكي. ثم، وعلى نحو أصاب النادل بالذعر، شرع في البكاء. وبعد كأسين أخريين من الويسكي، عرض عليه النادل هاتفه في حال أراد الاتصال بأحد، فأجهش سائق الحافلة في البكاء مرة أخرى - واتصل بصديقته.

***

اعتقد الشاب أنه يستطيع تمييز آثار في الحصى على الطريق، آثار حقيبة ذات عجلات. سوف ينتهي هذا الأمر سريعاً، وهو شيء جيد لأن الظلام شرع في الهبوط.

في التماعات متقطعة، تمنى الشاب لو أنه خطط أكثر قليلاً. ضربه خاطر وقوفه في غابة تصبح أكثر حلكة باطراد، والتي ستكون قريباً مطبقة السواد. فماذا سيفعل عندئذ؟

انتهت هذه الأفكار العصبية فجأة عندما وقع نظره على بناية صفراء رثة، قابعة بالقرب من أسفل التل. وعندما أشعل شخص ما ضوءاً في الطابق العلوي، غمغم الشاب:

«أمسكت بك الآن، أيها العجوز غريب الأطوار.»

***

توقف ألَنْ عن التبول بسرعة. فتح باب المرحاض بحذر وحاول أن يسمع ما يحدث في المطبخ.

وسرعان ما تأكد له أن أسوأ مخاوفه قد تحققت. ميّز ألَنْ صوت الشاب، وهو يخور على يوليوس يونسون ليقول له أين هو «النذل العجوز الآخر».

تسلل ألَنْ مقترباً من باب المطبخ، بصمت لأنه يرتدي النعال المنزلية. كان الشاب يحمل يوليوس من أذنيه، بنفس الطريقة التي حمل بها الرجل الضئيل في وقت سابق في محطة مالمكوبنغ. وواصل التحقيق مع يوليوس المسكين وهو يهزّه. فكر ألَنْ أن الشاب ينبغي أن يكون راضياً بالعثور على الحقيبة الواقفة هناك تماماً وسط الغرفة. التوت قسمات يوليوس، لكنه لم يأت بحركة للإجابة. فكر ألَنْ بأن تاجر الأخشاب القديم العجوز رجلٌ صلب، ونظر حوله باحثاً عن سلاح مناسب. رأى وسط القمامة عدداً قليلاً من المرشحين: مُخل، لوح خشب، وعاء لرشّ الحشرات، وكيس من سم الفئران. استقر ألَنْ أولاً على سم الفئران، لكنه لم يستطع التفكير في طريقة لإدخال ملعقة أو اثنين إلى بطن الشاب. المُخل، من ناحية أخرى، كان ثقيلاً نوعاً ما على مئوي، ووعاء رشّ الحشرات... كلا، لا بد أن يكون لوح الخشب.

أمسك ألَنْ سلاحه بقوة، وبأربع خطوات سريعة مثيرة –بالنسبة لسنه– كان يقف مباشرة خلف ضحيته المقصودة.

لا بد أن الشاب أحس بوجود ألَنْ هناك، لأنه تماماً في نفس اللحظة التي صوّب فيها العجوز سلاحه، أرخى الشاب قبضته عن يوليوس يونسون واستدار على عقبيه.

وتلقى صفعة لوح الخشب في منتصف جبهته، ووقف حيث هو، وحدق لثانية واحدة قبل أن يسقط على ظهره ويضرب رأسه بحافة طاولة المطبخ. لا دم، لا أنين، ولا شيء. وإنما استلقى هناك فقط، وعيناه مغلقتان.

«ضربة جيدة»، قال يوليوس.

«شكراً»، قال ألَنْ، «والآن، أين هي تلك الحلوى التي وعدتني بها؟»

جلس ألَنْ ويوليوس إلى طاولة المطبخ، بينما تمدّد الشاب ذو الشعر الطويل فاقد

الوعي عند أقدامهما. سكب يوليوس البراندي، وقدم كأساً لألَنْ، ورفع كأسه واقترح نخباً. ورفع ألَنْ كأسه أيضاً.

«وإذن»، قال يوليوس بعدما أفرغا كأسيهما. «أراهن أن هذا هو صاحب الحقيبة؟»

عندئذ، أدرك ألَنْ أن الوقت قد حان ليشرح شيئاً أو اثنين بمزيد من التفاصيل.

لم يكن هناك الكثير مما يحتاج الشرح. كان فهم معظم ما حدث خلال ذلك اليوم صعباً حتى على ألَنْ نفسه. لكنه وصف الأحداث -هربه من المنزل، استيلاءه الارتجالي على الحقيبة في محطة مالمكوبنغ، والخوف في عقله الباطن من احتمال أن يتمكن الشاب الممدّد الآن على الأرض فاقد الوعي من اللحاق به بسرعة. اعتذر بإخلاص عن جلوس يوليوس هناك الآن بأذنين حمراوين خافقتين. لكن يوليوس قال إنه لا ينبغي لألَنْ بالتأكيد أن يعتذر عن وجود قليل من الإثارة أخيراً في حياة يوليوس يونسون.

عاد يوليوس مرة أخرى إلى حالته الطبيعية. وفكّر بأن الوقت قد حان ليلقيا نظرة على ما في الحقيبة. وعندما أشار ألَنْ إلى أنها مقفلة، قال له يوليوس أن لا يكون سخيفاً.

«منذ متى يستطيع قفل إيقاف يوليوس يونسون؟» سأل يوليوس يونسون.

قال إن هناك وقتاً لكل شيء. أولاً هناك هذه المشكلة المتمددة على الأرض. لن يكون جيداً إذا استيقظ الشاب واستأنف من حيث توقف عندما أغمي عليه.

اقترح ألَنْ أن يوثقاه إلى شجرة خارج مبنى المحطة، لكن يوليوس اعترض، لأنه إذا صرخ الشاب بصوت عالٍ كفايةً عندما يستيقظ، فإنهم سيسمعون صوته في القرية. صحيح أن هناك حفنة فقط من العائلات التي ما تزال تعيش هناك، لكن لديها جميعاً -لسبب وجيه من نوع ما- بعض الضغينة ضد يوليوس، وستقف على الأرجح إلى جانب الشاب إذا سنحت لها الفرصة.

كانت لدى يوليوس فكرة أفضل. هناك قبالة المطبخ غرفة تجميد معزولة الجدران يخزّن فيها لحوم أيائله المذبوحة المسلوخة. وفي الوقت الحاضر ليس في

الغرفة أي أيائل، ومروحة التبريد فيها مطفأة. لم يكن يوليوس يريد تشغيل الثلاجة دون داع لأنها تستهلك الكثير من الكهرباء. وكان يوليوس، بالطبع، قد سرق لها أسلاك الكهرباء، وكان غوستا صاحب مزرعة «كوخ الغابة» هو الذي يدفع الفاتورة دون أن يدري، لكنك يجب أن تسرق الكهرباء باعتدال إذا أردتَ الاستفادة من هذا الدخل الإضافي لفترة طويلة.

تفقد ألَنْ غرفة التجميد غير المشغّلة، ووجدها زنزانة ممتازة، بدون أي وسائل راحة لا لزوم لها. ربما تكون مساحة ستة أقدام في تسعة حيزاً أكثر مما يستحق الشاب، لكنها لم تكن هناك حاجة لجعل الأمور صعبة دون داع.

جر العجوزان الشاب إلى غرفة التجميد، وصدرَ عنه أنين مكتوم عندما وضعاه على خزانة خشبية مقلوبة في إحدى الزوايا وأسندا جسمه على الجدار. بدا على وشك أن يستيقظ. ولذلك، كان من الأفضل الاستعجال في الخروج وقفل الباب بالشكل الصحيح!

وما إن قالا ذلك حتى فعلاه. وعلى الأثر، حمل يوليوس الحقيبة ووضعها على طاولة المطبخ، ونظر إلى القفل، ولعق الشوكة التي استخدمها لتوه فقط في أكل لحم الأيائل المسائي المشوي مع البطاطا، حتى ينظفها، وعالج القفل في بضع ثوان. ثم أشار لألَنْ حتى يتولى عملية الافتتاح الفعلي، على أساس أنها غنيمة ألَنْ بعد كل شيء.

«كل شيء لي هو لك أيضاً.» قال ألَنْ، «سوف نتقاسم مناصفة، أما إذا كان فيها زوج من الأحذية على مقاسي فستكون لي الكلمة الأولى.» وعلى هذا فتح ألَنْ القفل.

«ماذا بحق الجحيم»، قال ألَنْ.

«ماذا بحق الجحيم»، قال يوليوس.

سُمِع نداء «أخرجوني من هنا» قادماً من غرفة التجميد.

رابعاً
١٩٠٥-١٩٢٩

ولد ألّنْ إيمانويل كارلسون في ٢ مايو ١٩٠٥. وفي اليوم السابق، كانت والدته قد سارت في موكب عيد العمال في فلِن، وتظاهرت للمطالبة بمنح المرأة حق التصويت، ويوم عمل من ثماني ساعات، ومطالب طوباوية أخرى.

أسفر التظاهر عن نتيجة إيجابية واحدة على الأقل: بدأت تقلصات مخاضها، وبعد منتصف الليل بقليل ولدت ابنها الأول والوحيد. أنجبته في المنزل بمساعدة من زوجة الجار التي لم تكن موهوبة في القبالة بشكل خاص، وإنما لها بعض المكانة في المجتمع، لأنها نالت في سن تسع سنوات شرف الانحناء أمام الملك كارل الرابع عشر يوهان، الذي كان بدوره صديقا (نوعاً ما) لنابليون بونابرت. وحتى نكون منصفين بحق زوجة الجار، فإن الطفل الذي ساعدت في قبالته وصل فعلاً إلى مرحلة البلوغ، وبهامش جيد جداً.

كان والد ألّنْ كارلسون ذا طبيعة عاطفيّة وغاضبة في آن معاً. كان متعاطفاً مع عائلته، وغاضباً من المجتمع بشكل عام، ومن أي شخص يمكن التفكير بأنّه يمثل ذلك المجتمع. ولم يتفق الناس معه، منذ زمن يعود إلى الوقت الذي وقف فيه في ساحة في فلِن، ودعا إلى استخدام وسائل منع الحمل. وقد تم تغريمه على هذا الجرم مبلغ عشر كرونات، وأعفي من الحاجة إلى مزيد من القلق حول هذا الموضوع حين قررت والدة ألّنْ، بسبب شعورها بالعار الكبير، حظر أي اتصال آخر مع شخصها. كان عمر ألّنْ ست سنوات في ذلك الحين، وكان كبيراً بما يكفي ليطلب من أمه

مزيداً من الشرح المفصل عن سبب نقل سرير والده فجأة إلى مخزن الحطب. وقيل له إنه لا ينبغي أن يطرح الكثير من الأسئلة، إلا إذا أراد شد أذنيه. وبما أن ألَنْ، مثل كل الأطفال في كل الأوقات، لا يريد شد أذنيه، فقد تخلى عن الموضوع.

ابتداء من ذلك اليوم فصاعداً، أصبح ظهور والد ألَنْ يقل كثيراً في بيته. في النهار، كان يتكيف بشكل أو بآخر مع وظيفته في السكك الحديدية، وفي المساء يناقش الاشتراكية في الاجتماعات بالطول وبالعرض. أما أين يقضي لياليه، فلم يكن ذلك واضحاً تماماً لألَنْ. لكن والده أخذ مسؤولياته المالية على محمل الجدّ مع ذلك. كان يعطي الجزء الأكبر من أجره لزوجته كل أسبوع، حتى طُرِدَ من عمله ذات يوم بعد أن تعامل بعنف مع أحد الركاب الذي أعلن أنه في طريقه إلى ستوكهولم مع آلاف آخرين لزيارة الملك في القصر الملكي، والتأكيد له على رغبتهم في الدفاع عن وطنهم.

«يمكنك البدء بالدفاع عن نفسك أمام هذا»، قال والد ألَنْ ولكم الرجل بيمينية قوية حتى أنه أوقعه أرضاً.

عنى الطرد الفوري بعد ذلك أن والد ألَنْ لم يعد يستطيع إعالة أسرته بعد الآن. وعنت السمعة التي كسبها كرجل عنف ومدافع عن وسائل منع الحمل أن يكون بحثه عن وظيفة أخرى مجرد مضيعة للوقت. كان كل ما تبقى له هو أن ينتظر الثورة، أو الأفضل من ذلك كله تسريع وصولها، لأن كل شيء صغير في هذه الأيام يمضي ببطء شديد لعين. كان والد ألَنْ رجلاً يريد أن يرى النتائج. وقد احتاجت الاشتراكية السويدية إلى نموذج دولي. وسيكون من شأن ذلك إشعار النار تحت كل شيء، ويجعل الأمور ساخنة كجهنم على تاجر الجملة السيد غوستافسون وأمثاله من الرأسماليين.

وهكذا، حزم والد ألَنْ حقيبته وذهب إلى روسيا للإطاحة بالقيصر. وافتقدت والدة ألَنْ راتب الوالد، بطبيعة الحال، لكنها كانت راضية من ناحية أخرى لأن زوجها لم يغادر المقاطعة فقط، وإنما البلد كله أيضاً. وبعد أن هاجر معيل الأسرة، تُرك لوالدة ألَنْ، والولد الذي كان في العاشرة من عمره فقط، ألَنْ، أمر إبقاء الأسرة

واقفة على قدميها من الناحية المالية. وأسقطت والدته الأربع عشرة شجرة بتولا كاملة النمو التي كانوا يملكونها، وقطعتها وقسمتها بنفسها لتبيعها كحطب، في حين تمكن ألَنْ من الحصول على وظيفة سيئة الأجر كمراسل في فرع الإنتاج في شركة النتروغليسرين المحدودة.

في الرسائل المنتظمة التي تلقتها من سان بطرسبرج (التي تم تغيير اسمها بعد فترة وجيزة إلى بتروغراد)، لاحظت والدة ألَنْ بدهشة متزايدة أن إيمان والد ألَنْ ببركات الاشتراكية شرع في الاهتزاز.

في رسائله، غالباً ما أشار والد ألَنْ إلى أصدقاء ومعارف من المؤسسة السياسية في بتروغراد. وكان الشخص الذي ينقل عنه في معظم الأحيان هو رجل يدعى كارل. وهو اسم ليس روسياً بشكل خاص، كما اعتقد ألَنْ، ولم يصبح أكثر روسية عندما بدأ والد ألَنْ يدعوه العم كارل، أو العم فقط.

حسب والد ألَنْ، كانت أطروحة العم أن الناس بشكل عام لا يعرفون ما هو الأفضل بالنسبة لهم، وأنهم في حاجة إلى شخص ما يمكن أن يتشبثوا بيده. هذا هو السبب في أن الاستبداد يتفوق على الديمقراطية، طالما حرصت شريحة المتعلمين والمسؤولين في المجتمع على قيام المستبد المعني بعمل جيد. سبعة من أصل عشرة بلاشفة لا يستطيعون القراءة، شخر العم. ونحن لا نستطيع تسليم السلطة لحمولة من الأميين، هل نستطيع؟

ومع ذلك، دافع والد ألَنْ في رسائله عن البلاشفة في هذه النقطة بالذات، لأنه، كما كتب في إحدى الرسائل، «لا يمكنك تخيل كيف هي الأبجدية الروسية. لا عجب أن الناس أميّون».

أما الأسوأ فكان الطريقة التي تصرف بها البلاشفة. كانوا قذرين، يشربون الفودكا مثل جماعة الحثالة هناك في الوطن: أولئك الذين مدوا قضبان السكة الحديدية جيئة وذهاباً عبر السويد. وقد تساءل والد ألَنْ دائماً: كيف يمكن أن تكون القضبان مستقيمة بهذا الشكل بالنظر إلى حجم استهلاك العمال للمشروبات الروحية، وكان يشعر بوخزة ذنب في كل مرة تمايلت فيها قضبان سكة الحديد

السويدية إلى اليمين أو اليسار.

أياً يكن، كان البلاشفة يمثل سوء السويديين على الأقل. واعتقد العمّ بأن الاشتراكية ستنتهي إلى محاولة الجميع قتل الجميع، حتى لو تبقى شخص واحد فقط ليتخذ كل القرارات. ولذلك، سيكون من الأفضل الاعتماد منذ البداية على القيصر: إنه رجل طيب ومتعلم، وصاحب رؤية للعالم.

بشكل ما، بدا أن العمّ يعرف ما يتحدث عنه. كان قد التقى القيصر فعلاً، أكثر من مرة في الواقع. وزعم العم أن نيقولا الثاني صاحب قلب طيب حقاً. وقد صادف القيصر الكثير من سوء الحظ، لكن ذلك لم يستمر بكل تأكيد. لقد أشاع فشل المحاصيل والثورة البلشفية الفوضى في الأشياء. ثم شرع الألمان في التذمر لمجرد أن القيصر يحشد قواته. لكنه فعل ذلك من أجل الحفاظ على السلام. فبعد كل شيء، لم يكن القيصر هو الذي قتل الأرشيدوق وزوجته في سراييفو، أليس كذلك؟

من الواضح أن هذه هي الكيفية التي رأى بها العم (أياً كان) طبيعة الأمور، وتمكن بشكل ما من جعل والد ألَنْ يراها بنفس الطريقة. وإلى جانب ذلك، شعر والد ألَنْ بالقرابة مع القيصر بسبب كل سوء الحظ الذي عانى منه.

عاجلاً أم آجلاً ينبغي لهذا الحظ السيئ أن يتغير، بالنسبة للقيصر الروسي، وكذلك بالنسبة للناس العاديين الشرفاء من جوار فلِن.

لم يرسل والده أي أموال من روسيا أبداً، لكنه وصل ذات مرة، بعد بضع سنوات، طرد يحتوي على بيضة عيد فصح مطلية بالمينا، قال أبوه إنه كسبها في لعبة ورق من رفيق روسي لم يكن يفعل، إلى جانب الشرب والجدل ولعب الورق مع والد ألَنْ، أكثر من صناعة هذه الأنواع من البيض.

أرسل والده بيضة عيد الفصح إلى «زوجتي العزيزة» التي غضبت فقط وقالت إن المتبطل اللعين كان ينبغي أن يرسل بيضة حقيقية على الأقل حتى يمكن أن تأكلها الأسرة. وكانت على وشك إلقاء الهدية من النافذة، عندما أعادت النظر في ذلك. ربما يكون السيد غوستافسون تاجر الجملة مهتماً بها. لطالما حاول أن يكون خاصاً، وخاصاً بالتحديد هي الصفة التي فكرت بها أم ألَنْ للبيضة.

ولك أن تتخيل مفاجأة والدة ألَنْ عندما عرض عليها السيد غوستافسون تاجر الجملة بعد يومين من التفكير مبلغ ثماني عشرة كرونة ثمناً للبيضة. ليس نقوداً حقيقية بالطبع، وإنما في شكل إلغاء دَين، ولكن، ما الضَّير؟

بعد ذلك، أملت والدته بتلقي المزيد من البيض، لكنها وجدت في الرسالة التالية بدلاً من ذلك أن جنرالات القيصر تخلوا عن طاغيتهم الذي اضطر إلى التنازل عن عرشه. وفي رسالته، لعن والد ألَنْ صديقه صانع البيض الذي فرّ الآن. لكن الوالد نفسه اعتزم البقاء وخوض المعركة ضد المهرج المغرور الذي تولى السلطة، رجل يسمونه لينين.

بالنسبة لوالد ألَنْ، أخذت المسألة كلها بعداً شخصياً منذ حظر لينين كل أشكال الملكية الخاصة للأرض في نفس اليوم الذي اشترى فيه الوالد ١٣٠ قدماً مربعاً ليزرع فيها الفراولة السويدية. «لم تكلف الأرض أكثر من أربعة روبلات، لكنهم لن يفلتوا بحقل الفراولة»، كتب والد ألَنْ في رسالته الأخيرة نفسها إلى الوطن، مختتماً: «الآن وقت الحرب!»

وحرباً كانت بالتأكيد –كل الوقت. في كل جزء من العالم، ومستمرة منذ عدة سنوات. كانت قد اندلعت قبل نحو عام من حصول ألَنْ الصغير على وظيفته كمراسل في شركة النتروغليسرين المحدودة. وبينما يعبئ ألَنْ صناديقه بالديناميت، كان يستمع إلى تعليقات العمال على الأحداث. وتساءل كيف يعرفون كل هذا القدر، لكنه تعجب قبل كل شيء من كمّ البؤس الذي يمكن أن يسببه الراشدون. أعلنت النمسا الحرب على صربيا. أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا. ثم، قامت ألمانيا بغزو لوكسمبورغ قبل يوم من إعلان الحرب على فرنسا وغزو بلجيكا. ثم أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا، وأعلنت النمسا الحرب على روسيا، وأعلنت صربيا الحرب على ألمانيا. وعلى ذلك سارت الأمور. انضم اليابانيون، وكذلك فعل الأميركان.

وفي الشهور التي تلت الإطاحة بالقيصر عن العرش، استولى البريطانيون على بغداد لسبب ما، ثم القدس. وشرع اليونانيون والبلغار في محاربة بعضهم البعض،

بينما استمر العرب في ثورتهم ضد العثمانيين...

وهكذا، كانت عبارة «الآن وقت الحرب!» صائبة. وبعد وقت قصير، قام أحد أتباع لينين بإعدام القيصر مع جميع أفراد أسرته. ولاحظ آلَنْ أن سوء حظ القيصر قد لازمه.

وبعد بضعة أشهر، أرسلت القنصلية السويدية في بتروغراد برقية إلى يوزهولت لإبلاغهم بأن والد آلَنْ قد مات. وعلى الرغم من أن الخوض في التفاصيل لم يكن من مهمات موظف القنصلية، فقد فعل.

يبدو أن والد آلَنْ ثبت بعض ألواح الخشب بمسامير حول قطعة أرض صغيرة، وأعلن المنطقة جمهورية مستقلة. وسمى دولته الصغيرة «روسيا الحقيقية». وعندئذ، جاء اثنان من جنود الحكومة لهدم السياج. ورفع والد آلَنْ قبضتيه بدافع حرصه على الدفاع عن حدود بلاده، وكان من المستحيل على الجنديين التفاهم معه. وفي النهاية، لم يستطيعا التفكير في حل أفضل من وضع رصاصة بين عينيه، حتى يتمكنا من إنجاز مهمتهما بسلام.

«أما كنت تستطيع اختيار الموت بطريقة أقل حمقاً؟» قالت والدة آلَنْ للبرقية القادمة من القنصلية.

•••

لم تكن تتوقع أن يعود زوجها إلى البيت مرة أخرى حقاً، ومع ذلك، كانت قد شرعت في الأمل في الآونة الأخيرة، لأن رئتيها أصبحتا متعبتين، ولم يعد من السهل عليها الحفاظ على وتيرة عملها القديمة في تقطيع أجذال الحطب. أطلقت أم آلَنْ تنهيدة آسية، وكان ذلك هو مبلغ حِدادها النهائي. وقالت لآلَنْ بطريقة فلسفية إن ما كان قد كان، وفي المستقبل سيكون ما سيكون. ثم داعبت شعر ابنها بلطف قبل أن تخرج ثانية لتقطيع المزيد من الحطب.

لم يفهم آلَنْ ما قصدته أمه حقاً. لكنه فهم أن والده قد مات، وأن والدته تسعل بشدّة، وأن الحرب قد انتهت. وهو نفسه، في سن الثالثة عشرة، أصبح بارعاً بشكل

خاص عندما يتعلق الأمر بصناعة المتفجرات عن طريق خلط النتروغليسرين، ونترات السليولوز، ونترات الأمونيوم، ونترات الصوديوم، ودقيق الخشب، والدينيتروتولين، وبضعة مكونات أخرى. ينبغي أن يكون ذلك مفيداً يوماً ما، فكّر ألَنْ، وخرج لمساعدة والدته في معالجة الخشب.

***

بعد ذلك بعامين، أنهت أم ألَنْ سعالها، وذهبت لتدخل تلك الجنة المحتملة حيث كان والده قد ذهب من قبل.

بعد ذلك، وجد ألَنْ السيد تاجر الجملة يقف غاضباً على عتبة البيت الصغير، ويعتقد أنه كان ينبغي على الوالدة أن تدفع ديونها البالغة تسعة كرونات قبل أن تذهب وتموت –من دون إخطار أحد. لكن لم تكن لدى ألَنْ أيّ خطط لإعطاء غوستافسون أي شيء.

«هذا شيء عليك أن تتحدث معها عنه بنفسك، سيد تاجر الجملة. هل تريد أن أعيرك مجرفة؟»

كما هو حال تجار الجملة غالباً، كان الرجل ضئيل البنية مقارنة مع ألَنْ ذي الخمسة عشر عاماً. كان الصبي في طريقه إلى أن يصبح رجلاً. وإذا كان بنصف جنون والده، فإنه سيكون قادراً على أي شيء. هكذا رأى السيد تاجر الجملة غوستافسون الأمر، وبما أنه يريد البقاء في الأنحاء فترة لطول قليلاً لكي يحصي نقوده، فإنه لم يُثِر موضوع الدّين ثانية أبداً.

لم يستطع ألَنْ الصبيّ أن يفهم كيف استطاعت والدته أن تجمع بضع مئات من الكرونات في شكل مدخرات. لكن المال كان هناك على أي حال، وكان كافياً لدفنها ولإنشاء شركة كارلسون للديناميت. ربما كان عمر الفتى خمسة عشر عاماً فقط عندما توفيت والدته، لكن ألَنْ كان قد تعلم كل ما يحتاجه في شركة النتروغليسرين المحدودة.

أجرى ألَنْ تجاربه بحرية في حفرة الحصى خلف المنزل، بل وبمطلق الحريّة

حتى أن بقرة أقرب الجيران على بعد ميلين أجهضت حملها ذات مرة. لكن ألَنْ لم يسمع عن ذلك أبداً، لأن الجار كان -مثل السيد تاجر الجملة غوستافسون- خائفاً قليلاً من ابن كارلسون المجنون الذي ربما يكون مجنوناً بنفس المقدار.

منذ الوقت الذي قضاه ساعياً في شركة النتروغليسرين، احتفظ ألَنْ باهتمامه بالشؤون الجارية في العالم. كان يركب دراجته، مرة في الأسبوع على الأقل، إلى المكتبة العامة في فلِن لتحديث معلوماته حول آخر الأخبار. وعندما يكون هناك، كثيراً ما التقى بشبان حريصين على النقاش، والذين يشتركون في شيء واحد: كانوا يحاولون إغراء ألَنْ بالانضمام إلى حركة سياسية أو أخرى. لكن اهتمام ألَنْ الكبير بالأحداث العالمية لم يتضمن أي اهتمام بمحاولة تغيير العالَم.

بالمعنى السياسي، كانت طفولة ألَنْ محيرة. من ناحية، كان من الطبقة العاملة. ويمكنك بالكاد أن تستخدم أي وصف آخر لصبي ينهي تعليمه وهو في العاشرة، ليحصل على وظيفة في قطاع الصناعة. ومن ناحية أخرى، كان يحترم ذكرى والده. وقد تمكن والده أثناء حياة قصيرة جداً من تبني وجهات نظر من كامل الطيف. بدأ على اليسار، وذهب إلى الثناء على القيصر نيكولاس الثاني، وختم وجوده الدنيوي عن طريق نزاع على قطعة أرض مع فلاديمير إيليتش لينين.

كانت والدته، بين نوبات سعالها، تلعن الجميع، من الملك إلى البلاشفة، و، أحياناً، حتى زعيم الحزب الاشتراكي الديمقراطي، السيد غوستافسون تاجر الجملة، و-أخيراً وليس آخراً- والد ألَنْ نفسه.

ولم يكن ألَنْ نفسه أحمقَ بكل تأكيد. صحيح أنه قضى ثلاث سنوات فقط في المدرسة، لكن ذلك كان كافياً حتى يتعلم القراءة والكتابة، والحساب. كما جعله زملاؤه العمال الواعون سياسياً في شركة النتروغليسرين المحدودة محباً للاطلاع وفضولياً إزاء العالم أيضاً.

لكن الأمر الذي شكل فلسفة ألَنْ الشاب في الحياة في نهاية المطاف كان كلمات أمه عندما تلقت خبر وفاة والده. وقد استغرق الأمر بعض الوقت قبل أن تتسرب الرسالة إلى روحه، لكنها ما إن وصلت هناك حتى استقرّت هناك إلى الأبد: إن

الأمور هي ما هي عليه، والمقدر له أن يكون سوف يكون.

ويعني هذا، من بين أمور أخرى، أن لا يثير المرء صخباً، خصوصاً عندما يكون هناك سبب وجيه ليفعل: على سبيل المثال، ما حدث عندما سمعوا الأنباء عن وفاة والده. وفقاً لتقاليد الأسرة، تركز رد فعل ألَنْ في تقطيع الخشب، ولو أن ذلك استمر لوقت طويل بشكل غير عادي، ودون أن ينبس ببنت شفة. أو عندما ذهبت أمه في الدرب الذي سلكه والده، وحُملت في النهاية خارجاً إلى نعش الانتظار. عندئذ، ظلّ ألَنْ في المطبخ وراقب المشهد من خلال النافذة. ثم قال بهدوء شديد بحيث كان الوحيد الذي يمكن أن يسمع:

«حسناً، وداعاً يا أمي.»

وكانت تلك هي نهاية هذا الفصل من حياته.

***

عمل ألَنْ بجدّ في شركته للديناميت، وبنى خلال السنوات الأولى من العشرينيات دائرة كبيرة من العملاء في البلد. وفي أمسيات السبت، عندما كان معاصروه يحضرون حفلات رقصات الحظيرة، جلس ألَنْ ليطور معادلات وتركيبات جديدة لتحسين نوعية ديناميته. وعندما يأتي يوم الأحد، كان يذهب إلى حفرة الحصى ليختبر المتفجرات الجديدة. ولكن ليس بين الساعة الحادية عشرة والواحدة، مع ذلك –فقد اضطر إلى تقدم وعد للقس المحلي بالتوقف عن التفجيرات في هذا الوقت، مقابل الكفّ عن الشكوى كثيراً من غياب ألَنْ عن الكنيسة.

أحبّ ألَنْ شركته، وكان ذلك جيداً، لأنه عاش حياة منعزلة. لأنه لم ينضم إلى صفوف الحركة العمالية، كان مُحتقراً لدى الاشتراكيين، في حين كان مُمعناً عميقاً في الطبقة العاملة (فضلاً عما يتعلق بوالده) حتى يُتاح له مكان في أي تجمع بورجوازي. كان غوستافسون، على سبيل، سيفضل الموت على أن ينتهي به المطاف برفقة ذلك الشقي من آل كارلسون. ولك أن تتخيل فقط ما يمكن أن يحدث إذا اكتشف الصبي حقيقة ما دفعه غوستافسون ثمناً لبيضة الميناء، تلك التي اشتراها

ذات مرة من أم ألَنْ بلا شيء تقريباً، والتي بيعت الآن لدبلوماسي في ستوكهولم. وبفضل ذلك الجزء بالذات من التجارة، أصبح غوستافسون ثالث مالك فخور لسيارة في المقاطعة.

تلك المرة كان محظوظاً. لكن حظّ غوستافسون نفد ذات يوم أحد في شهر أغسطس من العام ١٩٢٥، بعد قداس الكنيسة. فقد خرج ليقوم بجولة، بشكل أساسي للتباهي بسيارته الثمينة. ولسوء حظه، حدث أنه اختار الطريق التي تمر بمنزل ألَنْ كارلسون. وعند المنعطف، أصبح غوستافسون عصبياً (أو ربما كانت لله أو للأقدار يد فيما حدث)، وعلقت التروس، وأدى شيء إلى آخر، حتى ذهب غوستافسون بسيارته مباشرة إلى حفرة الحصى خلف المنزل بدلاً من سلوك منعطف الطريق الخفيف إلى اليمين. كان يمكن أن يكون من السيئ بما يكفي أن يضع غوستافسون قدمه على أرض ألَنْ ويضطر إلى شرح موقفه، لكنه تبين أن الأمور أسوأ من ذلك بكثير، لأنه تماماً في اللحظة التي تمكن فيها غوستافسون من جعل سيارته الهاربة تتوقف، فجّر ألَنْ أول التفجيرات الاختبارية ليوم الأحد ذاك.

كان ألَنْ نفسه يقبع متكوراً لحماية نفسه من الانفجار وراء المرحاض الخارجي، ولم يسمع أو يبصر أي شيء. لم يكن حتى عاد إلى حفرة الحصى، حين أدرك أن شيئاً ما قد حدث خطأ. كانت أجزاء من سيارة غوستافسون قد انتشرت في أكثر من نصف الحفرة، وهنا وهناك توزعت أجزاء من غوستافسون نفسه.

كان رأس غوستافسون قد حط بهدوء على رقعة من العشب. وكان يحدق بنظرة فارغة في الدمار المحيق.

«أي شأن كان لك في حفرة حصاي؟» سأل ألَنْ.

ولم يُجب غوستافسون.

•••

خلال السنوات الأربع التالية، أصبح لدى ألَنْ الكثير من الوقت للقراءة وتحسين معرفته بكيفية عمل المجتمع. فقد تم سجنه على الفور، على الرغم من أنه كان من

الصعب تحديد السبب بالضبط. وبعد فترة من الوقت، جرى استحضار روح والده. حدث ذلك حين قرر تلميذ شاب ومتحمس للبروفيسور برنارد لوندبورغ، الخبير في علم الأحياء العنصري في جامعة أوبسالا، بناء حياته المهنية على حالة ألن. وعندما تم تسليم ألَنْ لبراثن الأستاذ لوندبورغ، جرى إخصاؤه على الفور «لأسباب تخص تحسين النسل والمجتمع» على أساس أن ألَنْ ربما يكون غبياً بعض الشيء، وربما يكون فيه الكثير من والده حتى تسمح الدولة بالمزيد من استنساخ جينات آل كارلسون.

لم يزعج الإخصاء ألَنْ. بل على العكس من ذلك، شعر بأنهم يعاملونه بشكل حسن في عيادة البروفيسور لوندبورغ. بين الحين والآخر، ترتّب عليه أن يجيب عن كل أنواع الأسئلة، مثلاً: لماذا يحتاج إلى تفجير الناس والأشياء إلى نتف؛ هل لديه أي معرفة عن وجود دم زنجي فيه. وأجاب ألَنْ بأنه يرى فرقاً معيناً بين الأشياء والناس عندما يصل الأمر إلى التأكد من تشغيل صمام التفجير في حِمل من الديناميت: قصم صخرة إلى نصفين -ذلك يمكن أن يمنحك شعوراً جيداً. لكنه في حال وجود إنسان بدل الصخرة، حسناً، لم يستطع ألَنْ أن يفهم السبب في عدم ابتعاد ذلك الشخص عن الطريق في ظل هذه الظروف. ألا يشعر البروفيسور لوندبورغ بنفس الشيء؟

لكن برنارد لوندبورغ لم يكن ذلك الرجل الذي يُقحم نفسه في مناقشات فلسفية مع مرضاه؛ ولذلك كرر السؤال عن الدم الزنجي. وأجاب ألَنْ بأن أحداً لا يستطيع أن يعرف حقّاً، لكنه كان لوالديه كليهما جِلد فاتح شاحب مثله، ربما يستطيع الأستاذ أن يقبل بذلك كإجابة؟ وبعدئذ أضاف ألَنْ أنه يتشوّف لرؤية رجل أسود حقيقي إذا كان لدى الأستاذ واحد تحت يده.

لم يجب البروفسور لوندبورغ ومساعدوه عن أسئلة ألَنْ، لكنهم كانوا يسجلون الملاحظات، ويهمهمون، ثم يتركونه في سلام، أحيانا لعدة أيام في المرة الواحدة. وقد كرس ألَنْ تلك الأيام لجميع أنواع القراءة: الصحف اليومية بالطبع، وإنما الكتب من مكتبة المستشفى الواسعة أيضاً. أضف إلى ذلك حصوله على ثلاث وجبات

كاملة يومياً، ووجود مرحاض داخلي، وغرفة خاصة به، ويمكنك أن ترى السبب في أن ألَنْ وجد من منتهى الراحة أن يكون حبيساً في مستشفى للمجانين. وقد أصبح الجو غير سار بعض الشيء بالنسبة لألَنْ مرة واحدة فقط. كان ذلك عندما سأل ألَنْ البروفيسور لوندبورغ عن الأمر الخطير جداً في أن يكون المرء زنجياً أو يهودياً. هذه المرة، لم يردّ الأستاذ بالصمت، وإنما هدر بأن على كارلسون أن يهتم بشؤونه الخاصة وأن لا يتدخل في شؤون الآخرين. وذكّر ذلك ألَنْ بتلك المرة قبل عدة سنوات عندما هدّدته والدته بشدّ أذنيه.

مرت السنوات، وأصبحت المقابلات مع ألَنْ قليلة ومتباعدة. ثم قام البرلمان بتعيين لجنة للتحقيق في إخصاء «الأفراد الأدنى بيولوجياً». وعندما صدر التقرير، أصبح لدى الأستاذ لوندبورغ فجأة الكثيرُ ليقوم به حتى أنهم احتاجوا سرير ألَنْ لشخص آخر. وفي ربيع العام ١٩٢٩، أُعلن أن ألَنْ قد أعيد تأهيله وأصبح مناسباً مرة أخرى لدخول المجتمع، وهكذا، أُرسِلَ إلى الشارع مع ما يكفي من النقود فقط لتذكرة القطار إلى فلِن. وترتّب عليه أن يمشي الكيلومترات القليلة الماضية إلى يوزهولت، لكن ألَنْ لم يمانع. بعد أربع سنوات وراء القضبان، كان يحتاج فعلاً إلى تمديد عضلات ساقيه.

خامساً
الاثنين ٢ مايو، ٢٠٠٥

لم تضيع الصحيفة المحلية أي وقت في نشر الأخبار عن الرجل العجوز الذي اختفى في الأثير يوم عيد ميلاده المائة. ولأن مراسل الصحيفة حرص على تحصيل الأخبار الحقيقية من المقاطعة، قام بتضمين الإشارة إلى أنه لا يمكن استبعاد احتمال الاختطاف. ووفقاً لشهود عيان، كان عقل المعمر المئوي في حال حسنة، وربما لم يكن يتجول بسبب التشوُّش الذهني.

ثمة شيء خاص في اختفاء المرء يوم عيد ميلاده المائة. وسرعان ما حذت محطة الإذاعة المحلية حذو الصحيفة المحلية، ثم جاءت الإذاعة الوطنية، ومواقع الإنترنت التابعة للصحف الوطنية، وأخبار محطات التلفزة المسائية. واضطرت الشرطة في فلِن إلى تسليم القضية لفرقة مكافحة الجريمة في المقاطعة، التي أرسلت بدورها سيارتين تابعتين للشرطة مع ضباط يرتدون الزي الرسمي، وكبير مفتشي المباحث، أرونسون، الذي لم يكن يرتدي الزي الرسمي. وسرعان ما انضم إليهم صحفيون متنوعون ممن أرادوا المساعدة في تفتيش كل ركن من أركان المنطقة. وأعطى وجود وسائل الإعلام بدوره لرئيس شرطة المقاطعة سبباً لقيادة التحقيق بنفسه، وربما بعض الظهور أمام الكاميرات في الطريق.

في البداية، شمل عمل الشرطة إرسال سياراتهم للدوران جيئة وذهاباً عبر المنطقة التابعة للبلدية، في حين قام أرونسون باستجواب الناس في دار المسنّين.

لكن عمدة المدينة عاد إلى منزله، وأطفأ هاتفه النقال. في رأيه، لن يأتي سوى الأذى فقط من التورط في اختفاء عجوز جاحد.

ورد سيل من شذرات المعلومات فعلاً: كل شيء من رؤية ألَنْ راكباً على دراجة، إلى رؤيته واقفاً في طابور وتصرفه بشكل سيئ في الصيدلية. لكن أمكن استبعاد هذه الملاحظات وأشباهها لمختلف الأسباب. على سبيل المثال، لا يمكن أنه كان يركب الدراجة في نفس الوقت الذي شوهد فيه بشكل مؤكد وهو يتناول الغداء في غرفته في دار المسنّين.

نظّم رئيس شرطة المقاطعة فرق بحث بمساعدة من حوالي مئة متطوع من المنطقة، وفوجئ فعلاً عندما لم يعُد ذلك بأيّ نتائج. حتى الآن، كان واثقاً تماماً من أنها مجرد قضية عادية لاختفاء شخص مختل العقل، على الرغم من شهادات الشهود عن الكمّ الكبير من الأفكار التي يمتلكها الرجل ذو المائة عام.

هكذا، لم يمضِ التحقيق في هذه المرحلة إلى أي مكان، ليس حتى وصل كلب بوليسي مستعار من إسكيلستونا في حوالي السابعة والنصف مساءً. تشمم الكلب للحظات كرسي ألَنْ المتحرك وآثار أقدامه بين زهور الثالوث تحت النافذة قبل أن يندفع نحو المتنزّه، ثم خارجاً من الجانب الآخر عبر الشارع، إلى أرض الكنيسة من طراز العصور الوسطى، وفوق الجدار الحجري، ليتوقف أخيراً خارج قاعة الانتظار في محطة الحافلات.

كان باب قاعة الانتظار مُقفلاً. وقال أحد الموظفين للشرطة إن المحطة تغلق أبوابها في تمام الساعة ٧:٣٠ مساءً خلال أيام الأسبوع، عندما ينهي زميل الموظف عمله اليومي. لكن المسؤول أضاف أنه إذا لم تستطع الشرطة الانتظار إلى اليوم التالي، فإنها يمكن أن تزور زميله في المنزل. كان اسمه روني هولت، وهو واثق أن اسمه مدرج في دليل الهاتف.

في الوقت الذي وقف رئيس شرطة المقاطعة أمام الكاميرات خارج دار المسنين وأعلن أن الشرطة تحتاج استمرار مساعدة الجمهور لفرق البحث خلال المساء والليل لأن المنوي يرتدي ملابس خفيفة وربما يكون ذهنه مشوشاً، قرع

كبير مفتشي المباحث غوران أرونسون جرس باب روني هولث. لقد أشار الكلب بوضوح إلى أن الرجل العجوز دخل قاعة الانتظار، ويجب أن يكون السيد هولث، الذي كان في مكتب حجز التذاكر، قادراً على قول ما إذا كان الرجل العجوز قد غادر مالمكوبينغ بالحافلة.

لكن روني هولث لم يفتح الباب. كان يجلس في غرفة نومه محتضناً قطته وقد أسدل الستائر.

«اذهبوا عني!» همس روني هولث في الباب الخارجي. «اذهبوا!»

في النهاية، كان هذا بالضبط هو ما فعله كبير المفتشين. جزئياً، اتفق مع اعتقاد رئيسه بأن العجوز ما يزال يتجول في النطاق المحلي، أو أنه إذا ركب الرجل العجوز حافلة، فيفترض أنه قادر على العناية بنفسه. ربما يكون روني هولث في زيارة صديقته. ستكون أولى مهمات صباح الغد هي السعي إلى رؤيته في الوظيفة. ذلك إذا لم يكن العجوز قد ظهر بحلول ذلك الوقت.

***

عند الساعة ٩:٠٢، تلقت شرطة المقاطعة اتصالاً هاتفياً:

اسمي هو برتيل كالغرين وأنا أتصل... أتصل نيابة عن زوجتي كما يمكنكم القول. حسناً، نعم، على أي حال، كانت زوجتي، جيردا كالغرين، في فلن لبضعة أيام لزيارة ابنتنا وزوجها. سوف ينجبان طفلاً... لذلك هناك دائماً الكثير مما يجب القيام به. لكن اليوم، حان الوقت للعودة إلى المنزل واستقلت –أعني جيردا– جيردا استقلت حافلة بعد الظهر، والحافلة تمر عبر مالمكوبينغ، ونحن نقطن هنا في سترانغناس.... حسناً، ربما لا يكون هذا شيئاً مهماً –الزوجة لا تعتقد ذلك– لكننا سمعنا في الراديو عن رجل عمره حوالي مائة عام، اختفى. ربما تكونون قد وجدتموه مسبقاً؟ ألم تفعلوا؟ على أي حال، الزوجة تقول إنه كان هناك رجل عجوز بشكل لا يصدق ركب الحافلة في مالمكوبينغ وكانت معه حقيبة كبيرة كما لو أنه ذاهب في رحلة طويلة. كانت الزوجة تجلس في الخلف وجلس الرجل العجوز في

المقدمة بحيث لم تره جيداً ولم تسمع حديث العجوز والسائق. ماذا قلتِ يا جيردا؟ حسناً، تقول جيردا إنها ليست من أولئك الناس الذين يتنصتون على أحاديث الآخرين... قطع الرجل العجوز نصف الطريق فقط إلى سترانغناس. جيردا لا تعرف اسم موقف الحافلات. كان في وسط الغابة نوعاً ما....

تم تسجيل المحادثة الهاتفية، وتفريغها على الورق، وأُرسِلت بالفاكس إلى فندق كبير لمفتشي المباحث في مالمكوبينغ.

سادساً

الاثنين ٢ مايو – الثلاثاء ٣ مايو، ٢٠٠٥

كانت الحقيبة محشوة برزم من أوراق النقد من فئة ٥٠٠ كرونة. وأجرى يوليوس بعض الحسابات السريعة في رأسه: عشرة صفوف بالعرض، خمسة صفوف في الارتفاع، خمسة عشرة رزمة في كل كومة...

«سبعة وثلاثون مليوناً ونصف المليون إذا حَسبتُ بشكل صحيح»، قال يوليوس.

«ذلك قدر محترم من النقود»، قال ألَنْ.

«أخرجوني، يا أولاد الحرام»، صرخ الشاب من داخل غرفة التجميد.

كان الشاب يتصرف بجنون هناك؛ صاح وركل وصاح أيضاً. وكان ألَنْ ويوليوس يحتاجان جمع شتات أفكارهما عند هذه الانعطافة المفاجئة للأحداث، لكنهما لم يستطيعا ذلك مع كل هذا الضجيج. وفي النهاية، اعتقد ألَنْ أن الوقت قد حان لتهدئة مزاج الشاب قليلاً، وهكذا، قام بتشغيل مروحة غرفة التجميد.

لم يستغرق الأمر الكثير من الثواني حتى يلاحظ الشاب أن وضعه قد ازداد سوءاً. فهدأ ليحاول التفكير بصفاء، وهو شيء لم تكن له في العادة شهية لفعله، فضلاً عن كونه عالقاً في غرفة تجميد تزداد برودة باطراد مع صداع قاصف.

بعد بضع دقائق من المداولة مع نفسه، قرر أن التهديد والوعيد أو محاولة شق طريقه بالركل للخروج من الوضع لن تنفع على الأرجح. وكل ما تبقى هو طلب المساعدة من الخارج. كل ما تبقى هو الاتصال هاتفياً بالرئيس. كانت الفكرة

مروعة. لكن البديل يبدو أسوأ من ذلك.

تردد الشاب دقيقة أو اثنتين، في حين تصبح زنزانته أكثر برودة. وأخيراً، استخرج هاتفه المحمول.

لا إشارة.

***

تحول المساء إلى الليل، وأصبح الليل صباحاً. وفتح ألَنْ عينيه، لكنه لم يستطع أن يخمّن أين هو للوهلة الأولى. لعله ذهب ومات أثناء نومه، بعد كل شيء؟

تمنى له صوت ذكر يشبه صوت منشرة الخشب صباحاً طيباً، وأبلغه بأن هناك قطعتين من الأخبار التي ينبغي نقلها إليه، واحدة جيدة وواحدة سيئة. أيهما يريد ألَنْ أن يسمع أولاً؟

قبل كل شيء، أراد ألَنْ أن يعرف أين هو ولماذا. كانت ركبتاه تؤلمانه، وبهذا، فإنه يكون على قيد الحياة على الرغم من كل شيء. ولكن ألم يكن قد... و، ألم يأخذ... هل كان الرجل يدعى يوليوس؟

وأخذت قطع الأحجية تسقط في مكانها؛ كان ألَنْ مستيقظاً، راقداً على فراش أرضي في غرفة نوم يوليوس. ووقف يوليوس في المدخل وكرر سؤاله.

«هل تريد الأخبار الجيدة أم السيئة أولاً؟»

«الأخبار الجيدة»، قال ألَنْ. «يمكنك تخطي الأخبار السيئة.»

حسناً. أخبره يوليوس بأن الخبر السار هو أن الإفطار جاهز على الطاولة. هناك قهوة، وسندويشات من شرائح لحم الأيائل المشوي الباردة، وبيض من الجيران.

التفكير بأن ألَنْ على وشك الاستمتاع بإفطار آخر من دون عصيدة في حياته! كان ذلك خبراً ساراً حقاً. وعندما جلس إلى طاولة المطبخ، شعر بأنه أصبح مستعداً الآن لسماع الخبر السيئ بعد كل شيء.

«الخبر السيئ»، قال يوليوس، وقد خفض صوته قليلاً، «الخبر السيئ هو أننا

عندما كنا ثملين ومنتشيين تماماً ليلة البارحة، نسينا إيقاف مروحة غرفة التجميد.»

«و؟» قال ألَنْ.

«و... لا بد أن يكون الرجل في الداخل قد مات برداً -أو برد حتى الموت- الآن.»

بنظرة قلقة، حكّ ألَنّ عنقه في حين يقرر ما إذا كان يريد أن يسمح لأخبار هذا الإهمال بأن تفسد اليوم.

«أوه يا عزيزي»، قال. «لكنني يجب أن أقول إنك سلقت هذه البيضات بالطريقة الصحيحة، لا هي صلبة كثيراً ولا سائلة كثيراً.»

استيقظ كبير مفتشي المباحث أرونسون عند حوالي الساعة ٨:٠٠ في مزاج سيئ. إن عجوزاً يضل، عن قصد أو غير ذلك، لا ينبغي أن يكون قضية يتولاها شخص بمؤهلات كبير المفتشين.

أخذ أرونسون حماماً سريعاً، وارتدى ملابسه، ونزل ليفطر في الطابق الأرضي من فندق بليفنا. وفي طريقه التقى بموظف الاستقبال الذي أعطاه رسالة الفاكس التي وصلت بعد إغلاق الاستقبال مباشرة مساء اليوم السابق. وبعد ساعة، أصبح كبير المفتشين ينظر إلى القضية في ضوء مختلف. وبقيت أهمية الفاكس الوارد من شرطة المقاطعة غير واضحة حتى التقى أرونسون بروني هولث الشاحب في مكتب تذاكر المحطة. ولم يستغرق الأمر طويل وقت قبل أن ينهار هولث ويخبر أرونسون بما حدث.

بعد ذلك بوقت قصير فقط، وردت مكالمة من إسكيلستونا تقول إن شركة الحافلات في مقاطعة فلِن اكتشفت للتو أن الحافلة مفقودة منذ مساء اليوم السابق. هل يستطيع أرونسون مهاتفة امرأة تدعى جيسيكا بيوركمان، الصديقة التي يعيش معها سائق الحافلة الذي من الواضح أنه خُطِف، ثم أُفرِج عنه؟

عاد كبير المفتشين أرونسون إلى فندق بليفنا لتناول فنجان من القهوة، ومحاولة تجميع كل هذه المعلومات التي وصلت حديثاً معاً.

ودوّن في ملاحظاته:

رجل مسن، ألَنْ كارلسون، ذهب «فراراً» بلا إذن من غرفته في بيت المسنّين قبيل الاحتفال بعيد ميلاده المئة في الصالة الرئيسة. وكارلسون هو، أو كان، في حالة جيدة بشكل مثير بالنسبة لسنه. والحقيقة المادية البسيطة المتمثلة في أنه استطاع الهبوط من النافذة تشهد على ذلك - إلا إذا حصل العجوز على مساعدة من الخارج بطبيعة الحال، لكن الملاحظات اللاحقة تشير إلى أنه تصرّف من تلقاء نفسه. وعلاوة على ذلك، شهدت المديرة أليس إنجلُند بأن «ألَنْ قد يكون عجوزاً، لكنه ابن حرام جهنمي أيضاً، وهو يفعل -عليه اللعنة- بالضبط ما يشعر بأنه يريد أن يفعله.»

وفقاً لكلب تعقب الأثر، فإن كارلسون، بعد أن داس في حوض زهور الثالوث، مشى عبر أجزاء من مالمكوبينغ، وفي النهاية دخل قاعة الانتظار في محطة الحافلات حيث، وفقا للشاهد روني هولث، ذهب مباشرة إلى نافذة تذاكر هولث، -أو بالأحرى مشى إليها متعثراً، بما أن هولث لاحظ خطوات كارلسون القصيرة وأنه ينتعل شبشباً منزلياً، وليس حذاءً. وتشير تعليقات هولث إلي أن كارلسون أراد الابتعاد عن مالمكوبينغ في أسرع وقت ممكن، في الاتجاه ووسيلة النقل التي تبدو وأنها الأقل أهمية.

هذا بالمناسبة هو ما أكّدته جيسيكا بيوركمان، الصديقة التي يعيش معها سائق الحافلة لينارت رامنير. ولم يتم استجواب سائق الحافلة حتى الآن، لأنه تناول الكثير من الحبوب المنومة. لكن إفادة بيوركمان بدت سليمة. لقد اشترى كارلسون تذكرة من رامنير مقابل مبلغ محدد مسبقاً من المال. وحدث أن الوجهة التي اشترتها له نقوده كانت محطة بايرينغ. تصادف أن يكون الأمر كذلك. وهكذا لم يكن هناك أي سبب للاعتقاد بأن أي شخص أو أي شيء كان ينتظر كارلسون.

وهناك أيضاً تفصيل آخر مثير للاهتمام. لم يلاحظ بائع التذاكر أنه كانت مع كارلسون حقيبة قبل أن يصعد على متن الحافلة الذاهبة إلى بايرينغ، لكن هذه الحقيقة سرعان ما تبيّنت له نظراً للسلوك العنيف للعضو المفترض في العصابة الإجرامية «ليس ثانية أبداً.»

لم تكن هناك حقيبة في القصة التي استطاعت جيسيكا بيوركمان استخلاصها من صديقها، لكن الفاكس القادم من الشرطة يؤكد أن كارلسون قام، كما يفترض -ولو أن ذلك لا يُصدق- بسرقة حقيبة من عضو «ليس ثانية أبداً.» وتخبرنا بقية قصة بيوركمان، إلى جانب الفاكس القادم من إيسكيلستونا، بأن كارلسون، في الساعة ٣:٢٠ بعد الظهر، بزيادة أو نقصان بضع دقائق، ثم عضو «ليس ثانية»، بعد حوالي أربع ساعات لاحقاً، ترجلا في محطة بايرينغ قبل المسير إلى جهة مجهولة. الأول يبلغ مائة سنة، يجر معه حقيبة؛ والثاني أصغر منه سناً بحوالي خمسة وسبعين عاماً.

أغلق كبير المفتشين أرونسون دفتر ملاحظاته، وشرب آخر رشفة من القهوة. كانت الساعة ١٠:٢٥ صباحاً.

«الموقف التالي، محطة بايرينغ»

•••

خلال الإفطار، أخبر يوليوس ألَنْ بكل ما أنجزه وخططه خلال ساعات الصباح الباكر بينما كان ألَنْ ما يزال نائماً.

أولاً، الحادث المؤسف في غرفة التجميد: عندما أدرك يوليوس أن درجة الحرارة ظلت تحت الصفر لمدة عشر ساعات على الأقل خلال ساعات المساء والليل، سلّح نفسه بالمُخل وفتح الباب. إذا كان الشاب ما يزال على قيد الحياة، فإنه لن يكون حتى قريباً من اليقظة والحذر اللذين سيحتاج إليهما ليقف في وجه يوليوس ومُخلِه.

لكن إجراء السلامة المتعلق بالمُخل لم يكن له لزوم. كان الشاب يجلس منطوياً على صندوقه الفارغ، وقد انتهت أيام ركله وتهديداته. كانت بلورات الثلج متراكمة على جسده، وقد حدقت عيناه ببرود إلى اللاشيء -كان ميتاً مثل الأيل المذبوح، باختصار.

ظن يوليوس أن ذلك كان سيئاً جداً، لكنه مريح للغاية أيضاً. لم يكونا ليتمكنا

من إخراج ذلك الرجل المتوحش من الثلاجة بتلك البساطة. وأطفأ يوليوس المروحة وترك الباب مفتوحاً. كان الشاب ميتاً، لكنه لم يرد أن يبقيه متجمداً ومتصلباً. وقد أشعل يوليوس الموقد في المطبخ لتدفئة المكان، ثم تفحص النقود. لم تكن سبعة وثلاثين مليوناً كما قدّر على عجل في المساء السابق. كانت خمسين مليوناً بالتمام والكمال.

استمع ألَنْ إلى حكاية يوليوس باهتمام، بينما يأكل إفطاره بشهية أكثر من أي إفطار آخر يمكن أن تطاله ذاكرته. ولم يقل أي شيء حتى وصل يوليوس إلى الجزء الخاص بالنقود.

«قسمة خمسين مليوناً على اثنين أسهل من قسمة سبعة وثلاثين. قسمة لطيف ومتساوية. هلا تفضلت بمناولتي الملح؟»

فعل يوليوس ما طلبه ألَنْ، وقال إنه ربما كان سيستطيع تقسيم سبعة وثلاثين على اثنين أيضاً لو أن ذلك كان ضرورياً، لكنه وافق على أن الأمر أسهل مع الخمسين.

ثم أصبح يوليوس جدياً. جلس إلى طاولة المطبخ مقابل ألَنْ، وقال إن الوقت قد حان لمغادرة المحطة المهجورة إلى الأبد. لم يعد الشاب في الثلاجة قادراً على إلحاق المزيد من الضرر، ولكن من يدري ما قد يكون قد أثاره خلفه على الطريق إلى هنا؟ يمكن أن يأتي في أي لحظة عشرة شبان جدد يقفون هناك ويصرخون في المطبخ، كل منهم بنفس شراسة هذا الذي كفّ عن الصراخ.

وافق ألَنْ، لكنه ذكّر يوليوس بتقدمه في السن، وأشار إلى أنه لم يعد قادراً على التحرك كما كان ذات يوم. فوعد يوليوس بأن يتأكد من أن لا يكون هناك مشي إلا بالحدّ الأدنى. لكن ابتعادهما عن المكان أمر بد منه. وسيكون من الأفضل إذا أخذا الشاب في الثلاجة معهما. لن يفيد العجوزين أن يجد الناس جثة في أعقابهما.

انتهيا من الإفطار، وحان وقت الذهاب. حمل يوليوس وألَنْ الشاب القتيل من الثلاجة إلى المطبخ، ووضعاه على كرسي حتى يستجمعا قوتهما.

تفقده ألَنْ من أعلى الرأس إلى أخمص القدمين، ثم قال:

«قدماه صغيرتان بشكل غير عاديّ بالنسبة لشخص بالغ الطول. لن تكون له أي فائدة من حذائه بعد الآن، أم أنه سيستفيد؟»

أجاب يوليوس بأنه على الرغم من أن الجو بارد جداً في الخارج في هذا الوقت من الصباح، فإن احتمال أن يعضّ الصقيع أصابع قدمي ألَنْ يبقى أكبر بكثير من عضّه أصابع الشاب. إذا اعتقد ألَنْ بأن الحذاء يناسبه، فعليه أن يمضي ويأخذه. وإذا لم يعترض الشاب على ذلك، فسيعني ذلك أنه موافق.

كان الحذاء كبيراً جداً على قدمي ألَنْ، لكنه صلب، وأكثر ملاءمة بكثير لشخص هارب بشبشبٍ منزلي مهترئ.

كانت الخطوة التالية هي حمل الشاب إلى الصالة وإلقائه من أعلى الدرج. وعندما وجد ثلاثتهم أنفسهم أخيراً على الرصيف خارج المحطة؛ اثنان واقفان وواحد مستلقٍ، تساءل ألَنْ عما يدور في خلد يوليوس الآن.

«لا تذهب إلى أي مكان»، قال يوليوس لألَنْ. «ولا أنت أيضاً»، قال للشاب، وقفز هابطاً عن الرصيف واتجه إلى سقيفة في نهاية طريق المحطة الجانبي الوحيد.

وبعد قليل، ظهر يوليوس خارجاً من السقيفة على ظهر عربة ترولي من النوع الذي يسير على القضبان ويستخدم لتفقد السكة الحديدية.

«فينتيج ١٩٥٤»، قال. «مرحباً بكم على متن المركبة.»

تولى يوليوس تحريك البدّالات الثقيلة الشاقّة في الأمام. ووراءه مباشرة، سمح ألَنْ لقدميه بتعقب حركة الدواسات دون أن يبذل حقيقة، جلس الشاب الجثة على المقعد على اليمين ورأسه مسنود على مقبض مكنسة، وقد غطت نظارات شمسية سوداء عينيه المحدّقتين.

أشارت الساعة إلى ١٠:٥٥ عندما غادرت المجموعة. وبعد ثلاث دقائق، وصلت سيارة فولفو زرقاء داكنة إلى محطة السكك الحديدية السابقة في بايرينغ. وترجل منها رئيس المحققين غوران أرونسون.

بدا المبنى مهجوراً بشكل لا تخطئه العين، لكنه ربما يجب أن يلقي نظرة

فاحصة أقرب على المكان قبل أن ينتقل إلى قرية بايرينغ ليقرع الأبواب.

خطا أرونسون صاعداً إلى الرصيف بحذر، لأنه لم تبد مستقرّة تماماً. وفتح الباب وهتف:

«هل من أحد في المنزل؟»

وعندما لم يتلق أي جواب، صعد الأدراج إلى الطابق الأول. وفي الحقيقة، بدا المبنى مأهولاً. في الطابق السفلي، توهجت جمرات في موقد الطبخ، وكانت وجبة إفطار شبه منتهية لشخصين موضوعة على الطاولة.

وعلى الأرض، استقرّ زوج من النعال المنزلية المهترئة.

•••

وصفت «ليس ثانية أبداً» نفسها رسمياً بأنها ناد لهواة الدراجات النارية، لكنها تكونت في الواقع من مجموعة من الشبان ذوي السجلات الإجرامية، يقودهم رجل في أواسط العمر ذو سجل إجرامي أكثر طولاً، وكلهم ينطوون على نوايا جنائية دائمة.

كان زعيم المجموعة يُدعى بير-غونار غيردن، لكن أحداً لم يجرؤ على مناداته بشيء غير «الرئيس»، لأن ذلك هو ما قرره «الرئيس». كان طوله يقترب من ستة أقدام ونصف القدم، ويزن حوالي ٥٠٠ باوند، وكان ميالاً إلى التلويح بسكين كلما عبر بقربه أي شخص أو شيء.

بدأ «الرئيس» مسيرته الإجرامية على مستوى منخفض تقريباً. كان يستورد الفاكهة والخضراوات مع شريك له إلى السويد، ويقومان بتزوير بلد المنشأ من أجل حرمان الدولة من الضرائب وتحصيل سعر أعلى من المستهلكين.

لكن هناك مشكلة في شريك «الرئيس» -لم يكن ضميره مطاطاً ومرناً بما يكفي. وقد أراد «الرئيس» تنويع العمل باستعمال خطط أكثر تطرفاً، مثل غمس الطعام في مادّة الفورمالديهايد. وكان قد سمع أن تلك هي الكيفية التي يصنعون بها الأشياء في بعض أجزاء من آسيا، وخطرت للرئيس فكرة استيراد اللحم

السويدي المفروم من الفلبين، رخيصاً وعن طريق البحر. وباستخدام قدر مناسب من الفورمالديهايد، سوف يبقى اللحم طازجاً لمدة ثلاثة أشهر إذا لزم الأمر، حتى عند ١٠٠ درجة مئوية.

وسوف يكون هذا اللحم رخيصاً جداً بحيث لن يضطر الشريكان حتى لإلصاق شاخصة «سويدي» عليها ليبيعاها بربح مجزٍ. ستكون شاخصة «دنماركي» كافية، كما فكر «الرئيس»، لكن شريكه قال لا. في رأيه، كان الفورمالديهايد جيداً لتحنيط الجثث، ولكن ليس لمنح اللحوم حياة الأبدية.

وهكذا، ذهب كل منهما في سبيله المنفصل، ولم يحدث أيّ تطوّر جديد في موضوع اللحم المفروم بالفورمالديهايد. بدلاً من ذلك، اكتشف «الرئيس» أنه يستطيع وضع قناع تزلج على وجهه والقيام بسرقه منافسه التجاري الأكثر خطورة في السوق، «ستوكهولم لاستيراد الفاكهة إيه. بي.» والاستيلاء على رزقه.

بمساعدة ساطور وصرخة غاضبة من نوع: «أعطني النقود، وإلا!» أصبح «الرئيس» في لحظة واحدة، وعلى نحو أدهشه هو نفسه، أكثر ثراء بمقدار واحد وأربعين ألف كرونة. لماذا تكدح وتشقى في الاستيراد عندما تستطيع كسب مثل هذه الأموال الرائعة بدون عمل على الإطلاق، تقريباً؟

هكذا، تحدّد المسار. وغالباً ما سارت الأمور على ما يرام. طوال ما يقرب من عشرين عاماً قضاها مستثمراً رائداً في قطاع أعمال السرقة، لم ينل «الرئيس» سوى بضع إجازات قصيرة غير طوعية.

ولكن، بعد عقدين من الزمن، شعر «الرئيس» بأن الوقت قد حان للتفكير بشيء أكبر. وجد زوجاً من الأتباع الأصغر منه سناً. وكان أول شيء فعله هو أنّه أعطى لكل منهما لقباً يناسبه في الحمق (لقّب أحدهما «البرغي»، والآخر، «السطل»)، ثم نفذ بمساعدتهما عمليتي سطو ناجحتين على سيارتين مصفحتين لشركات الأمن.

لكن سرقة العربة المصفحة الثالثة، مع ذلك، انتهت بثلاثتهم جميعاً إلى أربع سنوات ونصف السنة في سجن يتمتع بأقصى درجات الحراسة. وهناك خطرت للرئيس فكرة «ليس ثانية أبداً.» خلال المرحلة الأولى، سيتكون النادي من حوالي

خمسين عضواً، ينقسمون إلى ثلاثة فروع ناشطة: «السرقة»، «المخدرات»، و»الابتزاز». وجاء اسم «ليس ثانية أبداً» من رؤية «الرئيس» لتكوين هيكل محترف ومنيع لهذه الجريمة، بحيث أنهم لن يجدوا أنفسهم ثانية في سجن مشدد الحراسة. وسوف تكون «ليس ثانية أبداً» هي «ريال مدريد» عالَم الجريمة المنظمة (كان «الرئيس» مجنوناً بكرة القدم).

في البداية، مضت عملية التجنيد في السجن على ما يرام. لكنه حدث عندئذ أن ضلت رسالة قادمة إلى «للرئيس» من أمّه طريقها في السجن. وفيها كتبت ماما، من بين أمور أخرى، أن على بير-غونار الصغير أن يحرص على عدم الاختلاط برفاق السوء في السجن، وأنه يجب أن ينتبه للوزتيه الحساستين، وأنها تتطلع إلى لعب لعبة جزيرة الكنز معه مرة أخرى عندما يخرج.

بعد ذلك، لم ينفع حتى قيام الرئيس بتشريح اثنين من اليوغسلافيين في طابور الغداء، وتصرفه عموماً كشخص ذُهانيّ عنيف. لقد تدمّرت سلطته. ومن الثلاثين الذين جندهم حتى الآن، انسحب سبعة وعشرون. وبقي، إلى جانب البرغي والسطل، شاب فنزويلي فقط يدعى خوسيه ماريا رودريغيز -هذا الأخير لأنه كان واقعاً في غرام «الرئيس» بالسر، الأمر الذي لم يجرؤ على الاعتراف به لأحد، حتى نفسه.

أُطلِق على الفنزويلي اسم كاراكاس، على اسم عاصمة وطنه الأم. ولم ينضم أحد آخر للنادي، مهما هدد الرئيس وشتم وتوعد. وذات يوم، أُطلِقَ هو وشركاؤه الثلاثة الأتباع من السجن.

في البداية، فكّر الرئيس بالتخلي عن فكرة «ليس ثانية أبداً» جملة وتفصيلاً، لكنه حدث أن كان لكاراكاس رفيق كولومبي صاحب ضمير مطّاط وأصدقاء مشبوهون. وبعد شيء أو اثنين، أصبحت السويد (من خلال «ليس ثانية أبداً») بوابة تجارة المخدرات الكولومبية إلى أوروبا الشرقية. أصبحت الصفقات تكبر وتكبر، ولم تعد هناك حاجة، لا لكادر لتفعيل فرع «السطو» ولا فرع «الابتزاز».

***

عقد «الرئيس» مجلس حرب في ستوكهولم مع السطل وكاراكاس. لقد حدث شيء للبرغي، ذلك الأحمق الأخرق الذي مُنِح الثقة لتنفيذ أكبر صفقة للنادي حتى الآن. كان الرئيس على اتصال مع الروس في الصباح وأقسموا أنهم استلموا البضاعة –وسلّموا النقود. وإذا كان ساعي «ليس ثانية أبداً» قد هرب بالحقيبة، فإن تلك ليست مشكلة الروس عندئذ.

افترض الرئيس في الوقت الحاضر أن الروس يقولون الحقيقة. هل يكون البرغي قد تجاوز البلدة بإرادته مع المال؟ كلا، استبعد الفكرة، كان البرغي أغبى كثيراً من أن يفعل ذلك. أو لأنه حكيم جداً إذا أردت تأمل المسألة.

لا بدّ أن يكون أحد ما قد علم بأمر هذه الصفقة، وانتظر اللحظة المناسبة في مالمكوبينغ أو خلال رحلة البرغي عائداً إلى ستوكهولم، وضرب البرغي، وحصل على الحقيبة. ولكن مَن؟ طرح الرئيس السؤال على مجلس الحرب، ولم يحصل على جواب. ولم يتفاجأ الرئيس؛ فقد قرر منذ فترة طويلة أن أتباعه حمقى، ثلاثتهم جميعاً.

على أي حال، أصدر أوامره للسطل بالخروج إلى الميدان، لأن الرئيس يعتقد بأن السطل الغبيّ جداً يظل أقلّ غباءً من الغبي كاراكاس. وبذلك، فإنها ستكون للسطل الأحمق فرصة أكبر في العثور على البرغي الغبيّ، وربما حتى مع حقيبة المال.

«اذهب إلى مالمكوبينغ وتشمم هناك قليلاً، يا سطل. ولكن لا ترتد سترتك؛ الشرطة منتشرة في جميع أنحاء المدينة. لقد اختفى رجل في المائة من عمره.»

•••

تدحرج يوليوس، وألَن، والجثة على متن عربة التفقُّد على طريق الغابة. وفي فيدكار، قادهم سوء الحظ إلى مقابلة مزارع. كان المزارع هناك ليتفقد محاصيله عندما جاء الثلاثي مسرعين على عربة الترولي.

«صباح الخير»، قال يوليوس.

«يوم لطيف»، قال ألَنْ.

ولم تقل الجثة والفلاح أي شيء. لكن المزارع حدّق في الثلاثي طويلاً وهم يبتعدون ممعنين في المدى. وكلما أصبحت عربة الترولي أقرب إلى عمال الصلب المحليين، كلما أصبح يوليوس أكثر قلقاً. فكر بأنهم ربما يمرون ببحيرة على الطريق، ويتمكنون من إلقاء الجثة فيها. لكنهم لم يفعلوا. وقبل أن يتسنى ليوليوس الوقت ليقلق أكثر من ذلك، تدحرجت العربة داخلة في ساحة المسبكة. وداس يوليوس الفرامل في الوقت المناسب تماماً. سقطت الجثة إلى الأمام وضربت جبهتها مقبض الحديد.

«كان هذا سيؤلم حقاً لو أن الظروف مختلفة قليلاً»، قال ألَنْ.

«هناك مزايا لا شك فيها لكون المرْء ميّتاً»، قال يوليوس.

ترجل يوليوس من العربة واختبأ خلف شجرة بتولا ليستكشف المنطقة. كانت الأبواب الضخمة المفضية إلى ردهات المصنع مفتوحة، لكن الساحة بدت مهجورة. نظر يوليوس في ساعته. كانت تشير إلى الثانية عشرة وعشر دقائق. وأدرك أنه وقت الغداء، بينما يلمح حاوية كبيرة في الساحة. وأعلن أنه يعتزم الذهاب إلى هناك للقيام بشيء من الاستطلاع. تمنى ألَنْ ليوليوس حظاً سعيداً، وطلب منه أن يغرب عن وجهه.

لم يكن ذلك منطوياً على الكثير من المخاطرة، لأن يوليوس سيسير فقط مسافة الثلاثين متراً إلى الحاوية. وعندما وصل، تسلقها وغاب عن أنظار ألَنْ لدقيقة واحدة فقط. وعندما عاد إلى عربة الترولي، أعلن يوليوس أنه أصبح يعرف الآن ما سيفعلونه بالجثة.

كانت الحاوية معبأة حتى النصف بأسطوانات فولاذية من نوع ما، كل واحدة منها محزومة في صندوق خشبي واقٍ ذي غطاء. وكان ألَنْ منهكاً تماماً عندما أصبحت الجثة الثقيلة، أخيراً، في مكانها داخل واحدة من الأسطوانتين الأكثر عمقاً في الحاوية. لكنه انتعش على الفور عندما أُغلِق الغطاء الخشبي وشاهد شاخصة العنوان.

أديس أبابا.

«سوف يتمكن من رؤية العالم إذا أبقى عينيه المختلستين مفتوحتين»، قال آلَن.

«هيّا عجّل»، قال يوليوس. «لا يمكننا البقاء هنا.»

سارت العملية على ما يرام، وعاد الرجلان مرة أخرى تحت أشجار البتولا قبل وقت جيّد من انتهاء استراحة الغداء. جلسا على العربة للاستراحة، وسرعان ما بدأت الأشياء تنبض بالحياة في ساحة المصنع. ملأ سائق شاحنة الحاوية ببضع أسطوانات أخرى. ثم أغلقها وقفلها، وأحضر حاوية جديدة، وواصل التحميل.

تساءل آلَن عمّا يصنعونه في الواقع هناك. وعرف يوليوس أنه عملٌ له تاريخ؛ منذ زمن يعود وراءً إلى القرن السابع عشر، كانوا يصبون المدافع ويزودون بها الجميع ممن أرادوا جعل قتلهم أكثر فعالية في حرب الثلاثين عاماً.

اعتقد آلَن أنه بدا من غير الضروري أن يقوم أناس القرن السابع عشر بقتل بعضهم البعض. لو أنهم صبروا أكثر قليلاً لماتوا جميعاً في النهاية على أي حال. وقال يوليوس إنه يمكن قول الشيء نفسه عن كل العصور. ثم أعلن أن الاستراحة قد انتهت، وأن الوقت قد حان ليختفي العجوزان عن الأنظار.

كانت خطة يوليوس البسيطة هي أن يسير الصديقان المسافة القصيرة إلى الأجزاء الأكثر مركزية من أكِر، ويقررا من هناك الخطوة التالية.

***

تفقد كبير المفتشين أرونسون مبنى المحطة القديمة في بايرينغ دون أن يعثر على أي شيء مثير للاهتمام، باستثناء زوج من النعال الذي ربما يعود للمنوي. وأخذهما معه ليريهما للموظفين في دار المسنّين.

كانت هناك برك من المياه منتشرة هنا وهناك على أرضية المطبخ، تقود إلى غرفة تبريد مفتوحة مروحتها مطفأة. لكن من غير المرجح أن تكون لذلك أي أهمية.

واصل أرونسون طريقه إلى قرية بايرينغ لكي يطرق الأبواب. ووجد أناساً في ثلاثة منازل، وعلم من جميع العائلات الثلاث أن هناك «يونسون يوليوس» ما يعيش في الطابق الأول من مبنى المحطة، وأن يوليوس يونسون هو لص ورجل مخادع لم يرد أحد أن تكون له أي علاقة به، وأن أحداً لم يسمع أو يشاهد أي شيء غريب منذ مساء اليوم السابق. لكنهم رأوا جميعاً من المسلم أن يوليوس يونسون لا يسعى إلى خير أبداً.

«ضعوه خلف القضبان»، طالب واحد من أكثر الجيران غضباً.

«لأيّ سبب؟» تساءل كبير المفتشين بصوت متعب.

«لأنه يسرق البيض من حظيرة دجاجاتي في الليل، لأنه سرق زلاجتي التي كنت اشتريتها حديثاً في الشتاء الماضي، وغير طلاءها وادعى أنها له، لأنه يطلب الكتب باسمي، ويعبث بصندوق بريدي عند وصولها، ويجعلني أدفع الفاتورة، لأنه يحاول بيع الفودكا التي يقطرها بالسر لابني الذي في الرابعة عشرة من العمر، لأنه....

«طيّب، طيّب، حسناً. سوف أضعه وراء القضبان»، قال كبير المفتشين. «لكنني يجب أن أعثر عليه أولاً.»

•••

عاد أرونسون أدراجه إلى مالمكوبينغ، وأوشك أن يبلغ منتصف الطريق هناك عندما رن هاتفه المحمول. كان مزارع قد اتصل بالهاتف توّاً وأبلغ بمعلومة مثيرة للاهتمام. قبل ساعة أو نحو ذلك، كان مجرم معروف في المنطقة قد مر عبر حقوله في عربة ترولي على خط سكة الحديد المهجورة بين بايرينغ ومسبك أكِر. ورأى المزارع في العربة رجلاً عجوزاً، وحقيبة كبيرة، وشاباً يضع نظارات شمسية. وبدا أن الشاب هو المسؤول، وفقاً للمزارع. مع أنه لم يكن ينتعل أي حذاء...

«لا أفهم»، قال كبير مفتشي أرونسون وأدار سيارته بسرعة كبيرة حتى أن النعال الخفيفة الموضوعة على مقعد الراكب بجانبه سقطت على أرضية السيارة.

بعد بضع مئات من الأمتار، تباطأت خطوات ألَنْ المتعثرة أصلاً. لم يكن يشكو، لكن يوليوس تمكن من رؤية أن ركبتي الرجل العجوز تسببان له المشاكل. في مرمى البصر أمامهما وقفت بسطة لبيع النقانق. ووعد يوليوس ألَنْ بأنه إذا وصل إلى بسطة النقانق، فإن يوليوس سوف يعالجه -يمكنه أن يتحمل ذلك- ثم سيجد حلاً لمشكلة النقل. وأجاب ألَنْ بأنه لم يسبق له أبداً أن اشتكى في حياته بسبب القليل من عدم الراحة، وأنه لن يبدأ ذلك الآن، أما أن قطعة نقانق ستحل المشكلة!

زاد يوليوس من سرعة خطوه؛ وسار ألَنْ في أعقابه وهو يجرّ قدميه. وعندما وصل أخيراً، كان يوليوس قد التهم مسبقاً نصف شطيرة من النقانق. نقانق مشوية رائعة. ولم يكن هذا كل شيء.

«ألَنْ»، قال، «تعال وقل مرحباً لبيني. إنه سائقنا الخاص الجديد.»

كان بيني، صاحب بسطة النقانق، رجلاً في قرابة الخمسين من عمره، وما يزال يحتفظ بكل شعره في رأسه، بما في ذلك جزء مربوط في شكل ذيل حصان. وفي حوالي دقيقتين، كان يوليوس قد تمكن من شراء شطيرة نقانق، وصودا البرتقال، وسيارة بيني المرسيدس من طراز ١٩٨٨، بما في ذلك بيني نفسه، كل ذلك مقابل مائة ألف كرونة.

نظر ألَنْ إلى صاحب بسطة النقانق.

«هل اشتراك أنت أيضاً، أم أنه استأجرك فقط؟» سأل في نهاية المطاف.

«السيارة اشتُريت، والسائق تم استئجاره»، أجاب بيني. «لعشرة أيام في البداية، ثم يبدو أننا سنتناقش مرة أخرى. النقانق أيضاً متضمن في السعر. هل لي أن أغويك بشطيرة فيينى مشوي؟»

كلا، لا يمكنه ذلك. فقد أراد ألَنْ مجرد شطيرة نقانق مسلوق عادي إذا كان ذلك ممكناً. وإلى جانب ذلك، قال ألَنْ، فإن مئة ألف كرونة في مقابل هذه السيارة القديمة هي ثمن باهظ جداً، حتى ولو شمل سائقاً، ولذلك، سيكون عادلاً لو أنه أضاف زجاجة من حليب الشوكولاته أيضاً.

وافق بيني على الفور. سوف يترك بسطته وراءه، ولن يُحدِث حليب والشوكولاته

فرقاً، بشكل أو بآخر. كان مشروعه التجاري يخسر المال على أي حال؛ وتبين له أن تشغيل بسطة للنقانق في قرية صغيرة هو فكرة سيئة كما بدا الأمر منذ البداية.

في واقع الأمر، كما أعلمهما بيني، كان يتأمل الخطط لفعل شيء مختلف بحياته حتى قبل يصل السيدان. أما سائق سيارة خاص، حسناً، لم يكن قد تصوَّر ذلك.

في ضوء ما أخبرهما به صاحب بسطة النقانق لتوه، اقترح ألَنْ أن يحمّل بيني صندوقاً كاملاً من حليب الشوكولاته في صندوق السيارة. ووعد يوليوس، من جانبه، بأن يحصل بيني على قبعة السائق الخاص عند أول فرصة، إذا قام الآن فقط بخلع قبعة شيف بسطة النقانق وخرج من الكشك، لأن الوقت حان ليمضوا الآن في طريقهم.

لم يكن بيني يعتقد أن مجادلة أرباب عمله هي جزء من وظيفته، ولذلك فعل كما طُلب منه. وانتهى الأمر بقبعة الشيف التي كانت على رأسه في سلة القمامة، وذهب حليب الشوكولاته إلى صندوق السيارة. لكن يوليوس أراد الاحتفاظ بالحقيبة على المقعد الخلفي معه. واضطر ألَنْ إلى الجلوس في الأمام، حيث يمكنه أن يمد ساقيه بشكل مناسب.

هكذا، ذهب صاحب بسطة النقانق الوحيدة في آكِر وجلس في مقعد السائق لما كانت قبل بضع دقائق فقط سيارته المرسيدس، التي بيعت الآن بشكل مشرف لاثنين من السادة في صحبة بيني.

«وأين تريدان الذهاب أيها السيدان؟» سأل بيني.

«ماذا عن الشمال؟» قال يوليوس.

«نعم، سيكون ذلك جيداً»، قال ألَنْ، «أو الجنوب.»

«إذن، سنقول الجنوب»، قال يوليوس.

«فليكن، إلى الجنوب إذن»، قال بيني.

بعد عشر دقائق، وصل كبير المفتشين أرونسون إلى آكِر. وبتعقب خطوط سكك الحديد، وجد عربة ترولي قديمة متروكة في ساحة المصنع. لكن العربة لم تعرض

أي أدلة واضحة. كان العمال في الساحة مشغولين بتحميل اسطوانات من نوع ما في حاويات. ولم يكن أي منهم قد شاهد العربة وهي تصل. لكنهم رأوا بعد الغداء رجلين مسنين يسيران على الطريق، أحدهما يجر حقيبة كبيرة. وكانا يسيران في اتجاه محطة البنزين وبسطة النقانق.

سأل أرونسون إذا لم يكن هناك حقاً سوى رجلين، وليس ثلاثة. لكن العمال لم يروا أيّ شخص ثالث.

بينما يقود سيارته باتجاه محطة البنزين وبسطة السجق، فكّر أرونسون في معلوماته الجديدة. لكنّ استخراج أيّ شيء منطقي من هذا كله أصبح أصعب من أي وقت مضى.

في البداية، توقف عند بسطة النقانق. كان قد بدأ يشعر بالجوع، ولذلك كان التوقيت رائعاً. لكنها كانت مغلقة. لا بد أن يكون من الصعب إدارة بسطة للنقانق في هذا العراء، فكر أرونسون، ثم استأنف طريقه إلى محطة البنزين. وهناك، لم يكونوا قد سمعوا شيئاً ولا رأوا شيئاً. لكنهم باعوا أرونسون شطيرة نقانق على الأقل، ولو أنها بنكهة البنزين.

بعد غدائه السريع، ذهب أرونسون إلى السوبرماركت، ومحل بيع الزهور، والسمسار، وتوقف وتحدث إلى أي سكان محليين ممن غامروا بالخروج مع كلابهم، وعربات أطفالهم، أو في أزواج. لكن أحداً منهم لم يشاهد رجلين، أو ثلاثة، وحقيبة. لقد وصل الأثر إلى نهايته ببساطة في مكان ما بين المسبك ومحطة البنزين. وقرر كبير المفتشين أرونسون العودة إلى مالمكوبينغ. على الأقل، لديه حذاءٌ يتطلب التعرُّف إلى هويته.

***

أجرى أرونسون اتصالاً هاتفياً برئيس شرطة المقاطعة من سيارته وأطلعه على آخر التفاصيل. وكان قائد شرطة المقاطعة ممتناً لأنه سيعقد مؤتمراً صحفياً في فندق بليفنا في الساعة الثانية، ولم يكن لديه ما يقوله حتى الآن. كان لدى قائد

للشرطة شيء من النزعة المسرحية؛ لم يكن يميل إلى الأداء المختصر. والآن، أعطاه كبير المفتشين أرونسون للتوّ ما يحتاجه من أجل عرض هذا اليوم.

هكذا، تجاوز قائد الشرطة كل الضوابط خلال المؤتمر الصحفي، قبل أن يتسنى لأرونسون الوقت ليعود إلى مالمكوبينغ ويوقفه (الأمر الذي لم يكن لينجح في القيام به على أي حال). أعلن قائد الشرطة أن الشرطة اضطرت إلى افتراض أن اختفاء ألّنْ كارلسون قد تطور إلى اختطاف، تماماً كما اقترح موقع صحيفة محلية على الشبكة العنكبوتية في اليوم السابق. وحصلت الشرطة الآن على معلومات تؤكد أن كارلسون ما يزال على قيد الحياة، وإنما في قبضة أناس من العالم السفلي.

وقد طُرِحت الكثير من الأسئلة، بطبيعة الحال. لكن قائد الشرطة تجنبها ببراعة. كل ما يستطيع قوله للصحافة هو أنّ كارلسون وخاطفيه شوهدوا في قرية آكِر الصغيرة مؤخراً حول وقت الغداء تقريباً في ذلك اليوم نفسه. وحثّ أفضل صديق لسلطات الشرطة -الجمهور العام- على أبقاء عيونهم مفتوحة.

لخيبة أمل قائد الشرطة، لم يكن فريق التلفزيون قد بقي في المكان حتى يسمع إعلانه الدراماتيكي. كان سيصطادهم ويثبتهم في المكان بالتأكيد لو أن أرونسون الكسول هذا تمكن من اكتشاف قصة الاختطاف أبكر قليلاً. لكن صحيفة التابلويد الوطنية كانت حاضرة هناك على الأقل، وكذلك الصحيفة المحلية ومراسل من الإذاعة المحلية. وفي الجزء الخلفي من قاعة الطعام في الفندق، وقف رجل آخر لم يميزه قائد الشرطة. هل هو من وكالة الأنباء الوطنية؟

لم يكن «السطل» من وكالة للأنباء. لكنه أصبح مقتنعاً بأن البرغي قد خرج من البلدة مع الخميرة جميعها -بحيث أنه أصبح في هذه الحالة في حكم الميّت.

•••

عندما وصل كبير المفتشين أرونسون إلى فندق بليفنا، كانت الصحافة قد تفرقت. وفي طريقه إلى هنا، توقف أرونسون في دار المسنين، حيث أكدوا له هناك أن النعال تعود في الحقيقة لألّنْ كارلسون. (تشممتها المديرة أليس وأومأت برأسها

وقد ارتسم على وجهها تعبير مشمئز).

كان من سوء حظ أرونسون أنه تعثر بقائد شرطة المقاطعة في بهو الفندق. وهناك أخبره الرئيس عن المؤتمر الصحفي وأمره بحل لغز الجريمة، ويفضل أن يكون ذلك بطريقة لا تتعارض مع ما قاله قائد الشرطة للصحافة. ثم مضى قائد الشرطة في طريقه. كان لديه الكثير مما يجب القيام به. لقد كان الوقت قد حان، على سبيل المثال، لأن يجلب مدعياً عاماً إلى الفريق.

جلس أرونسون مع فنجان من القهوة ليفكر في آخر التطورات. وقرر التركيز على استكشاف العلاقة بين ركاب عربة الترولي الثلاثة. إذا كان المزارع مخطئاً بشأن علاقة كارلسون ويونسون بالراكب الثالث في العربة، فإنها ربما تكون عندئذ دراما رهائن. وقد تحدث قائد الشرطة عن شيء من هذا القبيل ذلك في مؤتمره الصحفي. ولكن، ولأنه نادراً ما كان مصيباً، فإن ذلك بالضبط ربما يوجه ضربة لنظرية الاختطاف. وإلى جانب ذلك، رأى شهود كارلسون ويونسون يتجولان في آكِر – مع حقيبة. وهكذا، فإن السؤال هو، هل تمكن العجوزان، كارلسون ويونسون، من التغلب بطريقة ما على الشاب الذي يفوقهما قوة وعضو «ليس ثانية أبداً» ورميه في حفرة؟

فكرة لا تُصدق، لكنها ليست مستحيلة. قرر أرونسون استدعاء كلبة الشرطة من إيسكيلستونا مرة أخرى. يجب أن يقوم الكلب ومدربه بمسيرة طويلة تغطي كل الطريق من حقول المزارع إلى المسبك في آكِر. لقد اختفى عضو «ليس ثانية أبداً» في مكان ما بين الموضعين. كما تمكن كارلسون ويونسون نفساهما من الاختفاء في الأثير في مكان ما بين الباحة الخلفية للمسبك ومحطة البنزين –وهي مسافة لا تتجاوز ٢٠٠ متر. تبخّرا من على وجه الأرض دون أن يلحظ أحد. وكان الشيء الوحيد في ذلك المسار هو بسطة نقانق مغلقة.

رنّ جرس هاتف أرونسون المحمول. لقد تلقّت الشرطة معلومات جديدة. هذه المرة، شوهد المئويّ في ميولبي، ربما مختطفاً على يد رجل في أواسط العمر يربط شعره على هيئة ذيل حصان، ويجلس خلف عجلة القيادة في سيارة مرسيدس فضية.

«هل يجب علينا التحقق من هذا؟» سأل زميله.

«كلا»، قال أرونسون، وتنهد.

علّمت سنوات من الخبرة أرونسون قدرة التمييز بين المعلومات الجيدة والرديئة. كان ذلك مجرد عزاء في وقت غرقت فيه معظم الأشياء في ضباب الغموض.

***

توقف بيني في ميولبي لتعبئة خزان السيارة بالبنزين. فتح يوليوس الحقيبة بحذر، وأخرج ورقة نقدية من فئة ٥٠٠ كرونة ليدفع منها. ثم قال يوليوس إنه يريد أن يحرّك ساقيه بالمشي قليلاً، وطلب من ألَنْ البقاء في السيارة وحراسة الحقيبة. وكان ألَنْ متعباً بعد مشاق اليوم، ووعدَ بعدم التحرك شبراً واحداً.

عاد بيني أولاً، وجلس وراء عجلة القيادة. وبعده بفترة وجيزة، عاد يوليوس. وواصلت المرسيدس رحلتها نحو الجنوب.

بعد فترة، شرع يوليوس في معالجة شيء في المقعد الخلفي. ثم عرض كيس حلوى مفتوحاً على ألَنْ وبيني.

«انظرا ماذا وجدت في جيبي.» قال.

ورفع ألَنْ حاجبيه مندهشاً:

«هل سرقت كيساً من الحلوى، حتى مع أن لديك خمسين مليوناً في الحقيبة؟»

«لديك خمسون مليوناً في الحقيبة؟» سأل بيني.

«أوبس»، قال ألَنْ.

«ليس تماماً»، قال يوليوس. «لقد أعطيناك مائة ألف.»

«بالإضافة إلى خمسمائة للبنزين»، قال ألَنْ.

بقي بيني صامتاً لبضع ثوان.

«وهكذا، يكون لديكم تسعة وأربعون مليونا، وثمانمائة وتسعة وتسعون ألفاً، وخمسمائة كرونة في الحقيبة؟»

«لديك عقل جيد في معاملة الأرقام»، قال ألَنْ.

ثم ساد الصمت حتى قال يوليوس إنه قد يكون من الأفضل شرح كل شيء للسائق الخاص. وإذا أراد بيني إلغاء العقد المبرم بينهم، فإن ذلك سيكون مقبولاً تماماً.

***

كان الجزء من القصة الذي وجده بيني أصعب على الهضم، هو أن هناك شخصاً نُفِّذَ فيه حكم الإعدام، ثم عُبّئ بعد ذلك للتصدير.

لكن من الواضح أنه حادث، من ناحية أخرى، حتى مع تورط الفودكا في الموضوع. من جانبه، لم يكن بيني قد مس ذلك «الشيء الصعب» على الإطلاق.

استعرض السائق المستخدم حديثاً الأمر كله في ذهنه، وقرر أن الخمسين مليوناً كانت في الأيدي الخطأ منذ البداية بكل تأكيد، وأن النقود ربما تصبح الآن أكثر فائدة للبشرية. وإلى جانب ذلك، بدا من الخطأ أن يستقيل في اليوم الأول لوظيفة جديدة.

هكذا، وعد بيني بالبقاء في منصبه وتساءل عما يخطط له العجوزان تالياً. وحتى تلك اللحظة، لم يكن يريد أن يسأل؛ ففي رأي بيني، ليس الفضول خصيصة مرغوبة في السواقين الخصوصيين، لكنه أصبح الآن متواطئاً شيئاً ما.

اعترف ألَنْ ويوليوس بأنها ليست لديهما أيّ خطط على الإطلاق في واقع الأمر. ربما يتابعون الطريق حتى يشرع الظلام بالهبوط، ثم يقضون الليل في مكان ما، حيث يمكنهم مناقشة المسألة بمزيد من التفصيل.

«خمسون مليوناً.» قال بيني وابتسم، بينما يركّب الغيار الأول للمرسيدس متأهباً للانطلاق.

«تسعة وأربعون مليونا، وثمانمائة وتسعة وتسعون ألفاً، وخمسمائة كرونة»، صحّحه ألَنْ.

ثم ترتّب على يوليوس أن يعد بالتوقف عن سرقة الأشياء لأجل السرقة فقط. قال إن ذلك لن يكون سهلاً؛ إنّه شيء في دمه ولم يكن يناسب أي شيء آخر. لكنه

وعد، وأحد الأشياء التي يعرفها يوليوس عن نفسه أنه نادراً ما يحنث بوعوده.

تواصلت الرحلة بصمت. وسرعان ما نام ألَنْ. وأكل يوليوس قطعة أخرى من الحلوى. وهمهم بيني بأغنية لا يتذكر اسمها.

•••

ليس من السهل على مراسل صحيفة تابلويد أن يستشعر قصة ما ويتوقف. ولم يمض طويل وقت قبل أن يشكل الصحفيون صورة عن المسار الحقيقي للأحداث أكثر وضوحاً من تلك التي عرضها قائد شرطة المقاطعة في مؤتمره الصحفي بعد الظهر. وحول هذا الوقت، كانت «الإكسبرس» هي أول من تمكن من الوصول إلى بائع التذاكر روني هولث، وزيارته في منزله، والتمكُّن من إقناعه -بعد وعد بالعثور على جليس لقطة روني هولث الوحيدة- بأن يتبع المراسل إلى فندق في إيسكيلستونا لقضاء الليل، بعيداً عن متناول الصحيفة المنافسة. في البداية، كان هولث خائفاً من التحدث، وقد تذكر فقط، وبشكل جيداً جداً، ما هدّده به الشاب.

لكن مراسل الصحيفة وعد بأن يبقى هولث مصدراً مجهولاً، وأكد له أن أيّ شيء لن يحدث له، بما أن الشرطة أصبحت الآن متورطة في القضية. لكن صحيفة «الإكسبرس» لم تتوقف عند هولث. فقد اصطادت سائق الحافلة أيضاً في الشبكة، وكذلك القرويين في بايرينغ، والمزارع في فيدكار، والعديد من الناس في قرية آكِر. وبالإجمال، قدم ذلك المادة اللازمة لعدة مقالات مثيرة ظهرت في اليوم التالي. كانت، بطبيعة الحال، مليئة بالافتراضات غير الصحيحة، ولكن المراسل أبلى حسناً بالنظر إلى الظروف.

مضت سيارة المرسيدس الفضية في طريقها. وفي النهاية، سقط يوليوس نائماً أيضاً. كان ألَنْ يشخر في المقعد الأمامي ويوليوس في الخلف وقد اتخذ من الحقيبة وسادة غير مريحة. كل هذا بينما يرسُم بيني مسارهم بأفضل ما يستطيع. وفي نهاية المطاف، قرر بيني مغادرة الطريق السريع، ماضياً نحو الجنوب في عمق غابات سمولاند. هنا يأمل بالعثور على مكان إقامة مناسب لقضاء الليل.

استيقظ آلن وسأل عما إذا كان وقت الذهاب إلى السرير سيحل سريعاً. وأيقظت تلك المحادثة يوليوس، الذي نظر حوله، ورأى الغابات في كل مكان، وسأل أين هم.

أخبرهما بيني بأنهم أصبحوا الآن على بعد حوالي خمسة عشر ميلاً إلى الشمال من فاكسيو، وأنه كان يفكر في حين كان السيدان نائمين. وقد خلص إلى أنه سيكون من الأفضل، لأسباب أمنية، العثور على مكان سري لقضاء الليل. إنهم لا يعرفون من الذي ربما يطاردهم، لكنك إذا سرقت حقيبة فيها خمسون مليوناً، فإنك لا ينبغي أن تتوقع أن تُترك في سلام. لذلك تحول بيني عن الطريق التي تؤدي إلى فاكسيو، واتجه إلى مكان أكثر تواضعاً بكثير، يدعى روتني. ربما يكون هناك فندق صغير حيث يمكنهم قضاء الليلة.

«عظيم وذكيّ»، قال يوليوس بتقدير. «لكنه ربما ليس ذكياً بما فيه الكفاية.»

أوضح يوليوس ما يعنيه. في روتني، قد يكون هناك، في أحسن الأحوال، فندق رث صغير، لم يعثر عليه أحد أبداً في طريقه. وإذا ظهر هناك ثلاثة من السادة فجأة بلا حجز مسبق ذات مساء، فإن ذلك سيجلب اهتماماً كبيراً من القرويين. ومن الأفضل، في هذه الحالة، العثور على مزرعة أو منزل في مكان ما في الغابة، يمكن أن يجدوا فيه سبيلهم إلى غرفة للنوم وشيء ليأكلوه بالرشوة.

وجد بيني منطق يوليوس حكيماً، ولذلك انعطف في أول طريق غير معبد وقعت عليه أبصاره.

كان الظلام قد شرع بالهبوط تواً عندما رأى الرجال الثلاثة بعدَ ميلين تقريباً صندوق بريد على جانب الطريق. كان مكتوباً على صندوق البريد: «بحيرة المزرعة»، وإلى جانب الصندوق امتد طريق أكثر ضيقاً، والذي يفترض أن يؤدي إلى المزرعة. وقد تبين أن ذلك صحيح. فبعد مائة ياردة وصلوا إلى منزل. كان بيت مزرعة محترم من طابقين، مبني بالطوب الأحمر، وله إطارات نوافذ بيضاء وحظيرة. وأبعد بجوار بحيرة، ثمة شيء ربما كان ذات مرة كوخ معدات.

بدا المكان مأهولاً، فأوقف بيني المرسيدس مباشرة أمام مدخل منزل المزرعة.

ثم، خرجت من الباب الأمامي امرأة في أوائل الأربعينات من العمر، ذات شعر أحمر مجعد، ترتدي بدلة رياضية أكثر حُمرة، ومعها كلب إلزاسي يسير في أعقابها.

ترجل الرجال الثلاثة من المرسيدس. وحملق يوليوس في الكلب، لكنه لم يبدُ عليه أنه سيهاجمهم. وفي الحقيقة، وجه إلى الضيوف نظرة متسائلة أقرب إلى الودّ. وهكذا، تجرأ يوليوس على إبعاد أنظاره عنه. وقال بتهذيب «مساء الخير»، وبسط أمر بحثهم عن مكان للنوم، وربما شيء يأكلونه.

نظرت المرأة في هذا الطاقم المتنافر أمام عينيها: رجل عجوز، رجل أقل شيخوخة، و... رجل أقرب إلى الأناقة والظُرف، كما ينبغي عليها الاعتراف. وفي السن المناسبة أيضاً. وبضفيرة ذيل حصان! ابتسمت لنفسها وفكر يوليوس بأنهم نجحوا، لكنها قالت عندئذ:

«ليس هذا فندقاً بحق الشيطان الرجيم.»

وتنهّد ألن. كان يتوق حقاً إلى شيء يأكله وسرير ينام فيه. لقد أصبحت الحياة الآن منهِكةً، حتى أنه قرر العيش فترة أطول قليلاً. لك أن تقول ما تشاء عن دار المسنين؛ لكنها لم تسبب له الأوجاع والآلام في جميع أنحاء جسده على الأقل.

بدا يوليوس خائب الأمل أيضاً، وقال إنه هو وأصدقاؤه ضائعون ومتعَبون، وأنهم مستعدون بطبيعة الحال لدفع مقابل بقائهم هناك فترة الليل. وإذا كان ذلك ضرورياً، فإنه يمكنهم الاستغناء عن الجزء المتعلق بالطعام.

«سوف ندفع ألف كرونة عن كل شخص إذا أعطيتِ لنا مكاناً للنوم»، عرض يوليوس.

«ألف كرونة؟» قالت المرأة. «هل أنتم فارّون من شيء؟»

تجاهل يوليوس سؤالها الذي ينمّ عن إدراك، وشرح مرة أخرى أنهم قطعوا طريقاً طويلة. ومع أنه ربما يمكنهم الاستمرار في طريقهم، فإن ألَنْ هنا هو رجل تقدمت به السنوات.

«أمس كان عيد ميلادي المائة»، قال ألَنْ بصوت مثير للشفقة.»

«مائة؟» قالت المرأة بخوف تقريباً. «حسناً، فلتحلّ عليّ اللعنة!»

ثم صمتت لبرهة.

«ماذا بحق الجحيم»، قالت أخيراً. «أعتقد أنه يمكنكم البقاء. ولكن انسوا أمر الألف كرونة. كما قلت، إنّه ليس فندق لعيناً هو الذي أديره هنا.»

رمقها بيني بنظرة إعجاب. لم يسبق له أن سمع قط امرأة تشتم بهذه الكثرة في مثل هذا الوقت القصير. ورأى أن ذلك بدا لذيذاً.

«جميلتي»، قال. هل لي أن أداعب كلبك؟»

«جميلة؟» قالت المرأة. هل أنت أعمى؟ لكنك تستطيع أن تداعبه، طبعاً، 'المغفل' كلب ودود. «يمكن أن يأخذ كل منكم غرفة في الطابق العلوي، هناك الكثير من الغرف هنا. الأدراج نظيفة، ولكن احترسوا من سم الفئران على الأرض. العشاء سيكون على الطاولة بعد ساعة واحدة.»

وسارت المرأة مارة بالضيوف الثلاثة نحو الحظيرة، بينما سار "المغفل" إلى جانبها بإخلاص. سأل بيني عن اسمها وكأن ذلك بطريقة عابرة. فقالت دون أن تستدير أنها غونيلا، لكنها تظن أن 'الجميلة' هو اسم لا بأس به، التزم بذلك بحق الشيطان.» ووعد بيني.

«اعتقد أنني وقعت في الحب، قال بيني.»

«أعتقد أنني مُنهك»، قال ألَنْ.

وفي تلك اللحظة بالذات، سمعوا صوت خوار قادم من الحظيرة، والذي جعل حتى ألَنْ المنهك يقف منتصباً. لا بد أنه يصدر من حيوان ضخم جداً، وربما متألم.

«هدئي من روعك، سونيا»، قالت الجميلة. «إنني قادمة، بحق اللعنة.»

سابعاً

١٩٢٩-١٩٣٩

كان البيت الصغير في يزهولت غارقاً في الفوضى. وخلال السنوات التي قضاها ألَنْ في رعاية البروفيسور وندبورغ، سقط البلاط من على السطح وتناثر محطوماً على الأرض، وكان المرحاض الخارجي منهاراً، بينما ترفرف إحدى نوافذ المطبخ في الريح.

تبول ألَنْ في الهواء الطلق، بما أنه لم يعد هناك مرحاض عامل. ثم ذهب وجلس في مطبخه المترب، وترك النافذة مفتوحة. كان جائعاً ولكنه قاوم الرغبة في التحقق من مكان حفظ اللحوم؛ كان متأكداً أن ذلك لن يحسّن مزاجه.

كان قد وُلد وترعرع هنا، لكن البيت لم يبدُ أبداً نائياً وغريباً كما هو في تلك اللحظة. هل حان الوقت ليقطع علاقاته بالماضي، ويتابع طريقه؟ بكل تأكيد.

استخرج ألَنْ عدة أصابع من الديناميت وانهمك في مهمة مألوفة قبل أن يحمّل مقطورة دراجته بالأشياء القليلة الثمينة التي يقتنيها. وعند غروب شمس اليوم الثالث من يونيو عام ١٩٢٩، غادر المكان.

انفجر الديناميت كما هو مقرر بالضبط بعد ثلاثين دقيقة. وتناثر البيت الصغير إلى أشلاء، وعانت بقرة الجيران من إجهاض آخر. وبعد ساعة، كان ألَنْ وراء القضبان في محطة الشرطة في فلِن، يتناول العشاء تحت أنظار المشرف كروك. كانت شرطة فلِن قد حصلت تواً على سيارة شرطة، ولم يستغرق الأمر طويل وقت للقبض على الرجل الذي نسف بيته إلى قطع.

هذه المرة، كان للجرم أكثر وضوحاً.

«دمار بداعي الإهمال»، قال المشرف كروك بنبرة سلطوية.

«هل يمكن أن تمرر لي الخبز؟» سأل ألَنْ.

كلا، لم يمكن للمشرف كروك أن يفعل. لكنه أمكنه، مع ذلك، أن يوبخ مساعده المسكين الذي انصاع بضعف لرغبات الجانح عندما طلب وجبة مسائية. وفي هذه الأثناء، أنهى ألَنْ عشاءه ثم سُمِح بأن يُؤخذ إلى الزنازين.

«ربّما تكون لديكم صحيفة اليوم؟» سأل ألَنْ. شيء للقراءة قبل النوم، أعني.»

رد المشرف كروك بإطفاء ضوء السقف وصفق الباب. وكان أول شيء فعله في صباح اليوم التالي هو أن يهاتف «مخزن المعتوهين ذاك» في أوبسالا ليطلب منهم الحضور لأخذ ألَنْ كارلسون.

لكن زملاء بيرنهارد وندبورغ أعاروه أذناً صماء. لقد اكتمل علاج كارلسون، والآن أصبح لديهم آخرون ليقوموا بإخصائهم وتحليلهم. لو يعرف مشرف الشرطة فقط كم من الناس يجب أن حفظ الأمة منهم: اليهود والغجر والزنوج والبلهاء وغيرهم. لم تكن حقيقة نسف السيد كارلسون بيته إلى شذرات تؤهله لرحلة جديدة إلى أوبسالا. ألا يحق لك أن تفعل بمنزلك ما تريد؟ إننا نعيش في بلد حر، أليس كذلك؟

أغلق مفتش الشرطة كروك السماعة. لم يستطع إحراز أي تقدم أبداً مع هذه الأنواع من أهل المدن الكبرى. وندم على أنه لم يدع كارلسون يرحل بدراجته في مساء اليوم السابق.

وهو السبب في أن ألَنْ كارلسون عاد، بعد صباح من المفاوضات، مرة أخرى إلى ظهر دراجته الهوائية وهي تجر العربة المقطورة خلفها. وهذه المرة، أصبح لديه طعام يكفيه لثلاثة أيام في حزم مرتبة، وبطانية مزدوجة لإبقائه دافئاً في حال أصبح الطقس بارداً. لوح مودعاً للمشرف كروك، الذي لم يلوّح له رداً على التحيّة، ثم اتجه إلى الشمال، لأنه بدا لألَنْ أن هذا الاتجاه يبدو جيداً، مثله مثل أي اتجاه آخر.

بحلول الظهيرة، كانت الطريق قد أخذته إلى هاليفورناس، وكان ذلك بعيداً بما فيه الكفاية لرحلة يوم واحد. توقف ألَنْ بجوار منحدر معشوشب، وفرش بطانية، وفتح واحدة

من حزم طعامه. وبينما يمضغ شريحة من الخبز المحلّى مع السلامي، درس بعينيه المباني الصناعية التي حدث أن اختارها موقعاً لنزهته. ورأى خارج المصنع كومة من أنابيب المدافع من المسبك. ربما يستخدم الناس الذين يصنعون المدافع شخصاً ما ليتأكد من أنها ستنفجر عندما يكون من المفروض أن تنفجر. ليست هناك أي جدوى من ركوب الدراجة والذهاب بعيداً عن يزهولت لأكبر مسافة ممكنة. سوف تكون هاليفورناس جيدة مثلها مثل أي مكان آخر. وإذا كان هناك عمل ينبغي أن يحصل عليه، فهذا هو.

ربما كان افتراض ألَنْ بأن وجود أنابيب المدافع سيعني وجود عمل له ساذجاً قليلاً. ومع ذلك، اتضح أنه كان محقاً تماماً. بعد حديث قصير مع المدير، والذي حذف ألَنْ خلاله تفاصيل بعض أحداث حياته الأخيرة، حصل على عمل كمتخصص في التفجير.

«سوف أحب الحياة هنا»، فكر ألَنْ.

•••

كان تصنيع المدافع عند أدنى مستوياته في مسبك هاليفورناس، وواصل الطلب عليها الانخفاض. فقد عمد وزير الدفاع، في أعقاب الحرب العالمية الأولى، إلى خفض التمويل المخصص للجيش، في حين جلس الملك غوستاف الخامس في القصر يكزّ على أسنانه. وأدرك وزير الدفاع، صاحب الميول التحليلية، بعد فوات الأوان أنه كان ينبغي أن تكون السويد أفضل تسليحاً عندما اندلعت الحرب، لكن هذا لا يعني أن ثمّة أي جدوى في التسلح الآن، بعد عشر سنوات. كانت التداعيات التي ترتبت على مسبك هاليفورناس هي أن الإنتاج شرع في التحول منتجات أكثر سلمية، وفقد العمال وظائفهم.

ولكن ليس ألَنْ –لأن من الصعب العثور بسهولة على المتخصصين في المتفجرات. لم يكد صاحب المصنع يصدق أذنيه وعينيه عندما ظهر ألَنْ أمامه ذات يوم وتبين أنه خبير في المتفجرات من كل الأنواع. وكان قد اضطر حتى ذلك الحين إلى الاعتماد كلياً على متخصص التفجير المتوفر لديه، ولم يكن ذلك جيداً لأن الرجل كان أجنبياً يمكنه بالكاد أن يتحدث بالسويدية، وكان له شعر أسود يغطي جميع أنحاء جسده. كما أنه كان يشك أيضاً في أن الرجل موثوق. لكن لم يكن لصاحب المصنع الكثير من الخيار.

أما ألَنْ، من الناحية الأخرى، فلم يكن يفكر في الناس حسب لون بشرتهم. وطالما وجد أفكار البروفيسور وندبورغ غريبة، لكنه ظل يشعر بالفضول إزاء مقابلة أول رجل أسود. كان يقرأ بتوق وحنين تلك الإعلانات المنشورة الصحيفة عن ظهور جوزفين بيكر قريباً في ستوكهولم، لكنه اضطر إلى الاكتفاء بإستيبان، زميله الإسباني الأبيض المختص في التفجير، وإنما داكن البشرة.

توافق ألَنْ وإستيبان بشكل جيد جداً، وتقاسما غرفة واحدة في ثكنات العمال بجانب المسبك. وهناك قصّ إستيبان على ألَنْ قصته الدرامية. قال إنه التقى بفتاة في حفلة في مدريد، وانخرط معها سراً في علاقة بريئة إلى حد ما، دون أن يعرف أنها ابنة رئيس الوزراء، ميغيل بريمو دي ريفيرا. ولم يكن رئيس الوزراء رجلاً يمكنك التجادُل معه؛ لقد حكم البلد كما يحلو له، في وجود ملك يتبعه بلا حول ولا قوة. كان وصف «رئيس الوزراء» تعبيراً مؤدباً عن «دكتاتور»، في رأي إستيبان. لكن ابنة بريمو دي ريفيرا شكلت ضربة قاضية.

لم ترُقْ خلفية إستيبان البروليتارية بأي شكل من الأشكال لحماه المستقبلي. وهكذا أُبلغ إستيبان، في لقائه الأول، والوحيد، مع بريمو دي ريفيرا، بأن أمامه خيارين.. الأول أن يختفي في أبعد مكان ممكن عن الأراضي الإسبانية، والآخر أن يتلقى رصاصة في عنقه على الفور.

وبينما كان بريمو دي ريفيرا يعدّ مسدسه، قال إستيبان إنه قرر في تلك اللحظة اختيار الخيار الأول، ولملم شتات نفسه وخرج بسرعة من الغرفة بلا أي تأخير، حتى لإلقاء نظرة سريعة على الفتاة المنتحبة.

أبعد مكان ممكن، فكّر إستيبان، واتجه شمالاً، ثم أبعد شمالاً، وأخيراً أبعد جداً في أقاصي الشمال حيث تتجمد البحيرات وتصبح جليدية في الشتاء. وظل مقيماً في السويد منذ ذلك الوقت. وقد حصل على الوظيفة في المسبك قبل ثلاث سنوات، مع بعض المساعدة في الترجمة من قس كاثوليكي، و، ليغفر الله له، بمساعدة قصة مختلقة تقول إنه عمل في المتفجرات في الوطن في إسبانيا، بينما كان يعمل أساساً في قطف الطماطم.

وبالتدريج، تمكن إستيبان من تعلُّم بعض اللغة السويدية العملية، وأصبح اختصاصيّ تفجير كفؤاً إلى حد ما. والآن، بوجود ألَنْ إلى جانبه، أصبح مهنياً محترفاً حقيقياً.

•••

شعر ألَنْ بالراحة في ثكنات العمال وكأنه في منزله. وبعد عام، تمكّن من جعل نفسه مفهوماً حين يتحدّث بالإسبانية التي علمها له إستيبان. وبعد عامين، أصبحت لغته الإسبانية طليقة تقريباً. لكن الأمر استغرق ثلاث سنوات قبل أن يكف إستيبان عن محاولاته فرض نسخته الإسبانية من الاشتراكية الدولية على ألَنْ. حاول كل شيء، لكن ألَنْ لم يكن قابلاً للتأثر. ولم يستطع إستيبان أن يفهم ذلك الجانب المخصوص من شخصية أفضل صديق له. لم يكن الأمر أن ألَنْ يتخذ وجهة نظر أخرى تجاه حركة العالم ويجادل وفقاً لها. كلا، إنها لم تكن له أي وجهة نظر على الإطلاق، ببساطة.

وعانى ألَنْ نفس المشكلة. كان إستيبان صديقاً جيداً. لم يكن ذنبه أنه تسمم بتلك السياسة اللعينة. وهو لم يكن الوحيد في ذلك، بكل تأكيد.

تعاقبت المواسم والفصول بعض الوقت قبل أن تتخذ حياة ألَنْ منعطفاً جديداً. بدأ الأمر عندما تلقى إستيبان أخباراً أخيراً تقول إن بريمو دي ريفيرا استقال وهرب من البلاد. والآن، أصبحت الديمقراطية السليمة تماماً خلف المنعطف، بل وربما الاشتراكية، ولم يرد إستيبان أن يفوّت ذلك.

وهكذا، خطط للعودة إلى الديار في أقرب وقت ممكن. كان المسبك يتلقى طلبات تقل باطراد لأن السنيور وزير الدفاع قرر أنه لن تكون هناك أي حروب أخرى. وكان إستيبان متأكداً من أنه سيتم فصل اختصاصيّي التفجير في أي يوم. ماذا في ذهن صديقه ألَنْ بشأن المستقبل؟ هل يريد أن يأتي معه إلى إسبانيا؟

فكر ألَنْ في الأمر. من ناحية، لم يكن مهتماً بأي ثورة، إسبانية أو غير ذلك. يرجّحُ أنها لن تفضي إلا إلى ثورة جديدة، في الاتجاه المعاكس. ومن ناحية أخرى، تظل إسبانيا في الواقع مكاناً أجنبياً، في الخارج، تماماً مثل كل بلد آخر عدا السويد، وبعد أن قرأ عن البلدان في الخارج طوال حياته، ربما لن تكون فكرة سيئة إذا اختبر بشكل حقيقي.

بل إنهما ربما يلتقيان على الطريق برجل أسود أو اثنين.

وعندما وعده إستيبان بأنهما سيقابلان أسوداً واحداً على الأقل في الطريق إلى إسبانيا، اضطر ألَنْ إلى أن يقول: نعم. ثم ناقش الصديقان بعدئذ مسائل أكثر عملية. وخلال ذلك وصلا إلى استنتاج أن صاحب المسبك هو «غبيّ وابن حرام» (هكذا وصفاه بالضبط) ولا يستحق اهتمامهما. وقررا انتظار أجور ذلك الأسبوع، ثم الاختفاء سراً.

وهكذا، نهض ألَنْ وإستيبان في الساعة الخامسة من صباح يوم الأحد التالي، ليغادرا على دراجتين هوائيتين تجران مقطورتين، وذهبا في اتجاه الجنوب، الذي يؤدي –في نهاية المطاف– إلى إسبانيا.

وعلى الطريق، خطط إستيبان للتوقف خارج مسكن صاحب المسبك لإسقاط عينة كاملة من نتيجة زيارته للمرحاض في صباح ذلك، في شكل في وعاء مليء بالحليب، والذي بدا تماماً مثل ذلك الذي يصل مبكراً كل صباح إلى بوابة صاحب المصنع. كان استيبان قد اضطر طويلاً إلى تحمُّل إطلاق صاحب المصنع وولديه المراهقين عليه اسم «القرد».

«ليس الثأر شيئاً حميداً»، حذّره ألَنْ. «إن الانتقام مثل السياسة: شيء يؤدي دائماً إلى آخر حتى يصبح السيئ أسوأ، والأسوأ يصبح الأكثر سوءاً.»

لكن إستيبان أصر. أن تكون لك ذراعان مشعرّتان قليلاً ولا تتحدث لغة صاحب المسبك، فذلك لا يجعلك قرداً، أليس كذلك؟

ولم يملك ألَنْ سوى الموافقة، ولذلك وصل الصديقان إلى تسوية معقولة. سوف يكتفي إستيبان بالتبول في الحليب.

وفي ذلك الصباح نفسه، نقل شهود إلى صاحب المسبك أن ألَنْ وإستيبان شوهدا وهما يقودان دراجتين بمقطورتين على الطريق نحو بلدة كاترينهولم، بل ربما أبعد إلى الجنوب، حتى يكون صاحب المسبك مستعداً للانخفاض الفوري في عدد الموظفين في الأسبوع المقبل. ولذلك جلس مكتئباً في شرفة فيلته الفخمة، وهو يرتشف كوباً من الحليب الذي قدمه له الخادم سيغريد بأدب، مع قطعة من بسكويت اللوز. وأعتم مزاج صاحب

المسبك لأنه بدا له أن هناك شيء خطأ في البسكويت. كان له طعم الأمونيا المميز.

قرر صاحب المصنع الانتظار إلى ما بعد الكنيسة ليخبر سيغريد بأنه مطرود. أما في الأثناء، فسيشرب كوباً آخر من الحليب، آملاً بتغيير الطعم السيئ في فمه.

•••

وهكذا كان أن وجد ألَنْ نفسه في إسبانيا. وقد استغرقتهما الرحلة ثلاثة أشهر حتى يشقا طريقهما إلى الجنوب عبر أوروبا. وعلى الطريق، حدث أنه التقى برجال سود أكثر مما حلم به أبداً. لكنه فقد الاهتمام بعد مقابلة الأسود الأول. واتضح له أنه ليس فيهم أيّ فرق آخر سوى لون بشرتهم، عدا عن أنهم يتكلمون لغات غريبة بطبيعة الحال، ولكن البيض يفعلون ذلك أيضاً، من جنوب`السويد فصاعداً. لا بد أن يكون رجل أسود قد أخاف البروفيسور وندبورغ عندما كان طفلاً، فكّر ألَنْ.

وصل ألَنْ وصديقه إستيبان إلى أرض تعمُّها الفوضى. كان الملك قد هرب إلى روما وحلت محله جمهورية. ودعا اليسار إلى ثورة، في حين أصيب اليمين بالرعب مما حصل في روسيا ستالين. هل يمكن أن يحدث الشيء نفسه هنا؟

للحظة، نسي إستيبان أن صديقه شخص غير سياسي بعناد، وحاول جرّ ألَنْ في اتجاه الثورة. لكن ألَنْ تمسك بعادة عدم التورط. بدا الأمر كله مألوفاً جداً، وكان ألَنْ ما يزال غير قادر على فهم السبب في أن كل شيء يجب أن يصبح دائماً على العكس تماماً مما كان عليه.

أعقب انقلاب عسكري فاشل من اليمين إضراب عام من اليسار. وبعد ذلك، جرت انتخابات عامة. فاز اليسار، وأصبح اليمين غاضباً، أم أن العكس هو الذي حصل؟ لم يكن ألَنْ متأكداً حقاً. وفي النهاية، نشبت الحرب.

كان ألَنْ في بلد أجنبي، ولم تكن لديه فكرة أفضل من السير متأخراً نصف خطوة خلف صديقه إستيبان، الذي انضم إلى الجيش ورُقّي إلى رقيب على الفور عندما علم قائد فصيله أنه يعرف كيف يفجر الأشياء.

ارتدى صديق ألَنْ زيه العسكري ببالغ الاعتزاز، وتطلع بتوق إلى أولى مساهمته

في الحرب. وتلقى الفصيل أمراً بتفجير اثنين من الجسور في واد في أراغون، وطُلب من مجموعة إستيبان التعامل مع الجسر الأول. وكان إستيبان بالغ الفخر بالثقة التي وُضعت فيه، حتى أنه صعد على صخرة، وأمسك ببندقيته في يده اليسرى، ورفعها في الهواء، وصاح:

«الموت للفاشية، الموت لكل...»

ولم يتمكن من إنهاء الجملة قبل أن ينفصل عنه نصف رأسه وأحد كتفيه بما قد تكون واحدة من أولى قذائف الهاون التي أطلقها العدو في الحرب. كان آلَنْ على بعد حوالي عشرين ياردة عندما حدث ما حدث، وبذلك تجنب الاتساخ بأشلاء رفيقه التي انتشرت حول الصخرة التي كان إستيبان غبياً بما يكفي ليقف عليها. شرع أحد الجنود من مجموعة إستيبان في البكاء. ومن جانبه، نظر آلَنْ حوله إلى ما تبقى من صديقه وقرر أن الأمر لم يكن يستحق التقاط الفتات.

«كان عليك البقاء في هاليفورسناس»، قال آلَنْ وشعر فجأة بحنين صادق، وتمنى لو أنه يقوم بتقطيع الخشب أمام منزله في يزهولت.

•••

يحتمل كثيراً أن تكون قذيفة الهاون التي قتلت إستيبان هي الأولى في الحرب، ولكنها لم تكن الأخيرة بالتأكيد. فكر آلَنْ بالعودة إلى الوطن، لكن الحرب أصبحت فجأة في كل مكان من حوله. وإلى جانب ذلك، كانت مسيرة العودة إلى السويد طويلة بحق الجحيم، مع أنه ليس هناك أحد ينتظره هناك.

وهكذا، سعى آلَنْ إلى قائد سرية إستيبان، وقدم نفسه على أنه أبرز خبير في الألعاب النارية والمتفجرات في أوروبا، وقال إنه مستعدٌ لتفجير الجسور وغيرها من منشآت البنية التحتية لأجل قائد السرية، مقابل ثلاث وجبات يومياً، وما يكفي من النبيذ ليصل إلى حالة الانتشاء كلما سمحت الظروف.

كان قائد السرية على وشك الأمر بإطلاق النار على آلَنْ لأنه رفض بعناد أن يتغنى بحمد الاشتراكية والجمهورية، والأسوأ من ذلك، تقريباً، أنه أصر على الخدمة بالملابس

المدنية. وكما قال آلْنْ بكلماته الخاصة:

«هناك شيء واحد إضافي... إذا كنت سأفجر لك الجسور، فسأفعل ذلك وأنا أرتدي سترتي الخاصة؛ وإلا يمكنك أن تنسف الجسور بنفسك.»

لم يسبق أبداً أن وُلد قائد سرية يمكن لن يسمح بأن تأخذه الرهبة من مدني بهذه الطريقة. لكن مشكلة قائد السرية هذا بالتحديد كانت أن أكثر خبراء التفجيرات كفاءة في سريته تقطع إلى أجزاء على صخرة في تل مجاور.

بينما كان قائد السرية يجلس في كرسي عسكريّ ميداني قابل للطي، ويفكر في ما إذا كان مستقبل آلْنْ الفوري سيكون الاستخدام أو الإعدام، همس في أذنه أحد قادة الفصائل بأن الرقيب الشاب الذي تمزق تواً إلى قطع لسوء الحظ، أكد في وقت سابق قدرات هذا السويدي الغريب كمعلم في مجال المتفجرات.

وحسم ذلك المسألة. يستطيع السنيور كارلسون آلن، أ) يبقى على قيد الحياة، ب) يحصل على ثلاث وجباتٍ يومياً، ج) يمتلك الحق في ارتداء سترته الخاصة، ود) يكون لديه بالضبط نفس حق كل الآخرين في استلام النبيذ بين الحين والآخر، بكميات معقولة. وفي المقابل، سوف ينسف تماماً ما يطلبه منه القادة نسفه. وطُلب إلى اثنين من جنود المشاة الإسبان إبقاء عيونهما مفتوحة بشكل خاص على السويدي، لأنها ليست هناك أي وسيلة لمعرفة أنّه ليس جاسوساً على وجه اليقين.

تحولت الأشهر إلى سنوات. وفجر آلْنْ ما طُلب منه أن يفجره، وفعل ذلك بقدر كبير من المهارة. ولم يكن العمل يخلو من المخاطر. كان كثيراً ما يضطر إلى الزحف على الأرض من أجل التسلل إلى الهدف المقرَّر تفجيره، ويزرع عبوة ناسفة مزودة بجهاز توقيت، ثم يشق طريقه زاحفاً بشكل متعرج إلى المنطقة الآمنة. وبعد ثلاثة أشهر، خسر أحدُ الجنديين اللذين يحرسان آلْنْ حياتَه (زحف مباشرة، عن طريق الخطأ، إلى داخل معسكر للعدو). وبعد ستة أشهر، لقي الآخر نفس مصيره (نهض ليمدد ظهره، وعلى الفور انقسم ذلك الجزء من الجسم نفسه إلى اثنين). ولم يهتم قائد السرية باستبدالهما بعد أن أنجز السنيور كارلسون هذا العمل الجيد بالمتفجرات.

لم يكن آلْنْ يرى جدوى في قتل الكثير من الناس بلا داعٍ، ولذلك حاول التأكُّد من أن

يكون الجسر المعني فارغاً من الناس عندما تنفجر الشحنة الناسفة. وانطبق ذلك أيضاً على آخر جسر صدر إليه الأمر بنسفه قبيل انتهاء الحرب مباشرة. لكنّه حدث هذه المرة أنّه تماماً عندما أنهى استعداداته وزحف عائداً إلى بعض الشجيرات خلف واحدة من دعامات الجسر، جاءت دورية للعدو تسعى في اتجاهه، يتوسطها رجل ضئيل تعلّقت على صدره الأوسمة. واقترب الرجال من الجانب الآخر، وبدوا جاهلين تماماً بوجود الجمهوريين على مقربة، وكانوا على وشك الانضمام إلى إستيبان وعشرات الألوف من الإسبان الآخرين في الخلود الأبدي.

لكن كيل ألَنْ طفح. فنهض من بين الشجيرات وأخذ يلوح بذراعيه.

«ابتعدوا من هنا!» صرخ في الرجل صاحب الأوسمة ورهطه. «اذهبوا، قبل أن تُنسَفوا!»

أمر الرجل الضئيل صاحب الأوسمة رجاله بالانطلاق. وعندئذ سحبه أفراد رهطه على الجسر ولم يتوقفوا إلا عندما بلغوا الشجيرات التي يختبئ فيها ألَنْ. وأصبحت فوهات ثماني بنادق مصوبة فجأة نحو السويدي، وكانت واحدة منها ستنطلق على الأقل لو لم يشرع الجسر خلفهم فجأة بالانفجار. ودفعت موجة الضغط التي ولدها الانفجار الرجل الضئيل صاحب الأوسمة إلى مكمن ألَنْ. وفي هذا الاضطراب، لم يتجرأ أيٌ من حاشية الرجل الضئيل على إرسال رصاصة في اتجاه ألَنْ، لأنها قد تصيب الشخص الخطأ. وإلى جانب ذلك، بدا لهم أنه مدنيّ. وعندما انقشع الدخان، لم يبق أيّ تساؤل عن فكرة قتل ألَنْ. صافحه الرجل الضئيل صاحب الأوسمة، وأوضح أن الجنرال الحقيقي يعرف كيف يظهر امتنانه، وأن أفضل شيء تفعله المجموعة الآن هو الانسحاب إلى الجانب الآخر مرة أخرى، بجسر أو بدونه. وإذا كان مُخلّصه يريد القدوم معهم، فسيكون أكثر من مرحب به. وبمجرد أن يصلوا إلى هناك، سوف يدعوه الجنرال لتناول العشاء.

«طعام أندلسي»، قال الجنرال. «طباخي كوك من أبناء الجنوب. هل تفهمني؟»

نعم، لقد فهم ألَنْ في واقع الأمر. فهم أنه أنقذ حياة القائد العام نفسه؛ فهم أنه ربما يكون قد خدمه وقوفه هناك في سترته القذرة بدل أن يكون في زي عدو؛ فهم أنّه لا بُدّ

أن يكون أصدقاؤه قد راقبوا كل شيء من التلة القريبة على بعد بضع مئات من الأمتار بواسطة المناظير، وفهم أنه سيكون من الأفضل له، من أجل صحته، أن يغير اصطفافه في الحرب – التي لم يفهم الغرض منها أبداً بأي حال. وإلى جانب ذلك، كان جائعاً.

«نعم، من فضلك، يا جنرالي»، قال. «سيكون الطعام الأندلسي جيداً. ربما مع كأس أو اثنين من النبيذ الأحمر؟»

***

عندما تقدم ألَنْ، قبل عشر سنوات، بطلب للحصول على وظيفة اختصاصيّ في التفجير لمسبك هاليفورسناس، اختار أن يستبعد من سيرته الذاتية حقيقة إقامته في مستشفى المجانين أربع سنوات، والتي قام بعدها بنسف منزله نفسه. ربما كان ذلك بالتحديد هو السبب في سير مقابلة العمل على ما يرام.

عاد ألَنْ بأفكاره إلى ذلك بينما يتجاذب أطراف الحديث مع الجنرال فرانكو. من ناحية، يجب أن لا يكذب. ومن ناحية أخرى، قد يكون من الأفضل أن لا يكشف للجنرال حقيقة أنّه هو الذي كان قد زرع الحزمة الناسفة تحت الجسر، وأنه كان، على مدى السنوات الثلاث الماضية، مُستخدَماً مدنياً في الجيش الجمهوري. لم يكن ألَنْ خجِلاً من ذلك، لكن هناك في هذه الحالة بالذات عشاء وخمر جيدة قيد العرض. يمكن مؤقتاً وضع الحقيقة جانباً، فكّر ألَنْ.

وهكذا، قال ألَنْ للقائد العام أنه وجد نفسه في ذلك الدُغل أثناء فراره من الجمهوريين. ولحسن الحظ شاهد بنفسه كيف تم زرع الشحنة المتفجرة، بحيث استطاع تحذير الجنرال. وعلاوة على ذلك، كان السبب الذي انتهى به في إسبانيا والحرب أصلاً هو أن صديقاً أغراه بالقدوم، وهو رجل كان على علاقة وثيقة بالراحل ميغيل بريمو دي ريفيرا. ولكن، وبما أن ذلك الصديق قتل بقذيفة هاون أطلقها العدو، فقد اضطر ألَنْ إلى الكفاح وحده للبقاء على قيد الحياة. وقد وقع في براثن الجمهوريين، لكنه تمكن من الهرب في نهاية المطاف.

ثم غير ألَنْ الموضوع بسرعة، وحكى بدلاً من ذلك كيف أن والده كان في الدائرة

الداخلية لبلاط القيصر الروسي نيكولاس، وأن والده مات ميتة شهيد في معركة يائسة ضد زعيم البلاشفة، لينين.

قُدّمَت وجبة العشاء في خيمة أركان الجنرال. وكلما قُدم المزيد من النبيذ الأحمر، كلما أصبح وصف ألَنْ لأفعال والده البطولية أكثر ألواناً. ولم يستطع الجنرال فرانكو سوى الشعور بالإعجاب. أولاً، أُنقِذَتْ حياته، ثم تبين أن منقذه يرتبط عملياً بالقيصر نيكولاس الثاني.

كان الطعام ممتازاً؛ لم يجرؤ الطباخ الأندلسي على جعله غير ذلك. وتدفق النبيذ في سلسلة لا نهاية لها من الأنخاب على شرف ألَنْ، ووالد ألَنْ، والقيصر نيكولاس الثاني، وعائلة القيصر. وأخيراً سقط الجنرال نائماً تماماً وهو يعانق ألَنْ بحرارة لتأكيد أنه أصبح الآن فرداً من العائلة. وعندما استيقظ الرجلان اللذان أصبحا الآن صديقين حميمين، كانت الحرب قد انتهت. وتولى الجنرال فرانكو المسؤولية عن حكومة إسبانيا الجديدة، وعرض على ألَنْ منصب رئيس حرسه الداخلي.

شكره ألَنْ على العرض، لكنه قال إن الوقت قد حان ليتجه عائداً إلى الوطن، إذا سمح له فرانسيسكو بذلك. وسمح فرانسيسكو، حتى أنه زوّده برسالة تمنحه حماية القائد العام غير المشروطة («أظهر هذه فقط إذا احتجت إلى أي مساعدة»)، ثم زوّد ألَنْ بمرافقة أميرية على طول الطريق إلى لشبونة، من حيث اعتقد الجنرال أن القوارب تغادر إلى الشمال. ومن لشبونة، كانت القوارب تغادر في كل اتجاه يمكن تصوُّره، كما تبيَّن.

وقف ألَنْ على الرصيف وفكر في ذلك بعض الوقت. ثم لوح برسالة الجنرال أمام قبطان سفينة تبحر تحت العلم الإسباني، وسرعان ما حصل على ركوب مجاني. ولم يكن هناك أي سؤال عن دفع أجرة رحلته.

لم تكن السفينة متجهة في الحقيقة إلى السويد، لكن ألَنْ سأل نفسه على الرصيف عما سيفعله هناك على أي حال، ولم يخرج بإجابة وجيهة.

ثامناً
الاثنين، ٣ مايو – الأربعاء ٤ مايو

بعد المؤتمر الصحفي عصر اليوم، جلس السطل مع كوب من البيرة ليعيد التفكير في الأمور. لكنه مهما فكر لم يستطع معرفة عَقِب المسألة من رأسها. هل شرع البرغي في خطف المعمَّرين؟ أم أن الأمرين لا يمتّ أحدهما بصلة إلى الآخر؟ كل هذا التفكير أصاب السطل بالصداع، ولذلك توقف عنه واتصل هاتفياً بالرئيس بدلاً من ذلك، وأبلغه بأنه لم يحدث أي شيء يستحق الإبلاغ عنه. وقيل له أن يبقى في مالمكوبينغ وينتظر أوامر جديدة.

انتهت المكالمة، وعاد السطل وحده مرة أخرى مع بيرته. إن الوضع يصبح متعباً جداً. لم يحب أن لا تكون لديه أي فكرة عما يحدث، وعاوده صداعه مرة أخرى. وعندئذٍ، هرب بذهنه إلى الماضي، وتذكر شبابه في الوطن.

بدأ السطل مسيرته الإجرامية في برلوس –ليس بعيداً عن المكان الذي وجد ألَنْ وأصدقاؤه الجدد أنفسهم فيه الآن. هناك، اجتمع مع بعض الزملاء من ذوي الأفكار المشابهة، وأنشأوا نادياً للدراجات النارية، يدعى The Violence (العنف). كان السطل هو الزعيم؛ وهو الذي يقرر أي كشك للجرائد هو الذي سيسرقون منه السجائر في المرة التالية. وكان هو الذي اختار الاسم The Violence، بالإنجليزية وليس بالسويدية. وكان، للأسف، هو الذي طلب من صديقته إيزابيلا خياطة اسم نادي الدراجات النارية على عشر من سترات الجلد المسروقة حديثاً. ولم تكن إيزابيلا قد تعلمت التهجئة بشكل صحيح في المدرسة أبداً، ليس باللغة السويدية، وبالتأكيد ليس بالإنجليزية. وكانت النتيجة أن خاطت إيزابيلا عبارة The Violins (الكمنجات) على السترات بدلاً من

ذلك. وبما أن بقية أعضاء النادي تمتعوا جميعاً بنفس مستواها من النجاح الأكاديمي، لم يلاحظ أحد في المجموعة هذا الخطأ.

هكذا، شعر الجميع ببالغ الدهشة عندما وصلت رسالة لجماعة (الكمنجات) في براوس من المسؤولين عن قاعة الحفلات الموسيقية في فاكسيو. واقترحت الرسالة أنه، بما أن أعضاء النادي معنيّون بالموسيقى بكل وضوح، فإنهم قد يرغبون الترتيب لظهورهم في حفل مع فرقة أوركسترا الحجرة المرموقة في المدينة، «ميوزيكا فيتاي.»

شعر السطل بالاستفزاز؛ من الواضح أن هناك شخصاً ما يسخر منه. وذات ليلة، تجاوز عن موضوع كشك الجرائد، وذهب بدلاً من ذلك إلى فاكسيو ليرمي حجراً عبر الباب الزجاجي لقاعة الحفلات. وكان القصد من ذلك هو تعليم الأشخاص المسؤولين هناك درساً في الاحترام. وسارت كل الأمور كلها على ما يرام، سوى أن فردة قفاز السطل الجلدي تبعت الحجر إلى البهو. وبما أن أجراس الإنذار انطلقت على الفور، أحسّ السطل بأنه لن يكون من الحكمة محاولة استعادة هذا الشيء.

لم يكن فقدان فردة القفاز أمراً جيداً. كان السطل قد سافر إلى فاكسيو بواسطة دراجة نارية، وبقيت إحدى يديه عارية في البرد القارس على طول الطريق الرئيسية إلى براوس في تلك الليلة. والأسوأ من ذلك هو أن صديقة السطل سيئ الحظ كانت قد كتبت اسمه وعنوانه داخل القفاز، في حال فقده. وهكذا، عرفت الشرطة في صباح اليوم من هو المشتبه به الرئيسي في حادثة قاعة الحفلات، واعتقلت السطل لاستجوابه.

في الاستجواب، أوضح السطل وجود ظُروفٍ مخفّفة، ووصف كيف قامت إدارة قاعة الحفلات باستفزازه. وانتهى الأمر بالقصة عن كيفيّة تحول «العنف» ليصبح «الكمنجات» في الصحف المحلية، وأصبح السطل أضحوكة في براوس كلها. وفي نوبة من الغضب العارم، قرر أن كشك الجرائد المقبل الذي يسرقونه ينبغي أن يُحرق أيضاً بدلاً من تحطيم بابه فقط. وهذا بدوره جعل المالك التركي- البلغاري -الذي آوى إلى السرير في مخزنه ليحرس الكشك من اللصوص- ينجو بحياته بأعجوبة. ولأنه قرر أن ارتداء فردة قفاز واحدة ستكون أفضل من لا شيء في المساء البارد، ارتدى السطل فردة قفازه المتبقية واصطحبها إلى مسرح الجريمة (مع وجود العنوان مكتوباً

عليها بنفس دقة الفردة الأولى)، وفقدها هناك. وبعد فترة ليست بالطويلة وجد نفسه في الطريق إلى السجن لأول مرة.

هناك، التقى «الرئيس»، وعندما أنهى فترة محكوميته قرر السطل أن من الأفضل له مغادرة برلوس وصديقته وراءه. بدا أنهما يجلبان له الحظ السيئ وحسب.

لكن نادي «العنف» عاش من بعده، واحتفظ أعضاؤه بالمترات ذات الأخطاء الإملائية. غير أنّ النادي غيَّر طبيعة عمله في الآونة الأخيرة، مع ذلك. الآن، أصبح يركز على سرقة السيارات وتعديل عدادات المسافة. أو كما اعتاد أن يقول شقيق السطل الصغير، الذي أصبح الزعيم الجديد للفريق: «لا شيء يجعل السيارة أجمل من اكتشافك فجأة أنها قطعت نصف عدد الكيلومترات الحقيقيّة فقط.»

بقي السطل على اتصال بشقيقه والحياة القديمة أحياناً، لكنها لم تكن له أيّ رغبة في العودة إلى هناك.

«يا له من خرَق داعر»، كانت العبارة التي لخص بها السطل تاريخه الخاص بالتحديد.

من الصعب التفكير في طرق جديدة، بقدر ما هو من الصعب استذكار الطرق القديمة. من الأفضل أن يتناول كوب بيرة ثالث، ثم تسجيل الإقامة في الفندق، وفقاً لأوامر الرئيس.

***

كان الظلام قد حلّ تقريباً عندما وصل كبير المفتشين أرونسون بصحبة مدرب كلاب الشرطة مع وكيكي، الكلبة، إلى قرية آكِر، بعد مسيرة طويلة على طول خط سكة الحديد من فيدكار.

لم يصدر عن الكلبة أيّ ردّ فعل على شيء طوال الطريق. وتساءل أرونسون عمّا إذا كانت تدرك في الواقع أنهم لا يتمشّون، أنهم ليسوا في مجرد نزهة مسائية. ولكن، عندما وصل الثلاثي إلى عربة الترولي المهجورة، وقفت الكلبة في وضع انتباه –أو مهما يُسمى ذلك. ثم رفعت إحدى يديها وشرعت في النباح. واستيقظت آمال أرونسون.

«هل يعني هذا شيئاً معيّناً؟» سأل.

نعم، من المؤكد أنه كذلك»، أجاب مدرب الكلاب. ثم أوضح أن كيكي تستخدم إشارات مختلفة، اعتماداً على ما تريد التعبير عنه.

«حسناً إذن، ما هو الذي تحاول أن تقوله لنا؟!» سأل أرونسون بصبر نافذ وهو يشير إلى الكلبة التي ما تزال تقف نابحة على ثلاث أرجل.

هذا يعني»، قال مدرب الكلاب، «أن هناك جثة كانت في العربة.»

«جسد ميت؟ جثة؟»

«جثة.»

تصوَّر كبير المفتشين أرونسون بعين خياله كيف قام عضو عصابة «ليس ثانية أبداً» بقتل المنوي المسكين ألَنْ كارلسون. لكن المعلومة الجديدة اندمجت بعد ذلك بما يعرفه مسبقاً.

«لا بد أن يكون الأمر عكس ذلك تماماً»، تمتم، «وشعر بارتياح غريب.»

•••

قدمت «الجميلة» لحم البقر والبطاطا مع التوت والبيرة، تلاها كوب من الكحول المنكَّهة. كان الضيوف جائعين، لكنهم أرادوا أولاً معرفة أي نوع من الحيوانات هو الذي سمعوا صوته قادماً من الحظيرة.

«تلك كانت سونيا»، قالت الجميلة، «فيلتي.»

«فيلة؟» قال يوليوس.

«فيلة؟» قال ألَنْ.

«أعتقد أنني ميزت ذلك الصوت»، قال بيني.

كان المالك السابق لبسطة النقانق قد أصيب بالحب من النظرة الأولى. والآن، وللوهلة الثانية، لم يشعر بأن أيّ شيء قد تغيّر. هذه المرأة الكثيرة الشتائم ذات الشعر الأحمر والقوام المكتمل تبدو كأنها خرجت مباشرة من رواية خيالية!

كانت الجميلة قد اكتشفت الفيلة وهي تسرق التفاح من حديقتها في وقت مبكر من صباح أحد أيام أغسطس. ولو أن الفيلة استطاعت التحدث، لقالت إنها اختفت في الليلة

السابقة من سيرك في فاكسيو للبحث عن شيء تشربه، لأن حارس الفيلة ذهب للقيام بالشيء نفسه في البلدة بدلاً من القيام بعمله.

عندما هبط الظلام، كانت الفيلة قد وصلت إلى شواطئ بحيرة هيلغا، وقررت أن تفعل أكثر من مجرد إرواء عطشها. سيكون أخذ حمام بارد شيئاً لطيفاً جداً، فكرت الفيلة، وخاضت في المياه الضحلة.

لكن المياه لم تعد ضحلة فجأة، واضطرت الفيلة إلى الاعتماد على قدرتها الفطرية على السباحة. ليس الفيلة عموماً منطقيين في تفكيرهم مثل البشر. وقد قدّمت هذه الفيلة مثالاً ساطعاً على ذلك؛ قررت السباحة مسافة ميل ونصف الميل إلى الجانب الآخر من الخليج الصغير لتعود ثانية إلى الأرض الصلبة، بدل أن تستدير في مكانها لتسبح أربعة أمتار فقط إلى الشاطئ.

ونجم عن منطق الفيلة هذا نتيجتان؛ الأولى أنه سُرعان ما تم الإعلان عن موت الفيلة من جهة جماعة السيرك والشرطة، الذين فكروا متأخرين في تعقب آثارها كل المسافة إلى بحيرة هيلغا وشاطئ مياهها التي يبلغ عمقها خمسين متراً. والثانية هي أن للفيلة التي ما تزال حيّة جداً استطاعت، تحت جنح الظلام، إخفاء نفسها مثل الأثير على طول الطريق إلى بستان تفاح الجميلة، دون أن تتمكن حتى روح واحدة من ملاحظتها.

لم تكن الجميلة تعرف ذلك، بطبيعة الحال، لكنها اكتشفت بعد ذلك معظم ما حدث عندما قرأت في الصحيفة المحلية عن فيلة اختفت وتمّ الإعلان عن نفوقها. كم فيلاً يمكن أن يكون هارباً في الجوار، وفي هذا الوقت بالتحديد؟ ربما تكون الفيلة القتيلة وهذه التي ما تزال حية جداً هما الشيء نفسه.

بدأت الجميلة بإعطاء الفيلة اسماً. أصبحت سونيا، على اسم معبودتها سونيا هيدينبرات. وتبعت ذلك مفاوضات استمرت لعدة أيام بين سونيا والكلب الإلزاسي، «المغفّل»، قبل أن يتفق الطرفان على التصالح.

حلّ الشتاء، ما عنى عملية بحث غير منتهية عن طعام لسونيا التي كانت تأكل مثل الفيل الذي كانته. وبشكل مناسب، كان والد الجميلة قد غادر الحياة توّاً وترك ميراثاً من مليون كرونة لابنته الوحيدة. (عندما أُحيلَ على المعاش قبل عشرين عاماً، باع مصنعه

الناجح لصنع الفراشي، واعتنى بعد ذلك بأمواله جيداً). وهكذا، استقالت الجميلة من وظيفتها في العيادة المحلية في رونتي، لتكون أماً وجليسة منزلية لكلب وفيلة.

ثم حل الربيع، وتمكنت سونيا مرة أخرى من إعاشة نفسها على العشب ولوراق الشجر، وعندئذ وصلت تلك المرسيدس إلى الفناء –أول زوار منذ بابا، فليرحم الله روحه الغائبة الطائرة، الذي جاء لرؤية ابنته آخر مرة قبل عامين. وقالت الجميلة إنها لم تكن شخصاً يحب مجادلة القدر، ولذلك لم يخطر لها أبداً أن تحاول إبقاء أمر سونيا سراً عن الغرباء.

جلس ألَن ويوليوس بهدوء وهما يحاولان استيعاب حكاية الجميلة، في حين قال بيني:

«ولكن ماذا كان ذلك الخوار من سونيا؟ أشعر أنها تتألم من شيء ما.»

حدقت فيه الجميلة بعينين جاحظتين:

«كيف استطعت سماع ذلك بحق الجحيم؟»

تناول بيني لقمة ليمنح نفسه وقتاً للتفكير، ثم قال:

«إنني شبه بيطري. هل تودّون سماع القصة الطويلة أم القصيرة؟»

اتفقوا جميعاً على أنهم يفضلون القصة الطويلة، لكن الجميلة أصرت على أن تذهب أولاً، هي وبيني، إلى الحظيرة ليلقي شبه البيطري نظرة على قدم سونيا اليسرى المتألمة. وبقي ألَن ويوليوس جالسين إلى مائدة العشاء، وهما يتساءلان كلاهما عن كيف يمكن أن ينتهي الأمر ببيطري بضفيرة ذيل فرس كبائع فاشل على بسطة نقانق في واحدة من أكثر الأماكن بعداً عن محلها في مقاطعة سودرمانلاند. بيطري بذيل حصان، أي نوع من المنطق هو ذلك؟ زمن غريب حقاً!

فحص بيني سونيا العجوز المسكينة بدقة؛ كان قد قام بهذا النوع من الأشياء من قبل، خلال الجزء العملي من دراسته. وجد غُصيناً مكسوراً عالقاً تحت أظفر أصبعها الثاني، والذي تسبب بانتفاخ جزء من قدمها. وكانت الجميلة قد حاولت إخراج الغصين، لكنها لم تكن قوية ولا حاذقة بما يكفي لتفعل ذلك. لكن الأمر لم يتطلب من بيني أكثر من دقيقتين لإخراجه، بمساعدة حديث هادئ مع سونيا وملقط. كانت قدم الفيلة متورمة جداً.

«إننا بحاجة إلى مضادات حيوية. نحو باوندين منها»، قال بيني.

«إذا كنت تعرف ما نحتاجه، فإنني أعرف كيفية الحصول عليه»، قالت الجميلة.

لكن «الحصول عليه» سيتطلب القيام بزيارة لبلدة روتني في منتصف الليل.

عاد بيني والجميلة إلى مائدة العشاء لإكمال الأمسية. وأكل الجميع بشهية جيدة، وهضموا الطعام بالبيرة والخمور، كلهم سوى بيني الذي شرب العصير. وبعد اللقمة الأخيرة، انتقلوا إلى غرفة الجلوس والمقاعد المريحة بجوار الموقد، حيث طلبوا من بيني أن يقصّ عليهم كيف حدث أنه أصبح شبه بيطري.

بدأ كل شيء عندما نشأ بيني وشقيقه الأكبر منه بسنة واحدة، بو، في الجنوب من ستوكهولم مباشرة، وقضيا كثيراً من فصول صيف مع عمهما فرانك في دالارنا. كان العم فرانك -الذي لم يكن يسمى بأي شيء آخر غير «فراسي»- رجل أعمال ناجحاً يملك ويدير عدداً من الأعمال المحلية المختلفة. وكان العم فرانك يبيع كل شيء، من معدّات التخييم إلى الحصى، ومعظم الأشياء بين ذلك.

إلى جانب الأكل والنوم، كان العمل شغفه الكبير. كانت له بعض الرومانسيات الفاشلة التي تركها وراءه، لأن كل السيدات سرعان ما يشعرن بالسأم من انشغال العم فراسي بمجرد العمل، ثم العمل والأكل والنوم (والاستحمام في يوم الأحد).

على أي حال، خلال عدد من فصول الصيف في الستينيات، كان والد بيني وبو، شقيق العم فراسي الأكبر، يرسل ولديه إلى دالارنا، على أساس أن الأولاد يحتاجون بعض الهواء النقي. لكن حصولهما على الكثير من ذلك ظلّ موضع شك، لأنه تمّ تدريب بيني وبو تدريبهما على تشغيل آلة سحق الحجارة الكبيرة في كسّارة العم فراسي لإنتاج الحصى. وقد أحب الأولاد العمل هناك، على الرغم من أنه كان شاقاً، وأنهما اضطرا إلى تنشق غبار الحجارة بدلاً من الهواء النقي. وفي الأمسيات، كان العم فراسي يلقي عليهما العظات الأخلاقية، ويحثهما بلا توقف:

«يجب عليكما يا أولاد أن تتأكدا من الحصول على تعليم مناسب؛ وإلا سينتهي بكما المطاف مثلي.»

في ذلك الوقت، لم يكن بيني وبو يعتقدان أن انتهاء المطاف بهما مثل العم فراسي سيكون بذلك السوء -على الأقل إلى أن سقط داخل آلة سحق الحجارة ووصل إلى نهاية

قائمة- لكن العم فراسي كان دائم الشكوى من تعليمه المحدود. كان يكتب بالكاد، ولم يكن جيداً في الرياضيات، ولم يكن يفهم كلمة واحدة من اللغة الإنجليزية؛ بل إنه تذكر بصعوبة فقط أن عاصمة النرويج هي أوسلو في حال سأل أحد. كان الشيء الوحيد الذي يعرف العم فراسي كيف يقوم به هو العمل. وانتهى به المطاف وهو يجمع المال.

أما كم كان العم فراسي يملك من المال عند رحيله، فمن الصعب تخمين ذلك بالضبط. وقت الوفاة عندما كان عمر بو تسعة عشر عاماً وعمر بيني ثمانية عشر عاماً تقريباً. وذات يوم، اتصل محامٍ ببو وبيني، وأبلغهما بأنهما مذكوران كلاهما في وصية العم فراسي، لكن الأمر معقد بعض الشيء، ويتطلب عقد اجتماع.

اجتمع بيني وبو بالمحامي في مكتبه، واكتشفا أن قدراً كبيراً -غير محدد- من المال ينتظر الأخوين في اليوم الذي يكملان فيه كلاهما تعليمهما الجامعي.

وكما لو أن ذلك لم يكن كافياً، فإن محامي سيزود الأخوين براتب شهري سخي (والذي سيزيد بانتظام وفقاً لمعدلات التضخم)، خلال فترة دراستهما. لكن الراتب الشهري سيتوقف إذا تخليا عن دراستهما، تماماً كما سيفعل عندما يجتازان امتحانهما النهائي، ويكونان قادرين بذلك على إعالة نفسيهما. وكان هناك أكثر من ذلك في الوصية، بعض التفاصيل الأكثر أو الأقل تعقيداً، لكن ما عنته بشكل عام هو أن الأخوين سيصبحان غنيين، فقط بمجرد أن ينهيا دراستهما.

انخرط بو وبيني على الفور في دورة لمدة سبعة أسابيع في مهارات لحام المعادن، وأكد المحامي أن ذلك سيكون كافياً، وفقاً للوصية، «ولو أنني أظن أنه ربما كان لدى عمكما شيء أكثر تقدماً في باله.»

ثم حدث شيئان في منتصف الطريق خلال الدورة التدريبية. الأول، فاض كيل ببيني أخيراً من ترؤس شقيقه عليه. كان ذلك هو حاله دائماً، لكن الوقت حان ليوضح لأخيه الكبير أنهما أصبحا راشدين كلاهما، وأنه يجب أن يعثر على شخص آخر ليصدر إليه الأوامر. الثاني، أدرك بيني أنه لا يريد أن يصبح لحّام معادن، وأنها ليست لديه الموهبة لممارسة ذلك بأي حال. وتجادل الأخوان حول ذلك لبعض الوقت، حتى تمكن بيني من شق طريقه بالإقناع إلى دورة في علم النبات في جامعة ستوكهولم. ووفقاً للمحامي، فإن

الوصية تسمح بتغيير موضوع الدراسة، طالما لا يكون هناك أي انقطاع.

أنهى بو فترة التدريب على اللحام، ولكنه لم يحصل على قرش واحد من مال العم فراسي لأن شقيقه بيني ما يزال يدرس. وبالإضافة إلى ذلك، أوقف المحامي فوراً راتب بو الشهري، وفقاً للوصية. وعنى ذلك، بالطبع، أن الأخوين أصبحا عدوّين. وعندما قام بو، في نوبة من التشوّش الناجم عن السُكْر، بتحطيم دراجة بيني النارية المشتراة حديثاً (التي اشتراها بنقود من راتب دراسته السخي)، كانت تلك نهاية كل المحبة الأخوية، ونهاية أي علاقة بين الشقيقين من أي نوع.

بدأ بو بإبرام صفقات الأعمال بروح العم فراسي، وإنما ليس بموهبة عمه كما يبدو. وبعد حين انتقل إلى فاسترجوتلاند، جزئياً من أجل البحث عن فرص عمل جديدة، وفي جزء آخر لتجنب احتمال التصادم مع شقيقهِ اللعين. أما بيني، من الناحية الأخرى، فبقي في العالم الأكاديمي، عاماً بعد عام.

كان الراتب الشهري سخياً، كما تم الإيضاح أعلاه. وبتغيير موضوع دراسته مباشرة قبل التقدم للامتحانات النهائية والبدء في شيء جديد، استطاع بيني أن يعيش بشكل جيد، في حين ترتّب على شقيقه البلطجي الأبله أن ينتظر للحصول على ماله.

واستمر بيني على هذه الحال لمدة ثلاثين عاماً، حتى اتصل به المحامي الذي أصبح الآن طاعناً في السن ذات يوم، وأبلغه بأن المال الذي في الوصية نفد أخيراً، ولن تكون هناك أي رواتب شهرية بعد ذلك -وبطبيعة الحال، لم تعد هناك أموال أخرى متوفرة لأي شيء آخر. يستطيع الشقيقان نسيان أمر الميراث، قال المحامي الذي أصبح عمره الآن أكثر من تسعين سنة، والذي بدا أنهُ ظل على قيد الحياة من أجل الوصية فقط، لأنه توفي بعد بضعة أسابيع لاحقة في كرسيّه المتحرك أمام التلفاز.

كل هذا حدث قبل بضعة أسابيع فحسب. ووجد بيني نفسه فجأة مضطراً للحصول على وظيفة. ولكن، وعلى الرغم من كونه واحداً من أفضل الناس تعليماً في السويد، اكتشف أن سوق العمل لم يكن مهتماً بعدد السنوات التي درسها، وإنما بعلامات امتحاناته النهائية. وكان بيني قد أنهى تقريباً متطلبات ما لا يقل عن عشر تخصصات أكاديمية جامعيّة، لكنه وجد نفسه مع ذلك يستمر في بسطة للنقانق حتى يفعل شيئاً، أيّ شيء.

وقد اضطر بيني وبو إلى التواجد معاً حين أعلن المحامي أن الميراث قد نفد أخيراً، لكن بو عبر عن نفسه في تلك المناسبة بطريقة لم يفهم منها بيني أن بإمكانه وضع أي خطط للذهاب وزيارته في وقت قريب.

بعد أن وصلوا إلى هذا الحدّ من قصة بيني، شرع يوليوس في القلق من احتمال أن يفضي الأمر إلى طرح الجميلة أسئلة شخصيّة جداً عليه، مثل الكيفية التي انتهى بها المطاف ببيني مع يوليوس وآلَنْ. إلا أن الجميلة لم تتكلف عناء الانشغال بالتفاصيل، بفضل البيرة والمازات. وبدلاً من ذلك، كان عليها الاعتراف بشعورها بشيء من الافتتان، في عمرها المتقدم التي هي عليه.

«وإذن، ما هي الأشياء التي كنتها -تقريباً- على مر السنين، إلى جانب الطبيب البيطري؟ سألت الجميلة بعيون ملتمعة.

فهم بيني، تماماً مثل يوليوس، أنه لا ينبغي وصف أحداث اليومين الآخرين بكثير من التفصيل. ولذلك شعر بالامتنان لوجهة سؤال الجميلة. لم يستطع أن يتذكر كل شيء، كما قال، لكنه يمكنك أن تغطي الكثير من حقول المعرفة إذا جلست على مقعد الدراسة لثلاثة عقود، وقمت بإنجاز فروضك المنزلية بين الفينة والأخرى. كان بيني شبه بيطري؛ شبه طبيب؛ شبه معماري؛ شبه مهندس؛ شبه عالم نبات؛ وشبه العديد من الأشياء الأخرى. ولأجل شيء من التنويع، كان قد التحق ببعض الدورات الأقصر التي تفاوتت في الجودة والأهمية. بل انه التحق بدورتين في نفس الوقت أحياناً. ثم تذكر بيني شيئاً آخر كان على وشك أن يكونه. قفز واقفاً على قدميه، في مواجهة الجميلة، وألقى قصيدة حب بسويدية بالغة الشاعرية:

من حياتي الفقيرة،

في وحدتي *أغنّي*

عَبَقاً منك، يا زوجتي الجميلة

يا جوهرتي الجليلة، *المتألقة*

وأعقب ذلك صمت مطبق؛ ثم تمتمت الجميلة بكلمة بذيئة غير مسموعة وقد احمرت خجلاً.

«إريك أكسل كارلفيلدت»، أوضح بيني. «بهذه الكلمات أود أن أشكرك على الطعام والضيافة. أعتقد أنني لم أخبركم بأنني شبه خبير في الأدب أيضاً؟»

ربما ذهب بيني شأواً أبعد من اللازم عندما سأل للجميلة إذا ما كانت ترغب الرقص أمام النار، لأنها سرعان ما قالت لا، مضيفة أنه يجب أن يكون هناك بعض الحد اللعين لهذه الحماقات. لكن يوليوس لاحظ أنها أحسّت بالإطراء. أغلقت سحاب سترتها الرياضية وأسدلتها إلى الأسفل كي تبدو أفضل ما يكون لبيني.

بعد ذلك انسحب ألَنْ ليأوي إلى النوم، في حين انتقل الثلاثة الآخرون إلى شرب القهوة، والكونياك الاختياري. قال يوليوس نعم بسعادة للعرض بأكمله، في حين اكتفى بيني بنصف العرض.

أمطر يوليوس الجميلة بالأسئلة عن المزرعة وقصتها الخاصة، فيما يعود إلى فصوله في جزء منه، وفي الجزء الآخر إلى رغبته في تجنب الخوض في الحديث عمّن يكونون، وإلى أين هم ذاهبون، والسبب في ذلك كله. لكن لم يكن ثمة ما يدعوه للقلق. لقد أصبحت الجميلة منتشية الآن، تتحدث عن طفولتها؛ عن الرجل الذي تزوجته عندما كان عمرها ثمانية عشر عاماً ثم ركلته بعد مرور عشر سنوات (ذلك الجزء من القصة ضم قدراً أكبر من الشتائم)؛ عن عدم إنجابها أطفالاً أبداً؛ عن مزرعة البحيرة، التي كانت منزل والديها الصيفي وقبل وفاة والدتها منذ سبع سنوات، حين سمح الوالد للجميلة بتولي الأمور؛ عن الميراث الذي شرع في النفاد، وعن أن وقت الرحيل من هنا بات قريباً.

«أصبحت في الثالثة والأربعين»، قالت الجميلة. «وهذا بحق الشياطين أكثر من نصف الطريق إلى القبر.»

«ما كنت لأثق كثيراً في هذا الجزء»، قال يوليوس.

***

أعطى مدرب الكلاب لكيكي تعليمات جديدة، فمضت مبتعدة عن العربة وهي

تتشمم الهواء بلا توقف. وأمل رئيس المفتش أرونسون في أن تظهر الجثة المعنية في مكان ما في المنطقة المجاورة، لكن كيكي شرعت بالسير في دوائر بعد قطع ثلاثين متراً في الغابة، وبدت وأنها تبحث عشوائياً قبل أن تنظر إلى مدربها بتوسُّل.

«تقول كيكي إنها آسفة، إنها لا تستطيع معرفة أين ذهبت الجثة»، ترجم مدرب الكلبة.

لكن مدرب الكلاب لم ينقل الرسالة كما ينبغي أن تكون. وفسر كبير المفتشين أرونسون الجواب بمعنى أن كيكي فقدت أثر الجثة بمجرد الابتعاد عن العربة. لكن كيكي كانت ستخبره، لو أنها استطاعت التحدث، أن الجُثة نُقِلت بالتأكيد عدة إلى الفناء قبل أن يختفي. وعندئذ، ربما كان كبير المفتشين أرونسون سيتحقق مما إذا غادرت أي شحنات فناء المسبك في الساعات القليلة الماضية. وكان سيتلقى جواباً واحداً فقط: غادرت شاحنة قاطرة جرارة تحمل حاوية متجهة إلى ميناء غوتنبرغ. وعندئذ، كان سيمكن إخطار الشرطة باعتراض الشاحنة وتفتيشها على الطريق السريع. لكن الجثة اختفت الآن خارج حدود السويد.

بعد ما يقرب من ثلاثة أسابيع، جلس حارس سفينة مصري شاب على سطح بارجة خرجت لتوها من الطرف الجنوبي لقناة السويس. ولاحظ انبعاث رائحة رهيبة من حمولة البضائع.

وأخيراً لم يستطع تحمل الرائحة فترة أطول، فبلل قطعة قماش ولفها حول أنفه وفمه. وفي واحد من الصناديق الخشبية وجد التفسير: جثة نصف متحللة.

وزن البحار المصري الأمور في ذهنه. لم تكن لديه رغبة في ترك الجثة هناك لتدمر بقية الرحلة. وإلى جانب ذلك، من شبه المؤكد أنه سيتعرض لاستجوابات الشرطة الطويلة في جيبوتي، ويعرف الجميع كيف هي الشرطة في جيبوتي.

لم يكن قيامه بتحريك الجثة بنفسه فكرة لطيفة أيضاً. لكنه اتخذ قراره في نهاية المطاف. أولاً، قام بإفراغ جيوب الجثة من كل شيء له قيمة –إنه يستحق شيئاً لقاء العناء– ثم طوح بها من فوق السفينة إلى البحر.

هكذا تحول ما كان ذات مرة شاباً نحيل البنية، ذا شعر طويل دهني أشقر، ولحية هزيلة، وسترة من الجينز كتب على ظهرها «ليس ثانية أبداً»، مع دفقة من رشاش الماء، إلى طعام للأسماك في البحر الأحمر.

***

تفرقت المجموعة في مزرعة البحيرة قبيل منتصف الليل مباشرة. ذهب يوليوس إلى الطابق العلوي لينام، في حين ركب بيني والجميلة سيارة المرسيدس لزيارة العيادة الصحية في رونتي بعد ساعات. وفي منتصف الطريق، اكتشفا آلَنْ نائماً تحت بطانية على المقعد الخلفي. وقد استيقظ وأوضح أنه خرج بحثاً عن نفس من الهواء النقي، وبمجرد أن أصبح في الخارج، أدرك أن السيارة ستكون مكاناً جيداً للنوم، لأن الدرج الموصل إلى غرف النوم صعبٌ أكثر من اللازم على ركبتيه المهتزتين بعد هذا اليوم الطويل.

«أنا لم أعد في التسعين»، قال.

أصبح ثنائي المغامرة الليلية الآن ثلاثياً، لكن ذلك لا يهم. وصفت الجميلة خطتها بمزيد من التفصيل. سوف يدخلون العيادة بمساعدة المفتاح الذي نسيت الجميلة إعادته عندما استقالت. وعندما يصبحون في الداخل، ستدخل إلى حاسوب الطبيب إيرلاندسون باسم إيرلاندسون نفسه لإرسال وصفة طبية من المضادات الحيوية، مكتوبة باسم الجميلة. للقيام بذلك، تحتاج الجميلة إلى كلمة السر الخاصة بإيرلاندسون، لكنها قالت إن ذلك ليس مشكلة، لأن طبيب إيرلاندسون لم يكن متباهياً متعجرفاً فقط، وإنما كان غبيّاً أيضاً. عندما تم تثبيت نظام حاسوبي جديد في العيادة قبل بضع سنوات، كانت الجميلة هي التي تعلم الطبيب كيفية إعداد الوصفات الطبية الإلكترونية، وكانت هي الشخص الذي اختار له اسم المستخدم وكلمة المرور.

وصلت المرسيدس إلى مسرح الجريمة المقصود. ترجل بيني، وآلَنْ، والجميلة وتفقّدوا المحيط قبل ارتكاب الجريمة الفعلية. وفي تلك اللحظة، مرت سيارة في الجوار ببطء في تلك اللحظة. وتفاجأ سائقها بالثلاثي كما فوجئوا هم به. كانت حتى رؤية كائن

حيّ واحد مستيقظ في ذلك الوقت من الليل في روتني نبأ كبيراً. وفي هذه الليلة بالتحديد، كانت هناك أربع كائنات حية مستيقظة.

لكن السيارة مضت في طريقها وعم الصمت روتني مرة أخرى. وقادت الجميلة بيني وألّن عبر مدخل الموظفين في الخلف، ثم إلى غرفة الدكتور إيرلاندسون. وهناك قامت بتشغيل حاسوبه وبتسجيل الدخول. وسار كل شيء وفقاً للخطة، وضحكت الجميلة بسعادة -حتى تحولت فجأة إلى إطلاق سيل طويل من الشتائم. لقد أدركت للتوّ أنه لا يمكن ببساطة إرسال وصفة طبية بصيغة «مضاد حيوي بمقدار باوندين.»

«اكتبي إريثروميسين، ريفامبين، وجنتاميسين، ثلاثمائة غرام لكل منها. سنتمكن عندئذ من مهاجمة الالتهاب من عدة زوايا مختلفة.»

نظرت الجميلة إلى بيني بإعجاب. ثم دعته إلى الجلوس وتهجئة هذه الأسماء جميعاً. وفعل بيني، وأضاف أدوية أخرى مختلفة رأى أن من المفيد أن تكون في متناول اليد في حالة قدوم سوء حظ مستقبلي.

كان الخروج من العيادة بمثل سهولة اقتحامها. ومضت رحلة العودة إلى البيت بلا حوادث. ساعد بيني والجميلة ألّن على الصعود إلى الطابق العلوي عندما كانت الساعة تقارب الثانية والنصف صباحاً، ثم انطفأ الضوء الأخير في مزرعة البحيرة.

بعد العاشرة ليلاً، لم يكن هناك الكثير من الناس مستيقظين في تلك المنطقة الهادئة. أما في براوس، غير البعيدة عن مزرعة البحيرة، فقد استلقى شاب في السرير وهو يتقلب على قلق، ويتشوف إلى تدخين سيجارة بيأس. ذلك هو شقيق السطل الصغير، الزعيم الجديد لعصابة «العنف». وكان قد دخّن آخر سيجارة قبل ثلاث ساعات، وسرعان ما شعر بحاجة لا يمكن وقفها لتدخين واحدة أخرى. ولعن نفسه لأنه نسي شراء السجائر قبل أن يُغلق كل شيء أبوابه في المساء.

في البداية، نوى الصمود حتى صباح اليوم التالي، لكنه لم يعد يستطيع التحمُّل أطول من ذلك بحلول منتصف الليل. كانت تلك هي اللحظة التي فكر فيها باستعادة الأوقات القديمة، تدبر أمر اقتحام كشك للجرائد بمساعدة المخل. لكن ذلك لا يمكن أن يحدُث في براوس، حيث يُعرف أنه يقيم. وإلى جانب ذلك، فإنهم سيشتبهون بارتكابه حتّى قبل

اكتشافها تقريباً. سيكون من الأفضل أن يذهب أبعد قليلاً، لكنه حاجته إلى سيجارة كانت شديدة إلى درجة اضطرته إلى تقديم تنازلات والعثور على حل وسط. والحل الوسط هو بلدة رونتي، الواقعة على بعد نحو خمس عشرة دقيقة بالسيارة فقط. وهكذا، قاد سيارته ببطء إلى داخل البلدة الصغيرة بملابس داكنة في سيارته الفولفو القديمة من طراز ٢٤٠، بعد منتصف الليل بقليل. وبينما يمرُّ بجوار العيادة الصحية، فوجئ برؤية ثلاثة أشخاص على الرصيف: امرأة ذات شعر أحمر، رجل بضفيرة على شكل ذيل حصان، وخلفهما تماماً، رجل طاعن في السن بشكل رهيب.

لم يحلل شقيق السطل الصغير هذا الحدث بعمق. (نادراً ما حلل أي شيء بشكل عميق -أو حتى بشكل سطحي). بدلاً من ذلك، مضى في سيارته، وتوقف تحت شجرة قريبة جداً من كشك الجرائد الذي يقصده، وفشل في اقتحامه لأن المالك أمّن الباب لمقاومة وجه العتلات، ثم قفل عائداً بسيارته إلى البيت مرة أخرى، دون أن تقل حاجته اليائسة إلى تدخين سيجارة عما كانت عليه سابقاً.

•••

عندما استيقظ أَلَنْ بعد الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي، شعر بأنه بالغ النشاط. ونظر من النافذة حيث تمتد الغابات من حول البحيرة. وتذكره المشهد بسودرمانلاند. وبدا أن اليوم سيكون لطيفاً.

ارتدى ملابسه، واضعاً على بدنه الملابس الوحيدة التي لديه، وهو يفكر بأنه ربما يستطيع تجديد خزانة ملابسه قليلاً. لم يكن هو ولا يوليوس ولا بيني قد استطاعوا حتى إحضار فرشاة أسنان معهم.

عندما هبط أَلَنْ الأدراج، وجدَ يوليوس وبيني يتناولان إفطارهما. كان يوليوس قد خرج ليتمشى قليلاً، لكن بيني نام طويلاً وبعمق. وكانت الجميلة قد وضعت الأطباق والأكواب وتركت تعليمات مكتوبة عن الخدمة الذاتية في المطبخ. أما هي نفسها، فقد ذهبت إلى رونتي. وانتهت المذكرة بأمر يطلب من السادة التأكد من ترك كمية معقولة من الإفطار في الأطباق، حتى يحصل «المغفل» على بعض الطعام أيضاً.

ألقى آلَنْ تحية الصباح، وتلقى التحية في المقابل. وبعد ذلك قال يوليوس إنه خطرت له فكرة البقاء ليلة أخرى في مزرعة البحيرة، لأن للمناطق المحيطة بها ساحرة جداً. سأل آلَنْ عما إذا كان للسائق الخاص بعض التأثير على هذا القرار، بالنظر إلى العاطفة التي رشحت في أثير مساء اليوم السابق. وأجاب يوليوس أن بيني قدم بالفعل ثروة من الأسباب للبقاء في مزرعة البحيرة لبقية فصل الصيف، غير أن الاستنتاج يخصّه هو. أين يذهبون على أي حال؟ ألا يحتاجون يوماً إضافياً للتفكير؟ إنّ كل ما يلزم للبقاء هو ابتكار قصة معقولة توضّح مَن يكونون وإلى أين يذهبون -والحصول على إذن الجميلة، بطبيعة الحال.

تابع بيني المحادثة بين آلَنْ ويوليوس باهتمام، آملاً بوضوح أن تنتهي بقضاء ليلة أخرى في نفس المكان. لم تكن مشاعره تجاه الجميلة قد خفتت منذ اليوم السابق. بل على العكس من ذلك، أصيب بخيبة أمل حين لم يجدها عندما هبط لتناول الإفطار. لكنها كتبت «شكراً على الليلة الماضية» في الرسالة. أيمكن أنها تشير إلى القصيدة التي ألقاها بيني؟ لو أنها تعود سريعاً فقط!

لكن ما يقرب من الساعة مرّ قبل أن تظهر الجميلة في الفناء. وعندما قفزت من سيارتها، رأى بيني أنها أصبحت أكثر جمالاً من المرة الأخيرة التي رآها فيها. كانت قد بدلت بذلتها الرياضية الحمراء بفستان، حتى أنها ذهبت إلى مصفف الشعر أيضاً. خطا بعض الخطوات الحذرة نحوها، وهتف:

«جميلتي! أهلاً بعودتك!»

وقف آلَنْ ويوليوس وراءه، مستمتعين بالمشهد الرقيق. لكن ابتساماتهما ذوت حالما رأيا سلوكها.

سارت أولاً مباشرة من جانب بيني، ثم مرت بالاثنين الآخرين، قبل أن تقف على درج مزرعة البحيرة، حيث استدارت وقالت:

«أنتم أيها الأوغاد! أعرف كل شيء! والآن أريد أن أعرف البقية. تجمعوا في غرفة المعيشة. الآن!»

وبعد ذلك اختفت الجميلة داخل المنزل.

«إذا كانت تعرف كل شيء مسبقاً، فأي شيء آخر تريد معرفته؟» سأل بيني.

«اهدأ فقط يا بيني»، قال يوليوس.

«هذا ما أقوله بالضبط»، قال ألَنْ.

ثم ذهبوا إلى الداخل للقاء مصيرهم.

***

كانت الجميلة قد بدأت اليوم بإطعام سونيا بعض العشب المقصوص حديثاً، ثم قررت التبرج قليلاً. وقد اعترفت لنفسها، على مضض، بأنها تريد أن تكون جميلة أمام هذا الرجل، بيني. حتى أنها استبدلت بذلة الرياضية الحمراء بفستان أصفر فاتح، وسوت شعرها الأجعد الآن وضمته في ضفيرتين كبيرتين. كما أضافت أيضاً قليلاً من الماكياج ولمسة من العطر قبل أن تركب سيارتها الفولكس فاجن باسات الحمراء وتنطلق إلى رونتي لجلب المؤن.

جلس «المغفل» كما يفعل دائماً في مقعد الراكب إلى جانب السائق وهو يلعق شعره بينما تتجه السيارة إلى السوبرماركت. وبعد ذلك، سألت الجميلة عما إذا كان «المغفل» قد شاهد في الحقيقة عنوان الصحيفة –ذلك العنوان البارز لصحيفة الإكسبرس خارج المحل، ومعه صورتان، واحدة في الجزء السفلي للعجوز يوليوس، وأخرى في الجزء العلوي للعجوز الطاعن في السن، ألَنْ. وجاء نص العنوان كما يلي:

«مئوي

اختطفته عصابة إجرامية»

«البحث اليوم عن لص محترف شهير – الشرطة»

شحب وجه الجميلة وتحول إلى الأحمر الفاتح، وحلقت أفكارها في جميع الاتجاهات. تملكها الغضب وتخلت فوراً عن خططها لشراء المؤن، لأن هؤلاء الشياطين الخبثاء الثلاثة سيكونون قد أصبحوا خارج منزلها قبل الغداء! لكن الجميلة ذهبت أولاً إلى

الصيدلية لاستلام الدواء الذي أوصى به بيني في الليلة السابقة، ثم اشترت نسخة من صحيفة الإكسبرس لمعرفة قدر أكبر من التفاصيل عما يجري بحق السماء.

كلما قرأت الجميلة أكثر، كلما أصبحت أكثر غضباً. لكنها لم تستطع في الحقيقة تجميع كل قطع الأحجية معاً في الوقت نفسه. هل يكون بيني هو رجل عصابة «ليس ثانية أبداً»؟ هل يكون يوليوس لصاً كبيراً؟ ومَن هو الذي اختطف مَن؟ لقد بدوا جميعاً منسجمين معاً وعلى ما يرام.

في النهاية، تغلب غضبها على فضولها. مهما يكن ما حدث، فقد تعرضت للخداع. ولا يمكنك أن تخدع غونيلا بيوركلُند وتفلت بذلك! جميلتي! هههه!

جلست في سيارتها وقرأت المقال مرة أخرى: «في عيد ميلاده المئة يوم الاثنين، اختفى ألَنْ كارلسون من دار المسنين في مالمكوبينغ. وتشتبه الشرطة الآن بأنه تم اختطافه على يد المنظمة الإجرامية «ليس ثانية أبداً». ووفقاً للمعلومات التي تلقتها الإكسبريس، فإن اللص المعروف باسم يوليوس يونسون متورط في القضية».

وأعقب ذلك خليط مشوَّش غير متجانس من المعلومات وأقوال الشهود. شوهد ألَنْ كارلسون في محطة للحافلات في مالمكوبينغ، ثم صعد على متن الحافلة إلى سترانغناس، وأغضب ذلك أحد أعضاء «ليس ثانية أبداً»... ولكن، انتظري... «رجل أشقر في الثلاثينات من العمر...» ذلك لا يصف بيني. وشعرت الجميلة... بالارتياح!

استمر التشوُّش عندما قرأت أن ألَنْ كارلسون شوهد قبل يوم على عربة ترولي للتفقُّد على سكة الحديد وسط الغابة سودرمانلاند، إلى جانب اللص المعروف يونسون، وعضو «ليس ثانية أبداً» الذي كان غاضباً منه جداً. ولم تستطع الإكسبرس أن تقدم وصفاً دقيقاً للعلاقة بين الرجال الثلاثة، لكن النظرية الحالية هي أن ألَنْ كارلسون واقع في براثن الرجلَين الآخرين. هذا على الأقل هو رأي المزارع تينغروث في فيدكار.

وأخيراً، ضمّت صحيفة الإكسبرس خبراً حصرياً آخر. وفقاً للمساعد في محطة وقود قريبة، اختفى مالك بسطة نقانق محلي، يحمل اسم بيني يونغبيرغ، دون أن يترك أثراً في اليوم السابق، على مقربة من آخر مكان معروف للمئوي واللص المحترف.

طوت الجميلة الصحيفة ووضعتها في فم «المغفل». ثم توجهت إلى عائدة إلى

مزرعتها في الغابة، وأصبحت تعرف الآن أن ضيوفها يتكونون من مئوي، ولص محترف، ومالك بسطة للنقانق. وهذا الأخير وسيمٌ وساحرٌ أيضاً، ويمتلك بوضوح بعض المعرفة الطبية، لكنه ليس ثمة مكان للرومانسية هنا. للحظة، كانت الجميلة حزينة أكثر من كونها غاضبة، لكن مشاعر الغضب عادت فتصاعدت مرة أخرى بينما تقود سيارتها داخلة فناء منزلها.

***

سحبت الجميلة صحيفة الإكسبرس من فم «المغفل»، وبسطت الصفحة الأولى التي تحمل صور آلَنْ ويوليوس، وبدأت بالشتائم والصراخ قبل قراءة أجزاء من المادة بصوت عال. ثم طالبت بتفسير ووعدت بأنْ يكون ثلاثتهم في طريقهم خارج مزرعتها في غضون خمس نقائق، وليكن ما يكون. ثم طوت الصحيفة مرة أخرى وأعادتها إلى فم «المغفل»، وصالبت ذراعيها، وأنهت بجمود:

«حسناً؟»

نظر بيني إلى آلَنْ، الذي نظر إلى يوليوس، الذي أفصح، بغرابة، عن ابتسامة.

«لص بارع محترف»، قال. أنا لص بارع. ليس هذا سيئاً!»

لكن ذلك لم يؤثر في الجميلة. كانت حمراء مسبقاً وأصبح وجهها أكثر احمراراً عندما أبلغت يوليوس بأنه سيكون قريباً لصاً بارعاً مضروباً جداً إذا لم تعرف الجميلة ما يحدث على الفور. ثم قالت للضيوف المجتمعين بما قالته لنفسها بالفعل، وبالتحديد أنه لا أحد يخدع غونيلا بيوركلُند في مزرعة البحيرة ويفلت من العقاب.

وحتى تضع عامل القوة وراء كلماتها، سحبت بندقية صيد قديمة من على الجدار. لم تكن البندقية تعمل، بطبيعة الحال، كما اعترفت الجميلة، لكنها ستنفع جيداً لسحق جماجم اللصوص البارعين، وأصحاب بسطات النقانق، والعجائز المتطفلين، إذا لزم الأمر، وبدا أن ذلك سيكون ضرورياً.

سرعان ما تبدّدت ابتسامة يوليوس يونسون. ووقف بيني هناك، مُسمّراً بالأرض، وقد تدلت ذراعاه بذبول على جانبيه. بالقدر الذي يمكنه رؤيته، كانت فرصته في

الرومانسية تتبخر بسرعة. ثم تدخل ألَنْ، وطلب من الجميلة وقتاً للتفكير. قال إنه يود، بإذن الجميلة، إجراء محادثة خاصة مع يوليوس في الغرفة المجاورة. ووافقت الجميلة بشيء من الغمز واللمز، لكنها حذرت ألَنْ من محاولة اللجوء إلى أي حيل. ووعد ألَنْ بأن يحسن التصرف، ثم سحب يوليوس من ذراعه وقاده إلى المطبخ، وأغلق الباب وراءهما.

سأل ألَنْ يوليوس عما إذا كانت لديه أي أفكار، والتي، على عكس المحاولات السابقة، لن تجعل الجميلة أكثر غضباً. وأجاب يوليوس بأن الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تنقذ الوضع هي دعوة الجميلة للمشاركة في ملكية جزء من الحقيبة بشكل ما. ووافق ألَنْ، مع أنه أشار إلى أن أي خير لن يأتي من إخبار شخص جديد كل يوم بأنهما سرقا حقيبة شخص ما، وقتلا ذلك الشخص عندما حاول استعادتها مرة أخرى، وأرسلا الجثة إلى إفريقيا محزومةً بعناية في أسطوانة من الصلب.

اعتقد يوليوس أن ألَنْ يبالغ. حتى الآن، ثمة شخص واحد فقط دفع حياته، وقد حصل بالتأكيد على ما يستحقه. لو أنهم يستطيعون البقاء مختفين حتى تهدأ الأمور فقط، فإن أحداً آخر لن يحتاج إلى ملاقاة نفس المصير.

عندئذ قال ألَنْ إن لديه فكرة جديدة هو نفسه. أعتقد أن من الجيد بنفس المقدار تقسيم محتويات حقيبة على أربعة: ألَنْ، يوليوس، بيني، والجميلة. وعندئذ لن يكون هناك أي خطر من احتمال تحدُّث هذين الأخيرَين إلى الأشخاص الخطأ. وعلى سبيل الإضافة، سيتمكنون من البقاء في مزرعة البحيرة طوال فصل الصيف، وهو الوقت الذي ستتوقف فيه عصابة الدراجات النارية عن البحث عنهم بالتأكيد، إذا كانت تبحث عنهم أصلاً، وهو ما ينبغي أن يفترض المرء أنها تفعله.

«خمسة وعشرون مليوناً مقابل غرفة لأشهر قليلة وطعام وسائق»، وتنهد يوليوس. لكنه قبل اقتراح ألَنْ.

انتهى الاجتماع في المطبخ. وعاد يوليوس وألَنْ إلى غرفة المعيشة. وطلب ألَنْ من الجميلة وبيني ثلاثين ثانية أخرى من الصبر، بينما ذهب يوليوس إلى غرفته وعاد بحقيبة تتدحرج في أعقابه. وضعها على الطاولة الطويلة في منتصف غرفة المعيشة وفتحها.

«قررنا أنا والَنْ أن نتقاسم أربعتنا هذا بالتساوي.»

«يا يسوع المسيح الدموي!» قالت الجميلة.

«اجلسي، وسوف أشرح»، قال يوليوس.

وجدت الجميلة فهم الأمر صعباً بقدر ما كان صعباً على بيني أن يهضم الجزء الخاص بالجثة، لكنها أعجبت بألَنْ لهبوطه من النافذة واختفائه من حياته السابقة على هذا النحو.

«كان ينبغي أن أفعل الشيء نفسه بعد أربعة عشر يوماً مع ذلك الأحمق الذي تزوجته.»

عاد الهدوء إلى مزرعة البحيرة. وخرجت الجميلة والمغفل مرة أخرى لإحضار المؤن. واشترت الطعام والشراب والملابس ومواد التجميل، والكثير من الأشياء الأخرى. ودفعت ثمن كل شيء برزمة منْ الأوراق المالية من فئة ٥٠٠ كرونة.

***

استجوب كبير المفتشين أرونسون الشاهدة من محطة البنزين في ميولبي، وهي امرأة في الخمسينات من عمرها. وقد جعلت منها مهنتها والطريقة التي وصفت بها ما رأته شاهداً ذا مصداقية. كما استطاعت أيضاً التعرف على ألَنْ في صور من حفلة عيد ميلاد لثمانيني، كانت قد أقيمت في منزل المسنين قبل أسبوع أو أسبوعين، وهي الصور التي تلطفت المديرة أليس بإعطائها، ليس للشرطة فقط، وإنما للصحافة أيضاً.

اضطر كبير المفتشين أرونسون إلى الاعتراف لنفسه بأنه تجاهل، خطأ، هذه المعلومة في اليوم السابق. لكن ليست هناك أي فائدة تُرجى من النظر إلى الوراء. وبدلاً من ذلك، ركز أرونسون على تحليله.

من منظور مبدئي، ثمة احتمالان: إما أن العجوزين وصاحب بسطة النقانق يعرفون إلى أين يذهبون، أو أنهم يسافرون إلى الجنوب عشوائياً ببساطة. وفضل أرونسون الاحتمال الأول، لأن من الأسهل متابعة شخص يعرف إلى أين يذهب. لكن من الصعب التخمين مع هؤلاء الناس. لا توجد أيّ صلة واضحة بين ألَنْ كارلسون ويوليوس يونسون من جهة، وبيني يونغبيرغ من جهة أخرى. ربما يكون يونسون ويونغبيرغ

من المعارف، فقد كانا يعيشان قريبين من بعضهما البعض إلى حد ما بعد كل شيء. لكن من الممكن أن يكون يونفبيرغ قد اختُطف وأُجبر على قيادة السيارة. ويمكن أن يكون المتوي أيضاً قد أُجبر على الذهاب، ولو أن هذا التفسير يعاني من حقيقتين تذهبان ضده: ١) أن آلَنْ كارلسون نزل من الحافلة في محطة بايرنغ و، على ما يبدو، سعى إلى يوليوس يونسون من تلقاء نفسه؛ و، ٢) إفادات الشهود التي قالت أن يوليوس يونسون وآلَنْ كارلسون بديا منسجمين جيداً: أ) على عربة التفتيش عبر الغابة، وب) في مسيرهما إلى خارج المسبك.

مهما تكن الظروف، فقد لاحظت عاملة محطة البنزين أن سيارة مرسيدس فضية اللون غادرت الطريق السريع وذهبت في اتجاه تراناس. ومع أن أربعاً وعشرين ساعة مرت، ظلت هذه الحقيقة مثيرة للاهتمام. إن الشخص الذي يتجه إلى الجنوب على الطريق السريع، والذي ينعطف عند ميولبي، يكون قد اختصر على الفور عدداً من الوجهات النهائية المحتملة. ربما يكونون ذاهبين إلى أوسكارشامن ومن ثم إلى جزيرة غوتلاند. لكن لا توجد أي إشارة إليهم في قوائم ركاب العبارة. وهكذا يكون كل ما تبقى هو شمال سمولاند، وفي هذه الحالة يمكن أن تختار المرسيدس الطريق الأسرع. لكنه في حال شعر العجوزان وصاحب بسطة النقانق بأنهم مطاردون، فسيكون من المنطقي أن يختاروا سلوك طرق أقصر.

كانت الأشياء التي ترجح احتمال أنهم ما يزالون في المنطقة التي يركز عليها كبير المفتشين الآن، هي، أولاً، أن السيارة تضم شخصين لا يحملان جوازات سفر صالحة. وهكذا يكون من الصعب أن يتجها إلى خارج البلاد. ثانياً، اتصل زملاء كبير المفتشين أرونسون هاتفياً بكل محطة بنزين يمكن تخيلها في اتجاه الجنوب، وجنوب الشرق، وجنوب الغرب، بين مسافة ٢٠٠ و ٣٠٠ ميل من ميولبي. ولا أحد رأى سيارة مرسيدس فضية تضم ثلاثة مسافرين لافتين للانتباه. بطبيعة الحال، يمكن أن يكونوا قد حصلوا على البنزين من محطة بلا اسم، لكن الناس عادة ما يرتادون محطات البنزين كاملة الخدمات، لأنهم بعد أن يقودوا مسافة معينة سوف يحتاجون دائماً إلى كيس من

رقائق البطاطا، وزجاجة من الصودا، أو شطيرة سجق. ومما يضيف لصالح احتمال محطات الوقود كاملة الخدمات أيضاً، حقيقة أنهم كانوا قد اختاروا واحدة من قبل، في ميولبي تلك المرة.

«ترانس، إكسيو، ناسيو، فيتلاندا، أسيدا... وما حولها»، قال كبير المفتشين أرونسون لنفسه بلهجة مهنئة، قبل أن يقطب جبينه.

«وإذن، أين؟»

***

عندما استيقظ زعيم عصابة «العنف» في براوس بعد ليلة رهيبة، اتخذ طريقه على الفور إلى محطة البنزين ليفعل شيئاً حيالَ حاجته الماسة إلى سيجارة. وعلى الجدار خارج المدخل، صرخت عناوين الصحف باستمرار في وجهه. وأظهرت الصورة الكبيرة في الإكسبرس... نفس الرجل العجوز الذي شاهده في رونتي في الليلة السابقة. ونسي في عجلته أن يسأل عن السجائر. لكنه اشترى صحيفة الإكسبريس، وأذهله ما قرأه فيها، وعندها اتصل هاتفيا بشقيقه الأكبر، للسطل.

شدّ غموض قصة المئوي المختفي والذي يفترض أنه مختطَف انتباه الأمة. وشاهد أكثر من مليون ونصف المليون مشاهد، بما في ذلك المئوي نفسه ورفاقه الجدد في مزرعة البحيرة، تقريراً لم يكشف في الواقع عن أي شيء أكثر مما نشرته صحيفة الإكسبرس.

«لو أنني لا أعرف أنه أنا، لشعرت بالأسف لحال هذا الرجل العجوز»، قال ألنْ.

لكن الجميلة كانت أقل هدوءاً، واعتقدت بأن من الأفضل أن يبقى ألنْ، ويوليوس، وبيني بعيدين جيداً عن الأنظار لفترة طويلة. من الآن فصاعداً، سوف تبقى المرسيدس مركونة خلف الحظيرة. وفي صباح اليوم التالي، ستذهب وتشتري الحافلة الكبيرة التي وضعت عينها عليها منذ فترة. فبما أن العديد من مقاعدها كانت قد أزيلت، وتم تركيب باب جانبي عريض بشكل غير اعتيادي في جانبها، فقد كانت مثالية لنقل الحمولات الكبيرة على وجه الخصوص. ربما يضطرون إلى هروب سريع في وقت قريب جداً، وفي هذه الحالة، ستغادر العائلة بأكملها، بما في ذلك سونيا.

تاسعاً

١٩٣٩-١٩٤٥

في ١ أيلول (سبتمبر) ١٩٣٩، وصلت سفينة ألَنْ، التي كانت تبحر تحت العلم الإسباني، إلى نيويورك. وكان ألَنْ قد تأمل فكرة إلقاء نظرة سريعة على ذلك البلد الكبير الواقع إلى الغرب من أوروبا، ثم يبحر عائداً بعد ذلك. ولكن، في نفس اليوم، قام أحد أصدقاء الجنرال الإسباني الأعزاء باجتياح بولندا واستعرت الحرب في أوروبا مرة أخرى. تم احتجاز السفينة المسجلة في إسبانيا، ومصادرتها، ثم إلحاقها بالخدمة في البحرية الأمريكية حتى انتهت الحرب في العام ١٩٤٥.

تم إرسال جميع الذين على متنها إلى مكتب الهجرة في جزيرة إليس. وهناك، طُرحت على كل راكب نفس الأسئلة الأربعة: ١) الاسم؟ ٢) الجنسية؟ ٣) المهنة؟ ٤) الغرض من زيارته للولايات المتحدة الأمريكية؟

قال كل رفاق ألَنْ في السفينة، عبر مترجم إسباني، إنهم بحارة إسبان بسطاء، لم يعد لهم الآن مكان يذهبون إليه لأن سفينتهم احتُجِزت. وبعد ذلك، جرى قبولهم بسرعة في الولايات المتحدة، حيث يترتب عليهم تدبر أمورهم قدر استطاعتهم.

لكن ألَنْ كان مختلفاً. كان له اسم لم يستطع المترجم الإسباني نطقه؛ وقال إنه جاء من سويسيا؛ والأهم من كل ذلك، كشف عن كونه خبيراً في المتفجرات، وبكل أنواع الخبرة التي تتراوح من إدارة عمله الخاص في صناعة المتفجرات، إلى تصنيع المدافع، ومشاركته آخر الأمر في الحرب بين الإسبان والإسبان.

وبعد ذلك، أخرج ألَنْ رسالة الجنرال فرانكو. وترجم المترجم المرتعب محتواها

لضابط الهجرة الذي استدعى على الفور رئيسه، الذي استدعى رئيسه على الفور بدوره.

في البداية اتفق الرجل الأقل شأناً والرئيسان الأعلى منه على وجوب إعادة السويدي الفاشي من حيث جاء فوراً.

«طالما يمكنكم العثور على سفينة لي، فإنني سأكون سعيداً بالذهاب»، قال ألَنْ.

لم يكن هذا الاقتراح عملياً، وهكذا توالت الاستجوابات. وكلما زاد ما يستخلصه مسؤول الهجرة من ألَنْ، كلما بدا له السويدي أقل فاشية. ولم يكن شيوعياً أيضاً، ولا اشتراكياً قومياً. لم يكن أي شيء على الإطلاق، كما يبدو، سوى كونه خبيراً بالمتفجرات. أما قصة كيف أنه أصبح على وفاق من أعلى طراز مع الجنرال فرانكو، فبالغة السخف بحيث يجب أن تكون صحيحة – يصعب كثيراً أن يكون قد اختلقها.

كان لأعلى مسؤول في دائرة الهجرة شقيق في لوس ألاموس، نيو مكسيكو. وبقدر ما يعلم، كان أخوه يعمل على تطوير عبوة تفجير ما للجيش. وبما أنها لم تكن لديه أي أفكار أفضل، كان كبير مسؤولي الهجرة قد رتب لألَنْ حبساً لبضعة أشهر. ولسوء الحظّ، تحولت الأشهر إلى سنوات، ونسي رئيس الهجرة أمر ألَنْ كله تقريباً، حتى وجد نفسه في أحد الأيام وهو يناقش القضية مع شقيقه عندما التقيا في مزرعة الأسرة في ولاية كونيتيكت في عيد الشكر. ولم يشعر الشقيق بكثير من الحماس لفكرة وجود مؤيد محتمل لفرانكو بين عماله، لكنهم كانوا في حاجة ماسة إلى كل الخبرات التي يمكنهم حشدها في لوس ألاموس، وربما يمكنهم أن العثور على عمل مناسب لا يتطلب تأهيلاً وليس بالغ السرية لهذا السويدي الغريب، إذا كان ذلك سيشكل مخرجاً لشقيقه.

أجاب مدير دائرة الهجرة بأن ذلك سوف يكون معروفاً بكل تأكيد، ثم انقض الشقيقان على الديك الرومي.

في وقت لاحق في شتاء عام ١٩٤٣، طار ألَنْ لأول مرة في حياته –والوجهة: المختبر القومي الأمريكي في لوس ألاموس، حيث سرعان ما اكتشفوا أنه لا يتكلم كلمة واحدة باللغة الإنجليزية. وأوكلت لملازم يعرف اللغة الإسبانية مهمة معرفة مدى مهارات السويدي المهنية، وطلب الملازم من ألَنْ كتابة صيغ معادلاته الكيميائية الأكثر تفجيراً. واستعرض الأخير المعادلات، ووجد فيها أدلة على وجود قدرة إبداعية كبيرة،

لكنه أشار إلى أن قوة عبوات آلَنْ المتفجرة يمكنها بالكاد أن تفجر سيارة.

«أوه، لكنها تفعل»، أجاب آلَنْ. «سيارة مع رجل فيها. لقد جربت ذلك.»

وسُمح لآلَنْ بالبقاء، في البداية في أبعد زاوية من المجمع. ولكن، عندما مرت الأشهر والسنوات وبدأ يتحدث الإنجليزية، سمح له بالتجول أكثر وبحرية أكبر. ولأنّه كان مراقباً بالغ الدقة، تعلم آلَنْ خلال النهارات كيفية صناعة عبوات ناسفة ذات طبيعة مختلفة إلى حد كبير عن تلك التي اعتاد تفجيرها أيام الأحد في حفرة الحصى هناك في الوطن. وفي المساء، عندما يخرج معظم الشبان في مختبر لوس ألاموس إلى المدينة لمطاردة النساء، كان آلَنْ يجلس في المكتبة ذات الوصول المقيّد، ويتعلم عن مجالات جديدة في عالم المتفجرات.

***

كانت الحرب في أوروبا تتصاعد، غير أن هذه الأحداث فاتت آلَنْ إلى حد كبير بينما يكتسب المعرفة التي لم يستطع أن يستخدمها في الواقع، وهو المساعد المتواضع. ولم يعد الأمر يدور حول المواد الكيميائية المألوفة مثل النتروغليسرين ونترات الصوديوم -الخاصة بالهواة- وإنما عن العلاقات الغريبة بين الذرات مثل الهيدروجين واليورانيوم، والتي تبين أنها تشكل عناصر أكثر تعقيداً مما كان يمكن أن يتصوره أبداً.

في الفترة منذ العام ١٩٤٢ فصاعداً، دخل تطبيق قيود أمنية مشددة للغاية حيز النفاذ في لوس ألاموس. لقد أوكل الرئيس روزيفلت للعلماء مهمة سرية، صناعة قنبلة كبيرة: قنبلة، كما خمّن آلَنْ، والتي يمكن أن تدمر عشرة، أو حتى عشرين من الجسور الإسبانية بانفجار واحد. وبما أنه كان شخصاً يحتاجونه للمساعدة، حتى في أكثر الأنشطة سرية، أعطي لآلَنْ الذي أصبح يحظى بشعبية كبيرة أعلى تصريح أمني.

كان عليه أن يعترف بأنهم يعرفون ما يفعلون، هؤلاء الأميركيون. فبدلاً من العمل على المواد التقليدية التي نشأ آلَنْ عليها، عثر هؤلاء العلماء على طرق لإطلاق القوة التي تربط نوى الذرات معاً، في محاولة لخلق انفجارات هائلة أكبر من أي شيء شهده العالم من قبل.

بحلول شهر أبريل من العام ١٩٤٥، كانوا قد وصلوا تقريباً إلى هناك. فقد عرف الباحثون -وآلَنْ إذا كان ذلك يهمّ- كيفية إحداث التفاعل النووي، لكنهم لم يكونوا يعرفون كيفية السيطرة عليه. وقد فتنت هذه المشكلة آلَنْ. وعندما يجلس في المكتبة في المساء، كان يغرق في القلق بهذه المشكلة التي لم يطلب منه أحد أن يقلق بشأنها -وتمكن من حلها.

في كل أسبوع في ذلك الربيع، كان أكثر الأشخاص أهمية في الجيش يجتمعون ساعات مع علماء الفيزياء البارزين، بقيادة كبير العلماء، جيه روبرت أبنهايمر، في حين يملأ لهم آلَنْ أكواب القهوة -ويستمع.

شدّ العلماء شعرهم وطلبوا من آلَنْ مزيداً من القهوة. وحكّ جماعة الجيش رؤوسهم وطلبوا من آلَنْ مزيداً من القهوة. ويئس جماعة الجيش والعلماء جميعاً من العثور على حل، وطلبوا من آلَنْ المزيد من القهوة. هكذا استمر الوضع، أسبوعاً بعد أسبوع. وأخفى آلَنْ حل مشكلة الجماعة وجلس عليه لبعض الوقت، لكنه لم يعتقد أنها مهمة النادل أن يقول لكبير الطهاة كيفية تحضير العشاء، ولذلك احتفظ بما يعرفه لنفسه.

حتى جاءت مناسبة سمع فيها نفسه، على نحو أدهشة هو نفسه، وهو يقول:

«عفواً، ولكن لماذا لا تقسمون اليورانيوم إلى قسمين متساويين؟»

كان الأمر وكأنما أفلت ذلك منه بطريقة ما، بينما يصب القهوة في كوب روبرت أوبنهايمر.

«ماذا قلت؟ قال أوبنهايمر الذي انصدم بشدة من فتح النادل فمه حتى أنه لم يسمع ما قاله آلَنْ.

لم يكن لدى آلَنْ خيار سوى أن يتابع.

«حسناً، إذا قسمتم اليورانيوم إلى جزأين متساويين، ثم صفعتموهما معاً فقط عندما يحين الوقت، فإنهما سينفجران عندما تريدون أن ينفجرا.

«جزأين متساويين؟» قال أوبنهايمر. كان أكثر من ذلك بكثير يدور في رأسه في تلك اللحظة، لكن عبارة « جزأين متساويين» هي كل ما استطاع قوله.

«حسناً، ربما تكون لديك نقطة هنا. بروفيسور. لا ينبغي أن يكون الجزآن متساويين

في الحجم بالضرورة. المهم هو أن يكونا كبيرين بما يكفي عندما يجتمعان معاً.»

نظر الملازم لويس، الذي كان قد ساند ملاءمة ألَنْ كمساعد، كما لو أنه أراد قتل السويدي، لكن أحد العلماء حول الطاولة تفاعل باهتمام كبير:

«ولكن، كيف لنا أن نصفعهما معاً؟ ومتى؟ في الهواء؟»

«بالضبط، بروفيسور. كما ترى، ليس من الصعب أن تجعل الأمر كله ينفجر. المشكلة هي أنه لا يمكنك التحكم في لحظة الانفجار. لكن كتلة حرجة تنقسم إلى مجموعتين تعطيك كتلتين غير حرجتين، أليس كذلك؟ والعكس صحيح أيضاً، لأنه من كتلتين غير حرجتين، يمكنك الحصول على كتلة حرجة واحدة.

«وكيف تقترح أن نقوم بصفعهما معاً، يا سيد.... عفواً، ولكن من أنت؟» قال أوبنهايمر.

«أنا ألَنْ»، قال ألَنْ.

«و، يا سيد ألَنْ، كيف يمكننا صفعهما معا؟»

«بشحنة ناسفة قديمة يوميّة عادية جيدة»، قال ألَنْ. «هذا هو نوع الأشياء التي أبرع فيها، لكنني متأكد أن بوسعكم تدبر ذلك بأنفسكم.»

ليس أساتذة الفيزياء بشكل عام، وكبار علماء الجيش على وجه الخصوص، أناساً أغبياء. في بضع ثوان، كان أوبنهايمر قد شق طريقه عبر غابة من المعادلات وتوصل إلى استنتاج أن من المرجح للغاية أن يكون النادل على حق. ولك أن تتخيل كيف أن شيئاً بالغ التعقيد يمكن أن يكون له مثل هذا الحل بسيط! عبوة ناسفة قديمة يومية وعادية في الجزء الخلفي من القنبلة، يمكن تفجيرها عن بعد لترسل كتلة غير حرجة من اليورانيوم ٢٣٥ قُدُماً إلى لقاء كتلة غير حرجة أخرى. سيصبح ذلك كتلة حرجة على الفور. وتشرع النيوترونات في التحرك، وستبدأ ذرات اليورانيوم بالانقسام. ستكون سلسلة التفاعل المتسلسل قيد العمل و...

«بانغ!» قال أوبنهايمر لنفسه.

«بالضبط»، قال ألَنْ. أرى أنك خمّنت الأمر فعلاً، بروفيسور. هل يريد أحد مزيداً من القهوة؟»

في تلك اللحظة بالذات، فُتح الباب المفضي إلى الغرفة السرية ودخل نائب الرئيس، ترومان، في واحدة من زياراته النادرة، التي دائماً ما لا تكون معلنة مسبقاً.

«اجلسوا، قال نائب الرئيس للرجال الذين وقفوا جميعاً بانتباه.»

حتى يكون على الجانب الآمن، جلس حتى آلَنْ نفسه. إذا أمرك نائب الرئيس بالجلوس، فإنه ربما يكون من الأفضل أن تجلس؛ هذه هي الطريقة التي تعمل بها الأمور في أمريكا، فكر آلَنْ.

طلب نائب الرئيس تقرير حالة من أوبنهايمر، الذي وقف بسرعة مرة أخرى. ولأنه كان مستثاراً إلى حد ما، كان الشيء الوحيد الذي أمكنه التفكير بقوله هو أن السيد آلَنْ هناك في الزاوية قد حل للتو فقط تلك المشكلة المتبقية حول الكيفية التي تمكّن من التحكم بالتفجير. لم يتم اختبار حل السيد آلَنْ بعد، ولكن السيد أوبنهايمر تحدّث باسم جميع الحاضرين عندما قال إن المشكلة أصبحت تاريخاً للتوّ، وأنه سيمكنهم إجراء تفجير تجريبي في غضون ثلاثة أشهر.

نظر نائب الرئيس حول الطاولة جميعاً، وحصل على إيماءات موافقة. وبدأ اللفتينانت لويس تدريجياً بالتنفس مرة أخرى. وفي النهاية، وقعت أنظار نائب الرئيس على آلَنْ.

«أعتقد، سيد آلَنْ، أنك بطل اليوم. بالنسبة لي، أحتاج إلى تناول لقمة قبل أن أعود إلى واشنطن. هل ترغب الانضمام إلي؟»

بعد أقل من عقد من دعوة عشاء الجنرال القائد العام في إسبانيا، خمن آلَنْ أنها لا بد أن تكون سمة مشتركة لكل قادة العالم أن يدعونك إلى الطعام بمجرد أن تفعل شيئاً يعجبهم، لكنه لم يقل ذلك، إنما شكر نائب الرئيس على الدعوة وخرج الرجلان من الغرفة معاً. وتُرك أوبنهايمر على طاولة المؤتمر وهو يبدو مرتاحاً وغير سعيد معاً.

كان نائب الرئيس ترومان قد أمر مطعمه المكسيكي المفضل وسط لوس الاموس بإغلاق أبوابه، بحيث أصبح المكان مخصصاً لترومان وآلَنْ وحدهما، باستثناء دزينة أو نحو ذلك من الحراس الشخصيين الذين انتشروا في مختلف الزوايا.

كان رئيس وحدة الأمن قد أشار إلى أن السيد آلَنْ ليس أمريكياً، بل ولم يتم التحقق

من نظافة سجله حتى يكون وحده مع نائب الرئيس، لكن ترومان تجاهل اعتراضات المسؤول الأمني مع التعليق بأن السيد ألَنْ فعل اليوم شيئاً أكثر وطنية مما يستطيع أي شخص أن يتخيله.

كان نائب الرئيس في حالة معنوية ممتازة. ومباشرة بعد العشاء، وبدل الذهاب إلى واشنطن، قرر أن يطير إلى جورجيا، حيث يقيم الرئيس روزفيلت في عيادة لأمراض شلل الأطفال. سوف يرغب الرئيس في سماع هذا الخبر مباشرة. كان هاري ترومان واثقاً من ذلك.

«سوف أطلب الطعام، حتى تتمكن أنتَ من اختيار المشروبات»، قال هاري ترومان ببشاشة وأعطى قائمة النبيذ لألَنْ. تحول ترومان إلى كبير النُدُل الذي انحنى بعدما حصل على طلبية كبيرة من التاكو، الانتشلادا، عجة الذرة، والسالسا.

«والشراب، يا سيدي؟»

«زجاجتان من التكيلا»، أجاب ألَنْ.

ضحك هاري ترومان وسأل عما إذا كان ألَنْ يريد أن يشرب تحت الطاولة. وأجاب ألَنْ بأن العام الماضي علّمه أن المكسيكيين يمكن أن يصنعوا المشروبات الروحية بجاذبية تكافئ الأكفافيت الاسندنافي، لكن نائب الرئيس يمكن أن يشرب الحليب بالطبع، إذا رأى ذلك أكثر ملاءمة.

«كلا، لقد أعطيت كلمتي ووعدت»، قال نائب الرئيس ترومان، وحرص على التأكد من أن يشمل الطلب الليمون والملح.

بعد ثلاث ساعات، أصبح الرجلان يناديان بعضهما هاري وألَنْ، وهو ما برهن على ما يمكن أن تصنعه بضع زجاجات من التيكيلا للعلاقات الدولية. قصّ ألَنْ على ترومان كيف فجّر الرجل المحلي عظيم الشأن إلى قطع، وكيف أنه أنقذ حياة الجنرال فرانكو. ومن جانبه، سلى نائب الرئيس ألَنْ بتقليد محاولات الرئيس روزفيلت النهوض من كرسيه المتحرك. وعندما كان الرجلان في أعلى لحظات الانسجام، اقترب رئيس موظفي الأمن بتكتم من نائب الرئيس.

«هل أستطيع أن أتحدث إليك قليلاً من فضلك، يا سيدي؟»

«تفضل»، قال نائب الرئيس بصوت مُدغم.

«يفضل على انفراد، يا سيدي.»

«أكون ملعوناً لو أنك لا تبدو مثل همفري بوغارت! هل رأيته، يا آلنْ؟»

«سيدي...» قال رجل الأمن الذي يزداد اضطراباً.

«نعم، ما الذي تريده بحق الجحيم؟» قال نائب الرئيس بهسيس.

«سيدي، الأمر يتعلق بالرئيس روزفيلت.»

«ماذا عن ذكر الماعز العجوز؟» قهقه نائب الرئيس.

«لقد مات، يا سيدي.»

عاشراً

الاثنين ٩ مايو، ٢٠٠٥

جلس السطل خارج السوبر ماركت في رونتني طوال أربعة أيام، على أمل أن يرى زميله البرغي أولاً وقبل كل شيء، ثم الرجل المئوي، أو امرأة حمراء الشعر أصغر في السنّ قليلاً، أو رجلاً بضفيرة على شكل ذيل حصان (ذا مظهر غير معروف بغير ذلك)، وسيارة مرسيدس. ولم يكن الجلوس هناك فكرته هو، وإنما فكرة «الرئيس». كان السطل قد أبلغ مباشرة عن محادثته التي جاءت مصادفة مع شقيقه الصغير وزعيم عصابة «العنف» في براوس، عن المعمر الذي كان يقف بكل تأكيد خارج عيادة صحية في سمولاند في منتصف الليل. وعندئذ أمره «الرئيس» بمراقبة السوبرماركت الأكثر شعبية في المدينة. ولفترض أن الشخص الذي يخرج ليتمشى في رونتني في منتصف الليل لا بد أن يكون مختبئاً في مكان ما في ضواحيها، وسوف يحتاج للجميع الذهاب لتسوق المواد الغذائية عاجلاً أو آجلاً. كان ذلك منطقاً لا جدال فيه. لم يكن «الرئيس» هو الرئيس بلا سبب. لكن ذلك حدث قبل خمسة أيام بطبيعة الحال. والآن، بدأ اليأس يتسلل إلى السطل.

لم يعد تركيزه في أعلى مستوياته أيضاً. ولذلك، لم ينتبه للمرأة ذات الشعر الأحمر عندما دخلت إلى موقف للسيارات في سيارة فولكس فاجن باسات حمراء بدلاً من المرسيدس الفضية المتوقعة. ولكن، ولأنها كانت حسنة الذوق بحيث مرت أمام أنف السطل في طريقها إلى المخزن، فإنه لم يفوتها. لم يكن على يقين من أنها المرأة المعنيّة، لكنها حول السن المناسب تقريباً، ولها بالضبط نفس لون الشعر.

اتصل السطل هاتفياً بالرئيس في ستوكهولم. لكنه لم يكن حتى قريباً من الحَماس. كان البرغي هو الذين يأملون العثور عليه في المقام الأول، أو ذلك العجوز اللعين على الأقل. ومع ذلك، قيل للسطل إن يسجل رقم لوحة السيارة، ثم يتبع صاحبة الرأس الأحمر بتكتم ليرى أين تذهب. ثم عليه الاتصال مرة أخرى.

***

كان كبير المفتشين أرونسون قد أمضى الأيام الأربعة الماضية في فندق في أوسيدا. وكانت الفكرة أن يبقى على مقربة من مركز الأحداث عندما يظهر شهود جدد. لكن أحداً لم يظهر، وكان أرونسون على وشك الانطلاق عائداً إلى بلدته عندما اتصل هاتفياً أحد زملائه في إسكيلستونا. لقد حصلوا على بعض النتائج من جهاز التنصت الذي زرعوه في هاتف المشاكس صاحب عصابة «ليس ثانية أبداً»، بير غونار-غيردن.

كان غيردن، أو «الرئيس»، كما يُعرف، شخصيّة مشهورة نوعاً ما قبل عدة سنوات، بسبب تأسيسه منظمة إجرامية في السجن مشدد الحراسة حيث كان يقيم. وقد علمت وسائل الإعلام بذلك، حتى أنها قامت بنشر اسم غيردن وصورته. وسرعان ما انهارت مؤسسته نتيجة لرسالة بعثت بها أم غونار-غيردن إليه، لكن هذا الجزء من القصة لم يصل أبداً إلى وسائل الإعلام.

قبل بضعة أيام، كان كبير المفتشين أرونسون قد أمر بالتنصت على هاتف غيردن، والآن أصبح لديهم صيد ما. وتم تسجيل المحادثات، وكتابتها، ثم إرسال محتواها بالفاكس إلى أوسيدا:

«هلو؟»

«نعم، هذا أنا.»

«هل من جديد؟»

«ربما. أنا جالس خارج السوبرماركت، وقد رأيت للتو امرأة كهلة حمراء الشعر تدخل من أجل بعض التسوق.»

«الكهلة فقط؟ ليس البرغي؟ ولا الختيار؟»

«كلا، الكهلة فقط. لا أعرف إذا...»

«هل كانت تقود مرسيدس؟»

«إررر، لم يكن لدي الوقت لأرى... لكنه ليس هناك مرسيدس في موقف السيارات، لذلك لا بد أنها كانت تقود شيئاً آخر.»

[صمت لخمس ثوان]

«هلو؟»

«نعم، ما أزال هنا، أنا أفكر، اللعنة. على شخص ما أن...»

«نعم، لكنني فقط...»

«لا بد أن هناك أكثر من سيدة واحدة حمراء الشعر في سمولاند...»

«نعم، ولكنها في السنّ المناسب، وفقاً لـــ.....»

«اتبعها بسيارتك، أكتب رقم لوحة الترخيص، لا تقم بأي عمل أحمق، ولكن انظر أين تذهب. تأكد بحق الجحيم أن لا يراك أحد. ثم أبلغني بما يحصل.»

[صمت لخمس ثوان]

«هل سمعت؟»

«حسناً، إررر، نعم. سأتصل بمجرد أن أعرف المزيد.....»

«وفي المرة القادمة، اتصل على هاتفي المحمول ذي البطاقات المدفوعة مُسبقاً. ألم أقل لك أن تستخدمه لكل مكالمات العمل؟»

«آه، بالتأكيد، ولكن، أليس فقط عندما يكون لنا عمل مع الروس؟ لم أكن أعتقد أنك تشغله الآن حتى...»

«أحمق. [تلاها شخير ثم انتهت المحادثة].

قرأ كبير المفتشين أرونسون النص، ثم قام بوضع القطع الصغيرة الجديدة من الأحجية في مكانها.

«البرغي» الذي ورد ذكره يجب أن يكون بنغيت بايلُند، أحد الأعضاء المعروفين لعصابة «ليس ثانية أبداً»، والذي يفترض أنه ميت الآن. والشخص الذي اتصل هاتفياً بغيردن، يفترض أنه هنريك «السطل» هولتِن، الذي يطارد البرغي في مكان ما في سمولاند. الآن، أصبح لدى أرونسون دليل على أنه يسير في الطريق الصحيح:

في مكان ما في سمولاند، كما اعتقد سابقاً، يوجد ألَنْ كارلسون، مع يوليوس يونسون، وبيني يونغبيرغ وسيارته المرسيدس، مع سيدة مجهولة العُمر ذات شعر أحمر. لكنه يصعب أن تكون شابة بشكل خاص لأنها وصفت للتو بالكهلة. ومن ناحية أخرى، وبالنسبة لشخص مثل السطل، لا يجب أن يكون المرء مسناً جداً حتى يكون كهلاً.

في «ليس ثانية أبداً» في ستوكهولم، ظنوا أن البرغي موجود مع الفريق أيضاً. هل يعني ذلك أنه هارب من جماعته؟ وإلا، لماذا لم يبقَ على اتصال؟ لأنه ميت، بطبيعة الحال! لكن «الرئيس» لم يكتشف ذلك، لذلك اعتقد أن «البرغي» مختبئ في سمولاند مع... ولكن، أين دخلت صاحبة الشعر الأحمر في الصورة؟

وهكذا، طلب أرونسون فحص الخلفيات الأُسرية لكل من ألَنْ، بيني، ويوليوس. ربما تكون لأحدهم أخت، ابنة عم أو قريبة أخرى تعيش في سمولاند، ويصادف أن يكون لها نفس لون الشعر؟

«لكنها في السن المناسب، وفقاً لـــ...» حسب قول البرغي.. وفقاً لماذا؟ ما الذي قاله لهم شخص ما؟ مَن هو الذي رأى المجموعة في سمولاند واتصل هاتفياً لإبلاغهم بالمعلومات؟ من المؤسف أنه لم يتم استخدام التنصُّت في وقت سابق.

الآن، بالطبع، سيكون السطل قد تبع صاحبة الشعر الأحمر من السوبرماركت، وبعد ذلك إما تخلّى عن المسألة إذا تبين أنها حمراء الرأس الخطأ، أو... أن السطل يعرف الآن أين يتحصن ألَنْ كارلسون وأصدقاؤه. وفي هذه الحالة، سيكون «الرئيس» قريباً في طريقه إلى سمولاند أيضاً، ليجعل ألَنْ ورفاقه يبوحون بالمَكنون عن «البرغي» وحقيبته.

اتصل أرونسون هاتفياً بكوني رانيليد، المدعي العام المسؤول في إسكيلستونا. في البداية لم يكن رانيليد مهتماً بالمسألة بشكل خاص، لكن انخراطه ازداد مع كل تعقيد جديد يبلغه أرونسون به.

«الآن، لا تدع غيردن وأتباعه يفلتون من يدك»، قال المدعي العام رانيليد.

•••

وضعت الجميلة زوجاً من أكياس التسوق من السوبرماركت في صندوق سيارتها الفولكس فاجن باسات وانطلقت إلى عائدة إلى البيت. وتبعها السطل على مسافة آمنة. وحالما وصلا إلى الطريق السريع، اتصل هاتفيا بالرئيس (على هاتفه العامل بالبطاقات المدفوعة مسبقاً، بطبيعة الحال؛ إنّ لدى السطل حقاً بعض غريزة البقاء)، كي يبلغه بنوع ورقم لوحة السيارة التي تقودها حمراء الشعر، ووعد بالاتصال مرة أخرى عندما تصل إلى وجهتها.

انطلقت السيارتان خارجتين من رونتي، لكن حمراء الشعر سرعان ما انعطفت إلى طريق وعر مفروش بالحصى. وعرف السطل الطريق. كان قد أتى هنا ذات مرة أثناء مشاركته في رالي للسيارات. وكانت صديقته في ذلك الوقت هي مساعدة الملاح وقارئة الخريطة؛ وأدركت في منتصف طريق الرالي أنها تحمل الخريطة رأسا على عقب.

كان الطريق الوعر جافاً، وتركت سيارة حمراء الشعر خلفها سحابة من الغبار. ولذلك استطاع السطل تعقبها بأمان حتى من دون أن يبقيها تحت أنظاره. لكن سحابة الغبار اختفت فجأة بعد بضعة أميال. اللعنة!

أولا، بدأ يشعر بالذعر، لكنه هدأ بعد ذلك. لا بد أن تكون الكهلة قد انعطفت في مكان ما على الطريق -قبل أقل من ميل وراءة على الطريق. واعتقد السطل بأنه حل المعضلة. ثمة مسار صغير ينعطف إلى اليمين بعد صندوق بريد. لا بد أنها ذهبت إلى هناك.

إذا وضعت في اعتبارك الكيفية التي سرعان ما تطورت بها الأحداث، فسيمكنك القول إن السطل تحمّس أكثر من اللزوم تقريباً. ولذلك أرسل السيارة ونفسه بسرعة

محترمة فوق الطريق الصغير، مهما يكن المكان الذي يفضي إليه. وتم التخلي عن فكرة التكتم والحذر في وقت مبكر.

قاد السطل سيارته بسرعة كبيرة، وقبل أن يدرك ذلك، وصل المسار إلى نهايته وحل محله فناء صغير. ولو كان يقود أسرع قليلاً، لما تسنى له حتى الوقت ليتوقف، ولكان قد اندفع مباشرة إلى الرجل العجوز الذي يقف هناك، و... يطعم... فيلاً؟

***

عثر ألَنْ بسرعة على صديق جديد في سونيا. كان لديهما الكثير جداً من القواسم المشتركة. واحد قفز من خلال نافذة ذات يوم، ومنح لحياته بالتالي وُجهة جديدة تماماً، في حين خوّضت الأخرى داخلة في بحيرة لتخرج بنفس النتيجة. وكان كل منهما –قبل ذلك– قد صال وجال وتنقل وشاهد شيئاً من العالم. وبالإضافة إلى ذلك، كانت لسونيا أخاديد عميقة في وجهها، أشبه بغضون مئوي عجوز حكيم بشكل أو بآخر، فكّر ألَنْ.

لم تكن سونيا تقوم بأداء حيل السيرك، لكنه حدث أنها أحبت هذا الرجل العجوز. كان يعطيها الفاكهة، ويحكُ خرطومها، ويتجاذب معها أطراف الحديث بودّ. لم تكن تفهم معظم ما يقوله، لكن هذا لا يهم. إنه شيء لطيف وحسب.

وهكذا، عندما طلب العجوز من سونيا الجلوس، كانت تجلس، وإذا طلب منها أن تستدير، كانت سعيدة بفعل ذلك بالضبط. بل إنها أرته كيف يمكنها الوقوف على رجليها الخلفيتين، على الرغم من أن الرجل العجوز لم يكن يعرف كيف يطلب منها ذلك. كان حصولها على تفاحة أو اثنتين مقابل تكلفها العناء، ودفعة إضافية من حك الخرطوم بمثابة مكافأة إضافية صرفة. لم تكن سونيا قابلة للشراء.

في حين كان هذا يحدث، أحبت الجميلة الجلوس على درجات الشرفة مع بيني والمغفل، وفنجان من القهوة وبعض المداعبات الهزلية للكلب. وكانوا يشاهدون فيما يمرح ألَنْ وسونيا في الفناء، ويذهب يوليوس لصيد السمك من البحيرة.

استمرت موجة الربيع الحارة. وظلت الشمس تسطع طوال أسبوع كامل، وتوقع خبراء الأرصاد الجوية استمرار ارتفاع الضغط.

كان بيني، بغض النظر عن كل مهاراته الأخرى، مهندساً معمارياً تقريباً. ولذلك رسم الكيفية التي يمكن بها تعديل الحافلة التي اشترتها الجميلة توّاً لتتناسب مع سونيا. وعندما اكتشفت الجميلة أن يوليوس لم يكن مجرد لص، وإنما تاجر أخشاب سابقاً أيضاً، وأنه يعرف كيفية التعامل مع المطرقة والمسامير، قالت للمغفل إن هؤلاء الأصدقاء ليسوا سيئين بعد كل شيء. كان شيئاً طيباً أنها لم تصفق الباب في وجوههم.

لم يستغرق الأمر من يوليوس أكثر من عصريّة يوم واحد حتى يهيئ بمساميره داخل الحافلة الجديدة وفقاً لتعليمات بيني. وبعد ذلك مشت سونيا إلى داخل الحافلة وخروجاً منها مع ألَنْ من أجل الاختبار، وبدا أن سونيا أحبت ذلك. كان ذلك ضيقاً عليها قليلاً، لكن في المكان نوعان من الطعام الذين يمكن التسلي بهما؛ واحد إلى اليسار وواحد إلى الأمام مباشرة، وماء للشرب إلى اليمين. وقد رُفعت الأرضية وجُعلت مائلة قليلاً، وخُصصت ليجد روث سونيا طريقه إلى حفرة خاصة ممتدة في مؤخرة الحافلة. وقد امتلأت الحفرة عن آخرها بالقش، الذي كان الهدف منه هو استيعاب معظم ما قد يخرج منها أثناء الرحلة.

بالإضافة إلى ذلك، كان هناك نظام تهوية كبير في شكل ثقوب محفورة على طول كلا جانبي الحافلة، وألواح زجاجية منزلقة وراء مقصورة السائق بحيث تستطيع سونيا رؤية راعيتها وطعامها بينما يكونون على الطريق. لقد حُوِّلَت الحافلة، بكل بساطة، إلى عربة فاخرة لنقل فيلة.

كلما كانت أكثر استعداداً، كلما أصبحت المجموعة أقل توقاً إلى المغادرة. لقد تغيرت الحياة في مزرعة البحيرة بطريقة رائعة وسارّة للغاية، وخاصة لبيني والجميلة اللذين قررا منذ الليلة الثالثة أن من الخسارة إيلاء الشراشف في غرف مختلفة في حين يستطيعان أن يتقاسماها أيضاً. وشوهدت المساءات وهي تنقضي أمام نار الحطب، مع الطعام الجيد والشراب الجيد، وحلقات من قصة حياة ألَنْ كارلسون التي لا تصدق.

لكن الثلاجة وحجرة المؤن فرغتا تقريباً صباح يوم الاثنين، وحان الوقت لتذهب الجميلة إلى رونتي للتزود بالمؤن. ولأسباب أمنية، قامت بالرحلة في سيارتها القديمة الفولكس فاجن باسات. وظلت المرسيدس مخبأة وراء الحظيرة.

ملأت الجميلة كيساً للتسوّق بهذا وذاك مما يلزم لنفسها وللرجال، وكيساً آخر بالتفاح الأرجنتيني الطازج لسونيا. وعندما عادت إلى المنزل، أعطت كيس التفاح لآلَنْ ووضعت باقي مؤن البقالة في الداخل قبل أن تنضم إلى بيني والمغفل على الشرفة مع سلة من الفراولة البلجيكية. ووجدت يوليوس هناك أيضاً، في استراحة نادرة من الصيد.

عندئذ زعقت سيارة فورد موستانغ مندفعة إلى الفناء وكادت تدهس آلَنْ وسونيا.

كانت سونيا هي الأكثر هدوءاً بينهم جميعاً. وظلت مركزة على استقبال التفاحة القادمة من آلَنْ حتى أنها لم ترَ ولم تسمع ما حدث حولها. أو ربّما فعلت رغم كل شيء، لأنها توقفت في منتصف حركة دوران وجمدت في مكانها وقد اتجهت مؤخرتها نحو آلَنْ والزائر الجديد.

وكان الثاني في الهدوء هو آلَنْ. فقد اقترب من الموت مرات عديدة في حياته بحيث أحدثت اندفاعة سيارة فورد موستانغ بالكاد أيّ فرق. أما إذا توقفت في الوقت المناسب، فلا مانع في ذلك.

الثالث الأكثر هدوءاً ربما كان المغفل، لأنه نشأ ورُبّي بصرامة على عدم الركض والنباح عندما يأتي غرباء للزيارة. لكن أذنيه انتصبتا وأصبح عيوناً كله، مستعداً لمتابعة التطورات.

لكن الجميلة، بيني، ويوليوس قفزا من الشرفة ووقفا هناك مصطفّين في انتظار معرفة ما سيحدث بعد ذلك.

ترجّل السطل، الذي ارتبك للحظة، مترنحاً من سيارته الموستانغ، وتحسس باحثاً عن مسدس موضوع في حقيبة على المقعد الخلفي. صوبه أولاً نحو الفيلة، ثم خطرت له فكرة أفضل فصوبه نحو آلَنْ والأصدقاء الثلاثة الواقفين في صف واحد على الشرفة، وقال (ربما على نحو يعوزه الخيال):

«أيديكم إلى فَوق!»

«أيدينا إلى فَوق؟»

كان ذلك أغبى شيء سمعه آلَنْ منذ وقت طويل. ما الذي يفكر هذا الرجل بأنه يمكن

أن يحدث؟ أن يقوم هو، المثوي، بقذف التفاح عليه؟ أم أن السيدة النحيلة هناك ستقصفه بالفراولة البلجيكية؟ أم أن...

«حسناً، حسناً، افعلوا ما تريدون بأيديكم بحق الجحيم، ولكن لا تحاولوا أي حيَل.»

«حيَل؟»

«اخرس وأغلق فمك، أنت أيها النغل العجوز! قل لي أين هي تلك الحقيبة اللعينة والشخص الذي أخذها.»

حسناً، ها نحن ذا، فكرت الجميلة. هذه هي نهاية حياة الحظ بالنسبة لهم. لقد أدركهم الواقع. ولم يجب أحد. وإنما عصروا جميعاً عقولهم حتى كان بوسعك سماع الصرير، كلهم ما عدا الفيلة التي أشاحت بوجهها بعيداً عن كل هذه الدراما، وخطر لها أن الوقت قد حان للتخفيف عن نفسها. وتخفيف فيلة عن نفسها ليس شيئاً يمكنك أن تفوته إذا حدث أنك في الجوار.

«أوه، قرف»، قال السطل وخطا بضع خطوات سريعة مبتعداً عن الفوضى التي انسفحت من مؤخرة الفيلة... «لماذا لديكم فيل بحق الجحيم؟»

لا جواب. لكن المغفل لم يعد قادراً الآن على ضبط نفسه أي فترة أطول. لقد شعر بوضوح أن الأشياء ليست على ما يرام أبداً، وأراد في الحقيقة أن يطلق نبحة جيدة على الغريب. وعلى الرغم من أنه يعرف القواعد، أطلق دمدمة عميقة. وعندما اكتشف السطل الكلب الألزاسي في الشرفة، أخذ خطوتين إلى الوراء بشكل غريزي، ورفع مسدسه، وبدا مستعداً للإطلاق.

عند تلك النقطة، تمخض دماغ ألَنْ المئوي عن فكرة. كانت فكرة جامحة، وهناك خطر واضح من احتمال أن يُقتَل في هذه العملية -ما لم يكن بالطبع خالداً حقاً بعد كل شيء. أخذ نفساً عميقاً، وبابتسامة غبيّة على شفتيه، سار مباشرة نحو المشاكس. وقال بصوته الواهن:

«إنه مسدس لطيف هذا الذي معك بحق الجحيم. هل هو حقيقي؟ هل أستطيع أن أحمله؟»

ظن بيني، يوليوس، والجميلة جميعاً أن العجوز فقد رشده.

«توقف يا ألَن!» صاح بيني.

«نعم، توقف، أيها النذل العجوز، أو سأطلق النار عليك»، قال السطل.

لكن ألَنْ استمر في خطوه المترنح نحوه. وخطا السطل خطوة إلى الوراء، ومد يده بالمسدس بشكل أكثر تهديداً نحو ألَنْ، وعندئذ... فعلها.

إذا حدث وأن خطوت أبداً في كومة من براز فيل جديد طازج، فإنك لا بد تعرف أنّ من المستحيل عملياً أن تحتفظ بتوازنك. ولم يكن السطل يعرف، لكنه عرف سريعاً. انزلقت قدمه الخلفية، وحاول السطل أن يتوازن بيديه لكنه سقط بلا حول، وحط بنعومة على ظهره.

«اجلسي يا سونيا، اجلسي!» قال ألَنْ كجزء أخير من خطته الجريئة.

«كلا، اللعنة يا سونيا، لا تجلسي»، صرخت الجميلة التي أدركت فجأة ما هو على وشك الحدوث.

«يا للجحيم»، قال السطل من حيث يرقد على ظهره في براز الفيلة.

سونيا، التي وقفت وقد أعطت ظهرها لهم جميعاً، سمعت أمر ألَنْ بشكل واضح. كان الرجل العجوز لطيفاً معها، وهي تحب أن تفعل ما يريد. وإلى جانب ذلك، أكدت وليّة نعمتها والمرأة التي تطعمها هذا الأمر. لم تكن وظيفة كلمة «لا» لنقض الأوامر شيئاً فهمته سونيا أبداً.

وهكذا، جلست سونيا. هبطت مؤخرتها على شيء ناعم ودافئ، وصدر صوت انسحاق كسول، وشيء يشبه الصرير قبل أن يسود الصمت المطبق. كانت سونيا مستعدة لتلقي تفاحة أخرى.

«ها قد ذهب رقم اثنان»، قال يوليوس.

«يا ليسوع الدموي، الزاني»، قالت الجميلة.

«قرف»، قال بيني.

«إليكِ تفاحةً يا سونيا»، قال ألَنْ.

أما هنريك «السطل» هولتن، فلم يقل أيّ شيء أبداً.

انتظر «الرئيس» ثلاث ساعات قبل أن يتصل بالسطل مرة أخرى. ثم قرر أن شيئاً ما قد حدث لذلك الغبيّ الذي لا يصلح لشيء. ووجد «الرئيس» أن من الصعب حد اليأس معرفة السبب في أن الناس لا يفعلون مثلما يقول لهم بالضبط، ولا شيء أكثر.

حان الوقت ليتعامل مع كل شيء هو بنفسه. أصبح هذا القَدْر واضحاً تماماً. وشرع الرئيس في التحقق من رقم التسجيل الذي أعطاه له السطل. ولم يستغرق الأمر كثيراً من الدقائق للتأكد من خلال سجلات ترخيص المركبات الوطنية أن الرقم يعود إلى سيارة فولكس فاجن باصات حمراء، تملكها غونيلا بيوركلُند، من مزرعة البحيرة، روتني، سمولاند.

أحد عشر
١٩٤٥-١٩٤٧

إذا استطعت أن تكون رصيناً وهادئاً ببرودة الحجر مباشرة بعد أن تكون قد اجترعت لتوك زجاجة كاملة من التكيلا، فقد كان ذلك ما فعله نائب الرئيس هاري ترومان.

عنى خبر وفاة الرئيس روزفيلت المفاجئ أنّ على نائب الرئيس اختتام عشائه اللطيف مع ألَنْ والطيران فوراً إلى واشنطن. وتُرك ألَنْ في المطعم ليتجادل مع كبير النُدل بشأن الفاتورة. وفي النهاية، قبل الرجل أخيراً حجة ألَنْ: إن الرئيس المقبل للولايات المتحدة ربما يكون رصيداً معقولاً، وقد أصبح رئيس النُدل يعرف عنوانه الآن، على أي حال.

قام ألَنْ بنزهة منعشة عائداً سيراً على الأقدام إلى المختبر، واستأنف مهامه كقهوجي ومساعد لأبرز علماء أميركا في الفيزياء، والرياضيات، والكيمياء، ولو أنهم أصبحوا يشعرون الآن ببعض الحرج في صحبة ألَنْ. لم يعد الجو مريحاً، وبعد بضعة أسابيع أخذ ألَنْ يفكر بالانتقال. لكن مكالمة هاتفية من واشنطن سوّت المسألة:

«هاي، ألَنْ، أنا هاري.»

«أيُّ هاري؟»

«ترومان، يا ألَنْ. هاري ترومان، الرئيس، اللعنة!»

«آه، لكم هذا رائع! كانت وجبة جيدة هي التي تناولناها، سيدي الرئيس، شكراً لك. آمل أنك لم تضطر إلى قيادة الطائرة إلى المنزل؟»

كلا، لم يفعل الرئيس ذلك. وعلى الرغم من خطورة الوضع، غفى على أريكة ولم يستيقظ حتى حان وقت للهبوط خمس ساعات بعد ذلك.

أما الآن، فإن لدى هاري ترومان بعض الأشياء ليتعامل معها والتي ورثها من سلفه، وإحداها أن الرئيس قد يحتاج مساعدة ألَنْ، إذا اعتقد ألَنْ أن ذلك ممكنٌ!

اعتقد ألَنْ بأنه كذلك بالتأكيد. وفي صباح اليوم التالي، خرج من مختبر لوس ألاموس الوطني مرة أخيرة وللأبد.

•••

كان المكتب البيضاوي بيضاوياً بالقدر الذي تخيله ألَنْ تقريباً. وهناك جلس في مقابل شريكه في الشرب في لوس ألاموس. واتضح أن الرئيس يعاني بعض المتاعب مع امرأة لا يمكنه أن يتجاهلها –لأسباب سياسية. كان اسمها هو سونغ مي–لينغ. ربما يكون ألَنْ قد سمع بها؟ كلا؟

حسناً، إنها زوجة زعيم الكومنتانغ المناهض للشيوعية في الصين، تشيانغ كاي–تشيك. وهي أيضاً جميلة للغاية، متعلمة هنا في أمريكا، وأفضل صديقة للسيدة روزفيلت. وهي تجتذب جمهوراً بالآلاف أينما تظهر، حتى أنها ألقت خطاباً أمام الكونغرس. والآن أصبحت تطارد الرئيس ترومان حتى الموت تقريباً لضمان حسن تنفيذ ترومان لكل الوعود التي زعمت أن الرئيس روزفيلت قطعها فيما يتعلق بالنضال ضد الشيوعية.

«كان ينبغي لي تخمين أن الأمر يتعلق بالسياسة»، قال ألَنْ.

«من الصعب كثيراً أن تتجنب ذلك إذا كنت رئيساً»، قال هاري ترومان.

ثمة لحظة قصيرة من الهدوء فقط تسود الصراع بين الكومنتانغ والشيوعيين، لأنهم يقاتلون من أجل قضية مشتركة إلى حد ما في منشوريا. لكن اليابانيين سرعان ما سيستسلمون، وبعد ذلك، سيبدأ الصينيون التقاتل فيما بينهم مرة أخرى بالتأكيد.

«كيف يمكنك أن تعرف أن اليابانيين سيستسلمون؟» سأل ألَنْ.

«أنت، من بين كل الناس، يجب أن تكون قادراً على معرفة ذلك»، أجاب ترومان وغيّر الموضوع على الفور.

مضى الرئيس في سرد ما شكل بالنسبة لألَنْ عرضاً مملاً للتطورات في الصين. قالت تقارير المخابرات أن الشيوعيين يتمتعون بالميزة في الحرب الأهلية، وهناك

تساؤلات وشكوك في مكتب الخدمات الاستراتيجية حول استراتيجية تشانغ كاي-تشيك العسكرية. إنه يركز على المدن، تاركاً المناطق الريفية مفتوحة أمام الدعاية الشيوعية. أما زعيم الشيوعيين، ماو تسي-تونغ، فسرعان ما سيتم القضاء عليه على يد الأمريكيين، لكن هناك خطراً واضحاً من احتمال أن تكسب أفكاره موطئ قدم بين السكان. وقد اعترفت، حتى سونغ مي-لينغ المستفزِّة نفسها بأنه يجب القيام بشيء ما. ولذلك، تابعت مسارها العسكري الخاص، ببساطة.

مضى الرئيس إلى وصف الاستراتيجية العسكرية، لكن ألَنْ كان قد توقف عن الاستماع عند تلك النقطة. وأخذ يحدق بذهول في أنحاء المكتب البيضاوي، ويتساءل عما إذا كانت نوافذه مضادة للرصاص، وإلى أين يمكن أن يؤدي الباب الموجود إلى اليسار. وفكر بأنه لا بد أن يكون من الصعْب جداً سحب السجادة العملاقة إلى الخارج للتنظيف... وفي النهاية، شعر بأن عليه مقاطعة الرئيس قبل أن يبدأ في طرح الأسئلة للتأكد من أن ألَنْ قد فهم.

«عفواً، هاري، ولكن ماذا تريد مني أن أفعل؟»

«حسناً، كما قلت، الأمر يتعلق بتعطيل حرية الشيوعيين في الحركة في المناطق الريفية...»

«ماذا تريد مني أن أفعل في الواقع؟»

«سونغ مي-لينغ تضغط من أجل زيادة الدعم بالأسلحة الأمريكية، حتى أنها تريد الآن مزيداً من المعدات أكثر مما قُدِّمَ إليهم من قبل.»

«ماذا، بالتحديد، تريد مني أن أفعل؟»

عندما طرح ألَنْ السؤال للمرة الثالثة، صمت الرئيس لبرهة. ثم قال:

«أريد منك أن تذهب إلى الصين وتقوم بنسف الجسور.»

«لماذا لم تقل لي ذلك مباشرة؟» قال ألَنْ، وقد أشرق وجهه.

«أكبر عدد ممكن من الجسور، بحيث تقطع أكبر عدد ممكن من طرق الشيوعيين بقدر ما تستطيع...»

«سيكون من الجميل رؤية بلد جديد.»

«أريد منك أن تدرب رجال سونغ مي-لينغ على فن نسف الجسور، وأن...»

«متى أستطيع المغادرة؟»

•••

على الرغم من أن ألَنْ كان خبيراً في المتفجرات، وأنه أصبح بسرعة، وعلى سُكْر، صديقاً حميماً لرئيس أمريكا المستقبلي، فإنه يظلُّ سويدياً. ولو أن ألَنْ ينطوي على أدنى اهتمام بالسياسة، لكان قد سأل الرئيس لماذا يكون هو الشخص الذي تم اختياره لأداء هذه المهمة. ولو أن الرئيس سُئل، لأجاب بصدق أنه لا يمكن السماح بأن يُنظر إلى الولايات المتحدة على أنها تدعم مشروعين عسكريين متوازيين، وربما متناقضين في الصين. إنهم، رسمياً، يؤيدون شيانغ كاي-تشيك وحزب الكومنتانغ الذي يتزعمه. والآن، يضيفون إلى هذا الدعم بمكر حمولة سفينة كاملة من المعدات لتفجير الجسور على نطاق واسع، والتي أمرت بها ودفعت إليها المرأة الجميلة، شبيهة الأفعى (من وجهة نظر الرئيس) ونصف المتأمركة سونغ مي-لينغ. والأسوأ من ذلك كله، أن ترومان لم يستبعد احتمال أن يكون كل شيء قد سُوِّيَ في الواقع على فنجان شاي بين سونغ مي-لينغ والسيدة إليانور روزفيلت. يا لها من فوضى! لكن كل ما تبقى الآن هو أن يقوم الرئيس بتقديم ألَنْ كارلسون وسونغ مي-لينغ لبعضهما البعض. ثم يكون الأمر، بالقدر الذي يعني الرئيس، قد أُنجِز وانتُهِي منه.

كان البند التالي على جدول أعماله أقرب إلى الإجراء الشكلي، لأنه اتخذ قراره مسبقاً. لم يكن بحاجة إلى الضغط على الزر بشكل ماديّ، إذا جاز التعبير. هناك على جزيرة في شرق الفلبين طاقم قاذفة B-٥٢ في انتظار الضوء الأخضر من الرئيس. كانت جميع الاختبارات قد أجريت. لا شيء يمكن أن يسير خطأ.

كان اليوم التالي هو السادس من أغسطس ١٩٤٥.

•••

تلاشى سريعاً سرور ألَنْ كارلسون بأن شيئاً جديداً سيحدث في حياته عندما التقى

سونغ مي-لينغ لأول مرة. كانت لديه تعليمات بالذهاب إلى جناح فندق في واشنطن. وبعدما نجح في التفاوض لشق طريقه خلال عدة صفوف من الحراس الشخصيين، وقف أمام السيدة نفسها وقال وهو يمد يده:

«كيف حالك، مدام، أنا آلَنْ كارلسون.»

لم تصافح سونغ مي-لينغ يده. وبدلاً من ذلك، أشارت إلى كرسي قريب.

«اجلس!» قالت.

على مر السنين، بقي آلَنْ متّهماً بأنه كل أنواع الأشياء، من المجنون إلى الفاشي، لكنه لم يُتّهم أبداً بأنه كلب. وفكر بالإشارة إلى عدم لياقة نبرة سيدة، لكنه امتنع عن ذلك لأنه شعر بالفضول لرؤية ما سيحدث تالياً. وإلى جانب ذلك، بدا له المقعد المقصود مريحاً.

عندما جلس آلَنْ، انخرطت سونغ مي-لينغ في شيء شعر آلَنْ نحوه بنفور خاص: تفسير سياسي بالتحديد. بشكل غريب، أشارت إلى الرئيس روزفيلت على أنه الرجل الذي يقف وراء الخطة بأكملها، ووجد آلَنْ ذلك غريباً. لا يمكنك بالتأكيد أن تقود عمليات عسكرية من وراء بلاطة القبر؟

وصفت سونغ مي-لينغ أهمية وضع حد للشيوعيين، أهمية منع ذلك المهرج ماو تسي-تونغ من نشر سمّه السياسي من مقاطعة إلى أخرى، و -على نحو غريب، كما اعتقد آلَنْ- وصفت كيف أن زوجها، تشانغ كاي-تشيك، لا يفهم أي شيء من هذا الأمر.

«كيف هي الأمور حقاً بينكما، على الجانب الرومانسي؟» قال آلَنْ.

أبلغت سونغ مي-لينغ آلَنْ بأن هذه المسألة ليست من شأن شخص تافه مثله. لقد عين الرئيس روزفيلت كارلسون ليكون تحت قيادتها مباشرة في هذه العملية، وأن عليه من الآن فصاعداً أن يجيب فقط عندما تتحدث معه، وأن يظل صامتاً بخلاف ذلك.

ولم يغضب آلَنْ -أبداً لأن كلمة «تافه» غير الموجودة في قاموس مفرداته- لكنه استفاد من حقيقة أنه تم التحدث معه، ليرد.

«آخر شيء سمعته عن روزفيلت هو أنه مات، ولو كان أي شيء قد تغير من ذلك،

لكان قد ظهر في الصحف. إنني أفعل هذا لأن الرئيس ترومان طلب مني ذلك. أما إذا كنتِ سيادتك ستستمرين بالغضب، فلا أظنّ أنني سأتكلف العناء. سيمكنني دائماً زيارة الصين في مرة أخرى، وقد نسفت مسبقاً أكثر مما يكفي من الجسور.

لم يسبق لأحد أن واجه سونغ مي-لينغ على هذا النحو منذ حاولت والدتها منع زواج ابنتها من بوذي، وكان ذلك قبل سنوات كثيرة. وإلى جانب ذلك، اضطرت والدتها نفسها إلى الاعتذار لاحقاً لأن ذلك الزواج قاد ابنتها كل الطريق إلى القمة.

الآن، اضطرت سونغ مي-لينغ إلى التوقف والتفكير. لقد أخطأت الحكم على الوضع بوضوح. حتى الآن، كان جميع الأميركيين يشرعون في الارتجاف عندما تذكر للرئيس روزفيلت والسيدة الأولى باعتبارهم أصدقاء شخصيين. كيف يجب أن تتعامل مع هذا الشخص الذي لم يرد بنفس الطريقة مثل كل الآخرين؟ من هو بحق الله هذا الشخص غير الكفء الذي أرسله ترومان إليها؟

لم تكن سونغ مي-لينغ شخصاً يمكن أن يتآخى مع أي شخص ببساطة، لكن هدفها أكثر أهمية من مبادئها. ولذلك، غيرت التكتيكات:

«أعتقد أننا نسينا أن نتعارف بشكل صحيح»، قالت، ومدت يدها على الطريقة الغربية. لكن قدوم الشيء متأخراً أفضل من ألا يأتي أبداً.

لم يكن ألَنْ شخصاً يُكنّ الضغينة. ولذلك، صافح يدها وابتسم بتساهل. لكنه لم يوافق بشكل عام على فكرة أن قدوم الشيء متأخراً أفضل من ألا يأتي أبداً. لقد أصبح والده، على سبيل المثال، مؤيداً مخلصاً للقيصر نيكولاس في نفس اليوم السابق لقيام الثورة الروسية.

•••

بعد يومين من ذلك، كان ألَنْ في طريقه إلى لوس أنجيلوس، مع سونغ مي-لينغ وعشرين رجلاً من حرسها الشخصي. وهناك كانت في انتظارهم السفينة التي ستأخذهم مع حمولتهم من الديناميت إلى شنغهاي.

أدرك ألَنْ أنه سيستحيل عليه البقاء بعيداً عن طريق سونغ مي-لينغ طوال كامل

الرحلة الطويلة عبر المحيط الهادي –لم يكن في السفينة ببساطة ما يكفي من أماكن الاختباء. لذلك قرر حتى عدم محاولة ذلك، وقبل بمقعد دائم على مائدة القبطان خلال العشاء كل مساء. كانت الميزة هي الطعام الجيد. والعيب هو أن ألَنْ والقبطان لم يكونا وحدهما على المائدة؛ كانا برفقة سونغ مي–لينغ التي بدت غير قادرة على الحديث في أي شيء غير السياسة.

حتى يكون المرء صادقاً، كان هناك عيب آخر أيضاً في الحقيقة؛ بدلا من الفودكا، كانوا يقدمون لهم شراباً كحولياً أخضر بنكهة الموز. وقد قبل ألَنْ بما يُقدّم له، لكنه فكر بأنها المرة الأولى التي يشرب فيها شيئاً غير صالح للشرب أساساً. ينبغي أن تنزل المشروبات التي تحتوي على مكون كحولي من حلقك إلى بطنك في أسرع وقت ممكن، لا أن تلتصق بحنكك.

لكن سونغ مي–لينغ أحبت طعم ذلك الليكور، وكلما زاد عدد الكؤوس التي تفرغها منه كل مساء، كلما أصبحت نغمة هلوساتها السياسية الأبدية أكثر شخصية. وعرف ألَنْ بلا جهد من أي نوع خلال العشاءات في المحيط الهادئ، على سبيل المثال، أن المهرج ماو تسي–تونغ وشيوعييه يُحتمل كثيراً أن يربحوا الحرب الأهلية، وأن مثل هذه النتيجة ستأتي أساساً بسبب شيانغ كاي–تشيك. كان زوج سونغ مي–لينغ غير كفء كقائد عام. وهو يشارك في هذه اللحظة بالذات في مفاوضات السلام مع ماو تسي–تونغ في المدينة الصينية الجنوبية، تشونغتشينغ. هل سبق أن سمع السيد كارلسون والقبطان أي شيء بهذا الغباء؟ التفاوض مع شيوعي؟ إلى أين سيفضي ذلك، سوى إلى اللاامكان!

كانت سونغ مي–لينغ على يقين من أن المفاوضات سوف تنهار. كما كشفت تقاريرها الاستخبارية أيضا أن جزءاً كبيراً من الجيش الشيوعي كان ينتظر زعيمه ماو في الجبال المقفرة في مقاطعة سيتشوان غير بعيد عن تشونغتشينغ. وكان عملاء سونغ مي–لينغ المُنتقين باليد يعتقدون، مثل سونغ مي–لينغ نفسها، أن المهرج وقواته سوف يتحركون تالياً إلى الشمال الشرقي، نحو شنشي وخنان، في موكب دعاياتهم المثير للاشمئزاز عبر أراضي الدولة..

حرص ألَنْ على البقاء صامتاً حتى لا تصبح محاضرة المساء السياسية أطول من

اللازم، لكن القبطان المهذب بشكل ميئوس منه ظل يسأل السؤال بعد السؤال، في حين يملأ كأسها مراراً بسائل الموز الأخضر الحلو.

سأل القبطان، على سبيل المثال، بأي طريقة يشكل ماو تسي-تونغ فعلياً أي نوع من التهديد. لقد استطاع حزب الكومنتانغ، بعد كل شيء، جعل الولايات المتحدة الأمريكية تقف وراءه، وكان، كما فهم القبطان، متفوقاً عسكرياً بشكل كامل.

ومدد هذا السؤال بؤس المساء ساعة تقريباً. أوضحت سونغ مي-لينغ أن زوجها المثير للشفقة هو بالضبط بمثل ذكاء وكاريزمية بقرة، ويمتلك نفس صفاتها القيادية. لقد اعتنق تشانغ كاي تشيك تماماً ذلك الاعتقاد الخاطئ بأن الأمر كله يتعلق بمن هو الذي يسيطر على المدن.

لم تكن سونغ مي-لينغ تنوي مواجهة ماو في المعركة. كيف يمكن لها أن تفعل ذلك بالمشروع الصغير الذي طبخته مع ألنّ وحفنة من حراسها؟ عشرين رجلاً سيئي التسليح، واحد وعشرين مع السيد كارلسون، ضد جيش كامل من المعارضين القديرين جداً في جبال سيتشوان.... سوف يكون ذلك بشعاً.

بدلاً من ذلك، كانت المرحلة الأولى في الخطة هي تقييد حركة المهرج، وجعل أمر التنقل أكثر صعوبة على الجيش الشيوعي. وكانت المرحلة التالية هي جعل زوجها اليائس يدرك أن عليه الآن اغتنام الفرصة لقيادة قواته للخروج إلى المناطق الريفية، وأن يظهر للشعب الصيني أن حزب الكومنتانغ هو الذي يحميهم من الشيوعية، وليس العكس. لقد فهمت سونغ مي-لينغ، تماماً مثل المهرج، ما لم يفهمه شيانغ كاي-تشيك حتى الآن -بالتحديد أن من الأسهل عليك أن تكون زعيم أمة إذا كانت هذه الأمة تقف خلفك.

في بعض الأحيان، بطبيعة الحال، ستجد حتى الدجاجة العمياء حبة الذرة على الأرض، ومن الجيد أن يكون تشيانغ كاي-تشيك قد دعا خصومه إلى مفاوضات السلام في تشونغتشينغ. لأنه مع قليل من الحظ، سيكون المهرج وجنوده ما يزالون هناك جنوب نهر اليانغتسي، بعد أن انهارت المفاوضات، عندما تصل قواتها المكونة من حراسها الشخصيين وكارلسون إلى الميدان. عندئذ، سينسف كارلسون الجسور بأكبر قدر من

التأثير! لفترة طويلة قادمة، سوف ينحصر وجود المهرج في الجبال على منتصف الطريق إلى التبت.

«لكنه إذا حدث وأن كان على الجانب الخطأ من النهر، فسوف نعيد التجمع ببساطة. هناك خمسة آلاف نهر في الصين، ولذلك، أينما يذهب الطُفيليُّ سيكون هناك نهر في طريقه.

مهرج وطُفَيليّ، فكّر آلَنْ، يخوض القتال ضد شخص جبان وغير كفء، يتمتع -لاختصار الأمر- بذكاء بقرة، وبينهما، أفعى مخمورة بليكور الموز الأخضر.

«سيكون من المثير بالتأكيد أن نرى كيف سيتكشّف كل ذلك»، قال آلَنْ بإخلاص. «وبالمناسبة، بلا مؤاخذة، يا قبطان، هل يمكن أن أجد عندك بضع قطرات من الفودكا في مكان ما، أغسل بها أثر هذا السائل الأخضر؟»

كلا، للأسف، لم يكن لدى القبطان شيء. لكن هناك الكثير من النكهات الأخرى إذا أراد السيد كارلسون بعض التنويع لحنكه: ليكور الليمون، ليكور الكريما، ليكور النعناع...

«لا تؤاخذني مرة أخرى»، قال آلَنْ، «متى تعتقد أننا سنصل شنغهاي؟»

***

سافر آلَنْ كارلسون مع قوة مكونة من عشرين رجلاً من حراس سونغ مي-لينغ الشخصيين في نهر اليانغتسي بواسطة قارب نهري في اتجاه سيتشوان، كجزء من خطتهم لجعل الحياة أكثر صعوبة بالنسبة للمغرور الشيوعي ماو تسي-تونغ. وقد ارتحلوا في ١٢ أكتوبر ١٩٤٥، بعد يومين من انهيار المفاوضات، كما كان متوقعاً.

أبحروا بوتيرة متمهلة، لأن الحراس الشخصيين أرادوا الحصول على المتعة في كل ميناء. وكانت هناك الكثير من المرافئ. أولاً نانجينغ، ثم ووهو، آن تشينغ، جيوجيانغ، ووهان، يويانغ، ييدو، فينجيي، وانكزيان، تشونغتشينغ، ووتشو. وكانت كل وقفة تجسيداً كاملاً للسكر، والدعارة، والافتقار العام للأخلاق.

بما أن هذا النمط من الحياة يميل إلى استهلاك الأموال بسرعة كبيرة، قام الحراس

العشرون بفرض ضريبة جديدة على المواطنين. لم يعد بمقدور الفلاحين الذين يريدون تفريغ منتجاتهم من السفينة الراسية في الميناء إلا إذا دفعوا رسماً قدره خمسة يوان. وأي شخص يشتكي، يقتل بالرصاص.

كانت هذه الإيرادات الضريبية الجديدة تُنفَق على الفور في أكثر أحياء المدينة المعتيّة ظلمة، وكانت تلك الأحياء تقع دائماً تقريباً على مقربة من الميناء. وفكر ألنّ بأنه إذا كانت سونغ مي-لينغ تعتقد بأن من المهم أن يكون الناس إلى جانبها، فكان ينبغي أن تكون قد نقلت هذه الرسالة إلى مرؤوسيها. لكن تلك، بحمد الله، مشكلتها هي، وليست مشكلة ألنّ.

استغرق الأمر شهرين ليصل ألنّ والعشرون جندياً مقاطعة سيتشوان، وبحلول ذلك الوقت، كانت قوات ماو تسي-تونغ قد غادرت المنطقة منذ فترة طويلة إلى الشمال. ولم يتسلل جنود ماو خارجين عبر الجبال، وإنما هبطوا إلى الوادي وخاضوا معركة مع فوج الكومنتانغ الذي كان قد تُرك للدفاع عن مدينة ييبّين.

وسرعان ما أصبحت ييبّين على وشك الوقوع في أيدي الشيوعيين. وقتل ثلاثة آلاف وخمسمئة جندي من الكومينتانغ في المعركة، ألفان وخمسمائة منهم على الأقل لأنهم كانوا في حالة سكر شديد أثناء القتال. وفي المقابل، مات ثلاثمئة من الشيوعيين، المستيقظين تماماً -كما يُفترض.

ومع ذلك، شكلت المعركة من أجل ييبّين نجاحاً لحزب الكومنتانغ، لأنها كانت بين الشيوعيين الأسرى الخمسين جوهرة حقيقية. كان يمكن ببساطة إطلاق النار على تسعة وأربعين من السجناء ببساطة ودفعهم إلى حفرة في الأرض، أما الأسير الخمسين! م م م م!

لم يكن الأسير الخمسون سوى الجميلة جيانغ تشينغ، الممثلة التي أصبحت ماركسية-لينينية، و-الأهم من ذلك بكثير- الزوجة الثالثة لماو تسي-تونغ.

***

بدأ على الفور نقاش طويل ولغو بين جماعة الكومنتانغ في ييبّين من ناحية، وبين حراس سونغ مي-لينغ الشخصيين من ناحية أخرى. دار الجدل حول الطرف الذي

سيكون مسؤولاً عن السجينة النجمة، جيانغ تشينغ. حتى الآن، كان قائد السرية قد أبقاها محتجزة في السجن فقط، في انتظار وصول القارب الذي يحمل رجال سونغ مي-لينغ. ولم يجرؤ على فِعل غير ذلك لأنه يمكن أن تكون سونغ مي-لينغ على متن القارب أيضاً. ولا يريد أحدٌ حتماً أن يتجادل معها.

لكنه اتضح أن سونغ مي-لينغ في تايبيه، وهو ما بسّط الأمور بشكل كبير بالقدر الذي يهم قائد حزب الكومنتانغ. سوف يتم اغتصاب جيانغ تشينغ أولاً بأكثر الطرق وحشية، وبعد ذلك، إذا ظلّت على قيد الحياة، ستُطلَق عليها النار.

لم يعترض حراس سونغ مي-لينغ الشخصيين على الجزء المتعلق بالاغتصاب. بل إنهم رأوا الانضمام إلى ذلك بأنفسهم، لكن لا يجب السماح بموت جينانغ تشينغ بالتأكيد. بدلاً من ذلك، ينبغي أخذها إلى سونغ مي-لينغ أو شيانج كاي-تشيك، وأن يُترك لهما أمرُ تقرير مصيرها. هذا موضوع يخص الساسة الكبار، كما أوضح الجنود ذوو الخبرة الدولية بنبرة فوقية لقائد السرية في يبين الذي تعلم في المقاطعة المحلية.

وعد قائد السريّة على مضض بتسليم الجوهرة إليهم بعد ظهر نفس اليوم. وانفض الاجتماع، وقرر الجنود الاحتفال بانتصارهم بفورة من شرب الكحول. إنّهم في طريقهم للحصول على الكثير من المتعة والمرح مع الجوهرة في رحلة العودة!

جرت المفاوضات النهائية على متن القارب النهري الذي جلب ألَنْ والجنود على طول الطريق من البحر. وقد اندهش ألَنْ من أنه فهم معظم ما قيل. فبينما كان الجنود يسلون أنفسهم في مختلف المدن، جلس ألَنْ على سطح القارب مع صبي الخدمة حسن المعشر، آه مينغ، الذي اتضح أن لديه موهبة تربوية كبيرة. وفي غضون شهرين، تمكن آه مينغ من مساعدة ألَنْ على جعل نفسه مفهوماً بشكل جيد جداً عندما يتحدث بالصينية (مع إجادة خاصة للشتائم والألفاظ النابية).

•••

تعلّم ألَنْ، عندما كان طفلاً، أن يشتبه في الناس الذين لا يتناولون المشروب عندما تسنح الفرصة. ولم يكن عمره يزيد على ست سنوات عندما وضع والده يده على كتفه الصغير وقال:

«ينبغي أن تحترس من الكهنة، يا بني، ومن الذين لا يشربون الفودكا. والأسوأ من الجميع هم الكهنة الذين لا يشربون الفودكا.»

وبالعمل بناءً على مشورته الخاصة، لم يكن والد آلَنْ واعياً تماماً بالتأكيد عندما لكَم مسافراً بريئاً في وجهه، وهو ما تم على بسببه طرده فوراً من السكك الحديدية الوطنية. وذلك بدوره جعل والدة آلَنْ تنقل لابنها بعض كلماتها الحكيمة الخاصة:

«حذار من السكارى، يا آلَنْ.» هذا ما ينبغي عمله.

كبر الصبي الصغير وأضاف آراءه الخاصة إلى تلك التي حازها من والديه. واعتقد آلَنْ بأنّ الكهنة والسياسيين سيئون بنفس القدر، ولم يكن يشكل أدنى فارق ما إذا كانوا شيوعيين، فاشيين، رأسماليين، أو أي عقيدة سياسية أخرى. لكنه لم يتفق مع والده على أن الناس الموثوقين لا يشربون عصير الفاكهة. واتفق مع والدته بأن عليك الحرص على التصرف بشكل حسن، حتى لو شربت أكثر قليلاً من القدر الحكيم.

من الناحية العملية، عنى ذلك فقدان آلَنْ الاهتمام بمساعدة سونغ مي–لينغ وجنودها العشرين المخمورين (في الواقع، تبقى تسعة عشر فقط، بما أن واحداً سقط من على القارب وغرق) أثناء رحلة النهر. كما أنه لم يرد أن يكون موجوداً عندما يغتصب الجنود السجينة المحتجزة الآن في عنابر القارب السفلى، بغض النظر عما إذا كانت شيوعية أم لا، وأياً يكن زوجها.

وهكذا، قرر آلَنْ مغادرة السفينة وأخذ السجينة معه. وأبلغ صديقه، صبي الخدمة، بقراره وطلب من آه مينغ بتواضع تزويد هاربي المستقبل ببعض المواد الغذائية لرحلتهم. ووعد آه مينغ بأن يفعل، وإنما بشرط واحد –أن يذهب معهم.

كان ثمانية عشر من الجنود التسعة عشر من حراس سونغ مي–لينغ، إلى جانب طباخ القارب والقبطان، يمتّعون أنفسهم في الخارج في حيّ المتعة في يبيّن. أما الجندي التاسع عشر، الذي سحب أقصر قشة، فقد تخلف وجلس مغضباً أمام الباب المفضي إلى الدرج المؤدي إلى زنزانة سجن جيانغ تشينغ.

جلس آلَنْ مع الحارس واقترح أن يشربا معاً. وقال الحارس إن المسؤولية عُهدت

إليه عمّن قد يكون السجين الأكثر أهمية في البلاد. ولذلك، لن يكون من الصواب أن ينغمس في شرب فودكا الأرز.

«إنني اتفق تماماً معك»، قال ألَنْ. «لكن كأساً واحدة لن تضر، أليس كذلك؟»

«كلا»، قال الحارس، بعد لحظة تأمل. «كأس واحدة لا يمكن أن تضر بالتأكيد.»

وبعد ساعتين، كان كل من ألَنْ والحارس قد أفرغا زجاجة كاملة، بينما يخفق صبي الخدمة آه مينغ ذهاباً وإياباً، جالباً لهم الأطايب من المخزن. وقد ثمل ألَنْ قليلاً أثناء العمل، لكن الحارس سقط نائماً مباشرة على سطح القارب المفتوح.

نظر ألَنْ إلى الجندي الصيني فاقد الوعي عند قدميه.

«لا تحاول أبداً أن تبزَّ سويدياً في الشرب، إلا إذا كنت فنلندياً، أو روسياً على الأقل.»

انزلق خبير القنابل ألَنْ كارلسون؛ وصبي الخدمة، وآه مينغ؛ وزوجة الزعيم الشيوعي الممتنّة إلى الأبد، جيانغ تشينغ، متسللين بعيداً عن الزورق تحت جنح الظلام، وسرعان ما أصبحوا في الجبال حيث كانت جيانغ تشينغ قد أمضت الكثير من الوقت مع قوات زوجها. كان بدو التبت في المنطقة يعرفونها، ولم يواجه الهاربون أي مشكلة في الأكل حتى الشبع، حتى بعد أن نفدت الإمدادات التي حملها آه مينغ. كان لدى أهل التبت سبب وجيه، أو هكذا ظنوا، للبقاء على علاقة ودية مع جيش التحرير الشعبي الصيني. كان من المفترض عموماً أنه في حال كسب الشيوعيون الصراع على الصين، فإن التبت ستحصل فوراً على استقلالها.

اقترحت جيانغ تشينغ أن عليها، هي وألَنْ، وآه مينغ الاتجاه شمالاً على عجل، بالسير في دائرة واسعة حول الأراضي التي يسيطر عليها حزب الكومنتانغ. وبعد أشهر من المشي في الجبال، سيصلون في النهاية إلى شيآن في مقاطعة شنشي –كانت جيانغ تشينغ تعرف أن زوجها سيكون هناك، طالما أنهم لا يستغرقون وقتاً طويلاً في المسير.

سُرّ صبيُّ الخدمة، آه مينغ، بوعد جيانغ تشينغ له بأن يتمكن من خدمة ماو نفسه. وكان الصبي قد أصبح شيوعياً بالسر عندما رأى كيف يتصرف الجنود، ولذلك، ناسبه تغيير التحالفات وتحسين مسيرته المهنية في الوقت ذاته.

مع ذلك، قال ألَنْ إنه متأكد أن النضال الشيوعي سيتدبر أموره ويكون على ما يرام من دونه. ولذلك، يفترض أنه لا بأس بعودته إلى الوطن. في حال وافقت جيانغ تشينغ على ذلك؟

نعم، وافقت. لكن «الوطن» بالتأكيد هو السويد البعيدة بشكل رهيب. كيف سيتدبر السيد كارلسون أموره؟

أجاب ألَنْ بأن القارب أو الطائرة هي الطرق الأكثر عملية، لكن التوزيع البائس لأماكن محيطات العالم يستبعد احتمال التقاط سفينة وسط الصين، كما أنه لم ير أي مطارات هناك في الجبال. وعلى أي حال، ليست لديه أي أموال يمكن الحديث عنها.

«وهكذا، سيكون عليّ أن أمشي»، قال ألَنْ.

كان لرئيس القرية الذي استقبل الهاربين الثلاثة بكرم كبير شقيقٌ سافر أكثر من أي شخص آخر. وقد وصل الشقيق في رحلاته بعيداً حتى لولان باتور في الشمال وكابول في الغرب. وإلى جانب ذلك، كان قد غمس أصابع قدميه في خليج البنغال في رحلة إلى جزر الهند الشرقية، لكنه عاد الآن إلى القرية في الوطن مرة أخرى. وأرسل رئيس القرية في طلبه، وطلب منه أن يرسم خريطة العالم للسيد كارلسون حتى يتمكن من العثور على طريق عودته إلى السويد. ووعد الشقيق بالقيام بذلك، وأنجز المهمة في اليوم التالي.

حتى لو كنتَ مجهّزاً جيداً، سيظلُّ من بالغ الجرأة أن تعبُر جبال الهيمالايا فقط بمساعدة خريطة عالَم منزلية الصنع وبوصلة. في واقع الأمر، كان يمكن لألَنْ أن يمشي إلى الشمال عبر سلسلة جبال وبحر آرال وبحر قزوين، لكن الواقع والخريطة محلية الصنع لم يكونا متطابقين تماماً. وهكذا، ودّع ألَنْ جيانغ تشينغ وآه مينغ وشرع في رحلة تسكعه التي ينبغي أن تمرّ عبر التبت، فوق جبال الهيمالايا، عبر الهند البريطانية، فأفغانستان، إلى إيران، إلى تركيا، وبعد ذلك عبر أوروبا.

بعد شهرين سيراً على الأقدام، اكتشف ألَنْ أنه لا بد أن يكون قد اختار الجانب الخطأ من إحدى السلاسل الجبلية، وأن أفضل طريقة للتعامل مع ذلك هو العودة الى الوراء والبدء من جديد. وبعد أربعة أشهر أخرى (على الجانب الأيمن من السلسلة الجبلية) أدرك ألَنْ أنه يحرز تقدماً بطيئاً نوعاً ما. وفي سوق إحدى القرى جبلية، ساوم بأفضل

ما يستطيع في أسعار الإبل، بمساعدة من لغة الإشارة والصينية التي يعرفها. وأخيراً، وصل ألَنْ وبائع الإبل إلى اتفاق، ولكن ليس حتى اضطر البائع إلى القبول بأن لا يأخذ ألَنْ ابنته معه كجزء من المشتريات.

فكّر ألَنْ في الحقيقة في الجزء الخاص بالابنة. ليس لأسباب جسديّة بحتة، لأنها لم تعد لديه أي من تلك النوازع. لقد تركها وراءه في سطل في غرفة عمليات البروفيسور وندبورغ. كانت بالأحرى رفقة الفتاة هي التي جذبته. يمكن أن تكون الحياة على مرتفعات هضبة التبت مليئة بالوحدة في بعض الأحيان.

ولكن، بما أن الابنة لا تتحدث بشيء آخر غير اللهجة التبتية-البورمية رتيبة الأصوات التي لا يفهمها ألَنْ، فكر بأنه يستطيع التحدث مع الجمل بنفس الطريقة بالقدر الذي يتعلق بالتحفيز الفكري. وإلى جانب ذلك، لا يستطيع المرء استبعاد احتمال أن تكون للابنة بعض التوقعات الجنسية في هذا الترتيب. هناك شيء ما في الطريقة التي نظرت بها إليه، قاد ألَنْ إلى الاعتقاد بأن ذلك هو واقع الحال.

وهكذا، تلا ذلك شهران آخران من الوحدة، بينما يسير متأرجحاً عبر سقف العالم فوق ظهر جمل، قبل أن يصادف ثلاثة غرباء، أيضاً على ظهور الجمال. رحّب ألَنْ بهم باللغات التي يعرفها: الصينية، الإسبانية، الإنجليزية، والسويدية. ولحسن الحظ، نفعت الإنجليزية.

قال ألَنْ لمعارفه الجدد إنه في طريقه إلى دياره في السويد. ونظر الرجال إلى وجهه وقد اتسعت حدقاتهم. هل سيركب جملاً ليقطع كل الطريق إلى شمال أوروبا؟

«مع فاصل صغير بالسفينة عبر أوريسوند»، قال ألَنْ.

لم يعرف الرجال الثلاثة ما هو أوريسوند، وبعد أن تأكدوا ان ألَنْ ليس موالياً للعميل البريطاني-الأميركي، شاه إيران، دعوه إلى مرافقتهم.

قال له الرجال إنهم التقوا في جامعة في طهران حيث كانوا يدرسون اللغة الإنجليزية. وبعد إنهاء دراستهم، قضوا عامين في الصين، يتنفسون نفس الهواء الذي يتنفسه بطلهم الشيوعي، ماو تسي-تونغ، وهم الآن في طريقهم إلى وطنهم، إيران.

«نحن ماركسيون»، قال أحد الرجال. «نخوض نضالنا باسم عمال العالم؛ باسمهم سنشعل ثورة في إيران والعالم كله؛ سوف نبني مجتمعاً يقوم على المساواة الاقتصادية والاجتماعية لجميع الناس: من كلٍ حسب قدرته، ولكلٍ حسب حاجته.»

«أفهم، يا رفيق. هل أجد لديكم بعض الفودكا الفائضة؟»

كان لدى الرجال. وتنقلت الزجاجة من ظهر جمل إلى ظهر آخر، وبدأ ألَنْ يشعر بأن الرحلة تسير سيراً حسناً.

بعد أحد عشر شهراً لاحقاً، كان الرجال الأربعة قد تمكنوا من إنقاذ أرواح بعضهم بعضاً ثلاث مرات على الأقل. ونجوا من الانهيارات الثلجية وقطاع الطرق، والبرد القارس، والفترات المتكررة من الجوع. كان اثنان من الجمال قد ماتا، وذُبح ثالث ليأكلوه، وأُعطِيَ الرابع لضابط الجمارك الأفغانية حتى يُسمح لهم بدخول البلاد بدلاً من إلقاء القبض عليهم.

لم يتصور ألَنْ أبداً أنه سيكون من السهل عبور جبال الهيمالايا. لكنه أدرك في وقت لاحق فقط كم كان محظوظاً ليلتقي بهؤلاء الشيوعيين الإيرانيين الطيبين. لم يكن الأمر سيكون لطيفاً لو أنه تصارع وحده مع العواصف الرملية في الأودية، وفيضانات الأنهار أو الحرارة الأقل من أربعين درجة فهرنهايت في الجبال –حتى لو تمكن من التعايش مع البرد القارس من تلقاء نفسه بفعل خبرته الطويلة مع فصول الشتاء السويدية.

كانت الجماعة قد أقامت معسكراً على ارتفاع أدنى قليلاً من ٧,٠٠٠ قدم في انتظار انتهاء شتاء ١٩٤٦–١٩٤٧. وهناك، حاول الشيوعيون الثلاثة اجتذاب ألَنْ لينضمّ إلى نضالهم، خاصة بعد أن اكتشفوا موهبته في العمل مع الديناميت. وقد تمنّى ألَنْ لهم حظاً سعيداً، لكنه قال إنه يريد العودة إلى الوطن في السويد للعناية بمنزله في يزهولت. (نسي ألَنْ للحظات أنه نسف منزله إلى شذرات قبل ثمانية عشر عاماً).

في النهاية، كفّ الرجال عن محاولاتهم إقناع ألَنْ بصواب قضيتهم، واكتفوا بكونه رفيقاً جيداً، وشخصاً لم يكن يشكو من أي قدر من الثلج. وقد تحسّن موقف ألَنْ أكثر عندما قال، حين كانت المجموعة تنتظر تحسن الأحوال الجوية، إنه تمكن من معرفة كيفية عمل الكحول من حليب الماعز. ولم يستطع الشيوعيون معرفة كيف استطاع ذلك،

لكن النتيجة كانت قوية بالتأكيد، وجعلت كل شيء أكثر دفئاً إلى حد ما، وأقل ضجراً.

في ربيع العام ١٩٤٧، استطاعوا الوصول أخيراً إلى الجانب الجنوبي من أعلى سلسلة جبلية في العالم. وكلما أصبحوا أقرب إلى الحدود الإيرانية، كلما أصبح الشيوعيون أكثر توقاً للحديث عن مستقبل إيران. حان الوقت الآن لطرد الأجانب من البلاد مرة واحدة وإلى الأبد. لقد دعم البريطانيون الشاه الفاسد لسنوات وسنوات، وكان ذلك سيئاً بما فيه الكفاية. لكنّ الشاه عندما تعب أخيراً من كونه صنيعتهم وشرع في الاحتجاج، قام البريطانيون ببساطة بإسقاطه عن عرشه ووضعوا ابنه هناك بدلاً عنه. وذكّر ذلك ألنْ بعلاقة سونغ مي-لينغ وتشيانغ كاي-تشيك، واستنتج أن العلاقات الأسرية يمكن أن تكون غريبة في هذا العالم الكبير الواسع.

كانت رشوة الابن أسهل من الرشوة من الأب بكل وضوح، وقد سيطر البريطانيون والأميركيون الآن على النفط الإيراني. وباستلهام ماو تسي-تونغ، صمّم هؤلاء الشيوعيون الإيرانيون على وضع حد لذلك. لكن المشكلة هي أن بعض الشيوعيين الإيرانيين الآخرين مالوا أكثر نحو النسخة الشيوعية التي تُمارس في اتحاد ستالين السوفياتي، وكانت هناك غيرهم من العناصر الثورية المزعجة التي تخلط الدين في كل شيء.

«مشوّق»، قال ألنْ وهو يعني العكس.

وأجابوا بخطاب ماركسي طويل لتأكيد أن الوضع أكثر من مشوق. إن الثلاثة، باختصار، سينتصرون أو يموتون!

وفي اليوم التالي بالضبط، تبين أن هذا الخيار الأخير سيكون واقع الحال. لأنه بمجرد أن وضع الأصدقاء الأربعة أقدامهم على الأرض الإيرانية، قبضَ عليهم حرس الحدود. وللأسف، كان مع كل واحد من الشيوعيين الثلاثة نسخة من البيان الشيوعي (باللغة الفارسية!)، وهو ما تسبب بإطلاق النار عليهم على الفور. ونجا ألنْ لأنه لم يكن يحمل أدبيّات معه. وإلى جانب ذلك، بدا أجنبياً وتطلب الأمر إجراء مزيد من التحقيقات بشأنه.

بفوهة بندقية في ظهره، خلع ألنْ قبعته وشكر الشيوعيين المقتولين الثلاثة على

رفقتهم عبر جبال الهيمالايا. ولم يستطع في الحقيقة استيعاب الطريقة التي مات بها الناس الذين صادفهم مباشرة أمام عينيه.

لم يتمنّ لألَنْ الوقت لقضاء فترة أطول من الحداد. قُيدت يداه خلف ظهره وأُلقي به في صندوق شاحنة. وبينما كان مدفوناً في بطانية طلب باللغة الإنجليزية أخذه إلى السفارة السويدية في طهران، أو إلى السفارة الأميركية في حال لم يكن للسويد أي تمثيل دبلوماسي في المدينة.

«خافي شو!» جاءه الجواب بلهجة مهدِّدة.

لم يفهم ألَنْ معنى الكلمات، لكنه فهم المشاعر. ربما لا ضرر في إبقائه فمه مغلقاً لفترة من الوقت.

على الجانب الآخر من الكوكب، في واشنطن العاصمة، كان الرئيس هاري ترومان يعاني من مشاكله الخاصة. لقد بات موسم الانتخابات وشيكاً، ومن المهم بالنسبة له أن يجعل سياساته واضحة. وعنى ذلك اتخاذ قرار حول ما ستكون عليه هذه السياسات. كان السؤال الاستراتيجي الأكبر هو مدى استعداده لدعم الزنوج في الجنوب. يجب عليك المحافظة على التوازن الدقيق بين أن تبدو عصرياً وبين أن لا تبدو ليّن العريكة كثيراً. هذه هي الطريقة التي تحتفظ بها بدعمك في استطلاعات الرأي.

وعلى الساحة العالمية، كان لديه ستالين للتعامل معه. وهناك، مع ذلك، لم يكن مستعداً لتقديم تنازلات. لقد تمكّن ستالين من سحر عدد غير قليل من الناس، ولكن ليس هاري ترومان.

في ضوء كل هذه الأشياء، أصبحت الصين الآن تاريخاً. لقد ضخ ستالين المساعدات لماو تسي –تونغ، ولم يستطع ترومان الامتناع عن تقديم الشيء نفسه لذلك الهاوي تشيانغ كاي–تشيك. وحصلت سونغماي–لينغ حتى الآن على ما أرادته، لكن ذلك ينبغي أن ينتهي الآن. وتساءل عما حدث لألَنْ كارلسون. رجل لطيف جداً.

عانى تشيانغ كاي–تشيك المزيد والمزيد من الهزائم العسكرية. وفشل مشروع

سونغ مي-لينغ لأن خبير المتفجرات الذي خُصص لها اختفى، وأخذ زوجة المهرج معه. وطلبت سونغ مي-لينغ مرة تلو المرة عقد اجتماع مع الرئيس ترومان، على أمل أن تتمكن من خنقه بيديها العاريتين بسبب إرساله أَلَنْ كارلسون إليها، لكنه لم يكن لدى ترومان الوقت لاستقبالها أبداً. وبدلاً من ذلك، أدارت الولايات المتحدة ظهرها لحزب الكومنتانغ؛ ففي الصين، عمل الفساد، والتضخم، والمجاعة جميعاً في صالح ماو تسي-تونغ. وفي النهاية، أُجبِرَ تشيانغ كاي-تشيك، وسونغ مي-لينغ، ومرؤوسوهم على الفرار إلى تايوان. وأصبح البر الرئيسي للصين صيناً شيوعية.

اثنا عشر
الاثنين، ٩ مايو، ٢٠٠٥

أدرك الأصدقاء في مزرعة البحيرة أن الوقت قد حان ليستقلوا حافلتهم ويغادروا إلى الأبد. لكن لديهم أولاً بعض الأشياء التي يجب الانتهاء منها.

ارتدت الجميلة معطفاً واقياً من المطر مع غطاء للرأس وقفازات مطاطية، ومدت خرطوم الماء لشطف بقايا البلطجي الذي جلست سونيا عليه توّاً حتى الموت. لكنها قامت أولاً بسحب المسدس من يد القتيل اليمنى ووضعته بعناية على الشرفة (حيث نسيته في وقت لاحق)، بحيث كانت الماسورة مصوبة إلى جذع شجرة تنوب سميك على بعد أربعة أمتار. إنك لا تعرف أبداً متى يمكن أن تنطلق مثل هذه الأشياء.

عندما تم تنظيف السطل من براز سونيا، وُضِع تحت المقعد الخلفي لسيارته الفورد موستانغ. في العادة، لم يكن المكان يسعه هناك، لكنه أصبح الآن مهروساً ومستوياً تماماً. ثم ركب يوليوس خلف عجلة القيادة في سيارة البلطجي، وانطلق بينما يتبعه بيني مباشرة على الأعقاب في سيارة الجميلة الباسات. وكانت الفكرة هي البحث عن مكان مهجور على مسافة آمنة من مزرعة البحيرة، ثم صب البنزين على سيارة البلطجي وإضرام النار فيها، تماماً كما يفعل رجال العصابات الحقيقيون.

لكن ذلك تطلب وجود علبة وبنزيناً. ولذلك، توقف يوليوس وبيني في محطة للوقود في براوس، ودخل بيني لفعل ما يلزم، ويوليوس لشراء شيء لذيذ يتسلى بمضغه.

شكل وجود سيارة فورد موستانج جديدة بثماني صمامات وبقوة تزيد على ٣٠٠ حصان أمام محطة للبنزين في براوس أمراً لا يقل إثارة عن وجود طائرة بوينغ ٧٤٧

في شارع وسط مدينة ستوكهولم. ولم يستغرق الأمر أكثر من ثانية حتى يغتنم شقيق السطل الصغير وأحد زملائه في عصابة «العنف» الفرصة. قفز الأخ الصغير إلى الموستانغ في حين أبقى زميله عينه على الرجل الذي يفترض أنه المالك، والذي كان ينظر إلى الحلوى في متجر محطة البنزين. يا لها من لُقية! ويا له من أحمق! حتى أنه ترك المفاتيح في المشغِّل.

عندما خرج بيني ويوليوس ثانية –الأول يحمل علبة بنزين مشتراة حديثة، والآخر يضع صحيفة تحت ذراعه وفمه محشوّ بالحلوى– كانت الموستانغ قد اختفت.

«ألم أركن الموستانغ هنا؟» سأل يوليوس.

«نعم، فعلتَ»، قال بيني.

«هل لدينا مشكلة الآن؟» سأل يوليوس.

«نعم لدينا»، قال بيني.

ثم استقلا الباصات عائدين إلى مزرعة البحيرة.

***

كانت الموستانغ سوداء اللون، مع خطَّين أصفرين زاهيين يمتدان على طول السقف. كانت قطعة فنية رائعة بحيث سيحصل شقيق السطل الصغير ورفاقه على نقود جيدة مقابلها. كان هذا السطو عملية عرَضية بقدر ما كانت سهلة. وبعد أقل من خمس دقائق من الاستيلاء غير المخطط له مُسبقاً، كانت السيارة قد أصبحت بسلام إلى مرآب سيارات عصابة «العنف.»

في اليوم التالي، غيروا لوحات التسجيل قبل أن يأمر الأخ الصغير أحد أتباعه بأخذ السيارة إلى شركائهم في العمل في ريغا. باستخدام لوحات تسجيل ووثائق مزورة، سوف يرتب اللاتفيُّون بيع السيارة باعتبارها مستوردة خصيصاً لأحد الأشخاص في عصابة «العنف»، وبطريقة سحرية، ستصبح سيارة مسروقة سيارة قانونية.

لكن الأمور لم تسر هذه المرة كما هو مخطط لها، لأن السيارة القادمة من السويديين

بدأت تنثُ رائحة كريهة بينما تقف في المرآب في زيبينيكالنز في ضواحي ريغا الجنوبية. وبحث رئيس المرآب عن السبب وعثر على جثة تحت المقعد الخلفي. حول الهواء أرجوانياً بشتائمه، وفصل لوحات التسجيل وأي شيء آخر يمكن أن يقدم أدنى فكرة عن المكان الذي جاءت منه للسيارة. ثم شرع في سلخ وخدش هيكل السيارة اللعينة التي كانت ذات مرة موستانغ رائعة، ولم يتوقف حتى بدت السيارة مثل واحدة مشطوبة. ثم خرج ووجد رجلاً سكيراً، وأقنعه مقابل أربع زجاجات من النبيذ بقيادة الحطام إلى ساحة الخردة من أجل سحقها –الجثة وكل شيء.

***

كان الأصدقاء في مزرعة البحيرة مستعدين للرحيل. وقد ساورهم القلق بعض الشيء من سرقة للموستانغ مع الجثة بطبيعة الحال، لكن ألَنْ أوضح عندئذ إلى أن ما حصل قد حصل، وأن ما سيكون سيكون. وإلى جانب ذلك، هناك في رأي ألَنْ سبب وجيه للأمل بأن لصوص السيارات لن يتصلوا بالشرطة. إنّ لصوص السيارات عموماً يميلون للإبقاء على مسافة معينة من الشرطة.

أصبحت الساعة الآن تشير إلى السادسة مساءً، وينبغي أن يمضوا في طريقهم قبل أن يحل الظلام، لأن الحافلة كبيرة والطريق في الجزء الأول من الرحلة ضيقة ومتعرجة.

وقفت سونيا في إسطبلها ذي العجلات. وتمت إزالة جميع آثار الفيلة وإبعادها بعيداً عن المزرعة والحظيرة بعناية. وتُركت الباسات ومرسيدس بيني القديمة؛ لم تكونا قد شاركتا في أي نشاط غير قانوني، وإلى جانب ذلك، أي شيء آخر يمكن أن يفعلوه بهما؟

انطلقت الحافلة في طريقها. وأرادت الجميلة في البداية أن تتولى القيادة بنفسها، فهي تعرف جيداً قيادة الحافلات الكبيرة بعد كل شيء. لكنه تبين بعد ذلك أن بيني شبه سائق شاحنة أيضاً، وكانت كل فئة ممكنة مدرجة في رخصة قيادته، ولذلك كان من الأفضل أن يجلس هو وراء عجلة القيادة. لم يكن هناك أي سبب ليتصرفوا بطريقة غير قانونية أكثر مما فعلوه مُسبقاً.

عندما وصل إلى صندوق البريد، انعطف بيني إلى اليسار. ووفقاً للجميلة، فسيقودهم السير على طول الطرق الحصوية المتلوية في نهاية المطاف إلى أوبي، ومن ثم إلى الطريق السريع. وسوف يستغرق الأمر ما يزيد قليلا على نصف ساعة للوصول إلى هناك، لذلك يستطيعون في الأثناء مناقشة المسألة غير قليلة الأهمية: أين هم ذاهبون فعلياً.

***

قبل أربع ساعات، كان «الرئيس» يجلس نافد الصبر في انتظار الرجل الوحيد من رجاله الذي لم يختف بعد. بمجرد أن يعود كاراكاس من مأموريته، وأياً كان الأمر، فسينطلق هو والرئيس إلى الجنوب –ولكن ليس على دراجتيهما وليس في الزي الرسمي. الآن حان الوقت ليتوخوا الحذر.

كان الرئيس قد شرع مُسبقاً بالشك في استراتيجيته السابقة المتعلقة بوضع شعار «ليس ثانية أبداً» على سترات النادي. في البداية، كانت الفكرة هي خلق شعور بالهوية والزمالة في المجموعة، وجعل الغرباء يحترمونهم. لكن المجموعة أولاً أصغر بكثير مما تصوره الرئيس ذات مرة. وبالإبقاء على رباعي يتألف من البرغي، والمسطل، وكاراكاس، وهو نفسه معاً، فإنه يمكنه الاستغناء عن السترات. وقد عنت مسحة من اللاشرعية في أنشطتهم أن سترة النادي، كعلامة، أصبحت تأتي بنتائج عكسية. وكانت الأوامر التي صدرت للبرغي لتولي هذه الصفقة الأخيرة في مالمكوبينغ متناقضة إلى حد ما في هذا الصدد: من جهة، عليه أن يسافر إلى هناك بتكتم مستخدماً وسائل النقل العام. ومن جهة أخرى، عليه ارتداء سترة النادي مع رمز «ليس ثانية أبداً» على ظهره حتى يراه الروسي الذي سيتعامل معه.

الآن، أصبح البرغي هارباً... أو مهما يكن ما حدث. وهناك على ظهره شاخصة تقول، بشكل أو بآخر: «لديك أي سؤال، اتصل بالرئيس.»

اللعنة على هذا! فكّر الرئيس. عندما تنتهي هذه الفوضى، سوف يقوم بإحراق جميع السترات. ولكن أين هو كاراكاس بحق الجحيم؟ لقد حان موعد مغادرتهم المقرر الآن!

بدأت تنتُ رائحة كريهة بينما تقف في المرآب في زيبينيكالنز في ضواحي ريغا الجنوبية. وبحث رئيس المرآب عن السبب وعثر على جثة تحت المقعد الخلفي. حول الهواء أرجوانياً بشتائمه، وفصل لوحات التسجيل وأي شيء آخر يمكن أن يقدم أدنى فكرة عن المكان الذي جاءت منه السيارة. ثم شرع في سلخ وخدش هيكل السيارة اللعينة التي كانت ذات مرة موستانغ رائعة، ولم يتوقف حتى بدت السيارة مثل واحدة مشطوبة. ثم خرج ووجد رجلاً سكيراً، وأقنعه مقابل أربع زجاجات من النبيذ بقيادة الحطام إلى ساحة الخردة من أجل سحقها –الجثة وكل شيء.

***

كان الأصدقاء في مزرعة البحيرة مستعدين للرحيل. وقد ساورهم القلق بعض الشيء من سرقة الموستانغ مع الجثة بطبيعة الحال، لكن الآنَ لوضح عندئذ إلى أن ما حصل قد حصل، وأن ما سيكون سيكون. وإلى جانب ذلك، هناك في رأي الآنَ سبب وجيه للأمل بأن لصوص السيارات لن يتصلوا بالشرطة. إنّ لصوص السيارات عموماً يميلون للإبقاء على مسافة معينة من الشرطة.

أصبحت الساعة الآن تشير إلى السادسة مساءً، وينبغي أن يمضوا في طريقهم قبل أن يحل الظلام، لأن الحافلة كبيرة والطريق في الجزء الأول من الرحلة ضيقة ومتعرجة.

وقفت سونيا في إسطبلها ذي العجلات. وتمت إزالة جميع آثار الفيلة وإبعادها بعيداً عن المزرعة والحظيرة بعناية. وتُركت الباسات ومرسيدس بيني القديمة؛ لم تكونا قد شاركتا في أي نشاط غير قانوني، وإلى جانب ذلك، أي شيء آخر يمكن أن يفعلوه بهما؟

انطلقت الحافلة في طريقها. وأرادت الجميلة في البداية أن تتولي القيادة بنفسها، فهي تعرف جيداً قيادة الحافلات الكبيرة بعد كل شيء. لكنه تبين بعد ذلك أن بيني شبه سائق شاحنة أيضاً، وكانت كل فئة ممكنة مدرجة في رخصة قيادته، ولذلك كان من الأفضل أن يجلس هو وراء عجلة القيادة. لم يكن هناك أي سبب ليتصرفوا بطريقة غير قانونية أكثر مما فعلوه مُسبقاً.

عندما وصل إلى صندوق البريد، انعطف بيني إلى اليسار. ووفقاً للجميلة، فسيقودهم السير على طول الطرق الحصوية الملتوية في نهاية المطاف إلى أوبي، ومن ثم إلى الطريق السريع. وسوف يستغرق الأمر ما يزيد قليلا على نصف ساعة للوصول إلى هناك، لذلك يستطيعون في الأثناء مناقشة المسألة غير قليلة الأهمية: أين هم ذاهبون فعلياً.

***

قبل أربع ساعات، كان «الرئيس» يجلس نافد الصبر في انتظار الرجل الوحيد من رجاله الذي لم يختف بعد. بمجرد أن يعود كاراكاس من مأموريته، وأياً كان الأمر، فسينطلق هو والرئيس إلى الجنوب-ولكن ليس على دراجتيهما وليس في الزي الرسمي. الآن حان الوقت ليتوخوا الحذر.

كان الرئيس قد شرع مُسبقاً بالشك في استراتيجيته السابقة المتعلقة بوضع شعار «ليس ثانية أبداً» على سترات النادي. في البداية، كانت الفكرة هي خلق شعور بالهوية والزمالة في المجموعة، وجعل الغرباء يحترمونهم. لكن المجموعة أولاً أصغر بكثير مما تصوره الرئيس ذات مرة. وبالإبقاء على رباعي يتألف من البرغي، والسطل، وكاراكاس، وهو نفسه معاً، فإنه يمكنه الاستغناء عن السترات. وقد عنت مسحة من اللاشرعية في أنشطتهم أن سترة النادي، كعلامة، أصبحت تأتي بنتائج عكسية. وكانت الأوامر التي صدرت للبرغي لتولي هذه الصفقة الأخيرة في مالمكوبينغ متناقضة إلى حد ما في هذا الصدد: من جهة، عليه أن يسافر إلى هناك بتكتم مستخدماً وسائل النقل العام. ومن جهة أخرى، عليه ارتداء سترة النادي مع رمز «ليس ثانية أبداً» على ظهره حتى يراه الروسي الذي سيتعامل معه.

الآن، أصبح البرغي هارباً... أو مهما يكن ما حدث. وهناك على ظهره شاخصة تقول، بشكل أو بآخر: «لديك أي سؤال، اتصل بالرئيس.»

اللعنة على هذا! فكّر الرئيس. عندما تنتهي هذه الفوضى، سوف يقوم بإحراق جميع السترات. ولكن أين هو كاراكاس بحق الجحيم؟ لقد حان موعد مغادرتهم المقرر الآن!

ظهر كاراكاس بعد ثماني دقائق وشرح سبب التأخير بأنه كان في محل «سفن إليفن» واشترى بطيخة من هناك.

«لذيذة وتطفئ العطش»، أوضح كاراكاس.

«لطيفة وتطفئ العطش؟ نصف المنظمة اختفى مع خمسين مليون كرونة، وأنت تذهب لشراء الفاكهة؟»

«ليست فاكهة، إنها خضراوات»، قال كاراكاس. «ضمن نفس العائلة مثل الخيار، في الواقع.»

وفعل ذلك كل شيء للرئيس، الذي التقط البطيخة وكسرها على رأس كاراكاس. وهو ما جعل كاراكاس بعدها يشرع في البكاء وقال إنه لم يعد يريد البقاء في النادي بعد الآن. إنه لم ينل شيئاً سوى القرف من الرئيس، منذ اختفى البرغي أولاً ثم السطل، تماماً كما لو أنه هو، كاراكاس، كان وراء ذلك. كلا، سيكون على الرئيس أن يتدبر أمره بأفضل ما يستطيع؛ سوف يتصل كاراكاس بالهاتف ويطلب سيارة أجرة، ويتخذ طريقه إلى المطار، ويطير كل المسافة إلى بيت أسرته في... كاراكاس. هناك، سوف يتمكن على الأقل من استعادة اسمه الحقيقي مرة أخرى.

«إيفيتي آ لا ميردا!» نبح كاراكاس، وهرع خارجاً من الباب.

تنهد الرئيس. كل شيء يصبح أكثر فوضى. أولاً، اختفى البرغي، وترتب على الرئيس أن يعترف لاحقاً بأنه ما كان يجب أن يصب غضبه كله على السطل وكاراكاس. ثم اختفى السطل، وترتب على الرئيس أن يعترف لاحقاً بأنه ما كان ينبغي أن يصب غضبه على رأس كاراكاس. ثم، اختفى كاراكاس –ليشتري بطيخة. وأصبح على الرئيس أن يعترف الآن بأنه... ما كان يجب أبداً أن يضربه على رأسه بالبطيخة.

والآن، أصبح الرئيس وحيداً في رحلة المطاردة... حسناً، إنه لا يعرف حتى ما يطارده. هل يعثر على البرغي؟ ولكن، أيكون البرغي قد «قرص» الحقيبة؟ هل يمكن أن يكون غبياً إلى هذا الحد؟ وماذا حدث للسطل؟

كان الرئيس يقود سيارة تعكس مكانته في المجتمع، آخر موديل من طراز BMW

X٥. وكان يقودها بسرعة فائقة معظم الوقت. وقد صرف رجال الشرطة في السيارة التي تتعقبه بلا علامات وقتهم في إحصاء عدد المخالفات المرورية التي ارتكبها أثناء الرحلة من ستوكهولم إلى سمولاند، واتفقوا بعد ٢٠٠ ميل على أن الرجل وراء عجلة القيادة في «البي أم دبليو» أمامهم ينبغي تجريده من رخصة القيادة للأربعمائة سنة القادمة إذا ذهب كل شيء قام به حتى الآن خلال الرحلة إلى المحكمة، وهو ما لم يكن سيحدث أبداً.

وحتى لو كان ذلك صحيحاً، فقد أخذتهم الرحلة إلى ما بعد أوسيدا حيث اعترض كبير المفتشين أرونسون زملاءه من ستوكهولم، وشكرهم على مساعدتهم، وأبلغهم بأنه سيتولى أمر المراقبة بنفسه.

بمساعدة من نظام الملاحة وتحديد المواقع في البي أم دبليو، لم يجد الرئيس أي صعوبة في السير كل الطريق إلى مزرعة البحيرة. لكنه كلما اقترب أكثر، كلما أصبحت سياقته أقل صبراً. وقد ازدادت سرعاته غير القانونية أصلاً بحيث واجه كبير المفتشين أرونسون المتاعب وهو يحاول مجاراته. وكان عليه الإبقاء على مسافة معينة بحيث لا يلاحظ غونار «الرئيس» غيردن أنه مراقب، لكن أرونسون شرع الآن في فقدان طريدته. وقد استطاع في مقاطع الطريق المستقيمة فقط أن يلمح البي أم دبليو، حتى... لم يعد يراها بعد الآن!

أين ذهب غيردن؟ لا بد أنه انعطف بالتأكيد في مكان ما، أو...؟ أبطأ أرونسون سرعته. وشعر بالعرق يتصبب على جبهته. ليس هذا بالتأكيد ما يفترض أن يحدث. كان هناك طريق وعر إلى اليسار. ربما تكون البي أم دبليو قد سلكت هذا الطريق، لم أنها واصلت إلى الأمام مباشرة ثم ذهبت إلى.... روتني، أليس ذلك هو اسم المكان؟ إلا إذا كان غيردن قد انعطف قبل ذلك؟

لا بد أن يكون ذلك هو الذي حدث. استدار أرونسون ثم انعطف إلى الطريق الجانبي حيث اعتقد بأن غيردن قد ذهب.

***

ضغط «الرئيس» على المكابح لإبطاء السرعة من ١٨٠ ميلاً إلى ٢٠، وسرعان ما اتخذ طريقه على الطريق الوعر الذي أشار إليه جهاز الملاحة في السيارة. الآن، لم يتبقّ سوى ميل أو نحو ذلك ليصل وجهته.

على بعد مائتي ياردة من صندوق البريد على الطريق إلى مزرعة البحيرة، اتخذ الطريق منعطفاً أخيراً، وحول المنعطف رأى «الرئيس» نهاية مؤخرة حافلة ناورت لتوّها للخروج من المخرج الذي كان الرئيس متجهاً إليه. ماذا يفعل الآن؟ مَن يوجد في الحافلة؟ هل ما يزال هناك أحد باقياً في مزرعة البحيرة؟

قرر «الرئيس» أن يترك الحافلة تذهب في طريقها. وانعطف في مسار متعرج، قاده إلى منزل مزرعة، وحظيرة، وسقيفة على جانب البحيرة لا بدّ أنها شهدت في الماضي أياماً أفضل. ولكن لا سطل. لا برغي. لا رجل عجوز. لا كهلة حمراء الشعر. وبالتأكيد ليس أي حقيبة رمادية بعجلات.

أخذ الرئيس دقيقة أخرى لتفقد المكان. من الواضح أنه خال من الناس، لكن هناك سيارتان مخبأتان وراء الحظيرة: فولكس فاجن باسات حمراء، ومرسيدس فضية.

«المكان الصحيح، هذا أكيد»، قال الرئيس. «وإنما بتأخير بضع دقائق.»

وهكذا قرر اللحاق بالحافلة. لا ينبغي أن يكون ذلك صعباً؛ لقد انطلقت فقط قبل ثلاث أو أربع دقائق على الطريق الوعر المتعرج. وضغط الرئيس بقدمه على دواسة البنزين واختفى في سحابة من الغبار. ولم تهمه البتّة حقيقة أن سيارة فولفو زرقاء كانت تقترب من الاتجاه الذي قد أتى منه أصلاً.

في البداية، سُرّ كبير المفتشين أرونسون باستعادته الاتصال البصري مع غيردن، لكن حماسه للمطاردة تضاءل بالنظر إلى سرعة غيردن. لم تكن هناك أي طريقة يستطيع بها الاستمرار. قد يكون من الأفضل أن يذهب لإلقاء نظرة على المكان؟ كان غونيلا بيوركلُند هو الاسم المكتوب على صندوق البريد.

«لن أتفاجأ إذا كنت حمراء الشعر، يا غونيلا»، قال كبير المفتشين أرونسون.

وهكذا، كانت هذه هي الطريقة التي وصلت بها فولفو أرونسون إلى نفس فناء المزرعة كما فعلت فورد موستانغ هنريك «السطل» هولتِن قبل تسع ساعات مضت، والذي وصلته سيارة غونار «الرئيس» غيردن البي أم دبليو قبل بعض دقائق.

استطاع كبير المفتشين أرونسون أن يرى، تماماً كما فعل الرئيس قبله، أن مزرعة البحيرة مهجورة. لكنه كرس وقتاً أكثر قليلاً مما خصصه الرئيس للبحث عن قطع الأحجية المختلفة. ووجد واحدة في شكل صحيفة صادرة في ذلك اليوم نفسه في المطبخ، وبعض الخضر الطازجة في الثلاجة. وإذن، فإنهم لم يفضّوا المعسكر حتى وقت سابق من اليوم نفسه. وكان جزء آخر من قطع الأحجية طبعاً هو المرسيدس والباسات وراء الحظيرة. وقالت إحدى السيارتين الكثير لأرُونسون، ورجّح أن الأخرى تعود إلى غونيلا بيوركلُند.

ثمة قرينتان أخريان كانتا تنتظران كبير المفتشين أرونسون ليكتشفهما. أولاً، وجد مسدساً ملقى على حافة الأرضية الخشبية لشرفة بيت المزرعة. ماذا يفعل هناك؟ وبصمات أصابع مَن عليه؟ رجّح أرونسون أنه للسطل هولتِن، ووضع المسدس بعناية في كيس من البلاستيك.

وكان الاكتشاف الآخر في صندوق البريد بينما أرونسون يغادر. في بريد اليوم، هناك خطاب رسمي وارد من هيئة ترخيص المركبات، والذي أكّد أن حافلة سكانيا K١١٣ صفراء من صناعة العام ١٩٩٢ قد غيرت أصحابها.

«وإذن، أنتم تتنقلون في حافلة»؟ قال كبير المفتشين لنفسه.

***

شقت الحافلة الصفراء طريقها ببطء خلال الغابات. ولم تستغرق البي أم دبليو وقتاً طويلاً لتلحق بها. لكن الرئيس لم يستطع أن يفعل على الطريق الضيق أكثر من مجرد البقاء خلفها ومحاولة تخمين من يكون في الحافلة، وعما إذا كانوا ينقلون معهم حقيبة رمادية بعجلات.

بينما يرتحلون بهناءة، غير عارفين بالخطر الذي يسير على بعد خمسة أمتار خلفهم، ناقش الأصدقاء في الحافلة الوضع كما تطوّر، وخلصوا بسرعة إلى أن الأمور سوف تهدأ بالتأكيد إذا استطاعوا العثور على مكان للاختباء فيه بضعة أسابيع. كانت تلك نيتهم في مزرعة البحيرة، بالطبع، ولكن هذه الفكرة الجيدة أصبحت فجأة سيئة بشكل رهيب بعد أن استقبلوا ذلك الزائر غير المتوقع وجلست سونيا عليه.

كانت المشكلة الآن هي أن لدى آلَنْ، يوليوس، وبيني، والجميلة شيء واحد مشترك: غياب شبه تام للأقارب والأصدقاء. كيف سيجدون شخصاً يمكن أن يؤوي حافلة صفراء وأربعة أشخاص، وكلباً، وفيلة؟

فسّر آلَنْ افتقاره للأقارب والأصدقاء بحقيقة أن عمره مائة سنة، وأنهم ماتوا لسبب أو لآخر، وأنهم سيكونون الآن ميتين على أي حال لأسباب تتعلق بالعمر. ثمة قلة من الناس المحظوظين بما يكفي للنجاة من كل شيء، سنة بعد سنة.

وقال يوليوس إن تخصصه كان صناعة الأعداء، وليس الأصدقاء. وقال إنه يود تعميق صداقته مع آلَنْ، وبيني، والجميلة، لكن هذا ليس الزمان أو المكان المناسبين.

واعترفت الجميلة بأنها ظلت غير اجتماعية للغاية خلال السنوات التي أعقبت طلاقها، ولذلك لم يعد لها أحدٌ أيضاً للاتصال به وطلب المساعدة.

وترك ذلك بيني. إن لديه شقيقاً، أليس كذلك؟ الشقيق الأكثر غضباً في العالم.

تساءل يوليوس عما إذا كان يمكن رشوة الأخ، وعندئذ أضاء وجه بيني. لديهم تلك الملايين في الحقيبة! قد لا يتمكنون من رشوته، لأنّ بوسّي كان شخصاً فخوراً أكثر من كونه جشعاً. لكنهم أصبحوا يخوضون الآن في علم دلالات الألفاظ. ووجد بيني الحل. سوف يقول لشقيقه إنه يريد أن يفعل الشيء الصحيح بعد كل هذه السنوات.

بعد أن تفتق ذهنه عن ذلك، اتصل بيني هاتفياً بشقيقه ولم يستطع أن يقول أكثر من التعريف بنفسه قبل أن يُقال له إنّ بوسّي ذخّر بندقية رشّ، ولأنّ شقيقه الصغير موضع ترحيب للزيارة إذا أراد الحصول على حمل من طلقات بندقية الرشّ في مؤخرته.

قال بيني إن مثل هذا المصير ليس هو الشيء الذي يرغبه، ولكنه -مع بعض الأصدقاء- يعتزم زيارته على أي حال، لأنه يرغب في تسوية معاملاتهما المالية.

هناك، كما يمكن القول، خلاف معين بين الأخوين على مال العم فراسّي.

ردّ بوسّي بأن على شقيقه التوقف عن التعبير عن نفسه بمثل هذه الطريقة المعقدة اللعينة. ثم ذهب مباشرة إلى جوهر الموضوع:

«كم من المال تحمل معك؟»

«ماذا عن ثلاثة ملايين؟» سأل بيني.

لم يقل بوسّي شيئاً لبضع لحظات. كان يفكر في الوضع كله. كان يعرف شقيقه جيداً بما يكفي ليكون على يقين من أن بيني لن يتصل ويمزح في شيء من هذا القبيل.

إن أخي الصغير غنيّ بشكل فاحش! ثلاثة ملايين! رائع بالمطلق! لكن... ربما يكون لديه حتى أكثر من ذلك؟

«ماذا عن أربعة ملايين؟» حاول بوسّي.

لكن بيني كان قد قرر مرة وللأبد أن لن يسمح لأخيه الأكبر بأن يتغلب عليه مرة أخرى، ولذلك قال:

«يمكننا بالطبع الإقامة في الفندق بدلاً من ذلك، إذا كنت تعتقد أننا نسبب أيّ مشكلة.»

قال بوسّي أن شقيقه الصغير لم يكن مشكلة في أي وقت. إنّ بيني وأصدقاءه على الرحب والسعة، وإذا أراد بيني تسوية الخلافات القديمة بثلاثة ملايين –أو حتى بثلاثة ونصف إذا أراد ذلك– فإنّ ذلك سيكون مجرد إضافة.

أعطى بوسي وصف الطريق إلى منزله لبيني، واعتقد بأن الأمر سيستغرقهم بضع ساعات للوصول إلى هناك.

بدا أن كل شيء يتجه نحو الأفضل. والآن، أصبحت الطريق على وشك أن تصبح واسعة ومستقيمة في آن واحد.

وكان هذا بالضبط ما يحتاجه «الرئيس» أيضاً، طريقاً أوسع وأكثر استقامة. طوال عشر دقائق، ظلّ عالقا وراء الحافلة بينما البي أم دبليو تخبره بأنه لم يتزود بالبنزين منذ ستوكهولم، ولكن متى تسنّى له الوقت؟

كان الكابوس الذي يخشاه هو أن ينفد منه البنزين هناك وسط الغابة، وأن يعجز عن

للقيام بأي شيء سوى مجرد مشاهدة الحافلة الصفراء وهي تختفي في المدى، وربما مع البرغي والسطل والحقيبة أو أياً يكن أو مهما يكن في داخلها.

وهكذا تصرف «الرئيس» بالطاقة والحافز اللذين اعتقد أنه أصبح بفضلهما رئيساً لنادٍ إجرامي في ستوكهولم. وضع رجله على دواسة البنزين وضغط، وفي ثانية واحدة اجتاز الحافلة، واستمر لمائة وخمسين متراً أخرى قبل أن يجعل البي أم دبليو تنزلق بطريقة محسوبة وتتوقف، وهكذا أصبحت سيارته تسدّ الطريق الآن. ثم سحب مسدسه وتهيأ لمقابلة المركبة التي تجاوزها للتوّ.

كان الرئيس صاحب ميول تحليلية أكثر من مساعديه الذين أصبحوا الآن ميتين أو مهاجرين. وقد نشأت فكرة استخدام سيارته لسد الطريق وإجبار الحافلة على التوقف بطبيعة الحال من حقيقة أنه على وشك النفاد من البنزين. لكن للرئيس أيضاً تبنى الافتراض الصحيح تماماً بأن سائق الحافلة سوف يختار التوقف. وقد استند في استنتاجه إلى اعتقاده بأن الناس بشكل عام لا يصطدمون عمداً بأشخاص آخرين على الطرق، معرضين حياة الطرفين وصحّتهم للخطر.

وبالفعل، داس بيني على الفرامل حالما رأى البي أم دبليو. كان الرئيس محقاً –بشأن ذلك، على أي حال. لكنه فشل أثناء حساباته بأن يأخذ في اعتباره أن حمولة الحافلة قد تشمل فيلة وزنها عدة أطنان. ولو كان قد فعل، لكان قد أخذ في الاعتبار التأثير الذي ربما يكون لذلك على مسافة كبح الحافلة، واضعاً في ذهنه على الأقل أنهم يسيرون على طريق مفروش بالحصى.

بذل بيني فعلاً قصارى جهده لتجنب الاصطدام، ولكن سرعته كانت ما تزال قريبة من ثلاثين ميلاً في الساعة عندما قامت الحافلة التي وزنها خمسة عشر طناً، والفيلة وكل شيء، باجتياح السيارة في طريقهم، وهو ما تم على إثره قذف السيارة في الهواء لتطير مسافة عشرين متراً، لتهبط بقوة على شجرة تنوب عمرها ثمانون عاماً.

«كان ذلك رقم ثلاثة على الأرجح»، خمن يوليوس.

قفز جميع الركاب من ذوي القدمين من الحافلة (بعضهم أسهل من آخرين) لتفقد البي أم دبليو المدمّرة.

متشبثاً خلف عجلة القيادة، وميتاً على ما يبدو، وجد الأصدقاء رجلاً لم يكونوا يعرفونه، وكان ما يزال يمسك مسدساً من نفس نوع ذلك الذي هددهم به البلطجي رقم اثنان في وقت سابق من ذلك اليوم تقريباً.

«لا بد أنهم اعتقدوا بأن للرقم ثلاثة هو رقم الحظ.» قال يوليوس. «يمكنهم أن يفكروا مرة أخرى.»

اعترض بيني بحرج على لهجة يوليوس المستخفّة. كان قتل بلطجي واحد في اليوم كافياً، لكنهم وصلوا اليوم بالفعل إلى اثنين ولم تصل الساعة إلى السادسة مساء حتى الآن. وهناك وقت للمزيد إذا كانوا غير محظوظين.

اقترح ألَنْ أن يقوموا بإخفاء الجثة رقم ثلاثة في مكان ما، لأنّه لا يمكن أن يأتي أي خير على الإطلاق من الارتباط وثيقاً جداً بأناس انتهيت منهم، إلا إذا كنت تريد أن تعترف للناس بأنك انتهيت منهم، ولم يعتقد ألَنْ بأن لدى الأصدقاء أي سبب للقيام بذلك.

وهو ما شرعت الجميلة على إثره في الصراخ في الجثة الملقاة على عجلة القيادة، وكانت فكرتها أنه كيف بحق الجحيم يمكن أن يكون غبياً جداً إلى درجة إيقاف سيارته وسط الطريق على هذا النحو.

وردت الجثة بغرغرة ضعيفة وبتحريك إحدى ساقيها...

***

كانت الخطة الوحيدة المنطقية بالنسبة لكبير المفتشين أرونسون هي أن يواصل رحلته في نفس الاتجاه الذي سلكه «الرئيس» غيردن قبل نصف ساعة فقط. لم يكن هناك بالطبع أي أمل في اللحاق بزعيم عصابة «ليس ثانية أبداً»، لكن شيئاً مثيراً للاهتمام قد يظهر على الطريق. وإلى جانب ذلك، لم تكن فاكسيو بعيدة جداً، وكان كبير المفتشين بحاجة إلى العثور على فندق حتى يتمكن من التفكير في الوضع وينال بضع ساعات من النوم.

بعد بعض الوقت، شاهد أرونسون حطام سيارة بي أم دبليو إكس فايف جديدة ملتفة

حول شجرة تنوب. في البداية، لم يتفاجأ أرونسون من أن يكون غيردن قد اصطدم، بالنظر إلى السرعة التي غادر بها مزرعة البحيرة. لكن نظرة فاحصة اقترحت قصة مختلفة.

أولاً، كانت السيارة فارغة. كانت مليئة بالدم على مقعد السائق، لكنه لم يكن هناك سائق في أي مكان تمكن رؤيته. ثانياً، بدا الجانب الأيسر من السيارة منبعجاً بشكل غير طبيعي، وهنا وهناك، ظهرت علامات طلاء أصفر. هناك شيء كبير وأصفر صدم السيارة بأقصى سرعة.

«على سبيل المثال، حافلة سكانيا صفراء موديل ١٩٩٢ من طراز K١١٣»، غمغم كبير المفتشين أرونسون لنفسه.

كان ذلك بالكاد استدلالاً يصعب اجتراحُه، وأصبح أسهل عندما اتضح أن لوحة تسجيل الحافلة السكانيا الصفراء كانت منغرسة بقوة في الباب الخلفي الأيمن للبي أم دبليو. وترتب على أرونسون فقط مقارنة الأرقام والحروف بما قالته سلطة ترخيص المركبات عن التغيير في الملكية لتتأكد شكوكه.

كان كبير المفتشين أرونسون غير قادر بعد على فهم ما يحدث فعلاً. لكن شيئا واحداً أصبح يتضح أكثر وأكثر، ولو أنه لا يُصدّق: يبدو أن المعمر الَّنْ كارلسون والوفد المرافق بارعون جداً في قتل الناس ثم إخفاء جثثهم وكأنها تتبخر.

ثالث عشر
١٩٤٧-١٩٤٨

خبر ألَنْ بشكل شبه مؤكد ليالي أكثر راحة من تلك التي قضاها مستلقياً على بطنه في صندوق شاحنة على الطريق إلى طهران. كان الجو بارداً، ولم يكن هناك حليب معالج بطريقة خاصة ليدفئه. وكان ذلك سيكون صعباً على أي حال لأن يديه مقيدتان وراء ظهره.

لا عجب إذن أن يشعر ألَنْ بالسعادة عندما وصلت تلك الرحلة إلى نهايتها. كان الوقت متأخراً بعد ظهر اليوم عندما توقفت الشاحنة خارج المدخل الرئيسي لمبنى كبير بنّي اللون وسط العاصمة.

ساعد جنديان الغريب في الوقوف على قدميه وكنسا عنه ما هو أسوأ من التراب. ثم فكوا الحبال التي تقيد يدي ألَنْ والتقطا بندقيتيهما لحراسته.

لو كان ألَنْ يتقن الفارسية، لاستطاع أن يقرأ أين انتهى به المطاف على لافتة صفراء صغيرة مثبتة على المدخل. لكنه لم يستطع. ولم يكن ذلك ليهمه على أي حال. كان الأكثر أهمية بالنسبة له هو ما إذا كان أحد سيقوم بتقديم الإفطار. أو الغداء. ويفضّل كليهما.

لكن الجنود كانوا يعرفون بالضبط، بطبيعة الحال، من أين جلبوا الشيوعي المشتبه به. وعندما دفعوا ألَنْ عبر الأبواب، قال أحد الجنود وداعاً لألَنْ مع ابتسامة و«حظاً سعيدا» باللغة الإنجليزية. وشكره ألَنْ على التمنيات الطيبة على الرغم من أنه أدرك أن المقصد منها هو المفارقة، وعندئذ فكر بأنها ربما تكون هناك حاجة إلى إيلاء الاهتمام لمحيطه الآن.

سلم الضابط في المجموعة التي اعتقلت ألَنْ سجينه رسمياً إلى شخص من رتبة

مساوية. وبعد أن جرى تسجيل ألَنْ بالشكل المناسب، تم نقله إلى زنزانة احتجاز أسفل ممر قريب.

كانت زنزانة الاحتجاز مثل فندق شانغريلا مقارنة بما اعتاده ألَنْ مؤخراً. هناك أربعة أسرة في صف، وبطانيات مزدوجة على كل سرير، ضوء كهربائي في السقف، ومغسلة بمياه جارية في إحدى الزوايا، وفي الأخرى سطل كبير الحجم مع غطاء. كما تلقى ألَنْ أيضاً وعاءً لائق الحجم من العصيدة، وربع غالون كامل من المياه حتى يشبع جوعه ويروي عطشه.

كانت ثلاثة من الأسَرة غير مشغولة، لكن في الرابع استلقى رجل على ظهره، وقد شبك يديه وأغلق عينيه. وعندما وصل ألَنْ، استيقظ الرجل من نومه ونهض. كان طويل القامة نحيلاً، على رقبته ياقة من ياقات القساوسة، في تضادّ مع بقية ملابسه السوداء. مد ألَنْ يده لتقديم نفسه، وقال إنه لا يعرف اللغة المحلية. ربما يتكلم رجل الدين كلمة أو اثنتين باللغة الإنجليزية؟

أوضح الرجل في الملابس السوداء أنه يفعل، بما أنّه ولد ونشأ في أكسفورد، وتلقى تعليمه هناك أيضاً. وقدم نفسه على أنه كيفن فيرغسون، وأنّه قسّ أنجيليكاني أمضى في إيران اثنتي عشرة سنة في البحث عن الأرواح الضالة ليهديها إلى الإيمان الحقيقي. وأين يقف السيد كارلسون؟

أجاب ألَنْ أنه، بالمعنى المادي الصرف، كان ضائعاً، لأنها ليست لديه سيطرة على حيث يقف، ولكن هذا لا يعني أنه ضائع روحياً. كان ألَنْ قد فكر دائماً إزاء الدين بأنك إذا لم تستطع أن تعرف على وجه اليقين، فإنها لن تكون هناك فائدة عندئذ من الدوران في التخمين.

رأى ألَنْ أن الأب فيرغسون على وشك الشروع في عظة أطول، لذلك أضاف بسرعة أن يتكرم القس باحترام رغبة ألَنْ المخلصة في تجنُّب أن يصبح أنجليكانياً، أو أيّ شيء آخر إذا كان ذلك يهمّ.

لم يكن الأب فيرغسون المبجل رجلاً يقبل بكلمة لا كجواب. ومع ذلك، تردد هذه المرة فقط. ربما ينبغي أن لا يكون شديد الحرص على أن يحوّل، ضد إرادته، الشخص الوحيد الذي ربما يكون -إلى جانب الله- قادراً على إنقاذه من وضعه الوخيم.

استقر الأب فيرغسون على تسوية. بذل محاولة فاترة باقتراح أنه لن يضر السيد كارلسون في شيء إذا قام القس بتسليط بعض الضوء على الثالوث على الأقل. ويصادف أن تكون هذه المسألة هي الأولى بين المقالات التسع والثلاثين التي تكوّن العقيدة الأنجيليكانية.

أجاب ألَنْ بأن القس لم يبدأ بإدراك كم أن ألَنْ غير مهتم بهذا الثالوث على الإطلاق.

«من بين كل التجميعات هنا على الأرض، أعتقد أن الثالوث هو الشيء الذي أهتم به أقلّ ما يكون».

اعتقد الأب فيرغسون أن ذلك بالغ الغباء إلى درجة أنه وعد بأن يترك كارلسون بسلام بالقدر الذي يخص الدين «ولو أنّ الله لا بد أن تكون له غاية من وضعنا معاً في نفس الزنزانة».

بدلاً من ذلك، تحوّل إلى مسألة محنته هو وألَنْ.

«لا تبدو الأمور جيدة، قال الأب فيرغسون. «ربما نكون كلانا في الطريق إلى لقاء الخالق، ولو أنني لم أكن وعدت للتوّ بأن لا أفعل، لكنت أضفت أن الوقت ربما حان الآن تماماً لتعتنقَ الدِّين الصحيح.»

ألقى ألَنْ على رجل الدين نظرة صارمة، لكنه لم يقل شيئاً. وأوضح القس أنهما موجودان الآن كلاهما في زنزانة الاحتجاز التابعة لإدارة المخابرات والأمن الداخلي: بعبارة أخرى، الشرطة السرية. ربما يعتقد السيد كارلسون أن ذلك يبدو آمناً وجيداً. لكن الحقيقة هي أن الشرطة السرية تهتم فقط بأمن الشاه، والغرض منها في الواقع هو إبقاء المواطنين الإيرانيين مذعورين بشكل مناسب، وكذلك مطاردة وتدمير الاشتراكيين والشيوعيين والإسلاميين، وعناصر أخرى مثيرة للقلق، كلما كان ذلك ممكناً.

«مثل القساوسة الأنجيليكان؟»

أجاب القس فيرغسون بأنه ليس لدى القساوسة الأنجيليكان أي شيء ليخشوه، لأن لديهم حرية ممارسة الدين في إيران. لكن هذا القس الأنجيليكاني ربما يكون قد ذهب شأواً بعيداً بشكل خاص.

«ليس للتكهن أمراً جيداً لشخص ينتهي به المطاف في براثن الشرطة السرية، وفيما يخصني أخشى أن هذه هي المحطة الأخيرة»، قال الأب فيرغسون وبدا فجأة حزيناً جداً.

وجد ألنّ نفسه فوراً وهو يشعر بالأسف لزميل زنزانته، على الرغم من أنه رجل دين. وقال بطريقة معزّية أنهما ربما يجدان وسيلة للخروج، لكنّ هناك وقت لكل شيء. لكنه يريد أن يعرف أولاً وقبل كل شيء ما الذي فعله القس ليجد نفسه في هذه الورطة.

عبّ الأب كيفن فيرغسون الهواء واستجمع نفسه. وأوضح أن الأمر ليس أنه يخشى أن يموت. إنه يعتقد فقط بأنه ما يزال لديه الكثير ليقوم به هنا على أرض البشر. لقد وضع القس حياته دائماً في يد الله، لكنه إذا كان بإمكان السيد كارلسون، في انتظار أن يتخذ الله القرار، أن يجد وسيلة للخروج من هذا، فإن القس على يقين من أن الله لن يغضب من ذلك.

ثم حكى القس قصته. كان الرب قد كلّمه في المنام مباشرة بعد أن أنهى دراساته. «أخرج إلى العالم للتبشير»، قال الربّ، لكنه لم يقل عندئذ أكثر من ذلك، وهكذا، ترتّب على القس أن يقرر إلى أين يذهب بنفسه.

كان صديق إنجليزي وأسقف قد حدّثوه عن إيران –بلد تتعرض فيه الحريّة الدينية للاعتداء الصارخ. على سبيل المثال، يمكنك أن تحصي الأنجيليكان في إيران على أصابع عدد قليل من الأيدي فقط، لكن المكان يضجّ بالشيعة، والسنة، واليهود، وأقوام يتبعون أدياناً طلسمية صرفة. وبالقدر الذي يخص وجود أي مسيحيين على الإطلاق، فإنهم من الأرمن أو الآشوريين.

قال ألنّ إنه لم يكن يعرف ذلك، لكنّه عرف الآن، وأعرب عن شكره للقس على المعلومات.

مضى القس في روايته. كانت إيران وبريطانيا العظمى على علاقة جيدة، وبمساعدة من اتصالات الكنيسة رفيعة المستوى، تمكن القس من الحصول على توصيلة إلى طهران على متن طائرة مسؤول بريطاني.

حدث ذلك قبل أكثر من عشر سنوات، حوالي العام ١٩٣٥. ومنذ ذلك الحين، شق طريقه عبر دين في إثر دين، في حلقة دائمة الاتساع في جميع أنحاء العاصمة. في البداية، ركز على مختلف الاحتفالات الدينية. تسلل إلى المساجد والمعابد اليهودية، وأماكن العبادة من كل نوع، وانتظر لحظة مناسبة قبل أن يقاطع الطقوس ببساطة، ويترجم بالدين الحقيقيّ بمساعدة مترجم.

أشاد آلَنْ بالقس على شجاعته، لكنه قال إن لديه بعض الشكوك في قدراته العقلية. لا بد أن هذه الزيارات نادراً ما انتهت على خيرَ؟

اعترف الأب فيرغسون بأنها لم تنته بنجاح في الحقيقة، حتى ولا في مناسبة واحدة. لم يكن يستطيع أن يكمل ما يريد قوله أبداً. وكانوا يلقون به هو والمترجم في الخارج، وعادة ما يكونان قد ضُربا كلاهما أيضاً. لكن أياً من هذا لم يمنع القس من مواصلة نضاله. كان يعرف أنه يزرع بذور الأنجليكانية الصغيرة في نفوس كل الناس الذين قابلهم.

ومع ذلك، انتشرت سمعة القس على نطاق واسع في نهاية المطاف، حتى أصبح من الصعب العثور على مترجمين يقبلون بالعمل معه. وهكذا، أخذ القس عطلة، وبذل المزيد من الجهد في دراسة اللغة الفارسية. وبينما يقوم بذلك، كان يفكر بكيفية صقل تكتيكاته، وشعر ذات يوم بالراحة مع اللغة الجديدة، حتى أنه أطلق خطته الجديدة.

بدلاً من الذهاب إلى المعابد والمناسبات الدينية، أخذ يزور الأسواق حيث يعلم أن للتعاليم التي يعتبرها زائفة الكثير من الأتباع بين المتسوقين، وهناك يقف على صندوق خشبي ويبدأ بالوعظ. ولم تؤد هذه الطريقة إلى نفس عدد حالات التعرض للضرب التي اختبرها خلال سنواته الأولى، لكن عدد النفوس التي أنقذها ظلت أقل مما كان الأب فيرغسون يأمله.

سأله آلَنْ عن عدد المتحولين الذين قصّر بهم الأب فيرغسون عن تحقيق هدفه، وقيل له إن ذلك يتوقف على الطريقة التي تنظر بها إلى الأمر. من ناحية، استطاع الأب فيرغسون تحويل شخص واحد بالضبط من كل دين عمل عليه، وهو ما ارتقى إلى ثمانية في المجموع. ومن ناحية أخرى، أدرك قبل بضعة أشهر أن كل الثمانية يمكن أن

يكونوا في الحقيقة جواسيس من الشرطة السرية، تم إرسالهم لتعقب القس التبشيري.

«بين صفر وثمانية متحولين حقيقيين، إذن»، قال ألَنْ.

«ربما أقرب إلى الصفر من الثمانية»، أجاب الأب فيرغسون.

«في اثني عشر عاماً»، قال ألَنْ.

اعترف القس أن عزيمته خارت عندما أدرك أن نتائجه الهزيلة أصلاً هي في الحقيقة أكثر هُزالاً. وأدرك أيضاً أنه لن ينجح أبداً في هذا البلد، لأنه مهما كان الإيرانيون راغبين في التحوُّل، فإنهم لا يجرؤون على ذلك. كانت الشرطة السرية في كل مكان، وإذا قام أحد بتغيير دينه، فإنهم سينشئون له بالتأكيد ملفاً باسمه في سجلاتهم. ونادراً ما يكون الانتقال من ملف في المحفوظات إلى الاختفاء دون ترك أي أثر مسافة طويلة.

قال ألَنْ إنه ربما يكون صحيحاً، بالإضافة إلى ذلك، أن إيرانياً أو اثنين –بغض النظر عما يظنه الأب فيرغسون– يعيشان الآن وهما راضيان عموماً عن دينهما الحالي، ألا يرى القسّ ذلك؟

أجاب القس بأنه نادراً ما سمع مثل هذا الكلام الجاهل، ولكنه ممنوع من تقديم الجواب الصحيح لأنه وعد السيد كارلسون بتجنب كل الوعظ الأنجيليكاني. هل يمكن أن يستمع السيد كارلسون إلى بقية قصة القس دون مقاطعة أكثر من اللازم؟

مضى فيرغسون ليصف كيف أنه بدأ التفكير بطرق جديدة لدى اكتشافاته الحديثة حول الطريقة التي تسللت بها الشرطة السرية إلى عمله التبشيري. وبدأ يفكر بأفكار كبيرة.

وهكذا، تخلص القس من ثمانية تلاميذ من الجواسيس المحتملين، واتصل بالحركة الشيوعية السرية التي تعمل سراً. وقال لهم إنه المبعوث البريطاني للدِّين الصحيح، وإنه يرغب في مقابلتهم لمناقشة المستقبل.

استغرق الأمر وقتاً لترتيب لقاء، لكنه وجد نفسه في نهاية المطاف وهو يجلس مع خمسة من السادة من الدوائر الشيوعية البارزة في محافظة رضوي خراسان. كان الأب فيرغسون يفضل مقابلة شيوعيي طهران لأنه يعتقد أنهم ربما يتخذون القرارات المهمة، لكن هذا الاجتماع سيكفي كبداية.

أم أنه لن يفعل.

قدم الأب فيرغسون فكرته العظيمة للشيوعيين. باختصار، أن تصبح الأنجليكانية دين الدولة في إيران في نفس اليوم الذي يسيطر فيه الشيوعيون على السلطة. وإذا ناسب ذلك الشيوعيين، فقد وعد الأب فيرغسون بأن يقبل بمنصب وزير الدولة للدين وأن يضمن منذ البداية أن يكون هناك عدد كافٍ من الأناجيل للجميع. ويمكن بناء الكنائس فيما بعد، أما في البداية، فيمكن استخدام المعابد اليهودية والمساجد –التي ستكون قد أُغلقت بمرسوم– لهذا الغرض. هناك شيء واحد فقط أراد الأب فيرغسون أن يعرفه: كم من الوقت يعتقد السادة بأنه سيمر حتى قيام الثورة الشيوعية؟

لم يكن رد الشيوعيين هو الحماس، ولا حتى الفضول، الذي توقعه الأب فيرغسون. بدلاً من ذلك، قيل له بعبارات لا يعوزها اليقينُ إنه لن تكون هناك أي أنجليكانية، أو إذا كان ذلك يعنيه، أي نوع من العقائد الأخرى إلى جانب الشيوعية عندما يحين الوقت. وبالإضافة إلى ذلك، نال طردة مشهودة عالية الصوت بسبب طلبه هذا اللقاء بحجج واهية.

لم يكن الشيوعيون قد شهدوا أبداً مثل هذه المضيعة المروعة للوقت. وبتصويت بنسبة ٣ إلى ٢ لصالح ذلك، تقرر حينئذ أن ينال الأب فيرغسون ضرباً جيداً قبل وضعه على متن القطار عائداً إلى طهران، وتقرر بتصويت آخر بالإجماع أن من الأفضل لصحة القس أن لا يعود مرة أخرى.

ابتسم ألَنّ وقال إنه –عذراً– لا يستطيع بأي طريقة استبعاد احتمال أن يكون القسّ مجنوناً تماماً. كان التوصل إلى اتفاق ديني مع الشيوعيين، بطبيعة الحال، أمراً ميئوساً منه تماماً. ألا يفهم القسّ ذلك؟

أجاب القس بأن الملحدين من أمثال السيد كارلسون سيفعلون حسناً إذا لم يصدروا الأحكام على ما هو من الحكمة أو غير الحكمة. لكنه كان يدرك طبعاً أن فرصة النجاح كانت ضئيلة.

«ولكن فكر فقط، يا سيد كارلسون، لو أن ذلك نفع فعلاً. تخيل فقط لو أنني تمكنت من إرسال برقية إلى كبير أساقفة كانتربري لأبلغه عن ضم خمسين مليون أنجليكاني جديد دفعة واحدة!»

اعترف ألَنْ بأن الفرق بين الجنون والعبقرية مرلوغ وعلى حدّ شعرة، وأنه لا يستطيع أن يقول عن يقين أيهما هو واقع الحال، لكن لديه شكوكه.

أيّاً يكُن، فقد تبين أن شرطة الشاه السرية الملعونة كانوا يتنصتون على شيوعيي رضوي خراسان، وتم إلقاء القبض على الأب فيرغسون بمجرد نزوله من القطار في العاصمة، واحتجازه للتحقيق.

«اعترفت بكل شيء وبعض الزيادة أيضاً»، قال الأب فيرغسون، «لأن جسدي الضئيل لم يُخلق لتحمل العذاب. إن الضرب المبرح شيء، لكن التعذيب شيء آخر.»

بذلك الاعتراف الفوري والمضخّم، تم نقل الأب فيرغسون إلى زنزانة الاحتجاز هذه، وتُرك في سلام لأسبوعين لأن رئيس الشرطة السرية، نائب رئيس الوزراء، كان في رحلة عمل إلى لندن.

«نائب رئيس الوزراء؟» تساءل ألَنْ باستغراب.

«نعم، أو رئيس القتَلة»، قال الأب فيرغسون.

كان يُقال عن الشرطة السرية الإيرانية إنه ليس هناك جهاز متحرّر من السيطرة الأعلى مثلها. إن زرع الرعب في قلوب السكان بشكل أكثر روتينية، أو قتل الشيوعيين، والاشتراكيين، أو الإسلاميين –لا تتطلب بطبيعة الحال مباركة الرئيس. لكنه ما إن يحدث شيء يخرج عن العادية، ولو قيد شعرة، فإنّه هو الذي يقرر. وقد منحه الشاه لقب نائب رئيس الوزراء، لكنه أصبح بعد ذلك قاتلاً، في رأي الأب فيرغسون.

«وفقاً لحراس السجن، يفضل أن تجرد السيد «النائب» قليلاً من لقبه عندما تخاطبه، إذا سارت الأمور بمنتهى السوء بحيث تضطر إلى لقائه، وهو ما يبدو أنه سيكون حال قضيتك وقضيتي معاً».

ربما يكون القس قد أمضى مع الشيوعيين السريين وقتاً أطول من الذي اعترف به، فكر ألَنْ، لأنه مضى إلى القول:

«منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، بقيت السي آي إيه الأميركية هنا وبنت شرطة الشاه السرية.»

«السي آي إيه»، قال ألَنْ.

«نعم، هكذا يُسمّونَ الآن. كانوا يدعَون أو أس أس في السابق، لكنهم يؤدون العمل القذر نفسه. إنهم هم الذين علموا الشرطة الإيرانية كل الحِيل ووسائل التعذيب. فكيف يمكن أن يكون، ذلك الرجل الذي يسمح للسي آي إيه بتدمير العالم بهذه الطريقة؟

«هل تعني الرئيس الأمريكي؟»

«هاري إس. ترومان سوف يحترق في جهنم، صدقني»، قال الأب فيرغسون.

«أتعتقد ذلك؟» قال ألَنْ.

***

مرت الأيام. وقصّ ألَنْ قصة حياته على الأب فيرغسون، دون أن يغفل أي شيء على الإطلاق. وبعد ذلك، توقف الأب عنْ التحدث إلى ألَنْ، لأنه أدرك أي نوع من العلاقة كانت تربط رفيق زنزانته مع الرئيس الأمريكي -بل والأسوأ- بالقنابل التي ألقيت على اليابان.

بدلاً من ذلك، تحوّل القس إلى الله وصلّى له طلباً للمشورة. أكان الربّ هو الذي أرسل السيد كارلسون ليساعده، أم أنه الشيطان هو الذي كان وراء ذلك؟

لكن الله أجاب بالصمت. كان يفعل ذلك في بعض الأحيان، وهو ما فسّره الأب فيرغسون دائماً بأنه يعني أن عليه أن يفكر بنفسه. وينبغي الاعتراف بأن الأمور لم تكن جيدة دائماً عندما يفكر القس بنفسه، لكنّه لا يمكنك الاستسلام، وحسب.

بعد يومين وليلتين من المداولات مع نفسه، خلص الأب فيرغسون إلى استنتاج أنه ينبغي عليه في الوقت الحاضر إنهاء خلافه مع الوثني المقيم في السرير المجاور. وأعلم ألَنْ بأنه ينوى الآن أن يتحدث معه مرة أخرى.

قال ألَنْ إن الوضع كان لطيفاً وهادئاً عندما بقي القسّ صامتاً، وإنه ربما يكون من الأفضل على المدى البعيد أن يجيب أحد الرجلين الآخر عندما يتحدث إليه.

«إلى جانب ذلك، سوف نحاول أن نخرج من هنا، وربما سيكون أفضل إذا تمكنّا من ذلك قبل أن يعود الرئيس القاتل من لندن. ولذلك، لا يمكننا أن نجلس عابسين ونكدين في زوايانا، أليس كذلك؟»

ووافق الأب فيرغسون. عندما يعود الرئيس للقاتل، فإنها ربما يواجهان استجواباً قصيراً، ثم يختفيان ببساطة. هذا ما سمع الأب فيرغسون أنه يحدث.

لم تكن غرفة الاحتجاز محتواة في سجن حقيقي، مع كل الأمن والأقفال التي تتصل بذلك. بل على العكس، لم يكلف الحراس هنا أنفسهم عناء إقفال الباب كما ينبغي في بعض الأحيان. لكنه لم يكن يتواجد في أي وقت أقل من أربعة حراس على مدخل البناية وعند مخرجها، ومن غير المرجح أنهم سيقفون هناك ويحدقون فقط إذا ما حاول ألنْ والقس الانسلال خارجاً.

هل سيكون من الممكن صنع نوع ما من الاضطراب أو التشتيت؟ تساءل ألنْ. بحيث ينسلا خارجَين وسط الاضطراب السائد؟

أراد ألَنْ بعض السلام والهدوء حتى يتمكن من العمل، ولذلك أسند إلى القس مهمة أن يعرف من الحراس كم من الوقت تبقى أمامه هو وزميله. بمعنى، متى بالضبط سيعود للرئيس القاتل؟ ووعد القس ألَنْ بأن يسأل عن ذلك بمجرد أن تتسنى له للفرصة. بل وربما الآن على الفور، لأن هناك صوت قعقعة يصدر من عند الباب. أدخل أصغر الحراس سناً ورتبة رأسه من الباب وقال بنظرة متعاطفة:

«رئيس الوزراء عاد من إنجلترا وحان وقت الاستجواب. أيكما يريد أن يذهب أولاً؟»

***

كان رئيس دائرة الاستخبارات والأمن الداخلي في مزاج مروع. فقد ذهب لتوّه إلى لندن ليقول له البريطانيون أن يريهم عرض ظهره. هو، رئيس الوزراء (أو، بنفس الدرجة)، ورئيس دائرة حكومية -واحدة من أكثر العناصر أهمية في المجتمع الإيراني، يطرُده البريطانيون؟

لم يكن الشاه يفعل أيّ شيء سوى التأكد من أن يظل الإنجليز المتغطرسون سعداء. كان النفط في أيدي البريطانيين، وقد تأكد رئيس الشرطة السرية بنفسه من قيام جهازه باجتثاث كل شخص وأي شخص يحاول أن يجلب التغيير في البلاد. ولم يكن ذلك شأناً

سهلاً، لأنه: من الذي يشعر بالرضا عن الشاة حقاً؟ ليس الإسلاميين، ليس الشيوعيين، وبالتأكيد ليس عمال النفط المحليين الذين يقتلون أنفسهم في العمل، حرفياً، مقابل ما يعادل جنيهاً بريطانياً واحداً في الأسبوع.

وفي مقابل ذلك، يطردونه الآن، بدلاً من الإطراء عليه!

كان رئيس الشرطة السرية يعرف أنه اقترف خطأً عندما تعامل قبل بعض الوقت بيد ثقيلة أكثر من اللزوم مع شخص مُحرّض من أصل غير معروف. كان الرجل المستفِزّ قد طلب إطلاق سراحه لأن ذنبه الوحيد هو الإصرار على أن الاصطفاف في الطابور في محل الجزّار يجب أن يكون للجميع، وليس للعاملين في شرطة الدولة السريّة فحسب.

عندما بسط المُحرِّض قضيته على هٰذا النحو، طوى ذراعيه ورفض الإجابة عن أيّ أسئلة أخرى. لم يحب رئيس الشرطة منظر المُحرّض (كان في الحقيقة مستفِزّاً)، ولذلك استفاد من بعض أساليب تعذيب السي آي إيه (كان رئيس الشرطة معجباً بابتكارية الأمريكان). وعندئذٍ فقط تسربت إليه معلومة بأن المحرض هو مساعد لوزير الخارجية في السفارة البريطانية. وذلك، بالطبع، أمرٌ مؤسفٌ للغاية ومنتهى سوء الحظّ.

كان الحل هو أن يقوموا أولاً بترتيب هيئة المساعد بأفضل ما يستطيعون، ثم يدَعونه يذهب، وإنما فقط لتدهسه شاحنة على الفور، وتختفي بعد ذلك من مكان الحادث. هكذا يتم تجنُّب الأزمات الدبلوماسية، فكر رئيس الشرطة، مسروراً من نفسه.

لكن البريطانيين التقطوا ما تبقى من مساعد وزير الخارجية، وأرسلوا كل القطع إلى لندن وقاموا بفحصها بعدسة مكبّرة. وهو ما قام البريطانيون على إثره باستدعاء رئيس الشرطة ليفسر كيف ظهر مساعد وزير الخارجية فجأة في شارع خارج مكتب رئيس الشرطة السرية، وتم بهذه القسوة مسح كل علامات التعذيب الذي تعرض لها سابقاً بحيث أصبحت مرئية بالكاد.

أنكر رئيس الشرطة بشدة أي معرفة له بهذا الشأن بطبيعة الحال؛ هذه هي الكيفية التي تعمل بها اللعبة الدبلوماسية، لكنه حدث أن مساعد وزير الخارجية كان ابناً لأحد اللوردات أو آخر، والذي كان بدوره صديقاً حميماً لرئيس الوزراء الحالي، وتستون

تشرشل. والآن أصبح البريطانيون في طريقهم إلى اتخاذ موقف حازم.

نتيجة لكل ذلك، تم إعفاء دائرة المخابرات والأمن الداخلي الآن من المسؤولية عن الزيارة التي ينوي ونستون تشرشل نفسه القيام بها لطهران في غضون بضعة أسابيع فقط. وبدلاً من ذلك، سيقوم الهواة من حرس الشاه الخاص برعاية هذه الزيارة، وهو ما كان بطبيعة الحال أبعد كثيراً من مستوى كفاءتهم. كان ذلك خسارة كبيرة للهيبة بالنسبة لقائد الشرطة. كما أنه أبعده عن الشاة بطريقة لا تبشر بخير.

من أجل تبديد أفكاره المريرة، استدعي قائد الشرطة الأول من عدوّيّ الدولة اللذَين قيل إنهما ينتظران في زنزانة الاحتجاز. وقد توقع استجواباً قصيراً، وإعداماً سريعاً ومتقناً، وحرقاً تقليدياً للجثة. ثم الغداء، وبعد الظهر ربما يتسنى له الوقت للانتهاء من عدو الدولة الثاني أيضاً.

***

تطوع ألَنْ كارلسون بأن يكون الأول. قابله رئيس الشرطة عند باب مكتبه، وتصافحا، وطلب من السيد كارلسون أن يجلس، وقدم له فنجان قهوة وسيجارة. ورغم أنه لم يسبق له أن قابل رئيساً قاتلاً من قبل، افترض ألَنْ أن سلوكهم سيكون أكثر سوءاً مما بدا عليه هذا الرئيس القاتل. ولذلك شكره على القهوة وسأل إذا كان السيد رئيس الوزراء لا يمانع إذا اعتذر عن السيجارة.

كان رئيس الشرطة يختار دائماً أن يبدأ استجواباته بطريقة حضارية. إن كونك ستقوم بقتل أحد ما قريباً، لا يعني أن عليك التصرف معه مثل ريفيّ. وإلى جانب ذلك، كان مسلياً لقائد الشرطة أن يرى كيف تنهض لمحة أمل في عيون ضحاياه. إن الناس بالإجمال بالغو السذاجة.

لكن هذا الضحية بالذات لا يبدو مرتعباً، ليس بعد. كما أنه خاطب رئيس الشرطة بالطريقة التي يحب أن يُخاطب بها –بداية إيجابية ومثيرة للاهتمام.

خلال الاستجواب، قدّم ألَنْ، المفتقر إلى فكرة مدروسة جيداً للنجاة، فصولاً مختارة من الجزء الأخير من قصة حياته: بالتحديد أنه كان خبيراً بالمتفجرات، والذي أرسله

الرئيس ترومان في مهمة مستحيلة إلى الصين ليحارب الشيوعيين، وأنه شرع لاحقاً في رحلته الطويلة مشياً على الأقدام إلى الوطن في السويد، وأنه يأسف الآن لأن إيران تقع في طريق تلك المسيرة، وأنه اضطر إلى دخول البلاد من دون التأشيرة المطلوبة، لكنه يَعِدُ الآن بمغادرة البلاد فوراً إذا سمح له السيد الرئيس بذلك.

سأله رئيس الشرطة السريّة العديد من الأسئلة التكميلية، منها السبب في أن ألَنْ كارلسون كان برفقة شيوعيين إيرانيين عندما تم اعتقاله. وأجاب ألَنْ بصدق أنه التقى بالشيوعيين صدفة واتفقوا على مساعدة بعضهم البعض في عبور جبال الهيمالايا. وأضاف ألَنْ أنه لو كان السيد الرئيس نفسه قد رتّب للذهاب في مسيرة مماثلة، لما غُني كثيراً عندئذ بمساعدة مَن سيقبل، لأن تلك الجبال عالية بشكل مخيف جداً وكان هؤلاء الرجال في مزاج لخوض الرحلة.

لم تكن لدى رئيس الشرطة أي خطط لعبور الهيمالايا مشياً على الأقدام، كما أنه لم ينو إطلاق سراح ألَنْ. لكنه قد يستطيع جني بعض الفائدة من خبير المتفجرات هذا بخبرته الدولية قبل أن يجعله يختفي للأبد. وبصوت ربما بدا بالغ العاطفية، سأل رئيس الشرطة السيد ألَنْ عن أي فكرة لديه لقتل أناس من المشاهير والمحروسين جيداً بالسر.

لم يكن لألَنْ قد قام بهذا النوع من الأشياء أبداً –أن يجلس ويفكر بوعي وسابق إصرار في قتل شخص كما لو كنتَ تفجر جسراً. ولم يكن يرغب القيام بذلك أيضاً. لكن عليه الآن أن يفكر مقدّماً. هل يمكن أن يكون لدى هذا الرئيس القاتل المتسلسل شيء في باله.

بحث ألَنْ في ذاكرته، ولم يعثر في عجلته على شيء سوى:

«غلين ميلر.»

«غلين ميلر؟» كرر رئيس الشرطة.

استطاع ألَنْ أن يتذكر من الوقت الذي قضاه في لوس ألاموس قبل نحو سنتين كيف أُصيب الجميع بالصدمة عندما سُمعوا الأخبار عن فقدان موسيقي الجاز الشاب غلين ميلر بعد أن اختفت طائرته التابعة لسلاح الجو الأمريكي عند شاطئ إنجلترا.

«بالضبط»، أكد ألَنْ بنغمة مكتومة. «كان يُفترض أن يبدو الأمر حادثاً، وقد نجحتُ في ذلك. تأكدت من أن المحركين سيحترقان كلاهما، وتحطمت طائرته في مكان ما وسط القنال الإنجليزي. لم يره أحد منذئذ. مصير يليق بمنشق عن النازيين، إذا سألتني»، سيدي الوزير.

«هل كان غلين ميلر نازياً؟» سأل رئيس الشرطة المندهش.

هز ألَنْ رأسه مؤكداً (واعتذر بصمت لكل الأحياء من عائلة غلين ميلر). حاول رئيس الشرطة، من جهته، أن يروض نفسه على هذا النبأ، على أن بطله العظيم للجاز كان ينفذ مهمات لهتلر.

الآن فكر ألَنْ أنه ربما يكون من الأفضل أن يتولى هو إدارة الحوار قبل أن يسأل الرئيس القاتل الكثير من الأسئلة الأخرى عما حدث لغلين ميلر.

«إذا رغب السيد رئيس الوزراء، أنا مستعد للتخلص من أي شخص، بأقصى حدود الحرص بطبيعة الحال، مقابل أن نفترق بعد ذلك كأصدقاء.»

كان رئيس الشرطة ما يزال مصدوماً بعد هذا الكشف الحزين عن الرجل الذي كان وراء مقتل «سريناداً ضوء القمر»، لكن هذا لا يعني أن يستغفله أحد. إنه لا يخطط بالتأكيد للتفاوض على مستقبل ألَنْ كارلسون.

«إذا كنتُ أريد أن أتخلص من أحد، فإنك ستفعل ذلك كما يُقال لك. ويمكن عند ذلك فقط أن أفكر في إبقائك حياً»، قال رئيس الشرطة وهو ينحني عبر الطاولة ليطفئ عقب سيجارته في فنجان قهوة ألَنْ نصف الممتلئ.

«نعم، هذا ما قصدته، بالطبع»، قال ألَنْ، «ولو أنني عبّرت عن نفسي بطريقة غامضة قليلاً.»

***

تمخّض هذا الاستجواب الصباحي بالتحديد عن شيء مختلف عما كان رئيس الشرطة معتاداً عليه. وبدلاً من التخلص من عدوّ الدولة، رفع جلسة الاجتماع ليعَوِّد نفسه

على الوضع الجديد بهدوء وسلام. وبعد الغداء، التقى رئيس الشرطة وألَنْ كارلسون ثانية وتم وضع الخطط.

كانت النية هي قتل ونستون تشرشل بينما يكون في حماية حرس الشاه الشخصيّ. لكن ذلك يجب أن يحدث بحيث لا يستطيع أحد العثور على أي صلة ممكنة للحادث بدائرة المخابرات والأمن الداخلي، ناهيك عن رئيسها.

وبما أنه يمكن الافتراض بأمان أن البريطانيين سوف يحققون في الحادثة بمنتهى العناية حتى آخر تفصيل، يجب أن لا تكون هناك أي أخطاء أو منزلقات. وفي حال نجح المشروع، فإن التداعيات ستكون بكل الطرق الممكنة في صالح رئيس الشرطة.

أولاً وقبل كل شيء، سوف يُغيظ أولئك البريطانيين المتغطرسين، البريطانيين الذي نزعوا من رئيس الشرطة مسؤولية إدارة الترتيبات الأمنية خلال الزيارة. وبالإضافة إلى ذلك، سيتم تكليف رئيس الشرطة بشكل شبه مؤكد بتنظيم وفرز الحرس الشخصي للشاه، بعد فشلهم في مهمتهم. وعندما ينجلي الدخان، سيكون موقف رئيس الشرطة قد تعزز إلى حد كبير، بدلاً مما هو عليه حاله الآن –الضعف.

أعد رئيس الشرطة وألَنْ الخطّة معاً كما لو كانا من أفضل الأصدقاء، حتى ولو أن رئيس الشرطة ينفض رماد سيجارته في قهوة ألَنْ في كل مرة شعر فيها بأن الجو أصبح حميماً زيادة عن اللزوم.

قال قائد الشرطة لألَنْ إن السيارة الوحيدة المضادة للرصاص في إيران موجودة في مرآب الدائرة في القبو تحتهما. كانت السيارة من طراز دي–سوتو سوبربان مصنوعة خصيصاً. كان لونها أحمر نبيذياً وكانت بالغة الأناقة، كما قال رئيس الشرطة. وهناك أعظم احتمال بأن يطلب حرس الشاه السيارة قريباً، لنقل تشرشل من المطار إلى قصر الشاه.

قال ألَنْ إن شحنة ناسفة مقدرة جيداً على شاصي السيارة ربما تكون الحل لهذه المشكلة. لكنه مع الأخذ في الاعتبار أن السيد رئيس الوزراء لا يريد ترك أي أدلة يمكن أن تقود إليه، اقترح ألَنْ اتخاذ زوجٍ من التدابير الخاصة.

أولاً، أن العبوة الناسفة يجب أن تتكوّن بالضبط من نفس المكونات التي يستخدمها

شيوعيو ماو تسي-تونغ في الصين، الأمر الذي يعرف ألنْ الكثير عنه، وهو متأكد من أنه يمكنه جعل الأمر كله يبدو وكأنه هجوم شيوعي.

أما التدبير الثاني فهو أنه يجب إخفاء العبوة المعنية في الجزء الأمامي من شاصي للدي-سوتو، لكنها لا يجب أن تنفجر مباشرة، وإنما ينبغي تصميمها بحيث تسقط من السيارة وتنفجر بعد بضعة أجزاءٍ من الثانية بعد ذلك عندما تصطدم بالأرض. وخلال هذا الوقت، ستكون السيارة قد انتقلت مسافة صغيرة جداً بحيث يكون الموضع الذي يكون ونستون تشرشل جالساً فيه يدخن سيجاره قد أصبح الآن مباشرة فوق نقطة الانفجار الذي سيحفر حفرة في أرضية السيارة، ويرسل تشرشل مُباشرة إلى الآخرة. كما أنه سيترك حفرة كبيرة في الأرض.

«بهذه الطريقة، سنجعل الناس يظنون أن الشحنة الناسفة كانت مدفونة في الشارع بدلاً من أن يكون شخص ما قد خبأها في السيارة. لا بد أن هذه الخدعة الصغيرة ستناسب كثيراً السيد رئيس الوزراء؟»

غرغر رئيس الشرطة ممتلئاً بالسرور والتوقُّع، وأطفأ سيجارة مُشعلة حديثاً في قهوة ألنْ المسكوبة حديثاً. وقال ألنْ إن السيد رئيس الوزراء يمكن أن يفعل ما يريد بالسجائر وبقهوة ألنْ، لكنه إذا لم يكن راضياً عن منفضة السجائر الموضوعة أمامه، وإذا سمح السيد رئيس الوزراء بمنح ألنْ إجازة قصيرة، فإنه سيخرج ويشتري منفضة سجائر جديدة جميلة للسيد رئيس الوزراء.

تجاهل رئيس الشرطة حديث ألنْ عن منفضة السجائر، لكنه وافق مباشرة على خطة ألنْ المتفجرة، وطلب قائمة كاملة بكل ما يلزم لتجهيز السيارة في أقصر وقت ممكن.

ذكر ألنْ أسماء المكونات التسعة التي يحتاج إليها ليصنع المركّب. وبالإضافة إلى ذلك، ضمّن في القائمة مادة عاشرة -النيتروغليسرين- الذي يظن أنه سيكون مفيداً، وأخرى حادية عشرة -زجاجة حبر. وبعد ذلك، طلب ألنْ استعارة واحد من أكثر زملاء السيد رئيس الوزراء ثقة ليكون مساعداً ومديراً للمشتريات، وأن يكون زميله في الزنزانة، الأب فيرغسون، مترجمه.

غمغم رئيس الشرطة بأن ما يريده أكثر من ذلك كله هو التخلص من القسّ على

الفور، لأنه لا يحب رجال الدين. لكنه لن يكون هناك الآن متسع من الوقت. ومرة أخرى، أطفأ سيجارته في قهوة ألَنْ، ليشير إلى أن المقابلة وصلت إلى نهايتها، ولتذكير ألَنْ بأنه هو الرئيس.

•••

مرت الأيام، وسار كل شيء وفقاً للخطة. اتصل رئيس الحرس فعلاً وقال إنه سيأتي ليأخذ السيارة الدي-سوتو يوم الأربعاء التالي. وأصبح رئيس الشرطة يغلي من الغضب. كان ذلك أمراً أكثر منه طلباً. لكنه في الحقيقة تناسب تماماً مع خطة ألَنْ. ماذا لو أن الحارس لم يتصل بالدائرة بخصوص السيارة؟ على أي حال، سوف ينال رئيس الحرس قريباً جزاءه العادل.

أصبح ألَنْ يعرف الآن كم من الوقت تبقى له لتحضير العبوة. ولسوء الحظ، استطاع الأب فيرغسون معرفة ما يحدث في نهاية المطاف. إنه لن يكون متواطئاً في جريمة قتل رئيس الوزراء السابق ونستون تشرشل فحسب، لكن لديه سبباً جيداً للاعتقاد بأن حياته هو نفسه ستنتهي بعد وقت قصير من ذلك أيضاً.

لم يكن وقوف المرء أمام الرب كقاتل شيئاً يتطلع إليه الأب فيرغسون. لكن ألَنْ هدّأ مخاوف القس، ووعده بأن لديه خطة لحل المشكلتين معاً. أولاً، هناك فرصة جيدة في أن يتمكن ألَنْ والقسّ من الهرب، وثانياً، ليس من الضروري أن يحدث ذلك على حساب حياة السيد تشرشل. لكن الخطة كلها تتطلب أن يفعل القس ما يقوله ألَنْ عندما تحين اللحظة المناسبة، ووعد القسّ بأن يفعل. كان ألَنْ هو أمله الوحيد في النجاة، بما أن الله لم يكن يستجيب لدعواته. وقد انقضى نحو شهر على ذلك الآن. هل يمكن أن يكون الله غاضباً من القس بسبب محاولته التحالف مع الشيوعيين؟

جاء يوم الأربعاء، وكانت الدي-سوتو مفخخة وجاهزة. وحدث أن كانت الشحنة الناسفة على شاصي السيارة أكبر بكثير مما تتطلب المهمة، لكنها ظلت مخفيّة جيداً مع ذلك، في حال فكر أحد بالنظر لرؤية ما إذا كان ثمة شيء غريب هناك. وبين ألَنْ لرئيس الشرطة كيف يعمل جهاز التحكم عن بعد، وشرح بالتفصيل ما ستكون عليه المحصلة

النهائية عندما تنفجر الشحنة. وابتسم رئيس الشرطة وبدا سعيداً. ولطفاً سجائر ذلك اليوم الثماني عشرة في قهوة آلَنْ.

بعدئذ، استخرج آلَنْ كوباً جديداً، واحداً كان قد أبقاه مخبأ خلف صندوق الأدوات، ووضعه بشكل استراتيجي بجوار الطاولة إلى جانب الأدراج المفضية إلى الرواق، وزنزانة الاحتجاز، والمدخل. وبلا ضجة، أمسك آلَنْ بالقس من ذراعه وغادر المرآب، بينما كان رئيس الشرطة يدور ويدور حول الدي-سانتو، نافخاً سجائر اليوم الثماني عشرة، مبتهجاً بفكرة ما سيحدث قريباً.

فهم القس من قبضة آلَنْ الصارمة أن ما يحدث حقيقيّ، وأن الوقت حان لإطاعة السيد كارلسون حرفياً. سارا من أمام زنزانة الاحتجاز ومضيا باتجاه الاستقبال. وعندما أصبحا هناك، لم يتكلف آلَنْ عناء الوقوف عند الحراس المسلحين، وإنما استمر بالمسير مباشرة بجانبهم وهو ما يزال قابضاً بقوة على ذراع القسّ. كان الحرس قد أصبحوا معتادين على كارلسون والقس، ولم يفكروا بأنّ هناك أي خطر من محاولتهما الهرب، وهكذا كان من المفاجئ بعض الشيء أن يهتف الضابط المسؤول:

«توقفا! أين تظنان أنكما ذاهبان؟»

توقف آلَنْ والقسّ على العتبة المفضية إلى الحريّة نفسها، وبديا مندهشين للغاية.

«إننا أحرار في الذهاب. ألم يعلمكم السيد رئيس الوزراء؟»

ارتعب الأب فيرغسون، لكنه أجبر نفسه على استنشاق القليل من الأكسجين حتى لا يغمى عليه.

«ابقيا تماماً حيث أنتما»، قال الضابط المسؤول، بنغمة سلطوية. «لن تذهبا إلى أي مكان حتى أتلقى تأكيد السيد رئيس الوزراء.»

أُمِرَ الحراس الثلاثة بإبقاء عيونهم مفتوحة على القس والسيد كارلسون، بينما ذهب الضابط المسؤول عبر الرواق إلى المرآب للحصول على التأكيد. وابتسم آلَنْ للقسّ مشجعاً وقال إنه ستتم تسوية كل شيء قريباً -إلا إذا حدث العكس وانفجر كل شيء.

بما أن رئيس الشرطة لم يعط آلَنْ والقس الإذن بالمغادرة، و، ثانياً، لم تكن لديه أي خطط ليفعل ذلك، فقد رد بصرامة على استعلام الضابط.

«ماذا؟ يقفان بجانب المدخل ويكذبان بوقاحة؟ سوف يدفعا بحق الجحيم ثمن ذلك....»

نادراً ما شتم رئيس الشرطة. كان يحرص دائماً على استبقاء هيبة معينة لنفسه. لكنه الآن غاضب. وكما هي عادته، غمس سيجارته في كوب قهوة ذلك الكارلسون الملعون، قبل أن يتجه إلى الأدراج.

أو بالأحرى، تلك كانت نيته، لكنه لم يصل أبعد من كوب القهوة. لأنه في هذه المرة لم يكن يحتوي على القهوة، وإنما على النيتروغليسرين النقيّ ممزوجاً بالحبر الأسود. وقع انفجار هائل وتقطع نائب رئيس الوزراء والضابط المسؤول إلى نتف. وتصاعدت سحابة بيضاء خارجة من المرآب واتخذت طريقها إلى الدهليز الذي يقف ألَنْ، والقسّ، والحراس الثلاثة عند نهايته الأخرى.

«حان وقت الذهب»، قال ألَنْ للقس. وانطلقا.

كان الحراس الثلاثة ما يزالون منتبهين ليفكروا بأن عليهم منع كارلسون والقس من المغادرة، ولكن بعد بضعة أعشار من الثانية فقط بعد ذلك -كنتيجة منطقية لانفجار المرآب الذي أصبح الآن بحراً من النار -انفجرت العبوة تحت الدي-سيتو التي كانت معدة لونستون تشرشل أيضاً. وبفعلها ذلك، برهنت لألَنْ أنها كانت ستخدم المقصود منها بوضوح. وانحنى البناء كله على الفور، وكان الطابق الأرضي كله يشتعل عندما غير ألَنْ أمره للقس:

«فلنركض من هنا، بدلاً من المشي.»

ضربت موجة الانفجار اثنين من الحراس الثلاثة بحائط واشتعلت فيهما النار. واكتشف الثالث أن من المستحيل استجماع أفكاره بما يكفي للعناية بأمر السجينين. لبضعة ثوان، تساءل عما حدث، لكنه ولى الأدبار بعد ذلك حتى لا ينتهي به الأمر مثل رفيقيه. كان ألَنْ والقس قد انطلقا في اتجاه، وركض الحارس الوحيد المتبقي الآن في الاتجاه الآخر.

***

بعد أن رتب ألَنْ بطريقته الخاصة أن يكون هو والقس في مكان آخر غير مقر

قيادة الشرطة السرية، جاء الآن دور القسّ ليكون مفيداً بدوره. إنه يعرف أين تقع معظم البعثات الدبلوماسية، ولذلك قاد آلَنْ على كل الطريق إلى السفارة السويدية. وبمجرد أن وصل إلى هناك، عانقه آلَنْ بحرارة ليشكره على كل شيء. وسأل آلَنْ القسّ عما سيفعله هو الآخر. أين تقع السفارة البريطانية؟

ليست بعيدة، قال القس، ولكن لماذا يحتاج الذهاب إلى هناك؟ إنهم كلهم من الأنجيليكان هناك أصلاً. كلا، لقد فكر القسّ في استراتيجية أخرى. إذا كان ثمّة شيء علمته له الساعة الأخيرة أو نحو ذلك، فهو أن كل شيء بدا وأنه يبدأ وينتهي في دائرة المخابرات والأمن الداخلي. ولذلك، تكون المسألة كلها هي محاولة تغيير تلك المنظمة من الداخل. وعندما يصبح كل الذين يعملون في البوليس السري، وكل أولئك الذين يساعدونهم، من الأنجيليكان –حسناً، سوف يصبح الباقي سهلاً مثل أكل فطيرة!

قال آلَنْ إنه يعرف مستشفى جيداً للمجانين في السويد، إذا حدث وأن وصل القسّ إلى بعض الفهم للذات في المستقبل.

أجاب القس بأنّه لا يريد أن يبدو غير ممتن، ليس بأي طريقة. لكنه وجد غايته أخيراً، مرة وللأبد، والآن حان الوقت ليقول وداعاً. وقرر القسّ أن يبدأ بالحارس الناجي، ذلك الذي هرب في الاتجاه الآخر. كان في الأساس ولداً لطيفاً هادئ الطبع، وربما تمكن قيادته إلى طريق الإيمان.

«وداعاً!» قال القسّ بنبرة جادّة»، ومشى مبتعداً.

«وداعاً الآن»، قال آلَنْ. وراقب القس وهو يختفي في المدى، وفكر بأن العالم مجنون بما يكفي حتى أن القسّ ربما ينجو من غوائل الطريق التي يسلكها الآن. لكن آلَنْ كان مخطئاً.

عثر القسّ على الحارس الناجي وهو يدور مذهولاً في متنزه إي–شهر وسط طهران، وقد انتشرت الحروق على ذراعيه، وحمل رشاشاً أوتوماتيكياً منزوع مفتاح الأمان في يديه.

«حسناً، ها أنت ذا، يا بني»، قال القسّ ومشى إليه ليعانقه.

«أنت!» صرخ الحارس. «إنه أنت!»

ثم أطلق النار على القسّ اثنتين وعشرين مرة في الصدر. وكان يمكن أن تكون أكثر، لولا أن نفد من الرصاص.

***

سُمح لألَن بدخول السفارة السويدية بفضل لهجته السويدية الأصيلة على طريقة الأقاليم. لكن الأشياء تعقدت بعد ذلك، لأنها لم تكن لديه أي وثائق تثبت هويته. ولذلك، فإن السفارة لا يمكن أن تمنحه جواز سفر، ولا أن تساعده في العودة إلى السويد. وإلى جانب ذلك، كما قال السكرتير الثالث بيركفيست، فإن السويد أصدرت لتوها أرقام هوية شخصية خاصة، وإذا صحّ أن كارلسون ظل خارج البلاد لسنوات عديدة، فإنه ربما لن يكون هناك أيّ سيد ألَن كارلسون في نظام النفوس السويدي هناك في الوطن.

على ذلك أجاب ألَن بأنه بغض النظر عما إذا أصبحت كل أسماء السويديين أرقاماً بدلاً من الحروف، فإنه كان وسيبقى ألَن كارلسون من قرية يزهولت خارج فلِن، وهو يريد الآن من السيد السكرتير الثالث أن يتلطف ويرتب له أوراقاً.

كان السكرتير الثالث بيركفيست في ذلك الوقت أعلى مسؤول في السفارة. كان الوحيد الذي لم يتمكن من حضور المؤتمر الدبلوماسي في ستوكهولم. وبسبب حظه فقط، حصل كل شيء فجأة وعلى الفور. لم يكفِ أن بعض أجزاء وسط طهران كانت تحترق خلال الساعة الأخيرة: الآن فوق ذلك يظهر شخص غير معروف ويدّعي أنه سويدي. هناك بطبيعة الحال إشارات إلى أن الرجل يقول الحقيقة، لكن هذا وضع يكون من المهم فيه الالتزام بالقواعد حتى لا يعرض مهنته المستقبلية للخطر. وهكذا، كرّر السكرتير الثالث بيركفيست تصريحه بأن أي جواز سفر لن يصدر إلا إذا أمكن التعرف إلى السيد كارلسون بطريقة مناسبة.

قال ألَن أنه يجد السكرتير الثالث بيركفيست عنيداً بدرجة استثنائية، لكنه ربما يستطيع أن يحل كل شيء فقط إذا كان لدى السكرتير الثالث هاتف متوفر.

كان لدى السكرتير الثالث هاتف. لكن إجراء اتصالات بعيدة كان مكلفاً. بمن ينوي السيد كارلسون أن يتصل؟

بدأ ألَنْ يضيق ذرعاً بالسكرتير الثالث حتى أنه لم يجب، وسأل بدلاً من ذلك:

«هل ما يزال بير إلبين رئيساً لوزراء السويد؟

«كلا»، قال السكرتير الثالث المذهول. «تاغ إيرلاندر هو رئيس الوزراء. رئيس الوزراء هانسون مات في الخريف الماضي. ولكن لماذا...»

«هل يمكنك أن تهدأ لحظة حتى ننتهي من هذا الأمر؟»

هاتف ألَنْ البيت الأبيض في واشنطن، وقاموا بتحويله إلى كبيرة سكرتاريا الرئيس. وقد تذكرت السيد كارلسون جيداً، كما أنها سمعت الكثير من الأخبار الطيبة عنه من الرئيس، وإذا كان السيد كارلسون يعتبر الأمر مهماً حقاً، فإنها سترى إذا كان بوسعها أن توقظ الرئيس. الساعة الآن هي الثامنة صباحاً فقط في واشنطن، كما ترى، سيد كارلسون، ولم يكن الرئيس ترومان من الذين ينهضون باكراً.

بعد فترة وجيزة، جاء الرئيس ترومان المستيقظ حديثاً إلى الهاتف وتبادل مع ألَنْ دردشة قلبية ودودة لعدة دقائق، وثرثر كل منهما للآخر عن أخباره قبل أن يذكر ألَنْ أخيراً أنه في محنة. هل يمكن لهاري أن يسدي إليه معروفاً ويهاتف رئيس الوزراء السويدي الجديد إيرلاندر ويشهد على مَن هو ألَنْ، بحيث يتصل إيرلاندر بدوره بالسكرتير الثالث بيركفيست في السفارة السويدية في طهران ويعلمه بوجوب إصدار جواز سفر لألَنْ فوراً.

سوف يفعل هاري ترومان ذلك من أجله طبعاً، ولكن أولاً أرجوك هجئ اسم السكرتير الثالث حتى يفهمه بالشكل الصحيح.

«الرئيس ترومان يريد أن يعرف كيف تهجئ اسمك»، قال ألَنْ للسكرتير الثالث بيركفيست. «سوف يكون ذلك أسهل إذا قلته له مباشرة.»

بعد أن هجأ السكرتير الثالث بيركفيست، في حالة من الدوار تقريباً، حروف اسمه حرفاً حرفاً لرئيس الولايات المتحدة، وضع السماعة ولم يقل شيئاً لثماني دقائق. وهو نفس الوقت الذي مضى قبل أن يتصل رئيس الوزراء إيرلاندر بالسفارة ويأمر السكرتير الثالث بيركفيست بـــ ١) إصدار جواز سفر فوراً مع مكانة دبلوماسية لألَنْ كارلسون، و٢) الترتيب بدون تأخير لإعادة السيد كارلسون إلى السويد.

«لكنه لا يمتلك رقم هوية شخصي»، حاول السكرتير الثالث بيركفيست.

«اقترح أن تحل أنت هذه المشكلة، أيها السكرتير الثالث»، قال رئيس الوزراء إيرلاندر. «إلا إذا أردت أن تصبح سكرتيراً رابعاً أو خامساً بدل...»

«ليس هناك شيء من قبيل السكرتير الرابع والخامس»، حاول السكرتير الثالث.

«وأي استنتاجات تستخرجها من ذلك؟»

***

خسر بطل الحرب ونستون تشرشل الانتخابات البريطانية للعام ١٩٤٥ على نحو غير متوقع شيئاً ما، ويبدو أن امتنان الشعب البريطاني له كان ينفد.

لكن تشرشل خطط لانتقامه وقطع الوقت بالسفر حول العالم. وظن رئيس الوزراء السابق أن رجل حزب العمل غير الكفؤ للذي يحكم بريطانيا الآن سوف يطبق اقتصاداً مخططاً في نفس الوقت الذي يقوم فيه بتسليم الإمبراطورية لأناس لا يستطيعون إداراتها.

خذ الهند البريطانية، على سبيل المثال، التي أصبحت الآن في طريقها إلى الانقسام قطعاً. لم يستطع الهندوس والمسلمون التعايش معاً، وفي الوسط جلس ذلك المهاتما غاندي الملعون وقدماه متصالبتان، وتوقف عن الأكل لأنه غير راض عن شيء ما. أي استراتيجية حرب هي تلك؟ أين كانوا سيصلون لو أنهم استخدموا مثل هذه الاستراتيجية ضد غارات القصف النازي فوق إنجلترا؟ ليس الوضع سيئاً تماماً في شرق أفريقيا البريطاني، ليس بعد، لكنها مسألة وقت فقط قبل أن يريد الأفارقة أن يصبحوا سادة أنفسهم أيضاً.

فهم تشرشل أنه ليس كل شيء يمكن أن يظل على حاله، لكن البريطانيين يحتاجون مع ذلك قائداً يستطيع إعلان ما يلزم، وأن يفعل ذلك بسلطة. إنهم ليسوا في حاجة إلى اشتراكي متستر مثل كليمنت أتلي.

فيما يتعلق بالهند، المعركة خُسِرت، يعرف تشرشل ذلك. كان الأمر يتطور على هذا النحو لسنوات عديدة، وخلال تلك الحرب كان من الضروري إرسال إشارات عن

الاستقلال المستقبلي للهنود بحيث لا يضطر البريطانيون وسط الصراع من أجل البقاء إلى التعامل مع حرب أهلية أيضاً. لكن ما يزال ثمة متسع من الوقت في العديد من الأماكن الأخرى لوقف هذه العملية.

كانت خطة تشرشل لهذا الخريف أن يسافر إلى كينيا ويقيّم الوضع. لكنه سيمرّ أولاً بطهران ويشرب الشاي مع الشاه. لكن من سوء حظه أنه حطّ فيها وسط الفوضى. في اليوم السابق، انفجر شيء ما في دائرة المخابرات والأمن المحلي. وانهار المبنى كله واحترق. ومات رئيس الشرطة الأحمق بالتأكيد في الانفجار أيضاً، نفس الرجل الذي كان أخرقَ بما يكفي قبل ذلك ليستخدم أساليب قاسية ضد موظف بريء في السفارة البريطانية.

ليس رئيس الشرطة خسارة كبيرة، لكن يبدو أن سيارة الشاه الوحيدة المقاومة للرصاص أكلتها النيران أيضاً، وهو ما أفضى إلى عقد اجتماع بين الشاه وتشرشل أقصر بكثير مما كان مؤمّلاً أول الأمر، ولغايات الأمن تم اللقاء في المطار.

مع ذلك، كان من الجيد أن تحدث الزيارة. وفقاً للشاه، فإن الوضع تحت السيطرة. كان الانفجار في إدارة الشرطة السرية شيئاً يضايق، وهم لا يستطيعون حتى الآن معرفة شيء عن السبب. أما حقيقة أن رئيس الشرطة مات في الانفجار، فشيء يمكن للشاه أن يتعايش معه. لقد شرع الرجل في فقدان لمسته.

وهكذا، فإن وضعهم السياسي مستقر. وهم على وشك تعيين رئيس جديد للشرطة. وهم يشهدون سجلاً قياسياً لإنتاج شركة النفط الإنجليزية-الإيرانية. وقد وفر النفط ثروة رائعة لكل من إنجلترا وإيران على حد سواء، خاصة لإنجلترا، إذا كان الحق ليقال، ولكن ذلك عادلٌ تماماً لأن إسهام إيران الوحيد في المشروع هو العمالة الرخيصة –وبالطبع، البترول نفسه.

«السلام والازدهار في إيران بشكل أساسي إذن»، قال ونستون تشرشل للملحق العسكري السويدي الذي عُيِّن له مكان على نفس الطائرة في طريق العودة إلى لندن.

«أنا سعيد لسماع أنك مسرور، سيد تشرشل»، أجاب ألَنْ، مضيفاً أنه يعتقد أن تشرشل يبدو في حال حسنة.

***

حطّ ألَنْ أخيراً في مطار بروما في ستوكهولم، بعد توقف قصير في لندن، ووقف على التراب السويدي لأول مرة منذ أحد عشر عاماً. كان الوقت هو أواخر ديسمبر ١٩٤٨، وكان الطقس هو المعتاد في ذلك الوقت من العام. وفي قاعة القادمين، كان هناك شاب في انتظار ألَنْ. قال إنه مساعد رئيس الوزراء إيرلاندر وأن رئيس الوزراء يرغب في مقابلة السيد ألَنْ في أقرب وقت ممكن، إذا كان يمكن ترتيب ذلك.

قال ألَنْ إنه يمكن، وتبع عن طيب خاطر المساعد الذي دعا ألَنْ بفخر إلى الجلوس في سيارة الحكومة الجديدة تماماً، فولفو سوداء لامعة «بي في ٤٤٤».

«هل سبق وأن رأيت شيئاً بمثل هذه الأناقة، سيد كارلسون؟» سأل المساعد الذي يهتم بالسيارات. «بقوة أربعة وأربعين حصاناً.»

«رأيت دي-سوتو حمراء نبيذية رائعة حقاً في الأسبوع الماضي»، أجاب ألَنْ. «لكن سيارتك في حالة أحسن الآن.»

أخذت الرحلة بالسيارة ألَنْ إلى وسط ستوكهولم ونظر حوله باهتمام. شعر بالعار لأنه لم يسبق له أبداً أن ذهب إلى العاصمة من قبل. إنها مدينة جميلة في الحقيقة، فيها المياه والجسور منثورة في كل مكان، وليس أيٌّ منها منسوفاً.

رحب رئيس الوزراء بألَنْ: «سيد كارلسون! لقد سمعت الكثير عنك!» ودفع بعدها بالمساعد خارج الغرفة وأغلق الباب وراءه.

لم يقل ألَنْ ذلك، ولكنه أدرك أنه لم يكن قد سمع بأي شيء من أي نوع عن تيغ إيرلاندر هذا. بل إن ألَنْ لا يعرف ما إذا كان رئيس الوزراء يمينياً أم يسارياً. لا بدّ أن يكون أحدهما بالتأكيد، لأنه إذا كان ثمة شيء علّمته الحياة لألَنْ، فهو أن الناس يصرون على أن يكونوا إما على هذا الجانب أو ذاك.

على أي حال، فليكن رئيس الوزراء ما يريد. المسألة الآن هي سماع ما سيقول.

كان رئيس الوزراء، كما اتضح، قد عاود الاتصال بالرئيس ترومان بعد المكالمة الأولى في مكالمة هاتفية أطول عن ألَنْ. ولذلك، فإنه يعرف الآن كل شيء عن...

لكن رئيس الوزراء توقف عندئذ عن الكلام. لقد أمضى في المنصب أقل من سنة حتى الآن، وهناك الكثير الذي ما يزال عليه معرفته. لكنه عرف مُسبقاً شيئاً واحداً، مع ذلك: في مواقف معينة، يكون من الأفضل أن لا تعرف، أو على الأقل، أن لا تدّخر أي وسيلة لإثبات أنك تعرف ما تعرف.

وهكذا، لم يكمل رئيس الوزراء جملته أبداً. سوف يبقى ما قاله له الرئيس ترومان عن ألَنْ كارلسون إلى الأبد سراً بينه وبين نفسه. وبدلاً من ذلك، ذهب رئيس الوزراء مباشرة إلى الموضوع:

«فهمت أنه ليس لديك شيء تعود إليه هنا في السويد، ولذلك رتبت لك دُفعة نقدية مقابل خدماتك للأمة... إذا جاز التعبير... هذه عشرة آلاف كرونة لك.»

وسلم رئيس الوزراء مغلفاً سميكاً مليئاً بالأوراق النقدية وطلب من ألَنْ توقيع إيصال بالتسلم. يجب أن يكون كل شيء حسب الأصول.

«شكراً جزيلاً لك، سيدي رئيس الوزراء. يخطر لي أنني سأتمكن بهذه المكافأة الجميلة والسخية من شراء ملابس جديدة وشراشف نظيفة في فندق أقضي فيه الليلة. حتى أنني ربما أتمكن من تنظيف أسناني بالفرشاة لأول مرة منذ أغسطس ١٩٤٥...»

قاطع رئيس الوزراء ألَنْ بالضبط عندما كان على وشك وصف حالة ملابسه الداخلية، وأبلغه بأن هذه النقود هي بلا شروط، بالطبع، ولكن بما أن الأنشطة المتصلة بالانشطار النووي جارية في السويد في هذا الوقت، فإن رئيس الوزراء يريد من السيد كارلسون إلقاء نظرة.

كانت الحقيقة أن رئيس الوزراء إيرلاندر ورث عدداً من القضايا المهمة عندما توقف قلب سلفه في الخريف الماضي، ولم تكن لديه أي فكرة عنها. على سبيل المثال: أي موقف ستتخذه السويد إزاء شيء يسمى القنبلة الذرية. كان رئيس هيئة الأركان يخبره دائماً بكيف يجب على الدولة أن تدافع عن نفسها ضد الشيوعيين، بما أنه ليس هناك سوى فنلندا الصغيرة تقف بين السويد وستالين.

كان هناك جانبان للمسألة. فمن جهة، حدث أن يكون رئيس هيئة الأركان منزوجاً من عائلة غنية من الطبقة العليا، وكان معروفاً أنه يشرب بعضاً من «الأشياء الصعبة» في بعض الأحيان مع الملك السويدي العجوز. لكن إيرلاندر، الديمقراطي الاجتماعي، لم يستطع تحمل فكرة أنه يمكن لغوستاف الخامس حتى أن يتخيل أن بإمكانه التأثير على سياسة الدفاع السويدية.

ومن ناحية أخرى، لم يستطع إيرلاندر استبعاد احتمال أن يكون رئيس هيئة الأركان على حق. لا يمكنك أن تثق بستالين والشيوعيين، ولو أنهم وضعوا في رؤوسهم فكرة توسيع منطقة مصالحهم في الغرب، فإن السويد قريبة منهم على نحو غير مستحب.

كانت دائرة الأبحاث العسكرية السويدية قد نقلت اختصاصييها القلائل في الطاقة تواً إلى الوكالة المُنشأة حديثاً للطاقة النووية.

والآن، كان الخبراء يحاولون تخمين ما حدث في هيروشيما وناغازاكي. وبالإضافة إلى ذلك، كانت مهمتهم، بعبارات أعم، هي «تحليل المستقبل النووي من منظور سويدي.» ولم يقل ذلك أحد، لكن رئيس الوزراء إيرلاندر فهم أن المهمة المصوغة بشكل غامض ستكون –إذا ما وُضِعت بلغة عادية– على النحو التالي:

كيف بحق الجحيم نبني قنبلتنا النووية الخاصة، إذا كان ذلك ضرورياً؟

والآن، أصبحت الإجابة تجلس مباشرة أمام رئيس الوزراء. كان تاغ إيرلاندر يعرف ذلك، لكنه يعرف فوق كل شيء أنه لا يريد أن يعرف أحد آخر بما يعرفه. إن السياسة تتعلق كلها بأين تضع قدميك.

وهكذا، اتصل رئيس الوزراء إيرلاندر في اليوم السابق برئيس الأبحاث في وكالة الطاقة النووية، الدكتور سيغفارد إيكلوند، وطلب منه دعوة ألَنْ كارلسون إلى مقابلة عمل يستطيع خلالها أن يسأله بدقة عما إذا كان يمكنه أن يفيد نشاطات الوكالة –بافتراض أن السيد كارلسون مهتم أساساً.

لم يكن الدكتور إكلوند مسروراً أبداً بتدخل رئيس الوزراء نفسه في مشروع ذري. بل انه شك بأن ألن كارلسون هذا ربما يكون جاسوساً اشتراكياً ديمقراطياً. لكنه وعد بمقابلة كارلسون، حتى مع أن رئيس الوزراء، وبشكل غريب، لا يقول أي شيء عن

مؤهلات الرجل. وقد أكد إيرلاندر للتوّ على كلمة «بدقة» عندما قال إن على الدكتور إكلوند أن يسأل السيد ألَنْ بدقة عن خلفيته.

من جهته، قال ألَنْ إنه ليس لديه شيء ضد مقابلة الدكتور إكلوند أو أي دكتور آخر، إذا كان ذلك سيسر رئيس الوزراء.

***

إن مبلغ عشرة آلاف كرونة هو مقدار هائل تقريباً من المال، فكّر ألن، وحجز في أغلى فندق استطاع العثور عليه. وكانت لدى موظف الاستقبال في «فندق غراند» شكوكه إزاء الرجل القذر سيئ اللباس حتى أظهر له ألَنْ إثبات هويته بجواز سفر سويدي دبلوماسي.

«طبعاً لدينا غرفة لك، سيدي الملحق العسكري»، قال موظف الاستقبال. «هل تود الدفع نقداً أم نرسل الفاتورة إلى وزارة الخارجية؟»

«نقداً سيكون جيداً»، قال ألن، «هل تريد دفعة مقدماً؟»

«أوه، كلا، سيدي السيد الملحق. طبعاً لا!» قال الموظف وانحنى.

لو كان بوسع الموظف أن ينظر في المستقبل، لكان قد أجاب بالتأكيد بشكل مختلف.

***

في اليوم التالي، رحب الدكتور إكلوند بألن كارلسون المستحمّ حديثاً وحسن الملابس، بشكل أو بآخر، في مكتبه في ستوكهولم. وعرض عليه الدكتور قهوة وسيجارة، تماماً كما كان يفعل الرئيس القاتل في طهران. (مع ذلك، نفض إكلوند سيجارته في منفضة سجائره الخاصة).

لم يكن الدكتور إكلوند راضياً عن الطريقة التي تدخل بها رئيس الوزراء في إجراءات إكلوند لتجنيد الكوادر. وشعر ألَنْ، من جهته، بالتوتر السلبي في الغرفة، وذكره ذلك للحظة بالمرة الأولى التي التقى فيها سونغ ماي-لينغ. يستطيع الناس أن

يفعلوا ما يريدون، لكن ألَنْ يرى أن من غير الضروري بشكل عام أن تكون غاضباً إذا توافرت لك فرصة أن لا تكون كذلك.

كان اللقاء بين الرجلين قصيراً:

«طلب مني رئيس الوزراء أن أسألك بدقة، سيد كارلسون، لنرى إذا كنتَ تناسب العمل في منظمتنا. وهذا ما سوف أفعله، بعد إذنك، بطبيعة الحال.»

«نعم، حسناً.» اعتقد ألَن أن من الطبيعيّ أن يريد السيد دكتور المعرفة أكثر عن ألَن، كما أن الدقة فضيلة، ولذلك ينبغي للسيد دكتور أن يسأل ببساطة.

«حسناً، إذن»، قال الدكتور إكلوند. «هل يمكننا أن نبدأ بدراستك...؟»»

ليس هناك الكثير مما يمكن التباهي به»، قال ألن، «ثلاث سنوات فقط.»

«ثلاث سنوات!» قال الدكتور مندهشاً. «بثلاث سنوات من التعليم الأكاديمي، سيد كارلسون، يمكنك بالكاد أن تكون فيزيائياً، رياضياً، أو كيميائياً؟»

«كلا، الثلاثة معاً في الحقيقة.» لقد تركت المدرسة يوم عيد ميلادي العاشر.

بذل الدكتور إكلوند جهداً للاحتفاظ برباطة جأشه. الرجل إذن لم يتلقَ أي تعليم! هل يمكنه حتى أن يقرأ ويكتب؟

«هل لديك، سيد كارلسون، أي خبرة مهنية يمكن اعتبارها ذات صلة بالعمل الذي يمكنك افتراض أننا نقوم به هنا في وكالة الطاقة الذرية؟»

«حسناً، نعم، إذا جاز القول.» لقد عمل لبعض الوقت في الولايات المتحدة، في لوس ألاموس في نيومكسيكو.

الآن، أشرق وجه الدكتور إكلوند. ربما يكون لإيرلاندر عذره بعد كل شيء. إن الذي تحقق في لوس ألاموس هو شيء معروف للعامة. ماذا كان عمل السيد كارلسون هناك؟

«كنت أقدم القهوة»، أجاب ألن.

«القهوة؟» وأعتَم وجه الدكتور إكلوند ثانية.

«نعم، والشاي في بعض المناسبات أيضاً.» كنت مساعداً عاماً ونادلاً.

«هل شاركت أبداً في أي اتخاذ قرارات من أي نوع تتصل بالانشطار النووي؟»

«كلا»، أجاب ألن؛ ربما كان أقرب ما وصلت إليه هو تلك المرة التي قلت فيها شيئاً في اجتماع حيث كان يفترض بي فعلياً أن أقدم القهوة.»

«إذن حدث أن قال السيد كارلسون شيئاً في اجتماع كان فيه نادلاً في الحقيقة... ثم ماذا حدث؟»

«حسناً، قوطع الاجتماع... ثم طُلِب مني مغادرة الغرفة.»

الآن، صُعِق الدكتور إكلوند تماماً. هل ظن رئيس الوزراء أن نادلاً تسرّب من المدرسة قبل بلوغ العاشرة يمكن استخدامه في بناء قنابل ذرية للسويد.

اعتقد الدكتور إكلوند أنه سيكون شيئاً مثيراً حقاً إذا صمد رئيس الوزراء المبتدئ حتى لسنة واحدة، ثم سأل ألَنْ عما إذا كان لدى السيد كارلسون شيء ليقوله قبل أن ينتهي اجتماعهما الآن. لم يعتقد الدكتور إكلوند أن هناك أي شاغر للسيد كارلسون في الوقت الحاضر. صحيح أن المساعدة غريتا التي تقدم القهوة للأكاديميين في وكالة الطاقة الذرية لم تذهب إلى لوس ألاموس مطلقاً، لكن الدكتور إكلوند يعتقد مع ذلك بأنها تؤدي عملاً جدياً. بالإضافة إلى ذلك، تجد غريتا الوقت أيضاً لتنظيف المكاتب، وينبغي أن يكون ذلك ميزة إضافية.

جلس ألَنْ هناك صامتاً للحظة، وتساءل عما إذا كان عليه أن يوضح للدكتور أنه، على عكس كل أكاديميي الدكتور إكلوند، وربما غريتا أيضاً، يعرف فعلاً كيف يبني قنبلة ذرية. لكن ألن قرر عندئذ أن الدكتور إكلوند لا يستحق مساعدته إذا لم يكن يمتلك حتى المنطق ليطرح السؤال. وإلى جانب ذلك، كان طعم قهوة غريتا مثل ماء غسل الصحون.

•••

لم يحصل ألَنْ على عمل في وكالة الطاقة الذرية، لأنه نُظِرَ إلى مؤهلاته باعتبارها غير مناسبة بطريقة مروعة. لكنه شعر برضا عميق عندما جلس على مقعد في حديقة خارج فندق غراند، مع مشهد رائع للرويال بالاس أمامه عبر المياه. وكيف يمكن أن يشعر غير ذلك؟

ما يزال لديه حتى الآن معظم النقود التي تلطّف رئيس الوزراء بإعطائها له. وهو يقيم في فندق فاخر لفترة الآن. ويأكل في مطعم كل مساء، وفي هذا اليوم بالذات في أوائل يناير، يجلس والشمس في وجهه ويشعر بكيف تدفئ جسده وروحه. بالطبع، هناك بعض البرد تحت مؤخرته، ولذلك كان من المفاجئ بعض الشيء أن يأتي رجل ويجلس إلى جانب ألَنْ مباشرة.

حيا ألَنْ الرجل بـ«مساء الخير» مهذبة بالسويدية.

«مساء الخير، سيد كارلسون»، أجاب الرجل بالإنجليزية.

أربعة عشر
الاثنين، ٩ مايو، ٢٠٠٥

عندما أبلغ كبير المفتشين أرونسون مكتشفاته للمدعي العام كوني رانيليد في إسكلستونا، قرر المدعي العام فوراً إصدار مذكر توقيف بحق ألَنْ كارلسون، يوليوس يونسون، بيني يونبيرغ، وغونيلا بيوركلُند.

كان أرونسون والمدعي العام المسؤول عن القضية على اتصال وثيق منذ هبط المئوي من النافذة واختفى، واستمر اهتمام المدعي العام بالتزايد. والآن أصبح يفكر في الاحتمال المذهل لإدانة ألَنْ كارلسون بتهمة القتل، أو للقتل غير العمد على الأقل، على الرغم من أنهم لم يعثروا على أي ضحايا بعد. هناك قضية أو اثنتان في تاريخ السويد القانوني تبينان أنه يمكن القيام بذلك. لكنك تحتاج إلى أدلة جيدة بدرجة استثنائية ومدعٍ عام بالغ المهارة. ولم يكن الشرط الثاني مشكلة للمدعي العام كوني رانيليد، أما بالنسبة للأول فإنه ينوي بناء سلسلة من الأدلة الظرفية، حيث تكون الصلة الأولى هي الأقوى، ولا تكون أيّ صلة ضعيفة في الحقيقة.

شعر كبير المفتشين أرونسون ببعض الخيبة من الطريقة التي تطورت بها الأمور. كان يمكن أن يكون من الأكثر مرحاً بكثير أن تنقذ رجلاً مُسِناً من براثن عصابة من المجرمين، بدلاً من فشلك –كما هو حاصل الآن– في إنقاذ المجرمين من براثن المسنّ.

«هل يمكننا حقاً إثبات أن ألَنْ كارلسون والآخرين متورطون في موت بايلوند، وهولتن، وغيردن، في حين ما نزال بلا أيّ جثث حتى الآن؟» سأل أرونسون، آملاً أن تكون الإجابة «لا».

«لا تكن مُحبَطاً هكذا، يا غوران»، قال المدعي العام كوني رانيليد. «سوف ترى؛ ذلك العجوز الأحمق سيقول كل شيء بمجرد أن تقبض لي عليه. وإذا كان خرفاً جداً، فإنني واثق أن الآخرين سيناقضون بعضهم البعض، وذلك سيعطينا كل ما نحتاج إليه.»

ثم قام المدعي العام بمراجعة القضية مرة أخرى مع كبير مفتشيه. أولاً، شرح الاستراتيجية. إنه لا يعتقد أنهما سيتمكنان من حبسهم جميعاً بتهمة القتل، لكن هناك تهماً أخرى أيضاً —القتل غير العمد، أو المساعدة في ارتكاب هذه الجناية أو تلك، أو التسبب بالوفاة، أو حماية مجرم. وحتى الجرائم ضد القانون المتعلقة بالجثث يمكن استخدامها، لكن المدعي العام سيحتاج إلى بعض الوقت ليفكر في ذلك.

بما أن بعض المشتبه بهم تورطوا في الأحداث بعد آخرين وسيكون من الأصعب إدانتهم، نوى المدعي العام التركيز على الرجل الذي كان وسط الأمر كله كل الوقت، المئوي ألَنْ كارلسون.

«في هذه الحالة، أعتقد أننا سنتمكن من استصدار حكم بالسجن مدى الحياة بالمعنى الحقيقي للكلمة»، قال المدعي العام رانيليد مازحاً.

في البداية، يوجد لدى الرجل العجوز دافع لقتل بايلُند، وهولتِن وغيردن. والدافع هو أنه كان سيغامر بغير ذلك بالعكس —أن يتخلص منه بايلُند، وهولتِن وغيردن. ويوجد لدى المدعي العام دليل على أن الرجال الثلاثة من منظمة «ليس ثانية أبداً» لديهم ميل للجوء إلى العنف. لكن ذلك لا يعني أنه تصرف دفاعاً عن النفس، لأن بين كارلسون من جهة والضحايا الثلاث من ناحية أخرى، حقيبة ذات محتوى غير معروف للمدعي العام. ومنذ بداية البداية، كانت الحقيبة بوضوح في مركز الأحداث. وهكذا، فإنه كان للرجل العجوز في الواقع بديل عن قتل الآخرين – كان يمكنه الامتناع عن سرقة الحقيقة، أو إعادتها على الأقل.

بالإضافة إلى ذلك، يمكن للمدعي العام أن يشير إلى عدة صلات جغرافية بين السيد كارلسون والضحايا: الضحية الأولى، تماماً مثل السيد كارلسون، نزل من الحافلة في محطة بايرينغ، حتى لو أن ذلك لم يكن في نفس الوقت. و، على العكس من السيد

كارلسون ورفاقه، لم يُشاهَد الضحية رقم واحد بعد رحلة عربة الترولي. ومع ذلك، أصبح «شخص ما» جثة هناك وترَك أثراً خلفه. وبدا واضحاً من يكون ذلك الشخص. لقد ظل الرجل العجوز واللص المحترف يونسون حيين كلاهما بكل وضوح لاحقاً في نفس اليوم.

لم تكن الصلة الجغرافية بين كارلسون والضحية رقم اثنين قوية تماماً. لم تتم مشاهدتهما معاً. لكن سيارة مرسيدس فضية من ناحية، ومسدساً منسياً من الناحية الأخرى، أخبرا المدعي العام رانليد -وسوف يخبران المحكمة قريباً- بأن السيد كارلسون والضحية هولتِن، الشخص الذي كان يُدعى السطل، كانا كلاهما في مزرعة البحيرة في سمولاند. ولم يكن قد تأكد بعد وجود بصمات هولتِن على المسدس، لكن المدعي العام شعر بأن تلك مسألة وقت فقط.

كان الظهور المفاجئ للمسدس هدية من السماء. إلى جانب أنه سيثبت تواجد السطل هولتِن في مزرعة البحيرة، عزّز الدافع لقتل الضحية رقم اثنين أيضاً. وبالقدر الذي يخص كارلسون، فإن لديهم الآن اكتشاف الحمض النووي الرايبوزي DNA الرائع الذي يمكن أن يستخدموه. سيكون الرجل العجوز بالطبع قد نثره في كل مكان.

وإذن، أصبحت المعادلة الآن لدى المدعي العام: السطل + كارلسون = بحيرة المزرعة! ويمكن استخدام الحمض النووي أيضاً لتأكيد أن الدم في السيارة المحطمة يعود إلى الضحية رقم ثلاثة، بير غونار -غيردن، المعروف أيضاً باسم «الرئيس». وسيتمكنون قريباً من إجراء فحص أكثر دقة للسيارة المدمرة، وسيكشف ذلك بالتأكيد أن كارلسون ورفاقه كانوا هناك أيضاً ووضعوا أصابعهم على كل شيء. وإلا كيف استخرجوا الجثة من السيارة بغير ذلك؟

هكذا استطاع المدعي العام أن يعرض الدافع والصلة في الوقت والمكان بين ألَنْ كارلسون من جهة، وكل رجال العصابة الثلاثة من الجهة الأخرى.

غامر كبير المفتشين بالسؤال عما إذا كان بوسع المدعي العام أن يكون متيقناً من أن كل الضحايا الثلاث هم ضحايا فعلاً، أي أنهم قتلى فعلاً؟

تنشق المدعي العام بعض الهواء، وقال إنه بالقدر الذي يخص رقم واحد ورقم ثلاثة،

فإنهم يحتاجون بالكاد إلى أي تفسير آخر. أما بالنسبة لرقم اثنين، فسيترتب على رانيليد أن يضع ثقته في المحكمة –لأنهم عندما يقبلون بأن رقم واحد ورقم ثلاثة قد ماتا فعلاً، فإن المطاف سينتهي برقم اثنين ليكون صلة في سلسلة مشهودة من الأدلة الظرفية.

«أم أنك تقترح، يا كبير المفتشين، أن رقم اثنين سلم طوعاً مسدسه للناس الذين قتلوا صديقه لتوهم، قبل أن يودع بحنان ويغادرهم من دون انتظار وصول رئيسه بعد ساعات قليلة؟» سأل المدعي العام رانيليد بلهجة استهزاء.

«كلا، لا أظن ذلك»، قال كبير المفتشين، بطريقة دفاعية.

اعترف المدعي العام لكبير المفتشين أرونسون بأن القضية ربما تكون ضعيفة قليلة، لكن المتماسك حقاً هو سلسلة الأحداث. لم يكن لدى المدعي العام سلاح قتل (ما عدا الحافلة الصفراء). لكن الخطة هي إدانة كارلسون بقتل الضحية رقم واحد كبداية.

«على أقل تقدير، سأسجن العجوز بتهمة القتل غير العمد، أو بكونه شريكاً. وبمجرد أن أتمكن من إدانته، فإن الآخرين سيسقطون معه عندئذ –بدرجات متفاوتة، لكنهم سوف يسقطون!»

لم يكن المدعي العام يستطيع في الحقيقة اعتقال الناس على أساس أنهم سيناقضون بعضهم البعض كثيراً خلال الاستجواب حتى أنه سيتمكن من وضعهم رهن الاحتجاز. ومع ذلك، كانت تلك الخطة «ب»، لأنهم هواة، كلهم جميعاً. مئوي، لص تافه، صاحب كشك نقانق، وامرأة: كيف بحق الجحيم سيستطيعون تحمل الضغط في غرفة الاستجواب؟

«اذهب إلى فاكسيو، يا أرونسون، واحجز في فندق محترم. سوف أسرِّب الأخبار هذا المساء عن أن المئوي هو آلة قتل حقيقية، وفي صباح الغد الباكر سوف تحصل على الكثير من المعلومات عن أين هو حتى أنك ستتمكن من التقاطه قبل الغداء، أعدك.»

خامس عشر
الاثنين، ٩ مايو، ٢٠٠٥

«هاك الثلاثة ملايين، يا شقيقي العزيز. وأريد اغتنام الفرصة للاعتذار عن الكيفية التي تصرفتُ بها في موضوع نقود العم فريزر.»

دخل بيني في الموضوع مباشرة عندما التقى شقيقه بوسّي لأول مرة في ثلاثين سنة. سلّمه حقيبة تضم النقود حتى قبل أن يتسنى لهما الوقت للمصافحة. واستأنف، بصوت جاد، بينما كان شقيقه ما يزال يلتقط أنفاسه:

«والآن سوف أخبرك بشيئين. الأول هو أننا نحتاج مساعدتك، لأننا صنعنا فوضى حقيقية. والثاني هو أن النقود التي أعطيتها لك هي لك، وأنت تستحقها. وإذا أردت أن تعيدنا على أعقابنا، فإنك تستطيع ذلك، النقود لك بغض النظر عن أي شيء.»

وقف الشقيقان في ضوء السقف الوحيد الذي ما يزال يعمل في الحافلة الصفراء، خارج مدخل مسكن بوسّي الكبير، مزرعة بيلرينغر، في سهل فوستفونتا على بعد بضعة أميال فقط إلى جنوب غرب بلدة فالمكوبينغ الصغيرة.

استجمع بوسي رشده بأفضل ما يستطيع، ثم قال أن لديه بعض الأسئلة، إذا كان ذلك يناسب؟ ووعد بأن سيقرر، على أساس الإجابات، احتمالات أي ضيافة ممكنة. وأطرق بيني موافقاً.

«حسناً»، قال بوسّي. «هذه النقود التي أعطيتها لي توّاً، هل هي مكتسبة بشرف؟»

«قطعاً لا»، قال بيني.

«هل الشرطة تسعى وراءكم؟»

«يفترض أنهم اللصوص والشرطة معاً»، قال بيني. «وإنما اللصوص بشكل أساسي.»

«ماذا حدث للحافلة؟ المقدمة كلها محطمة.»

«صدمنا بها لصاً بالسرعة القصوى.»

«هل مات؟»

«كلا، لسوء الحظ. إنه مستلقٍ في الحافلة مع ارتجاج في الدماغ، وأضلاع مكسورة، وذراع مكسورة، وجرح كبير مفتوح في فخذه الأيمن. حالته خطيرة لكنها مستقرة، كما يقولون.»

«وجلبتموه معكم؟»

«نعم، الأمور سيئة إلى هذا الحدّ.»

«هل هناك أي شيء آخر أحتاج إلى معرفته؟»

«حسناً، ربما قتلنا زوجاً من اللصوص الآخرين على الطريق، أصدقاء هذا نصف الميت في الحافلة. لقد أصروا على استعادة الخمسين مليوناً التي حدث أنها وصلت إلى أيدينا.»

«خمسون مليوناً؟»

«خمسون مليوناً. ناقصة بعض المصاريف –لهذه الحافلة، من بين أمور أخرى.»

«ولماذا تتنقلون في حافلة؟»

«لدينا فيلة في الخلف.»

«فيلة؟»

«إنها تدعى سونيا!»

«فيلة؟»

«آسيوية.»

«فيلة؟»

«فيلة.»

صمت بوسي بضع لحظات، ثم قال:

«هل الفيلة مسروقة أيضـاً؟»

«كلا، لا تستطيع أن تقول ذلك بالضبط.»

وصمت بوسي مرة أخرى، ثم قال:

«دجاج مشوي وبطاطا مشوية للعشاء. هل سيكون ذلك جيداً؟»

«أنا على يقين أنه كذلك»، قال بيني.

«هل يشمل ذلك شيئاً للشرب؟» قال صوتُ عجوز قادم من داخل الحافلة.

•••

عندما تبين أن جثته ما تزال حية وسط سيارته المحطمة، أمر بيني يوليوس بالذهاب فوراً لإحضار حقيبة الإسعاف الأوليّ خلف مقعد السائق في الحافلة. قال بيني إنه يعرف أنه يسبّب لهم المتاعب، لكن عليه باعتباره شبه طبيب أن يفكر أيضاً بأخلاقيات الطبيب. وهكذا، يكون ترك الجثة جالسة هناك تنزف حتى الموت أمراً غير قابل للتفكير فيه.

بعد عشر دقائق، كانوا يمضون في طريقهم ثانية. كانت نصف الجثة قد حُرّر من حطام السيارة، وقد فحصه بيني، ووضع تشخيصاً، وأجرى له بمساعدة حقيبة الإسعافات الأولية العناية الطبية ذات الصلة، وتأكد أولاً من إيقاف النزيف الدموي الكثيف من فخذ نصف الجثة.

وهو ما رتّب على ألن ويوليوس الانتقال إلى الجزء الخلفي من الحافلة لينضما إلى سونيا، من أجل السماح لنصف الجثة بالاستلقاء على المقعد الخلفي في مقصورة السائق، وحيث أصبحت الجميلة هي الممرضة المناوبة. وكان بيني قد تحقق مُسبقاً من أن نبض الضحية وضغط دمه يعملان بانتظام معقول. وبحقنة مناسبة من المورفين، ضمن بيني أيضاً أن يستطيع الجثة النوم، على الرغم من كل إصاباته.

بمجرد أن اتضح أن الأصدقاء هم حقاً موضع ترحيب للبقاء مع بوسّي، فحص بيني مريضه من جديد. كان نصف الجثة ما يزال نائماً بعمق، وقرر بيني أن عليهم الانتظار قبل نقله. ثم انضم بيني إلى المجموعة في مطبخ بوسّي الواسع. وبينما شغل مضيفهم نفسه في إعداد وجبة، وصف له الأصدقاء –واحداً بعد الآخر– المسار الدرامي للأيام

القليلة الأخيرة. ألَنّ أولاً، ثم يوليوس، وبعد ذلك بيني ببعض المساعدة من الجميلة، ثم بيني مرة أخرى عندما وصلوا إلى الجزء الخاص بصدم بي أم دبليو البلطجي رقم ثلاثة.

على الرغم من أن بوسّي سمع توّاً وبالتفصيل كيف فقد اثنان من الناس أرواحهما، وكيف تم إخفاء مسار الأحداث بطريقة تنتهك القانون السويدي، كان لديه شيء واحد فقط أراد منهم أن يؤكدوه:

«الآن، إذا كنت قد فهمتكم بالشكل الصحيح... لديكم فيلة في الحافلة.»

«نعم، لكنها يجب أن تخرج صباح الغد»، قالت الجميلة.

خلاف ذلك، لم يجد بوسي الكثير ليعلق عليه. القانون دائماً يقول شيئاً، في حين تؤدي الأخلاقية إلى استنتاج مختلف، في رأيه، ولم يعتقد أن عليه النظر أبعد من أنشطته الخاصة صغيرة النطاق ليجد أمثلة على كيف يمكن وضع القانون جانباً طالما أنك تبقي رأسك مرفوعاً.

«تقريباً مثل الطريقة التي تعاملتَ بها مع ميراثنا، سوى أن ذلك كان بالطريقة المعاكسة»، وجد بوسي نفسه يقول لبيني.

«أوه، نعم، من الذي حطم دراجتي النارية؟» ردّ بيني.

«لكن ذلك حدث لأنك انسحبت من دورة اللّحام»، قال بوسي.

«وأنا فعلت ذلك لأنك كنتَ تتأمّر عليّ كل الوقت»، قال بيني.

بدا أن لدى بوسّي الإجابة عن جواب بيني لجواب بوسي، لكن ألَنّ قاطع الأخوين بالقول إنه صال وجال في أنحاء العالم، وإذا كان هناك شيء تعلمه من ذلك، فهو أن أكبر الصراعات التي تبدو الأكثر استحالة على الحل في العالم قامت في الأساس على المجادلة:

«أنت أحمق، كلا، إنه أنت الأحمق، كلا، إنه أنت الأحمق!» والحل دائماً، قال ألن، هو شرب زجاجة من الفودكا معاً ثم النظر إلى الأمام. لكن هناك الآن مشكلة مؤسفة لأن بيني من الممتنعين عن شرب المسكرات. يمكن لألَنّ، بطبيعة الحال، أن يعتني بحصة بيني من الفودكا، لكنه لا يعتقد أنّ الأمر سيكون الشيء نفسه.

«وإذن، زجاجة من الفودكا سوف تحل صراع إسرائيل وفلسطين؟» سأل بوسّي.

«ذلك يمتد كل الطريق وراءً إلى الإنجيل.»

«بالنسبة للمشكلة المخصوصة التي تذكرها، ليس من المستحيل أن تحتاج إلى أكثر من زجاجة.» أجاب ألن، «لكن المبدأ يبقى هو نفسه.»

«هل ينفع إذا شربت شيئاً آخر؟» سأل بيني، وهو يشعر -بكل امتناعه عن الكحول- كما لو أنه يدمر العالم.

سُرّ ألن بالتطور. لقد فقد الجدل بين الشقيقين سُمّه وحدّته. علق على ذلك، وأضاف أن الفودكا المعنيّة، لذلك السبب نفسه، يمكن استخدامها لأغراض أخرى غير حل النزاعات.

«يجب على الخمور أن تنتظر»، قال بوسّي، «بما أن الطعام أصبح جاهزاً.»

دجاج قادم مباشرة من الشيّ وبطاطا مشوية مع بيرة للراشدين ومشروب غازي لشقيقه الصغير. وبينما يبدأون عشاءهم في المطبخ، استيقظ بير-غونار «الرئيس» غيردن. كان مصدوعاً، ويتألم حين يتنفس، وربما تكون إحدى يديه مكسورة لأنها معلقة بحمالة كتف، وعندما ناضل ليهبط من مقصورة الحافلة، شرع جرح في فخذه الأيمن بالنزيف. وعلى نحو بالغ الإدهاش، وجد مسدسه متروكاً في صندوق التابلوه. يبدو أن كل الناس في كل العالم حمقى، ما عداه هو.

كان المورفين ما يزال يعمل، ولذلك استطاع تحمل الألم، لكنه جعل من الصعب عليه أيضاً أن يرتب أفكاره. تسكع في الفناء وهو يعرج وحدق عبر النوافذ المختلفة، حتى تأكد أن الناس في المنزل مجتمعون كلهم معاً في المطبخ، بما في ذلك الكلب الألزاسي. و، تبين أن باب المطبخ المفتوح على الحديقة غير مقفل من الداخل. وعرج «الرئيس» داخلاً عبر الباب، وبتصميم كبير قال والمسدس في يده اليسرى:

«اقفلوا على الكلب في المخزن، وإلا أطلقت النار عليه. وبعد ذلك، ستبقى لديّ خمس رصاصات، واحدة لكل واحد منكم.»

فوجئ «الرئيس» بقدرته على الاحتفاظ بغضبه تحت السيطرة بشكل جيد. وبدت الجميلة غير سعيدة أكثر من كونها خائفة بينما تقود «المغفل» إلى المخزن وتغلق الباب

عليه. وقد فوجئ «المغفل» وشعر بقليل من القلق، لكنه كان راضياً فوق كل شيء. لقد اكتشف أنه قد حُبس توّاً في داخل مخزن، وهناك أشياء أسوأ يمكن عملها بكلب.

كان الأصدقاء الخمسة الآن مصطفّين في المطبخ. أخبرهم «للرئيس» بأن الحقيبة في الزاوية تعود إليه، وأنه سوف يأخذها معه عندما يغادر. ويحتمل أنه سيترك واحداً أو اثنين من الخمسة أحياء، اعتماداً على إجاباتهم عن أسئلته، والمقدار الذي اختفى من محتويات الحقيبة. وكان ألن أول من تحدّث. قال إن بضعة ملايين نقصت في الحقيقة من الحقيبة، لكن السيد صاحب المسدس ربما يرضى بقدر أقل، بما أن اثنين من زملاء صاحب المسدس ماتا -لمختلف الأسباب، وهذا يعني أنه أصبح هناك أناس أقل ليتقاسم النقود معهم.

«هل البرغي والسطل ميتان؟» سأل الرئيس.

«بايك؟» هتف بوسّي فجأة باندهاش. «إنه أنت، بايك. لقد مر وقت طويل!»

«بوسّي بادي!» ردّ بير-غونار «بايك» غيردن مندهشاً.

والتقى بوسّي بادي وبايك غيردن بالأحضان والعناق وسط المطبخ.

«أعتقد حقاً أنني سأنجو من هذا أيضاً!» قال ألن.

•••

أُطلق سراح «المغفل» من المخزن، وعالج بيني جرح «بايك» غيردن النازف، وهيأ بوسّي بادي مكاناً إضافياً على المائدة.

«شوكة فقط ستكفي»، قال بايك؛ «لا أستطيع استخدام ذراعي اليمنى على أيّ حال.»

«كنت بارعاً في استخدام اليد اليمنى مع السكين في الأيام الخوالي»، قال بوسّي بادي.

كان بايك وبوسّي بودي صديقين حميمين، وشركاءَ أيضاً في تجارة الأغذية. وكان بايك دائماً هو الطرف قليل الصبر، الشخص الذي أراد قطع تلك المسافة الإضافية

مرة واحدة. وفي النهاية، ذهب كل منهما في سبيله عندما أصر بايك على أن يستورد الصديقان اللحم السويدي من الفلبين، وأن يُعالجاه بالفورمالين لتمديد تاريخ انتهاء صلاحيته من ثلاثة أيام إلى ثلاثة أشهر (أو ثلاث سنوات اعتماداً على سخائك بكمية الفورمالين). وقد قال بوسّي «توقف» عند تلك النقطة. لم يرد أن يتورط في معالجة طعام بشيء ربما يقتل الناس. واعتقد بايك أن بوسّي يبالغ. إن الناس لا يموتون من يضع كيماويات في طعامهم، ومع الفورمالين سيحدث العكس تماماً. ثم انفصل الصديقان ودياً. وانتقل بوسّي إلى فوسترغوتلاند، بينما جرب بايك حظه في سلب مجموعة من المتسورنين، ونجح في ذلك حتى أنه تخلى عن خططه الخاصة باللحوم، وقرر أن يصبح لصاً متفرغاً بدوام كامل.

في البداية، بقي بوسّي وبايك على اتصال مرة أو اثنتين في السنة، لكنّهما انجرفا مُبتعدين عن بعضهما تدريجياً بمرور السنين -حتى تلك الليلة عندما وقف بايك فجأة مترنحاً في مطبخ بوسّي، مُهدِّداً ومخيفاً كما يتذكر بوسّي أنه يستطيع أن يكون عندما يكون في المزاج. لكن غضب بايك تبدد في اللحظة التي وجد فيها صاحباً ورفيقاً من أيام شبابه. وجلس إلى المائدة مع بوسّي بادي وأصدقائه. لم يكن بوسعهم تجنب قتل البرغي والسطل. ويمكنّهم أن يسوّوا أمر الحقيبة وكل شيء آخر في اليوم التالي. أما في هذه اللحظة، فإنهم سيستمعون بعشائهم فقط.

«نخبكم!» قال بير-غونار «بايك» غيردن وأغمي عليه، وحطّ وجهه مباشرة في طبق الطعام أمامه.

مسحوا الطعام عن وجه بايك، ونقلوه إلى غرفة الضيوف، ووضعوه في السرير. وتفقد بيني حالته الطبية وأعطى للمريض جرعة أخرى من المورفين ليتمكن من النوم حتّى صباح اليوم التالي.

بعد ذلك، حان الوقت أخيراً ليستمتع بيني والآخرون بالدجاج والبطاطا المشويين. وقد استمتعوا بهما في الحقيقة!

«هذا الدجاج لذيذ حقاً» امتدح يوليوس الطعام، ووافقوا كلهم على أنهم لم يأكلوا في حياتهم شيئاً بمذاق ألذ من هذا. ما هو السر؟

أخبرهم بوسي بأنه يستورد دجاجاً طازجاً من بولندا («ليس من سقط المتاع، وإنما من أفخر الأنواع»)، ثم يحقن كل دجاجة يدوياً بما يصل إلى ربع لتر من خليط الماء مع التوابل الخاص به. ثم يغلفها. وبكل ذلك الذي يضيفه إليها محلياً، يعتقد بأنه يستطيع أن يصفها بأنها «سويدية» باطمئنان.

«بضعف الجودة بفضل خليط التوابل، وبضعف الوزن بفضل الماء، وبضعف الشعبية بفضل الأصل السويدي»، هكذا لخص بوسّي الأمر.

فجأة أصبح ذلك عملاً تجارياً كبيراً، على الرغم من أنه بدأ على نطاق صغير حقاً. لقد أحب الجميع دجاجه. ولكن، ولأسباب أمنية، لم يكن يبيع لأي من تجار الجملة في المقاطعة، لأنه يمكن أن يمرّ واحد منهم ويكتشف أنها ليست هناك ولا حتى دجاجة واحدة في الخارج تلتقط الحبّ في فناء مزرعة بوسّي.

ذلك هو ما قصده بالفارق بين القانون والأخلاقية، قال بوسّي. لم يكن البولنديون بالتأكيد أكثر سوءاً في إطعام الدجاج وقتله من السويديين. ليس للجودة شأن بالحدود الوطنية، أليس كذلك؟

«الناس حمقى فقط»، اعتقد بوسي. «في فرنسا، اللحم الفرنسي هو الأفضل. في ألمانيا، اللحم الألماني. والأمر نفسه في السويد. ولذلك، ولمصلحة الجميع، أحتفظ ببعض المعلومات لنفسي.»

«ذلك ذكاء منك»، قال ألن، بلا سخرية.

قال بوسّي إنه يصنع شيئاً مشابهاً بالبطيخ الذي يستورده أيضاً، ولو أنه ليس من بولندا. إنه يأتي من إسبانيا والمغرب. وهو يفضل أن يدعوه إسبانياً لأنه لا أحد سيعتقد أنه قادم من سكوفدي وسط السويد. لكنه يحقنه قبل أن يبيعه بربع لتر من محلول السكر في كل بطيخة.

«ذلك يجعلها بضعف الوزن –جيد لي! –وألذ بثلاثة أضعاف –جيد للمستهلك!»

«وهذا أيضاً ذكاء منك»، قال ألن، وأيضاً بلا سخرية.

فكرت الجميلة بأنه لا بد أن يكون هناك زبون أو اثنان ممن لا يجب أن يبتلعوا، لأسباب طبية، نصف ربع من محلول السكر، لكنها لم تقل شيئاً. وإلى جانب ذلك، كان طعم البطيخ سماوياً تقريباً، مثله مثل الدجاج.

***

جلس كبير المفتشين غوران أرونسون في مطعم الفندق، في زاوية فندق الرويال في فاكسيو وتناول كوردون بلو الدجاج. كان الدجاج، الذي لم يكن قادماً من فوسترغوتلاند، جافاً وبلا مذاق. لكن أرونسون ابتلعه بمساعدة زجاجة من النبيذ الجيد.

بحلول هذا الوقت، لا بدّ أن يكون المدعي العام قد همس بالتأكيد في أذن صحفي ما، وفي اليوم التالي، ستكون جماعة الصحفيين قد خرجت بكامل قواتها مرة أخرى. ربما يكون المدعي العام رانيليد محقاً في أن الكثير من المعلومات ستأتي عن مكان الحافلة الصفراء ذات الجبهة المحطمة. وبينما ينتظر هذه المعلومات، فإنه يمكن لأرونسون أيضاً أن يبقى حيث هو. ليس لديه أي شيء آخر يقوم به: لا عائلة، لا أصدقاء، ولا حتى هواية معقولة. عندما تنتهي هذه المطاردة الغريبة، سيقوم بإجراء إصلاحات شاملة لحياته بكل تأكيد.

اختتم كبير المفتشين الأمسية بكأس من الجن والتونيك، وبينما يشرب، جلس هناك وهو يرثي لنفسه ويتخيل أنه يسحب مسدسه الرسمي ويطلق النار على عازف البيانو في البار. ولو أنه تمكن من البقاء مركِّزاً وفكّر بعناية فيما يعرفه أصلاً، لكانت القصة قد تطورت معه بشكل مختلف.

في نفس تلك الأمسية، في مكاتب تحرير صحيفة «الإكسبرس» خاضوا مناقشة لغوية قصيرة قبل تقرير العناوين الرئيسية لليوم التالي. وفي النهاية، قرر رئيس تحرير الأخبار أن موت شخص واحد ربما يكون جريمة قتل، وموت اثنين ربما يكون جريمة

قتل مزدوجة، أما قتل ثلاثة، فلا يمكن أن يُسمى قتلاً جماعياً كما أراد بعض زملائه. لكنه جاء بعنوان جميل في نهاية المطاف.

مفقود
رجل عمره مائة سنة
مشتبه فيه
بجريمة قتل ثلاثية

•••

امتدت الأمسية حتى وقت متأخر بالساهرين في مزرعة بيلربنغر وكلهم في مزاج حسن. كانت القصص المسلية تُلَقّى الواحدة بعد الأخرى. وحقق بوسّي ضربة عندما سحب الإنجيل وقال إنه سيخبرهم بقصة كيف أنه قرأ الكتاب، بطريقة لاإرادية تماماً، من البداية إلى الخاتمة. وتساءل أَلَنْ عن أي أسلوب شيطاني في للتعذيب عانى منه بوسّي، لكنّ ذلك لم يكن هو السبب وراء الموضوع. لم يقم أي طرف خارجي بإجبار بوسّي على أي شيء، كلا، كان فضول بوسّي نفسه هو المسؤول.

«أنا على ثقة من أنني لن أكون بذلك الفضول»، قال ألن.

سأل يوليوس عما إذا كان بوسع أَلَنْ التوقف عن مقاطعة بوسّي لمرة واحدة حتى يتمكنوا من سماع القصة، وقال أَلَنْ إنه يستطيع. ومضى بوسّي في قصته:

ذات يوم قبل بضعة أشهر تلقى مكالمة هاتفية من أحد المعارف في مركز لإعادة تدوير المواد خارج سكوفدي. كان الاثنان قد تعارفا في حلبة السباق. وعلم هذا الرجل من المعارف أن ضمير بوسّي مطاط، وأن بوسّي مهتم دائماً بالفرص التي ربما توفر له مصدراً جديداً للدخل. وقد تلقى مركز إعادة التدوير لتوّه بالة بوزن نصف طن من الكتب التي كانت في طريقها للتحويل إلى لُبّ، لأنها صُنفت على أنها نفاية وليس على أنها أدب، ربما بسبب عيب ما. وأصبح صاحب بوسّي هذا فضولياً لمعرفة أي نوع من الأدب هو ذاك، وفتح الحزمة، فقط ليكتشف إنجيلاً (كان صاحبه يأمل العثور على شيء من نوع مختلف تماماً).

«لكن ذلك لم يكن بالضبط نفس إنجيلكم المعياري»، قال بوسّي، ومرّر عيّنة على الحاضرين ليروا بأنفسهم. «إننا نتحدث عن كتاب فائق الرقة بغلاف جلدي أصلي وحروف مذهّبة وما شابه... انظروا فقط إلى هذا: قائمة بالشخصيات، خرائط ملونة، فهرس...»

كان صاحبه من مركز التدوير مندهشاً كما هم أصدقاؤه الآن، وبدلاً من تحويل التحف إلى لُبّ، اتصل ببوسّي هاتفياً وعرض عليه تهريب الكتب إلى خارج مركز التدوير مقابل... فلنقل ألف كرونة. وانقضّ بوسّي على الفرصة، وفي ذلك المساء نفسه وجد نفسه مع نصف طنّ من الأناجيل الفاخرة في حظيرته. ولكنه مهما حاول، لم يستطع العثور على أي شيء خطأ في الكتب. وكاد ذلك يصيبه بالجنون. وهكذا، جلس ذات مساء أمام النار في غرفة المعيشة وشرع في القراءة، من «في البدء...» وصاعداً. وحتى يكون على الجانب الآمن، جلب إنجيل تعميده القديم ليكون مرجعاً. لا بدّ أن يكون هناك خطأ طباعي في مكان ما، وبغير ذلك، لماذا يرمون شيئاً بهذه الروعة و... القداسة؟

قرأ بوسّي وقرأ، مساءً بعد مساء، و»العهد القديم» تلاه «العهد الجديد»، وهو ما يزال يقرأ، ويقارنه بإنجيل تعميده القديم –دون أن يعثر على أيّ شيء خطأ. ثم، ذات مساء وصل الفصل الأخير، ثم الصفحة الأخيرة، والآية الأخيرة. وهناك كان! ذلك الخطأ المطبعي الذي لا يُغتفر ولا يُدرك الذي حدا بمالك الكتب إلى تحويلها إلى لُبّ.

الآن، أعطى بوسّي نسخة لكل واحد منهم حول المائدة، وقلبوا الكتب حتى آخر آية، وانفجروا في الضحك واحداً بعد الآخر.

كان بوسّي سعيداً بأن يكون الخطأ المطبعي حيث هو فعلاً. لم تكن له أي اهتمام بمعرفة الكيفية التي وصل بها إلى هناك. لقد أرضى فضوله، وقرأ في الأثناء كتابه الأول منذ أيام المدرسة، بل إنه أصبح متديناً قليلاً بينما يستغرق في الموضوع. لم يكن الأمر أن بوسّي سمح بأن يكون له أي رأي فيما يتعلق بمؤسسة التجارة بمزرعته في بيلرينغر، ولا هو سمح للرب بأن يحضر عندما يملأ كشفه الضريبي، ولكن –في نواحٍ أخرى– وضع بوسّي الآن حياته في يد «الأب، الابن، والروح القدس». ومن المؤكد أن

أياً منهم لن يقلق بحقيقة أنه كان ينصُب بسطته في الأسواق أيام الأحد ويبيع الأناجيل وفيها خطأ مطبعي صغير! («فقط بتسعة وتسعين كرونة للواحد! يا إلهي! يا لها من صفقة!»).

لكن بوسّي لو كان يهتم، ولو أنه استطاع، رغم كل التناقضات، أن يصل إلى أصل المسألة، فإنه كان سيمضي إلى القول بعد ما قاله لأصدقائه:

كان منضد حروف في إحدى ضواحي روتردام يمر بأزمة شخصية. قبل عدة سنوات، كان جماعة «شهود يهوه» قد جندوه، لكنهم طردوه وألقوا به إلى الخارج عندما اكتشف، بل وتساءل بصوت عالٍ عن حقيقة أن الجماعة تنبأت بعودة يسوع في ما لا يقل عن أربع عشرة مناسبة بين الأعوام ١٧٩٩ و١٩٨٠ -وتمكنوا بشكل مثير من الخطأ في التنبؤ في كل الأربع عشرة مّرة جميعاً.

على إثر ذلك، انضم منضّد الحروف إلى الكنيسة الخمسينية؛ وأحب تعاليمهم عن يوم القيامة، واستطاع اعتناق فكرة انتصار الله النهائي على الشر وعودة السيد المسيح (من دون تسمية التاريخ فعلياً)، وكيف أن معظم الناس من طفولة منضد الحروف، بما في ذلك والده، سوف يحترقون في الجحيم.

لكن هذه الجماعة الجديدة طردته أيضاً. فقد اختفى ما جمعوه طوال شهر كامل أثناء وجوده في عهدة منضد الحروف. وأقسم بكل ما هو مقدس على أن الاختفاء ليس له علاقة به. وإلى جانب ذلك، إلا يفترض في المسيحيين أن يغفروا؟ وأي خيار بقي لديه عندما تعطلت سيارته واحتاج واحدة جديدة حتى يستطيع الاحتفاظ بعمله؟

بمرارة المرارة نفسها، شرع منضّد الحروف بأداء عمل ذلك اليوم، الذي كان من المفارقات أنه يتكون من طباعة ألفي إنجيل! وإلى جانب ذلك، كان طلب الأناجيل وارداً من السويد هنا، حيث ما يزال والده يعيش، بالقدر الذي يعرفه المنضد، بعد أن هجر عائلته عندما كان المنضد في السادسة من عمره فقط.

بالدموع تملأ عينيه، شرع المنضد في تنضيد الفصل بعد الفصل باستخدام البرنامج الحاسوبي الخاص الذي يستخدمونه في أعمال الطباعة. وعندما وصل إلى الفصل الأخير بالتحديد -كتاب الوحي- أضاعه فحسب. كيف يمكن أن يرغب المسيح العودة

أبداً إلى الأرض؟ إلى هنا حيث تغلب الشر على الخير مرة وللأبد، فأين هي الجدوى من أي شيء ومن الإنجيل...؟ إن الأمر كله نكتة.

وهكذا، حدث أن منضد الحروب صاحب الأعصاب الممزقة أضاف إضافة صغيرة إلى آخر آية في آخر الإنجيل السويدي الذي كان على وشك الطباعة. لم يكن المنضّد يتذكر الكثير من لغة والده، لكنه استطاع تذكر قصة خيالية مناسبة جداً للسياق. وهكذا، أصبحت الأيتان الأخيرتان في الإنجيل بالإضافة إلى الآية التي أضافها المنضد، مطبوعة على النحو التالي:

٢٠. يقول الشاهد بهذا: نعم أنا آتي سريعا. آمين. تعال أيها الرب يسوع!

٢١. نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم. آمين.

٢٢. وتوته توته... خلصت الحدوته.

أصبح المساء المتأخر ليلاً في مزرعة بيلرينغر. وتدفقت الفودكا، شأنها شأن الحب الأخوي، بحرية، وربما كانت لتستمر لولا أن الممتنع عن الكحول، بيني، تنبه كم تأخر الوقت. وأعلم الحاضرين بأن الوقت قد حان ليذهب كل إلى سريره. كانت هناك الكثير من الأشياء التي ينبغي تسويتها في اليوم التالي، وسيكون من الأفضل للجميع أن يكونوا مرتاحين.

لو أنني كنت صاحب ميل فضولي أكبر، لكنت تواقاً إلى معرفة أي نوع من المزاج سيكون عليه الرجل صاحب الوجه المغموس في الطعام عندما يستيقظ، قال ألن.

ستة عشر
١٩٤٨-١٩٥٣

الرجل على مقعد الحديقة قال لتوه مساء الخير، سيد كارلسون، بالإنجلزية، ومن ذلك خرج ألن باستنتاجَين.

أولاً، أن هذا الرجل ليس سويدياً، وإلا لكان قد حاول التحدث بلغته على الأغلب. ثانياً، أنه يعرف من هو ألن، لانه ناداه تواً باسمه.

كان الرجل أنيق الملبس، يعتمر قبعة رمادية بإطار أسود، ومعطفاً رمادياً وحذاءً أسود. يمكن كثيراً أن يكون رجل أعمال. وبدا ودوداً ولا شك أن في باله شيئاً. وهكذا قال ألن، بالإنجليزية:

«هل تبدو حياتي، بأي شكل، على وشك اتخاذ منحنى جديد؟»

أجاب الرجل أنه يمكن عدم استبعاد مثل هذا التغيُّر، لكنه أضاف بلهجة ودودة أن الأمر يعتمد على السيد كارلسون نفسه. الحقيقة أن صاحب العمل الذي يعمل الرجل عنده يريد مقابلة السيد كارلسون ليعرض عليه عملاً.

أجاب ألن بأن أموره جيدة وبأنه يبلي حسناً في هذا الوقت بالذات، لكنه لا يستطيع بطبيعة الحال أن يبقى جالساً على مقعد في الحديقة بقية حياته. هل هناك ثقل إذا سأل عن اسم صاحب العمل؟

وجد ألن من الأسهل أن يقول نعم أو لا لشيء إذا عرف لمن يقول نعم أو لا. ألا يتفق الرجل معه؟

وافق الرجل كليّة، لكن ربّ عمله خاصٌ قليلاً، وربما يفضل أن يقدم نفسه بنفسه شخصياً.

«لكنني مستعد لمرافقتك إلى صاحب العمل المقصود بلا أدنى تأخير، إذا كان هذا يناسبك؟»

لِمَ لا، قال ألن، إن ذلك يناسبه. وأضاف الرجل أن المسافة بعيدة قليلاً. إذا كان السيد كارلسون يريد أن يلتقط متعلقاته من غرفة الفندق، ووعد الرجل بأن ينتظره في بهو الفندق. وفي الحقيقة، يستطيع الرجل أن يقدم للسيد كارلسون توصيلة إلى الفندق، لأن سيارة الرجل مع السائق تقف بجوارهم مباشرة.

وكانت سيارة أنيقة أيضاً، فورد سيدان حمراء من أحدث طراز. ومعها سائق خاص! طرازٌ في حد ذاته. لم يبد ودوداً تقريباً مثل الرجل الودود.

«أعتقد أننا نستطيع تجاوز موضوع غرفة الفندق»، قال ألن. «أنا معتاد على السفر خفيفاً.»

«لا مشكلة»، قال الرجل الودود وربّت على ظهر سائقه بطريقة تعني «انطلق.»

أخذتهم الرحلة إلى دالارو، على بعد ساعة تقريباً إلى الجنوب من العاصمة في طرق متلويّة. وتحدث ألن والرجل الودود عن هذا وذاك من الأشياء. شرح الرجل روعة الأوبرا التي لا تنتهي، بينما أخبره ألن عن كيف تعبر جبال الهيمالايا دون أن تتجمد حتى الموت.

كانت شمس النهار قد غربت عندما دخلت السيدان الحمراء قرية على الشاطئ، معروفة باستقبال سياح الأرخبيل في فصول الصيف، وإنما بشدة الظلام والصمت في الشتاءات.

«إذن، هذا هو المكان الذي يسكنه، صاحب عملك»، قال ألن.

لم يقل سائق الرجل الودود شيئاً. وإنما أنزل ألَنْ والرجل الودود بجانب الميناء وغادر فقط. وقبل ذلك، كان الرجل الودود قد استخرج معطفاً فرائياً من صندوق الفورد، ووضعه على كتفي ألَنْ في إيماءة ودودة وهو يعتذر عن اضطرارهما إلى المشي مسافة قصيرة الآن في البرد الشتائي.

لم يكن ألن شخصاً يعلّق آماله (أو مخاوفه، إذا كان ذلك يهم) على ما قد يحصل في المستقبل القريب. ما حدث قد حدث. ليس ثمة أي جدوى من محاولة التفكير فيه مرة أخرى.

مع ذلك، فوجئ ألَنْ عندما قاده الرجل الودود بعيداً عن وسط دالارو وشرع بدلاً من ذلك بالسير عبر الثلج داخلاً في مساء الأرخبيل الأسود البهيم.

سار الرجل الودود وألن. في بعض الأحيان كان الرجل الودود يشعل مصباحه اليدوي ويومض به قليلاً في العتمة الشتائية قبل أن يستخدمه ليتمكن من رؤية مؤشر بوصلته بشكل مناسب. ولم يتحدث مع ألن خلال المسيرة كلها، لكنه ظل يَعدّ خطواته بصوت عال بدلاً من ذلك –بلغة لم يسبق لألَنْ ولن سمعها من قبل. وبعد خمس عشرة دقيقة من المشي بخطو سريع داخل الفراغ، قال الرجل الودود إنهما وصلا الآن.

كان المكان مظلماً حولهما، باستثناء ضوءٍ يخفق على جزيرة بعيدة. وفجأة، انكسرت الأرض (أو الجليد بالأحرى) تحت أقدام الرجلين.

ربما يكون الرجل الودود قد أخطأ في العدّ. أو أن قبطان الغواصة لم يكن بالضبط في المكان الذي ينبغي أن يكون فيه. أياً كان السبب، انبثقت المركبة التي بطول ثلاثمائة قدم الآن خارجة من الجليد قريباً جداً من ألَنْ والرجل الودود. وقد سقط الاثنان إلى الوراء وكاد المطاف ينتهي بهما في الماء الجليدي. لكن ألن سُرعان ما تلقى المساعدة ليتسلق المركبة داخلاً إلى الدفء.

«حسناً، الآن تستطيع أن ترى كم هو حكيم أن لا تبدأ يومك بتخمين ما يمكن أن يحدث»، قال ألن. «بعد كل شيء، كم كان يجب أن أُمعِن في التخمين قبل أن أخمن هذا؟»

عند هذه النقطة، اعتقد الرجل الودود بأنه لم يعد مضطراً إلى البقاء متكتماً أكثر من ذلك. أخبر ألَنْ بأن اسمه هو يوري بوريسوفيتش بوبوف، وأنه يعمل لاتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية؛ إنه يعمل عالِم فيزياء، وليس سياسياً ولا رجل جيش؛ وأنه أُرسِلَ إلى ستوكهولم ليقنع السيد كارلسون باللحاق به إلى موسكو. وقد اختير يوري بوريسوفيتش لهذه المهمة بسبب احتمال تردد السيد ألن، الذي ربما يمكن التغلب عليه بخلفية يوري بوريسوفيتش كعالم فيزياء، مما يعني أن السيد كارلسون ويوري بوريسوفيتش يتحدثان كلاهما اللغة نفسها، كما يمكن القول.

«لكنني لستُ فيزيائياً»، قال ألن.

«ربما يكون هذا هو واقع الحال، لكن مصادري تقول لي إنك تعرف شيئاً أود أن أعرفه.»

«شيئاً أعرفه؟ ماذا يمكن أن يكون ذلك؟»

«القنبلة، سيد كارلسون. القنبلة.»

***

بدأ يوري بوريسوفيتش وألَنْ إيمانويل يروقان لبعضهما على الفور. أن يوافق على الذهاب معه بدون معرفة أين يذهب ولماذا – ذلك أعجب يوري بوريسوفيتش، وأشار إلى أن هناك شيئاً لامبالياً ومحباً للمغامرة في ألن، والذي يفتقر إليه يوري نفسه. وبالنسبة لألَنْ، حسناً، قدّر حقيقة أنه يمكنه التحدُث لمرّة مع أحد لا يحاول أن يغرقه بالسياسة أو الدين.

إلى جانب ذلك، سرعان ما تبين أن يوري بوريسوفيتش وألَنْ إيمانويل يتقاسمان كلاهما حماساً لا حدود له للفودكا. وفي الليلة الفائتة، تسنت ليوري بوريسوفيتش فرصة

تذوق النسخة السويدية وهو يراقب آلَنْ إيمانويل في غرفة الطعام في فندق غراند. في البداية، اعتقد يوري بوريسوفيتش أنها جافة جداً، بدون الحلاوة الروسية، لكنه اعتاد عليها بعد بضعة كؤوس. وبعد كأسين لاحقاً، انسربت عبارة «ليس سيئاً أبداً» من بين شفتيه.

«لكن هذه أحسن طبعاً»، قال يوري بوريسوفيتش وهو يحمل زجاجة كاملة من «ستولشنايا». وجلس هو وآلن إيمانويل وحجزا مطعم الضباط لنفسيهما. «الآن، سوف يأخذ كلٌ منا كأساً!»

«يبدو ذلك جيداً» قال آلن. «الهواء البحري يصيبك بالإعياء.»

*

بعد الكأس الأولى تماماً، أصر آلَنْ على تغيير الطريقة التي يخاطب بها الرجلان بعضهما البعض. أن يقول يوري بوريسوفيتش ليوري بوريسوفيتش في كل مرة يريد فيها جذب انتباه يوري بوريسوفيتش لم يكن شأناً عملياً على المدى الطويل. وهو من جهته لم يُرِد أن يُدعى آلَنْ إيمانويل، لأنه لم يكن قد استعمل اسمه الأوسط منذ عمّده القسّ في يزهولت.

«وهكذا، من الآن فصاعداً، أنت يوري وأنا آلَن»، قال آلَنْ. «وإلا فسأنزل من هذا المركب.»

«لا تفعل ذلك، عزيزي آلَنْ، إننا على عمق سبعمائة قدم»، قال يوري. «املأ كأسك ثانية بدلاً من ذلك.»

كان يوري بوريسوفيتش اشتراكياً متحمساً ولم يكن يريد شيئاً أكثر من الاستمرار في العمل باسم الاشتراكية السوفياتية. ومع أن الرفيق ستالين كان رجلاً شديداً، فقد عرف يوري أنك إذا خدمت النظام جيداً وبإخلاص، فإنه لن يكون لديك ما تخشاه.

قال آلَنْ إنه ليس لديه أي خطط ليخدم أي نظام، لكنه يستطيع بالطبع أن يعطي ليوري معلومة أو اثنتين في حال أنهم عالقون في معالجة مشكلة القنبلة الذرية. لكن آلَنْ

أراد أولاً أن يتذوق كأساً أخرى من الفودكا التي لم يكن اسمها قابلاً للنطق حتى لو كان المرءُ صاحياً. وشيء آخر: على يوري أن يعد بالاستمرار بعدم التحدث في السياسة.

شكر يوري ألَنْ بحرارة على وعده بالمساعدة، وقال مباشرة إن المارشال بيريا، رئيس يوري في العمل، ينوي أن يعطي للخبير السويدي دفعة لمرة واحدة بقيمة ١٠٠,٠٠٠ دولار أميركي، شريطة أن تساعد تعليمات ألَنْ في إنتاج قنبلة.

«سوف نحل المشكلة»، قال ألَنْ.

انكمشت محتويات الزجاجة بثبات بينما يتحدث ألَنْ ويوري عن كل شي في السماء وعلى الأرض (ما عدا السياسة والدين). كما عرّجا أيضاً على مشكلات القنبلة الذرية، وعلى الرغم من أن الموضوع ينتمي فعلياً إلى الأيام القادمة، قرر ألن أن يعطيه زوجاً من المعلومات البسيطة، ثم زوجاً آخر.

«م م م»، قال الفيزيائي الرفيع يوري بوريسوفيتش بوبوف، «أعتقد أنني أفهم...»

«حسناً، أنا لا أفهم»، قال ألَنْ. اشرح لي موضوع الأوبرا مرة أخرى. أليست مجرد الكثير من الصراخ فحسب؟»

ابتسم يوري، وابتلع جرعة كبيرة من الفودكا، ووقف – وشرع في الغناء. وفي سكره، لم يختر أي أغنية فولكلورية قديمة، وإنما اختار بدلاً من ذلك «نيسون دورما» من أوبرا توراندوت لبوشيني.

«كان ذلك شيئاً حقاً»، قال ألَنْ عندما انتهى يوري من الغناء.

«نيسون دورما» قال يوري بمرح، «ليس مسموحاً لأحد بالنوم.»

بغض النظر عما إذا كان مسموحاً لأحد بالنوم أم لا، فقد سقطا كلاهما نائمين في مضجعيهما بجانب مطعم الضباط. وعندما استيقظا، كانت الغواصة قد رست فعلاً في

ميناء لينينغراد. وهناك، كانت سيارة ليموزين تنتظر لتحملهما إلى الكرملين للاجتماع مع المارشال بيريا.

«سينت بطرسبرغ، بتروغراد، لينينغراد... ألم تستطيعوا حسم أمركم؟» قال ألَن.

«وصباح الخير لك أيضاً»، قال يوري.

جلس يوري وألَن في المقعد الخلفي لسيارة هامبر بولمان ليموزين لرحلة يوم كامل من لينينغراد إلى موسكو. وفصلت نافذة متحركة بين السائق وبين الصالون حيث يجلس ألَن وصديقه المكتشف حديثاً. كما ازدهى الصالون أيضاً بثلاجة فيها ماء، ومشروبات غازية، وكل أنواع الكحول التي لم يكن هذان المسافران في حاجة إليها في الحقيقة في الوقت الحالي. كما كان هناك أيضاً وعاء من الحلوى الحمراء وعلبة كاملة من الشوكولاتات الفاخرة. كانت السيارة وتركيباتها ستشكل مثالاً رائعاً للهندسة الاشتراكية السوفياتية، لو أنها لم تكن مستوردة كلها من إنجلترا.

أخبر يوري ألَن عن خلفيته. كان قد تتلمذ على الحائز على جائزة نوبل إيرنست رذرفورد، عالم الفيزياء النووي الأسطوري من نيوزيلندا، وهو السبب في أن يوري بوريسوفيتش يتحدث إنجليزية طليقة. وفي المقابل، وصف ألَن (ليوري بوريسوفيتش الذي يزداد ذهولاً باطراد) مغامراته في إسبانيا، أمريكا، الصين، جبال الهيمالايا، وإيران.

«وماذا حدث للقس الأنجيليكاني؟» تساءل يوري.

«لا أعرف»، قال ألَن. «إما أنه جعل كل بلاد فارس إنجيليكانية، أو أنه مات. والأقل ترجيحاً على الإطلاق أن يكون شيئاً بين هذين الاحتمالين.»

«يبدو ذلك شبيهاً قليلاً بتحدي سلطة ستالين في الاتحاد السوفياتي»، قال يوري بصراحة. «إذا نحينا جانباً حقيقة أن ذلك سيكون جريمة ضد الثورة، فإن فرصة البقاء على قيد الحياة تكون ضئيلة.»

في هذا اليوم بالذات ومع هذه الرفقة، بدت صراحة يوري وأنها لا تعرف حدوداً. لقد فتح قلبه فيما يعتقده إزاء المارشال بيريا، رئيس الجهاز السري الذي لصبح فجأة رئيس مشروع صناعة قنبلة ذرية. ليس لدى بيريا أي شعور بالخجل على الإطلاق. إنه يسيء إلى النساء والأطفال جنسياً. أما الناس غير المرغوبين، حسناً، يرسلهم إلى معسكرات الاعتقال -إذا لم يكن قد قتلهم أولاً.

«يجب تعشيب العناصر غير المرغوبة طبعاً بأسرع وقت ممكن، لكنهم يجب أن يكونوا غير مرغوبين على الأسس الثورية الصحيحة. أولئك الذين لا يخدمون أهداف الاشتراكية يجب التخلص منهم! ولكن ليس أولئك الذين لا يخدمون أهداف المارشال بيريا. كلا، آلَنْ، هذا مقيت. إن المارشال بيريا ليس ممثلاً حقيقياً للثورة. لكنك لا تستطيع أن تلوم الرفيق ستالين على ذلك. أنا لم أحظ أبداً بشرف مقابلته، لكنه مسؤول عن بلد كامل، عن قارة كاملة تقريباً. وإذا حدث وسط كل ذلك العمل، وفي لحظة تسرع، أن منح المارشال بيريا مسؤولية أكبر مما يقدر على حمله على كتفيه.. حسناً، للرفيق ستالين كل الحق بأن يفعل ذلك! والآن، عزيزي آلَنْ، سأقول لك شيئاً رائعاً فعلاً. أنت وأنا، في هذا المساء بالذات، على وشك أن نتشرف بالحضور -ليس مع المارشال بيريا فقط، وإنما أيضاً مع الرفيق ستالين شخصياً! لقد دعانا إلى العشاء!»

«إنني أتطلع إلى ذلك»، قال آلَنْ. «ولكن كيف سنتدبر أمرنا حتى ذلك الوقت؟ هل يفترض أن نعيش على الحلوى الحمراء الدبقة؟»

تدبر يوري أمر توقُّف الليموزين في بلدة صغيرة على الطريق، لالتقاط بعض الشطائر لآلَنْ. ثم واصلوا رحلتهم. وبين قضمات الشطائر، فكر آلَنْ في شخصية المارشال بيريا الذي يبدو، من وصف يوري، أنه يشبه رئيس شرطة إيران السرية النافق حديثاً.

ويوري، من جهته، جلس هناك وهو يحاول أن يفهم زميله السويدي. قريباً سيتناول

السويدي العشاء مع ستالين، وقال إنه يتطلع إلى ذلك. لكن على يوري أن يسأل إذا كان يقصد العشاء أم القائد.

«عليك أن تأكل حتى تعيش»، قال ألَنْ بدبلوماسية وأثنى على جودة الشطائر الروسية. «ولكن، عزيزي يوري، هل تسمح لي بسؤال أو اثنين؟»

«طبعاً، عزيزي ألَنْ. اسأل، وسأبذل قصارى جهدي لأجيبك.»

قال ألَنْ إنه، ليكون صادقاً، لم يكن يصغي حقاً بينما كان يوري يبثُّ حديثه عن السياسة قبل قليل، لأن السياسة ليست أكثر ما يثير اهتمام ألَنْ في العالم. وإلى جانب ذلك، فإنه يتذكر بوضوح من مساء اليوم السابق أن يوري وعد بأن لا يبحر في هذا الاتجاه.

لكن ألَنْ انتبه إلى وصف يوري لإخفاقات المارشال بيريا الإنسانية. ويعتقد ألَنْ أنه التقى في حياته السابقة بأناس من نفس النوع. ومن ناحية أخرى، وإذا فهم ألَنْ بالشكل الصحيح، فإن المارشال بيريا شخص قاسٍ لا يرحم. ومن ناحية أخرى، فإنه تأكد من أن يحظى ألَنْ برعاية غير عادية، بليموزين وكل شيء.

«لكنه يخطر لي أن أتساءل عن السبب في أنه لم يدبر ببساطة أمر اختطافي ثم يعمل على أن ينتزع مني ما يريد معرفته»، قال ألَنْ. «عندئذ، لم يكن ليحتاج إلى هدر الحلوى الحمراء، والشوكولاتات الفاخرة، والمائة ألف ولار، والكثير من الأشياء الأخرى.»

قال يوري إن المأساوي في ملاحظة ألَنْ هو أنها ليست ذات صلة. لقد قام المارشال بيريا أكثر من مرة –باسم الثورة– بتعذيب أناس أبرياء. يعرف يوري أن هذا هو واقع الحال. لكن الوضع أصبح الآن، قال يوري –الذي وجد من الصعب أن يقول بالضبط ما يعنيه– أصبح الموقف وكأنه، قال يوري –وفتح الثلاجة للبحث عن بعض البيرة ليتقوّى بها، حتى مع أن الساعة لم تكن قد بلغت الثانية عشرة ظهراً بعد– أصبح الوضع بحيث أن المارشال بيريا فشل في الفترة الأخيرة في هذه الاستراتيجية. لقد تم اختطاف خبير غربي في سويسرا وأُخِذ إلى الجنرال بيريا، لكن الأمر انتهى بطريقة مروعة. واعتذر

يوري؛ لم يرد الخوض في التفاصيل، لكن على الّنَ أن يصدق ما قاله يوري: ما تمّ تعلّمه من الإخفاق الأخير هو أن المشورة النووية الضرورية، وفقاً لقرار من الأعلى، سوف تُشترى من السوق الغربية، على قاعدة العرض والطلب، مهما بدا ذلك مُبتذلاً.

***

كان البرنامج النووي الروسي قد بدأ برسالة من الفيزيائي النووي جورجي نيكولايفيتش فلايوروف إلى الرفيق ستالين في نيسان (أبريل) ١٩٤٢، والتي أوضح فيها الأول عدم وجود أي كلمة منطوقة أو مكتوبة في الإعلام المتحالف مع الغرب فيما يتعلق بالانشطار النووي منذ تم اكتشافه في العام ١٩٣٨.

ليس الرفيق ستالين مولوداً بالأمس، وهو يعتقد، تماماً مثل فلايوروف، بأن الصمت التام لثلاث سنوات حول اكتشاف الانشطار يمكن أن يعني فقط أن أحداً ما لديه شيء ليخفيه، مثل، على سبيل المثال، أن يكون أحد ما في طور تطوير قنبلة، والتي ستضع الاتحاد السوفياتي مباشرة –باستخدام التعبير الروسي– في وضع كش ملك.

وهكذا، ليس ثمة وقت لتضييعه، فضلاً عن التفصيل الصغير المتعلق بحقيقة أن هتلر وألمانيا النازية كانوا مهووسين تماماً بفكرة الاستيلاء على أجزاء من الاتحاد السوفياتي –أي كل شيء غربي نهر الفولغا، وهو ما سيشمل موسكو، وهذا أمر سيئ بما يكفي، وكذلك ستالينغراد أيضاً!

إن المعركة من أجل ستالينغراد هي، بعبارة ملطفة، شأنٌ شخصيّ لستالين. وعلى الرغم من أن مليوناً ونصف المليون أو نحو ذلك من الناس قُتلوا، فقد كسب الجيش الأحمر وشرع في دحر هتلر إلى الوراء، ثم في النهاية كل الطريق إلى برلين. ولم يكن سوى حين أصبح الألمان على وشك التراجع حين شعر ستالين بأنه ربما يكون له ولأمته مستقبل، وهو ما سيحصل عندما تمضي أبحاث الانشطار النووي قدماً حقاً.

لكن القنابل الذرية، بطبيعة الحال، ليست شيئاً يمكنك أن تجمعه معاً وتركبه ذات

صباح، خاصة عندما لا تكون القنبلة قد اختُرعت بعد. ما تزال أبحاث القنبلة الذرية السوفياتية جارية منذ عدة سنوات من دون إحراز اختراق حتى وقع تفجير ذات صباح -في نيومكسيكو. لقد كسب الأميركيون السباق، لكن ذلك لم يكن مفاجئاً بما أنهم بدأوا الركض أبكر بكثير. وبعد الاختبار في صحراء نيومكسيكو، كان هناك تفجيران آخران حقيقيان: واحد في هيروشيما، وآخر في ناغازاكي. وبذلك، مرّغ ترومان أنف ستالين وأثبت للعالم من هو الذي يهُم، ولا تحتاج إلى معرفة ستالين جيداً لتفهم أنه لن يتحمل ذلك.

«حُلَّ المشكلة»، قال الرفيق ستالين للمارشال بيريا. «وحتى أعبر عن نفسي بشكل أكثر وضوحاً: حُلَّ المشكلة!»

أدرك المارشال بيريا أن علماء الفيزياء لديه، والكيميائيين والرياضيين متعثرون، ولن ينفع حتى إرسال نصفهم إلى معسكرات سجن الكولاغ. وإلى جانب ذلك، لم يتلق المارشال أي إلماح إلى أن عملاءه في الميدان يقتربون من اكتشاف قدس الأقداس. في الوقت الراهن، من المستحيل ببساطة سرقة مخططات الأميركيين.

كان الحل الوحيد هو جلب المعرفة من الخارج لاستكمال ما يعرفونه مسبقاً في مركز الأبحاث في مدينة ساروف السرية، على بعد بضع ساعات بالسيارة من موسكو. ولأن الأجود فقط هو الجيد بما يكفي بالنسبة للمارشال بيريا، قال لرئيس دائرة العملاء الدوليين السريين:

«التقط لي ألبرت آينشتاين.»

«ولكن... ألبرت آينشتاين...» قال رئيس العملاء الدوليين المصدوم.

«ألبرت آينشتاين هو أذكى دماغ في العالم. هل تنوي أن تفعل كما أقول، أم أنك تغذي في نفسك رغبة في الموت؟» سأل المارشال بيريا.

كان رئيس العملاء الدوليين قد التقى لتوه بامرأة جديدة، ولم يكن لشيء بحق الله رائحة طيبة كرائحتها، وهكذا لم يكن يغذي رغبة في الموت بالتأكيد. لكنه قبل أن يتسنى

له الوقت ليقول ذلك للمارشال بيريا، قال المارشال:

«حُلَّ المشكلة. أو حتى أعبر عن نفسي بشكل أكثر وضوحاً: حُلَّ المشكلة!»

لم يكن من السهل التقاط ألبرت آينشتاين، وإرساله في طرد إلى موسكو. قبل كل شيء، ينبغي أن يعثروا عليه. كان قد ولد في ألمانيا، لكنه انتقل إلى إيطاليا ثم إلى سويسرا وأمريكا. ومنذئذ ظل يسافر ذاهباً آيباً بين كل أنواع الأماكن ولكل أنواع الأسباب. وفي الوقت الحاضر، لديه بيت في نيوجيرسي، لكن البيت يبدو فارغاً، حسب العملاء الموجودين في المكان. وإلى جانب ذلك، أراد المارشال بيريا إذا أمكن أن تنفذ عملية الخطف في أوروبا. لم يكن تهريب المشاهير من الولايات المتحدة الأمريكية وعبر المحيط الأطلسي ليمر بدون مضاعفات.

ولكن، أين هو الرجل؟ إنه نادراً ما يخبر الناس، أو أنه لا يخبر الناس أبداً بأين هو ذاهب قبل رحلة، وهو معروف بوصوله متأخراً عدة أيام عن الاجتماعات المهمة.

كتب رئيس العملاء قائمة بالأماكن ذات الصلة القريبة نوعاً ما بآينشتاين، وبعد ذلك أرسل عميلاً ليراقب كل واحد من هذه الأماكن. هناك بيته في نيوجيرسي، ومنزل أقرب أصدقائه في جنيف. وبعد ذلك هناك ناشره في واشنطن، وصديقان آخران، واحد في بازل، والآخر في كليفلاند، أوهايو.

استغرق الأمر بضعة أيام من الانتظار الصبور، لكن المكافأة جاءت بعد ذلك -في شكل رجل يرتدي معطفاً مطرياً رمادياً، وياقة مقلوبة وقبعة. جاء الرجل مشياً على الأقدام وصعد إلى المنزل حيث يسكن أقرب أصدقاء ألبرت آينشتاين، ميشيل بيسو، في سويسرا. قرع جرس الباب واستقبله بيسو استقبالاً حاراً وصادقاً، واستقبله أيضاً زوجان مسنَّان يحتاجان تحديد هويتيهما إلى المزيد من التحقق. واستدعى العميل الذي يقوم بالمراقبة زميله الذي كان يقوم بنفس المهمة في بازل على بعد ١٥٠ ميلاً، وبعد ساعات من المراقبة المتقدمة للنافذة والمقارنة مع فحص الصور التي معهما، استنتج

العميلان أنه ألبرت آينشتاين في الحقيقة هو الذي جاء توّاً لزيارة أفضل أصدقائه. أما الزوجان المسنّان، فيمكن افتراض أنهما صهر ميشيل بيسو وزوجته، ماجا، التي هي شقيقة ألبرت آينشتاين أيضاً. يا له من تجمع عائلي!

بقي ألبرت هناك مع صديقه وشقيقته وزوجها ليومين جرت مراقبتهما جيداً، قبل أن يرتدي معطفه المطري وقفازاته وقبعته مرة أخرى وينطلق، بنفس الكتمان الذي أتى به. لكنه لم يكد يجتاز الزاوية حتى قُبِض عليه، ودُفع به إلى المقعد الخلفي لسيارة وتم تخديره بالكلوروفورم. ثم اقتيد عبر النمسا إلى هنغاريا التي لها موقف ودي بما يكفي تجاه اتحاد الجمهوريات السوفياتية الإشتراكية، بحيث طرحت القليل من الأسئلة فقط عندما عبر السوفيات عن رغبتهم في الهبوط في مطار بيكس للتزود بالوقود، والتقاط اثنين من المواطنين السوفيات ورجل شديد النعاس، ثم الإقلاع مباشرة إلى جهة غير معروفة.

في اليوم التالي شرعوا في استجواب ألبرت آينشتاين في مقرّ الشرطة السرية في موسكو، برئاسة المارشال بيريّا. كان السؤال هو ما إذا كان آينشتاين سيختار التعاون، من أجل صحته، أو أن يمتنع، وهو ما لن يساعد أحداً.

للأسف، تبين أنه فضّل الخيار الأخير. لن يعترف ألبرت آينشتاين بأنه فكر، حتى للحظة واحدة، بتقنية الانشطار النووي (ولو أن من المعروف أنه اتصل بالرئيس روزيفيلت في وقت مبكر هو العام ١٩٣٩ حول هذا الموضوع، وهو ما أفضى بدوره إلى إقامة مشروع مانهاتن). بل ان ألبرت آينشتاين لم يعترف في الحقيقة حتى بأنه ألبرت آينشتاين. وأكد بعناد أحمق أنه بدلاً من ذلك شقيق ألبرت آينشتاين الأصغر، هيربرت آينشتاين. لكن ألبرت آينشتاين ليس له أخ؛ إن له أختاً فقط. وهكذا كان من الطبيعي أن لا تنطلي الخدعة على بيريا ومحققيه، وكانوا على وشك اللجوء إلى العنف عندما حصل شيء لا يصدق في الجادة السابعة في نيويورك.

هناك، في قاعة كارنيغي، كان ألبرت آينشتاين يلقي محاضرة عن النظرية النسبية، أمام جمهور من ألفين وثمانمائة ضيف مدعوين خصيصاً، والذين كان اثنان منهم جواسيس للاتحاد السوفياتي.

كان وجود اثنين من ألبرت آينشتاين كثيراً جداً على المارشال بيريا، حتى لو أن أحدهما بعيد جداً في الجانب الآخر من الأطلسي. وأمكن سريعاً التأكد من أن ذلك الذي في قاعة كارنيغي هو الشخص الحقيقي، فمن هو إذن بحق الجحيم هذا الآخر؟

تحت التهديد بإخضاعه لإجراءات لا يريد أحد أن يمر بها طوعاً، وعد ألبرت آينشتاين المزيف بتوضيح كل شيء للمارشال بيريًا.

«سوف تحصل على صورة واضحة لكل شيء، سيد مارشال، طالما أنك لا تقاطعني»، وعد ألبرت آينشتاين المزيف.

وعد المارشال بيريا بأن لا يقاطعه بأيّ شيء سوى برصاصة في الرأس، وأنه يمكن أن يؤجل القيام بذلك حتى يتضح بما لا يقبل الشك أن ما سمعه هو محض أكاذيب.

«وإذن، تفضل. لا تدعني أسكتك»، قال المارشال بيريًا، وجهز مسدسه.

أخذ الرجل الذي زعم سابقاً أنه شقيق ألبرت آينشتاين غير المعروف، هيربرت، نفساً عميقاً وبدأ بـ... تكرار الزعم (وهي اللحظة التي كانت فيها الرصاصة تنطلق).

وعندئذ تلت قصة التي كانت، في حال صحّت، حزينة جداً حتى أن المارشال بيريًا نفسه لم يستطع أن يجعل نفسه يُعدِم الراوي.

كان لهيرمان وباولين آينشتاين في الحقيقة ولدان: أولاً ألبرت ثم ماجا. لكن بابا آينشتاين لم يستطع في الحقيقة أن يبقي يديه وأجزاء أخرى من جسمه بعيدة عن سكرتيرته الجميلة (وإنما الغبيّة) في مصنع الكهروكيماويات الذي يديره في ميونخ. وقد أسفر هذا عن هيربرت، شقيق ألبرت وماجا السري، وغير الشرعي على الإطلاق. وتماماً كما تأكد عملاء المارشال قبل ذلك، كان هيربرت صورة طبق الأصل تقريباً عن ألبرت، ولو أنه أصغر سناً بثلاث عشرة سنة. وورث هيربرت لسوء الحظ كل ذكاء والدته –أو إملاقها منه.

عندما أصبح عمر هيربرت سنتين، في العام ١٨٩٥، انتقلت العائلة من ميونخ إلى

ميلانو. ولحق بها هيربرت، وإنما بدون والدته. كان بابا آينشتاين قد عرض عليها حلاً مناسباً، بطبيعة الحال، لكن والدة هيربرت لم تكن مهتمة. لم تستطع التفكير في استبدال النقانق بالسباغيتي، والألمانية بـ... أياً تكن اللغة التي يتحدثون بها في إيطاليا. وإلى جانب ذلك، فإن ذلك الطفل يسبب لها الكثير من المتاعب فقط؛ إنه يصرخ كل الوقت طلباً للطعام، ويسبب الفوضى كل الوقت! إذا أراد أحد أخذ هيربرت إلى مكان آخر، فسيكون ذلك جيداً، لكنها هي نفسها تنوي البقاء حيث هي.

حصلت أم هيربرت على مبلغ محترم من بابا آينشتاين. ويفترض أنها التقت بعدئذ بكونت حقيقي، الذي أقنعها باستثمار كل نقودها في جهازه الذي يكاد ينتهي من تصنيعه لإنتاج إكسير الحياة الذي يشفي كل مرض موجود. لكن الكونت اختفى بعد ذلك، ولا بد أن يكون قد أخذ الإكسير معه لأن ماما هيربرت المعدمة ماتت بعد بضع سنوات لاحقاً، بمرض السل.

هكذا، نشأ هيربرت مع أخيه الكبير، ألبرت، وأخته الكبيرة، ماجا. ولكن، ولتجنب الفضيحة، أشار بابا آينشتاين إلى هيربرت على أنه ابن أخيه. ولم يكن هيربرت أبداً قريباً بشكل خاص من شقيقه، لكنه أحب شقيقته بإخلاص، حتى مع أنه اضطر إلى مناداتها بابنة عمه.

«باختصار»، قال هيربرت آينشتاين، «تخلت عني أمي، ولنكرني أبي -وأنا بذكاء كيس بطاطا. لم أفعل أي عمل مفيد طوال حياتي، وإنما عشت فقط على ما ورثته من أبي، وليست لدي حتى ولا فكرة حكيمة واحدة.»

خفض المارشال بيريا مسدسه. إنّ للقصة حقاً درجة من المصداقية، بل إن المارشال أعجِب بالوعي الذاتي الذي عرضه هيربرت آينشتاين الأحمق. فماذا يفعل الآن؟

نهض المارشال من مقعده في غرفة التحقيق. ولأغراض الأمن، وضع جانباً كل فكرة عن الصواب والخطأ، وباسم الثورة. إن لديه مسبقاً ما يكفي من المشاكل،

وهو ليس في حاجة إلى إضافة واحدة أخرى على كتفيه. وهكذا، تحول المارشال إلى الحارسين عند الباب:

«تخلصا منه.»

وبعد ذلك غادر الغرفة.

***

لن يكون لطيفاً إبلاغ الرفيق ستالين عن الخلط الذي جرى في موضوع هيربرت آينشتاين. لكن المارشال بيريا كان محظوظاً، لأنه قبل أن يتسنى الوقت ليجد نفسه مطروداً خارجاً في العراء، حدث انفراج هناك في لوس آلاموس.

على مر السنين، عمل أكثر من مائة وثلاثين ألف شخص فيما يسمى مشروع منهاتن، ومن الطبيعي أن أكثر من واحد منهم كانوا موالين للثورة الاشتراكية. ولم يستطع أحد منهم الحصول على السر العميق للقنبلة الذرية. لكنهم وجدوا شيئاً مفيداً بنفس المقدار تقريباً: هناك سويدي حلّ الأحجية، وهم يعرفون اسمه!

لم يتطلب الأمر أكثر من اثنتي عشرة ساعة لمعرفة أن آلَنْ كارلسون يقيم في فندق غراند في ستوكهولم، وأنه يقضي أيامه في التسكع فقط بعد أن أخبره رئيس برنامج الأسلحة الذرية السويدية أنهم لا يحتاجون إلى خدماته.

«السؤال هو، من يحمل رقم العالم القياسي في الغباء»، قال المارشال بيريا لنفسه. «رئيس برنامج الأسلحة الذرية السويدي، أم والدة هيربرت آينشتاين...».

هذه المرة، اختار المارشال بيريا تكتيكاً جديداً. سيتم إقناع آلَنْ كارلسون بالإسهام بمعرفته مقابل عدد كبير من الدولارات الأمريكية. والرجل الذي سيتولى مهمة إقناع كارلسون سيكون عالِماً مثل آلَنْ كارلسون نفسه، وليس عميلاً غبياً وأخرق. وقد انتهى الأمر بالعميل المعني (حتى نكون على الجانب الآمن) خلف عجلة القيادة في شخص

السائق الخاص ليوري بوريسوفيتش بوبوف، وهو فيزيائي متعاطف وكفؤ من الدائرة الداخلية لمجموعة المارشال بيريا للأسلحة الذرية.

سار كل شيء حسب الخطة. وها هو يوري بوريسوفيتش في طريقه عائداً إلى موسكو مع ألَنْ كارلسون –وبدا كارلسون إيجابي الميل.

كان مكتب المارشال بيريّا الموسكوفي موجوداً داخل أسوار الكرملين، بناء على رغبة الرفيق ستالين. واستقبل المارشال نفسه ألَنْ كارلسون ويوري بوريسوفيتش في البهو.

«أنت على الرحب والسعة، سيد كارلسون»، قال المارشال بيريّا وصافحه.

«شكراً لك، سيدي المارشال»، قال ألَنْ.

لم يكن المارشال بيريّا من النوع الذي يجلس ويثرثر عن أي شيء، ولذلك قال لألَنْ:

«هل فهمتُ التقارير بالشكل الصحيح، سيد كارلسون، بأنك على استعداد لمساعدة الجمهورية السوفياتية الاشتراكية في الشؤون النووية مقابل مائة ألف دولار؟»

قال ألَنْ إنه لا يفكر كثيراً في النقود، لكنه يريد أن يساعد يوري بوريسوفيتش إذا كان هناك شيء يحتاج أن يساعده به، ويبدو أن هناك شيئاً من ذلك. لكنه سيكون لطيفاً إذا استطاع السيد المارشال الانتظار حتى اليوم التالي، لأنه سافر بطريقة فظيعة في الآونة الأخيرة.

أجاب المارشال بيريّا بأنه فهم أن الرحلة كانت منهكة نوعاً ما للسيد كارلسون، وأخبره بأنهما سيتناولان العشاء قريباً مع الرفيق ستالين، وبعد ذلك يستطيع السيد كارلسون أن يستريح في أفضل جناح للزوار يمكن أن يعرضه الكرملين.

لم يكن الرفيق ستالين بخيلاً عندما يتعلق الأمر بالطعام. كانت هناك بطارخ السلَمون، والرنجة المملحة، والخيار المملح وسلطة اللحم والخضار المشوية وحساء

الشمندر وبلميني وبليني وشرحات من لحم الضأن وبيروجي مع البوظة. وهناك نبيذ بعدة ألوان، وفودكا بطبيعة الحال. بل الكثير من الفودكا.

حول المائدة جلس الرفيق ستالين نفسه، وألَنْ كارلسون من يزهولت، والفيزيائي الذرّي يوري بوريسوفيتش بوبوف، ورئيس أمن الدولة السوفياتية المارشال لافرينتي بافلوفيتش بيريّا، ورجل ضئيل غير مرئي تقريبي بلا اسم وبلا أي شيء، لا ليأكله ولا ليشربه.. المترجم. وقد تظاهروا بأنه غير موجود.

كان ستالين في حالة معنوية رائعة منذ البداية مباشرة. إن لافرينتي بافلوفيتش دائماً يلبّي! حسناً، لقد ارتكب شيئاً مزعجاً مع آينشتاين؛ وصل ما فعله إلى أذُن ستالين، لكن ذلك أصبح تاريخاً الآن. وإلى جانب ذلك، فإن لآينشتاين (الحقيقي) دماغه؛ أما ألَنْ فيمتلك المعرفة الدقيقة والمفصَّلة!

ولا ضرر في أن كارلسون يبدو رجلاً لطيفاً على هذا النحو. وقد أخبر ستالين عن خلفيته، ولو أن ذلك كان بإيجاز كبير. حارب والده من أجل الاشتراكية في السويد، ثم ارتحل إلى روسيا للهدف نفسه. ذلك مثير للإعجاب بالتأكيد! وابنه من جهته قاتل في الحرب الأهلية الإسبانية، وليس ستالين قليل العقل ليسأله إلى أي جانب قاتل. وبعد ذلك سافر إلى أمريكا (اضطر إلى الفرار، كما افترض ستالين) وبالصدفة وجد نفسه في خدمة الحلفاء... ذلك يمكن التسامح معه؛ لقد فعل ستالين نفسه الشيء نفسه، إذا جاز التعبير، في الجزء الأخير من الحرب.

بعد دقائق فقط من تناول الطبق الرئيسي، تعلم ستالين كيف يغني النخب السويدي «هيلان غار، سيونغ هوب فادرلان لالان ليج» كلما حان الوقت ليرفعوا كؤوسهم. وأثنى ألَنْ بدوره على صوت ستالين في الغناء، مما دفع ستالين ليقول لهم كيف أنه في شبابه لم يغنِّ في جوقة فقط، وإنما كان يؤدي كمطرب منفرد في الأعراس، ثم نهض وقدم دليلاً على ذلك بالقفز حول نفسه على الأرض وهو يلوح بذراعيه وساقيه في كل اتجاه ويصدح بأغنية اعتقد ألَنْ أنها تبدو تقريباً...هندية... لكنها جميلة!

لم يكن ألَنْ يستطيع الغناء. بل إنه لم يكن يستطع فعل أي شيء ذي قيمة ثقافية، كما أدرك، لكن مزاجه بدا ملحّاً بحيث يحاول شيئاً أكثر من مجرد «هلان غار،...» وكان الشيء الوحيد الذي استطاع أن يتذكره مباشرة هو قصيدة لفيرنر فون هايدنستام، والتي كان مدرس ألَنْ في القرية قد أجبر الأولاد على حفظها.

عندئذ، عاد ستالين إلى مقعده، بينما نهض ألَنْ وألقى القصيدة بلغته السويدية الأم:

عندما كان في الثامنة من عمره، لم يكن ألَنْ يفهم ما يلقيه. والآن وهو يلقي القصيدة مرة أخرى، بانفعال مثير للإعجاب، أدرك أنه ما يزال بعد خمسة وثلاثين عاماً لا يملك أي فكرة عم تتحدث. وجلس المترجم روسي- إنجليزي (غير المهم) بصمت على مقعده حتى أنه أصبح أقل أهمية مما كان عليه قبلاً.

ثم أعلن ألَنْ (بعد أن خفت التصفيق) أن ما ألقاه لتوه هو من شعر فيرنر فون هيدنستام. ولو أنه عرف كيف ستكون ردة فعل الرفيق ستالين على ذلك الخبر، فإن ألَنْ ربما كان سيمتنع عن نقله، أو لكان قد عدّل الحقيقة قليلاً.

كان الرفيق ستالين شاعراً ذات مرة، بل وشاعراً ماهراً جداً في الحقيقة. لكن روح العصر، مع ذلك، جعلته جندياً ثورياً بدلاً من ذلك. وكانت مثل هذه الخلفية شاعرية كفاية في حد ذاتها. لكن ستالين استعاد اهتمامه بالشعر ومعرفته بالشعراء المعاصرين البارزين.

لسوء حظ ألَنْ، كان ستالين يعرف جيداً جداً من يكون فيرنر فون هيدنستام. وعلى العكس من ألَنْ، كان يعرف عن غرام فيرنر فون هيدنستام بـ ألمانيا. وعن كون هذا الغرام متبادلاً. كان ذراع هتلر اليمنى، رودلف هيس، قد زار منزل هيدنستام في الثلاثينيات، وبعد ذلك بقليل مُنح هيدنستام درجة الدكتوراة الفخرية من جامعة هايدلبيرغ. كل هذا جعل مزاج ستالين يختبر انعطافة مفاجئة.

«هل يجلس السيد كارلسون هنا ويهين المضيف الكريم الذي استقبله بذراعين مفتوحين؟» سأل ستالين.

أكد له آلَنْ أن هذا ليس واقع الحال. إذا كان هيدنستام هو الذي أزعج السيد ستالين، فإن آلَنْ يعتذر بشدة. ربما يكون هناك بعض العزاء في حقيقة أن هيدنستام مات منذ عدة سنوات؟

«و»هيلان غار، سيونغ هوب فادرلان لالان ليج»، ماذا يعني ذلك في الحقيقة؟ هل جعلتَ ستالين يردد البيعة لأعداء الثورة؟» سأل ستالين الذي يتحدث عن نفسه بصيغة الغائب عندما يغضب.

أجاب آلَنْ بأنه سيحتاج بعض الوقت للتفكير حتى يتمكن من ترجمة «سيونغ هوب فادرلان لالان ليج» إلى الإنجليزية، لكن السيد ستالين يستطيع أن يستريح مطمئناً إلى أنها ليست أكثر من مجرد أغنية صغيرة بسيطة مرِحة.

«أغنية مرحة؟» قال الرفيق ستالين بصوت عالٍ. «هل يظن السيد كارلسون أن ستالين يبدو كشخص مرِح؟»

بدأ آلَنْ يضيق بنزق ستالين. كان وجه الرجل العجوز غريب الأطوار قد احمرّ تماماً من الغضب، وإنما ليس لسبب كبير.

ومضى ستالين إلى القول:

«وماذا فعلت حقاً في الحرب الأهلية الإسبانية؟ ربما يكون من الأفضل سؤال عاشق السيد هيدنستام عن الجانب الذي قاتل معه!»

هل لديه حاسة سادسة أيضاً، الشيطان؟ فكر آلَنْ. آه، حسناً، لقد أصبح غاضباً سلفاً بأقصى ما يسعه الغضب، وهكذا ربما يكون من المناسب بنفس المقدار أن يقول المرء الحقيقة.

«لم أكن أقاتل حقاً، سيد ستالين، لكنني في البداية ساعدت الجمهوريين، قبل أن أغير الجهة –لأسباب عشوائية تقريباً– وأصبح صديقاً حميماً للجنرال فرانكو.»

«الجنرال فرانكو؟» صرخ ستالين، «ثم وقف محتقناً بالغضب، حتى أن المقعد من خلفه سقط على الأرض.

لتصح أن بالإمكان أن يصبح أكثر غضباً. في مناسبات قليلة في حياة ألَنْ المليئة بالأحداث، صرخ في وجهه أحد، لكنه لم يسبق له أن ردّ بالصراخ، وليست لديه خطط ليفعل ذلك أمام ستالين. لكن ذلك لا يعني أنه ليس متأثراً من الوضع. على العكس، أصبح يكره بسرعة هذا الرجل الضئيل الزاعق على الجانب الآخر من المائدة، وإنما بطريقته الهادئة الخاصة.

«ليس ذلك فقط، سيد ستالين. لقد كنت في الصين لشن الحرب ضد ما تسي-تونغ، قبل أن أذهب إلى إيران وأمنع محاولة لاغتيال تشرشل.»

«تشرشل؟ ذلك الخنزير السمين!» صرخ ستالين.

استعاد ستالين رباطة جأشه لحظة قبل أن يجترع كأساً كاملة من الفودكا. ونظر ألَنْ بحسد. إنه يريد هو أيضاً أن تُملأ كأسه، لكنه لم يعتقد أن هذه هي اللحظة المناسبة للإفصاح عن مثل هذا الطلب.

لم يقل المارشال بيريّا ويوري بوريسوفيتش أيّ شيء. لكنّ وجهيهما حملا تعابير مختلفة جداً. بينما حدّق بيريا في ألَنْ بغضب، بدا يوري غير سعيد فقط.

هضَم ستالين الفودكا التي اجترعها تواً ثم خفض صوته إلى المستوى الطبيعي. كان ما يزال غامضاً.

«هل فَهِم ستالين بشكل صحيح؟» سأل ستالين؟ «كنتَ إلى جانب فرانكو، وقاتلتَ ضد الرفيق ماو، أنت... أنقذت حياة الخنزير في لندن، وأنت وضعت السلاح الأشد فتكاً في العالم في أيدي كبار الشياطين الرأسماليين في أميركا».

«ربما أكون قد عرفت مسبقاً»، غمغم ستالين ونسي في غمرة غضبه التحدث بصيغة الغائب. «والآن ها أنت تبيع نفسك للاشتراكية السوفياتية؟ مائة ألف دولار، هل هذا هو ثمن روحك؟ أم أن السعر قد ارتفع خلال المساء؟»

لم يعد ألَنْ يريد تقديم المساعدة. بطبيعة الحال، ما يزال يوري رجلاً طيباً وهو الوحيد الذي يحتاج حقاً إلى المساعدة. لكنك لا تستطيع الهرب من حقيقة أن المطاف

سينتهي بنتائج عمل يوري في يديّ الرفيق ستالين، وهو لا يجسد بالضبط فكرة ألَنْ عن الرفيق الحقيقي. على العكس، بدا غير مستقر، وربما يكون أفضل شيء لكل المعنيين أن لا يحصل على القنبلة ليلعب بها.

«ليس تماماً، لا يتعلق هذا الأمر أبداً بالمال...».

ولم يستطيع قول المزيد قبل أن ينفجر ستالين مرة أخرى:

«من تظن نفسك، أيها الفأر اللعين؟ هل تعتقد أنك أنت، ممثل الفاشية، ممثل الرأسمالية الأمريكية البشعة، ممثل كل شيء بحق الله يحتقره ستالين، أنك أنت، تستطيع أن تأتي إلى الكرملين، إلى الكرملين، وتساوم ستالين، وتساوم ستالين؟»

«لماذا تقول كل شيء مرتين»؟ سأل ألَنْ، بينما استمر ستالين:

«إن الاتحاد السوفياتي مستعد للذهاب إلى الحرب مرة أخرى، أنا أقول لك! سوف تكون هناك حرب، ستكون هناك حرب حتماً حتى يتم محو الإمبريالية الأمريكية.»

«أهذا ما تعتقده؟» سأل ألَنْ.

«حتى نخوض معركة ونفوز، لا نحتاج قنبلتك الذرية الملعونة! إن ما نحتاجه هو الأرواح والقلوب الاشتراكية! إنه الذي يعرف، هو الذي لا يمكن أن يُهزَم أبداً، لا يمكن أن يُهزَم أبداً!»

«إلا إذا ألقى أحدٌ ما قنبلة ذرية عليه، طبعاً»، قال ألَنْ.

«سوف أدمر الرأسمالية! هل تسمع! سوف أدمر كل رأسماليّ! وسوف أبدأ بك، يا كلب، إذا لم تساعدنا في صناعة القنبلة!»

لاحظ ألَنْ أنه استطاع أن يصبح فأراً وكلباً في غضون دقيقة أو نحو ذلك. وأن ستالين متناقض بعض الشيء، لأنه يريد الآن توظيف خدمات ألَنْ بعد كل شيء. لكن ألَنْ لن يجلس هناك ويستمع إلى هذه الإساءة لوقت أطول. لقد جاء إلى موسكو لمساعدتهم، وليس ليصرخوا فيه. سيترتب على ستالين أن يتدبر أمره بنفسه.

«كنت أفكر»، قال آلَن.

«ماذا؟» قال ستالين مغضباً.

«لماذا لا تحلق هذا الشارب؟»

بذلك انتهى العشاء، لأن المترجم أغمي عليه.

***

جرى تغيير الخطط بمنتهى السرعة. لم يتم إسكان آلَن، بعد كل شيء، في أرقى جناح للضيوف في الكرملين، وإنما أُسكِنَ بدلاً من ذلك في زنزانة بلا نوافذ في قبو مركز شرطة البلاد السرية. قرر الرفيق ستالين أخيراً أن الاتحاد السوفياتي يمكن أن يحصل على قنبلة ذرية إما من خلال توصل خبرائه الخاصين إلى كيفية عملها، أو باستخدام طرق التجسس العتيقة الجيدة. لن يقوموا باختطاف أي غربيين إضافيين ولن يتفاوضوا بكل تأكيد مع رأسمالي أو فاشي -أو الاثنين مجتمعين معاً.

شعر يوري باستياء عميق. ليس فقط لأنه هو الذي أقنع آلَن اللطيف بالقدوم إلى الاتحاد السوفياتي حيث ينتظره الموت بالتأكيد، وإنما لأن الرفيق ستالين كشف عن مثل هذه النقائص البشرية في شخصه! كان القائد العظيم ذكياً، حسن الثقافة، وراقصاً جيداً، وله صوت غناء جميل. وفوق كل ذلك، كان مجنوناً تماماً! حدث أن اقتبس آلَن الشاعر الخطأ، وفي بضع ثوان تحولت مأدبة عشاء لطيفة إلى... كارثة.

مع المغامرة بحياته الخاصة، حاول يوري بحذر، بحذر شديد، التحدث عن إعدام آلَن الوشيك، وعما إذا كان هناك بديل بالرغم من كل شيء. لكن يوري أخطأ في تقدير المارشال. لقد استخدم هذا الرجل العنف مُسبقاً ضد النساء والأطفال، وعذّب وأعدم المذنبين والبريئين على السواء، فعل ذلك وأكثر بكثير إلى جانبه.. ولكن، ومهما كانت أساليبه مقززة، فقد عمل المارشال بيريًا بتفكير مستقل لما فيه أفضل مصالح الاتحاد السوفياتي.

«لا تقلق، يا عزيزي يوري بوريسوفيتش، السيد كارلسون لن يموت، ليس الآن على الأقل.»

وأوضح المارشال بيريّا أنه ينوي الاحتفاظ بألَنْ كارلسون بعيداً عن الطريق على سبيل الاحتياط، في حال استمر يوري بوريسوفيتش وزملاؤه العلماء بالفشل في صنع قنبلة. وقد انطوى هذا التفسير على تهديد ضمني، وسُرّ المارشال بيريّا كثيراً بذلك.

***

بينما ينتظر محاكمته، جلس ألَنْ حيث يجلس، في واحدة من الزنازين الكثيرة في مقر البوليس السري السوفياتي. وكان الشيء الوحيد الذي حدث -إلى جانب اللاشيء- هو أنهم يعطون ألَنْ رغيف خبز كل يوم، وأونصة واحدة من السكّر، وثلاث وجبات دافئة (حساء الخضار، حساء الخضار، وحساء الخضار).

لا شك أن الطعام كان أفضل بالتأكيد في الكرملين منه هنا في الزنزانة. لكن ألَنْ فكر بأنه على الرغم من أن طعم الحساء هو كما هو، فإنه يستطيع الاستمتاع به بسلام على الأقل، دون أن يصرخ في وجهه أحد لأسباب لم يستطع أن يتعقبها تماماً.

استمرت هذه الحمية الغذائية ستة أيام قبل أن تستدعي المحكمة الخاصة بالبوليس السري ألَنْ. كانت غرفة المحكمة، تماماً مثل زنزانة ألَنْ، موجودة في إدارة البوليس السري الهائلة إلى جانب ساحة لوبيانكا، وإنما أعلى بعدة طوابق. وُضع ألَنْ على مقعد أمام القاضي وخلف منصة. وإلى يسار القاضي جلس المدعي العام، وهو رجل ذو تعبير متجهم، وإلى اليمين جلس محامي الدفاع عن ألَنْ، وهو رجل ذو تعبير متجهم بنفس المقدار.

كبداية، قال المدعي العام شيئاً بالروسية لم يفهمه ألَنْ. ثم قال محامي الدفاع شيئاً آخر بالروسية لم يفهمه ألَنْ أيضاً. وهو ما أطرق القاضي بعده كما لو أنه يفكر، قبل أن يفتح ويقرأ ورقة مثل ورقة الغش في الامتحان (حتى يتأكد من أنه فهمهما جيداً) ثم أعلن حكم المحكمة:

«المحكمة الخاصة تدين بهذا ألَنْ إيمانويل كارلسون، مواطن مملكة السويد، كعنصر خطِر على المجتمع السوفياتي الاشتراكي، بحكم السجن ثلاثين عاماً في معسكر الإصلاح في فلاديفوستوك.»

وأعلم القاضي الرجل المدان بأنه يمكن الطعن في الحكم واستئنافه، وأن الطعن يمكن أن يقدَّم خلال ثلاثة أشهر اعتباراً من اليوم. لكن محامي دفاع ألَنْ أخبر المحكمة نيابة عن ألَنْ كارلسون بأنهم لن يستأنفوا. إنَّ ألَنْ كارلسون، على العكس، ممتنٌّ تماماً للحكم الخفيف.

لم يُسأل ألَنْ أبداً، بالطبع، عما إذا كان ممتناً، لكن الحكم احتوى بلا شك على بعض العناصر الجيدة. أولاً، المتهم سوف يعيش، وهو أمر نادر عندما تكون قد صُنِّفتَ كعنصر خطر. وثانياً، سوف يذهب إلى معسكرات الكولاغ في فلاديفوستوك، التي يظلُّ مناخها هو الأكثر إمكانية للتحمل في سيبيريا. لم يكن الطقس هناك بغيضاً أكثر بكثير مما هو هناك في الوطن في سودرمانلاند، في حين يمكن أن تهبط درجات الحرارة في المناطق الأبعد إلى الشمال وفي المناطق الداخلية من روسيا إلى ناقص ٥٨، ناقص ٧٦، بل وحتى إلى ناقص ٩٤ فهرنهايت.

وهكذا، كان ألَنْ محظوظاً، والآن دُفع به إلى عربة شحن مفتوحة على الريح العاتية مع حوالي ثلاثين معارضاً آخر سيئي الحظ. وخُصِّص لهذا الحمل المخصوص أيضاً ما لا يقل عن ثلاث بطانيات لكل سجين بعد أن رشى الفيزيائي يوري بوريسوفيتش بوبوف الحراس ورئيسهم المباشر برزمة كاملة من الروبلات.

ظن رئيس الحراس من الغريب أن يُعنى مثل هذا المواطن البارز بعملية نقل بسيطة إلى معكسرات الكولاغ، بل إنه فكر في الإبلاغ عن ذلك لمسؤوليه، لكنه تذكَّر عندئذ أنه قبل فعلياً تلك النقود، ولذلك سيكون من الأفضل عدم إثارة ضجة.

لم يكن سهلاً على ألَنْ أن يجد أحداً يمكن أن يتحدث إليه في عربة الشحن، بما أن الكل تقريباً يتكلمون الروسية. لكن أحد الرجال يمكن أن يتحدث بالإيطالية، وبما أن ألَنْ

يتحدث بالطبع إسبانية طليقة، استطاع كل منهما فهم الآخر بشكل جيد إلى حد ما. كان ذلك جيداً بما فيه الكفاية ليفهم ألَنْ أن هذا الرجل تعيسٌ بعمق ويفضل أن يَقتُل نفسه، لو أنه ليس -في رأيه الخاص- هذا الجبان الذي هو عليه. وواساه ألَنْ بأفضل ما يستطيع، قائلاً إن الأمور ربما تحلُّ نفسها بنفسها عندما يصل القطار إلى سيبيريا.

سحب الإيطالي نفَساً واستجمع نفسه. ثم شكر ألَنْ على دعمه وصافحه. لم يكن، بالمناسبة، إيطالياً وإنما ألمانياً. كان اسمه هيربرت. أما اسم عائلته فليس ذا صلة.

•••

لم يكن لهيربرت آينشتاين أي حظّ في حياته على الإطلاق. وعلى أساس حادثة إدارية مؤسفة، أدين -تماماً مثل ألَنْ- بالسجن ثلاثين سنة في معسكرات الإصلاح بدلاً من الموت الذي يتوق إليه بإخلاص. وهو لن يتجمد حتى الموت في التندرا السيبيرية أيضاً، حيث ستهتم البطانيات الإضافية بهذا. وإلى جانب ذلك، كان هذا اليناير من سنة ١٩٤٨ هو الألطف منذ العديد من السنوات. لكن ألَنْ وعد بأنها ستكون هناك الكثير الاحتمالات الجديدة لهيربرت. إنهم في طريقهم إلى معسكر عمل بعد كل شيء، وهكذا، وإذا لم يكن ثمة شيء آخر، فإنه سيُرهقُ نفسه بالعمل حتى الموت. ماذا عن ذلك؟

تنهد هيربرت وقال إنه ربما يكون أكسل من أن يفعل ذلك، لكنه ليس متأكداً حقاً لأنه لم يعمل مطلقاً طوال حياته. وهنا، استطاع ألَنْ أن يلمح فُرجة. في معسكر سجن، لا يمكنك أن تتسكع متبطلاً وحسب، لأنك إن فعلت، فسوف يطلق الحراس النار عليك حمولة من الرصاص.

راقت الفكرة لهيربرت، لكنها أرسلت القشعريرة في جسده في الوقت نفسه. حمولة من الرصاص، ألن يكون ذلك مؤلماً بشكل مروِّع؟

•••

لم يكن ألَنْ كارلسون يطلب من الحياة الكثير. كان يريد فقط سريراً، والكثير من الطعام، وشيئاً يفعله، وكأساً من الفودكا من حين لآخر. وإذا ما لُبّيت هذه الحاجات، فإنه يستطيع تحمل معظم الأشياء. وقد زود المعكسر في فلاديفوستوك ألَنْ بكل شيء تمناه، إلا الفودكا.

في ذلك الوقت، تكوّن ميناء فلاديفوستوك من جزء مفتوح وآخر مغلق. وكان معكسر إصلاح الكولاغ، المحاط بسياج بارتفاع سبعة أقدام، يتكون من أربعين مهجعاً في صفوف من أربعة. وقد امتد السياج كل المسافة وصولاً إلى رصيف الميناء. وكانت السفن التي يقوم سجناء الكولاغ بتحميلها أو تفريغها ترسو داخل السياج، والأخريات خارجه. وكان السجناء يفعلون كل شيء تقريباً. ولم يكن سوى بعض قوارب الصيد الصغيرة وطواقمها هي التي تتدبر أمورها بنفسها، وكذلك فعلت بعض ناقلات النفط الأكبر حجماً في بعض الأحيان.

مع استثناءات قليلة، بدت الأيام في معسكر الإصلاح في فلاديفوستوك كلها متشابهة. إنهاض في الثكنات في السادسة صباحاً، إفطار بعد ربع ساعة. وكان يوم العمل يستمر لاثنتي عشرة ساعة، من السادسة والنصف إلى السادسة والنصف، مع استراحة غداء لمدة نصف ساعة في منتصف النهار. ومباشرة بعد انتهاء يوم العمل، هناك العشاء، ثم يحين وقت الإغلاق على السجناء في مهاجعهم حتى الصباح التالي.

كان النظام الغذائي استثنائياً: من الأسماك أساساً كما ينبغي الاعتراف، ولكن نادراً في شكل حساء. لم يكن حراس السجن ودودين بالضبط، لكنهم لم يكونوا يطلقون النار على الناس بلا سبب على الأقل. حتى أن هيربرت آينشتاين نفسه استطاع أن يبقى حياً، ولو أن ذلك يتعارض مع طموحه. كان يعمل بطبيعة الحال أبطأ من أي سجين آخر، لكنه طالما ظل قريباً من ألَنْ، العامل الدؤوب، فإن أحداً لم يلاحظ.

لم يكن ألَنْ يمانع في العمل عن اثنين. لكنه سرعان ما وضع قاعدة: ليس مسموحاً لهيربرت بالشكوى من كم هي حياته بائسة. لقد فهم ألَنْ سابقاً أن هذا هو واقع الحال،

وليس هناك خلل في ذاكرته. وهكذا، لن يخدم تكرار الشيء نفسه المرة تلو المرة أي غاية على الإطلاق.

ولَطاع هيربرت، ثم أصبحت الأمور على ما يرام، كما هي معظم الأشياء على ما يُرام، بعيداً عن الافتقار إلى الفودكا. وقد استطاع الآنْ التكيف معها وتحملها خمس سنوات وثلاثة أسابيع. ثم قال:

«الآن أريد مشروباً. ولا أستطيع الحصول على ذلك هنا. ولذلك، آن أوان الرحيل.»

سابع عشر
الثلاثاء، ١٠ مايو ٢٠٠٥

أشرقت شمس الربيع بزهوّ لليوم التاسع على التوالي. وحتى مع أن الطقس كان بارداً في الصباح، ظلّ بوسّي يحضر المائدة للإفطار في الخارج على الشرفة.

أخرج بيني والجميلة سونيا من الحافلة وقاداها إلى الحقل خلف بيت المزرعة. وجلس ألَنْ وبايك غيردن على الأريكة المتأرجحة، وهزاها بلطف. كان أحدهما في المائة من عمره، بينما يشعر الآخر كما لو أنه في المائة من عمره. كان رأسه ينبض، وتجعل أضلاعه المكسورة من الصعب عليه أن يتنفس. ولم تكن ذراعه اليمنى تصلح لشيء، فضلاً عن الأسوأ من كل شيء -الجرح الغائر في فخذه اليمنى. ومرّ بيني وعرض تغيير الضماد على الفخذ، لكنه اعتقد أنه ربما يكون من الأفضل البدء بحبتين من مسكنات الألم القوية. ثم يمكنهم اللجوء إلى المورفين في المساء إذا لزم الأمر.

بعد ذلك، عاد بيني إلى سونيا وترك ألَنْ وبايك لنفسيهما. واعتقد ألَنْ أن الوقت قد حان ليتبادل الرجلان حديثاً أكثر جدية. أعرب عن أسفه لأن -البرغي؟- فقد حياته هناك في غابات سودرمانلاند، ولأن -السطل؟- انتهى به المطاف مهروساً تحت سونيا. كان البرغي والسطل يهددانهم مع ذلك -بعبارة ملطفة- وربما يكون ذلك عاملاً مخففاً. ألا يظن السيد بايك ذلك؟

أجاب بايك غيردن بأنه يأسف لسماع أن الأولاد قد لقوا حتفهم، لكنه لم يتفاجأ حقاً بأن يتغلب عليهم رجل غريب الأطوار عمره مائة سنة، ولو ببعض المساعدة، لأنهما كانا كلاهما معتوهين بشكل ميئوس منه. وكان الشخص الوحيد المعتوه، حتى أكثر

منهما، هو العضو الرابع في النادي، كاراكاس، لكنه هرب من البلد لتوه وقطع مسافة جيدة الآن في الطريق إلى مكان ما في أمريكا الجنوبية –لا يعرف بايك حقاً من أين أتى.

ثم أصبح صوت بايك غيردن أكثر حزناً. بدا وأنه يرثي لنفسه، لأن كاراكاس هو الذي كان يستطيع التحدث إلى باعة الكوكائين في كولمبيا؛ الآن لم يعد لدى بايك، لا مترجم ولا أتباع ليواصل عمله. ها هو ذا يجلس هنا، بعدد لا يعلمه سوى الله من العظام المكسورة في جسده، وبلا أدنى فكرة عما ينبغي أن يفعل بحياته.

واساه ألَنْ وقال إنه لا بد أن يكون هناك نوع آخر من المخدرات التي يستطيع السيد بايك أن يبيعها. لا يعرف ألَن الكثير عن المخدرات، ولكن، ألا يستطيع السيد بايك وبوسّي بادي أن يزرعا شيئاً ما هنا في المزرعة؟

أجاب بايك بأن بوسّي بادي هو أفضل صديق له في حياته، لكن لبوسّي أيضاً مبادئه الأخلاقية اللعينة. وإلا لكان بايك وبوسّي الآن قد أصبحا ملوك اللحم المفروم في أوروبا.

قاطع بوسّي الحزن الشامل الذي ينيخ على الأرجوحة بإعلانه أن الإفطار جاهز. يستطيع بايك على الأقل أن يتذوق ألذّ دجاج في العالم، ومعه بطيخة تبدو مستوردة مباشرة من مملكة السماء.

بعد الإفطار، عالج بيني الجرح في فخذ بايك، ثم أوضح بايك أنه يحتاج إلى قيلولته الصباحية، إذا عذره أصدقاؤه؟

تطورت الساعات التالية في مزرعة بيلرينغر على النحو التالي:

نقل بيني والجميلة الأشياء في الحظيرة بحيث يرتبان ما قد يصلح إسطبلاً أكثر مناسبة وديمومة لسونيا.

خرج يوليوس وبوسّي إلى فالكوبينغ لشراء المؤن، وبينما كانوا هناك، رأوا عناوين الصحف عن المتوي ورفاقه الذين يبدو أنهم يعيثون فساداً في كل أنحاء البلاد.

عاد ألَنْ بعد الإفطار إلى الأرجوحة، بهدف عدم إجهاد نفسه –ويفضل أن يكون ذلك بصحبة المغفل.

وبايك، نام.

ولكن، عندما عاد يوليوس وبوسي من رحلة تسوقهما، قاما مباشرة باستدعاء الجميع لعقد اجتماع كبير في المطبخ. وحتى بايك غيردن أُجبِر على النهوض من سريره. وأخبرهم يوليوس بما قرأه هو وبوسّي في الصحيفة. ويستطيع مَن يرغب أن يقرأها بسلام وهدوء بعد الاجتماع، وإنما هناك الآن، باختصار، مذكرات صدرت لإلقاء القبض عليهم، كلهم ما عدا بوسّي الذي لَيس له ذكر على الإطلاق، وبايك الميت، وفقاً للصحيفة.

«هذا الجزء الأخير ليس صحيحاً، لكنني أشعر بأنني متوعك قليلاً، صحيّاً»، قال بايك غيردن.

قال يوليوس إن من الخطير، بالطبع، أن يكون المرء مشتبهاً به بتهمة القتل، حتى لو انتهى ذلك إلى تسميته بشيء آخر. ثم طلبّ رأي الجميع. هل ينبغي أن يتصلوا بالشرطة ويخبروهم عن مكانهم، ويجعلوا العدالة تأخذ مجراها؟

وقبل أن يستطيع أحد أن يقول رأيه في ذلك، هدر بايك غيردن وقال إنه سيكون على جثته نصف الميتة أن يتصل أحد طوعاً ويبلغ عنهم الشرطة.

«إذا كان الأمر سيكون كذلك، فسأحضر مسدسي مرة أخرى. ماذا فعلتم به، بالمناسبة؟»

أجاب ألَنْ بأنه خبأ المسدس في مكان آمن، واضعاً في ذهنه كل الأدوية الغريبة التي يعطيها بيني للسيد بايك. هل يعتقد السيد بايك أنه سيكون من الجيد أيضاً أن يبقى المسدس مخفيّاً لفترة أطول قليلاً؟»

حسناً، يمكن ذلك، يستطيع بايك أن يتعايش مع ذلك، فقط إذا استطاع السيد ألَنْ أن يكون أقل رسمية.

«أنا بايك»، قال بايك، وصافح المئوي.

«وأنا ألَنْ»، قال ألَنْ. «تشرفت بمقابلتك.»

وهكذا، وبالتهديد باستخدام السلاح (وإنما بلا سلاح) قرر بايك أنهم لن يعترفوا بشيء للشرطة والمدعي العام. كانت خبرته تقول إن العدالة نادراً ما تكون العدالة التي ينبغي أن تكون عليها. ووافق الآخرون. على الأقل على أساس ما قد يحصل إذا

أصبحت العدالة هذه المرة عادلة كما ينبغي أن تكون.

كانت نتيجة النقاش القصير هي أن الحافلة الصفراء يجب إخفاؤها على الفور في مخزن بوسّي الضخم، إلى جانب البطيخ غير المعالج بعد. لكنه تقرر أيضاً أن الشخص الوحيد الذي يمكن أن يغادر المزرعة من دون إذن هو بوسّي بادي – أي، الشخص الوحيد بينهم الذي لم يكن مطلوباً للشرطة أو محسوباً في عداد القتلى.

أما فيما يتعلق بالسؤال عما ينبغي أن يفعلوه بعد ذلك، ما يمكن أن يحدث على سبيل المثال لحقيبة النقود، فقررت المجموعة تأجيل البتّ في ذلك إلى وقت لاحق. أو كما قال بايك غيردن:

«إنني أصاب بالصداع عندما أفكر بذلك. في هذه اللحظة، أنا مستعد لدفع خمسين مليوناً مقابل مسكن للألم.

«إليك حبتين»، قال بيني. «وبالمجّان.»

***

كان اليوم حافلاً بالنسبة لكبير المفتشين أرونسون. فبفضل كل تلك الدعاية، أصبحوا يُغرَقون الآن بالمعلومات حول المكان الذي يفترض أن يكون القاتل الثلاثي ورفاقه مختبئين فيه. لكن المعلومة الوحيدة النافعة التي اعتقد كبير المفتشين أنه يستطيع تصديقها هي تلك التي جاءت من نائب رئيس الشرطة في يونكوبينغ، غونار لوينليند. وأبلغ بأنه التقى في مكان ما على الطريق السريع بالقرب من روزالات بحافلة سكانيا صفراء ذات مقدمة متضررة بشكل سيئ وبضوء أمامي واحد عامل. ولولا أن حفيده شرع في التقيؤ في مقعد الأطفال في المقعد الخلفي من السيارة، لكان لوينليند قد اتصل بشرطة السير وأبلغهم عن الحافلة.

جلس كبير المفتشين أرونسون أمسية ثانية في بار البيانو في فندق رويال كورنر في فاكسيو، وارتكب ثانية خطأ تحليل الموقف وهو تحت تأثير الكحول.

«الطريق السريع المتجه شمالاً»، تأمل كبير المفتشين مُحدِّثاً نفسه. «هل أنتم

عائدون إلى سودرمانلاند؟ أم أنكم ستختبئون في ستوكهولم؟»

قرر مغادرة الفندق في اليوم التالي والعودة إلى الديار، إلى شقته الكئيبة المكونة من ثلاث غرف وسط إسكيلستونا. إنّ لروني هولث من محطة الباصات قصة ليعانقها على الأقل. لكنه ليس لغوران أرونسون أي شيء، فكر، وجرع آخر كأس ويسكي لذلك المساء.

ثامن عشر
١٩٥٣

على مدار خمس سنوات وثلاثة أسابيع، تعلّم ألَنْ التحدث بالروسية بشكل جيد بطبيعة الحال، لكنه شذب لغته الصينية أيضاً. كان الميناء مكاناً نابضاً بالحيوية، وأقام ألَنْ صلة مع البحارة العائدين الذين أبقوه مطلعاً على ما يحدث في العالم الخارجي.

من بين أمور أخرى، فجّر الاتحاد السوفياتي قنبلته الذرية الخاصة بعد سنة ونصف من لقاء ألَنْ بستالين، وبيريا ويوري بوريسوفيتش المتعاطف. وفي الغرب، اشتبهوا بحدوث تجسس، لأن القنبلة السوفياتية بدت وأنها بنيت بالضبط وفقاً لنفس المبدأ الذي بُنيت به قنبلة لوس ألاموس. وحاول ألَنْ أن يخمن كم من القرائن كان يوري قد التقط منه في الغواصة بينما يشربان الفودكا مباشرة من فم الزجاجة.

«أعتقد، يا صديقي يوري بوريسوفيتش، أنك تتقن فن الشرب والاستماع في الوقت نفسه»، قال ألَنْ لنفسه.

اكتشف ألَنْ أيضاً أن الولايات المتحدة، وفرنسا، وبريطانيا العظمى ضمت المناطق التي احتلتها وشكلت منها جمهورية ألمانيّة فيدرالية. ورد ستالين الغاضب فوراً بتشكيل ألمانيا خاصة به، وهكذا أصبح لكل من الغرب والشرق الآن واحدة، وهو ما رآه ألَنْ شيئاً عملياً.

كان الملك السويدي قد مات ورحل، كما قرأ ألَنْ في جريدة بريطانية وجدت طريقها لسبب غامض إلى بحار صيني، والذي تذكر بدوره السجين السويدي في فلاديفوستوك، ولذلك أحضر له الصحيفة. كان الملك، كما ينبغي الاعتراف، قد مات قبل سنة كاملة

عندما وصل الخبر إلى آلَن، لكن ذلك لم يكن يهم في الحقيقة. وقد حل ملك جديد محلة مباشرة، وهكذا، ما تزال الأمور على ما يرام في البلد القديم.

من ناحية أخرى، كان البحارة في الميناء يتحدثون عن الحرب في كوريا. ولم يكن ذلك مفاجئاً جداً. إن كوريا تقع على بعد حوالي ١٢٥ ميلاً فقط بعد كل شيء. وكما فهم آلَن، فقد حدث التالي:

ظلّت شبه الجزيرة الكورية متروكة نوعاً ما عندما انتهت الحرب العالمية الثانية. وقد احتل كل من ستالين وترومان قطعة منها في اتفاق أخوي، وقررا أن يفصل خط العرض ٣٨ بين الشمال والجنوب. ثم أعقبت ذلك مفاوضات استمرت إلى الأبد حول كيف يجب تمكين كوريا من حكم نفسها. ولكن، وبما أنها لم تكن لستالين وترومان نفس وجهات النظر السياسية حقاً (ليس على الإطلاق، في الحقيقة) فقد انتهى الأمر بكل شيء ليصبح مثل ألمانيا. أولاً، أسست الولايات المتحدة كوريا الجنوبية، وهو ما ردّ عليه الاتحاد السوفياتي بكوريا الشمالية. وبعدها، ترك الأمريكيون والروس الكوريين ليتدبروا أمرهم مع هذا.

لكن ذلك لم يُسفر عن خير. فقد تصوّر كل من كيم إيل سونغ في الشمال وسينغمان في الجنوب أنه هو الأنسب لحكم شبه الجزيرة بأكملها. وعندئذ بدأ الحرب.

ولكن، بعد ثلاث سنوات، وربما أربعة ملايين قتيل، لم يتغير شيء على الإطلاق. كان الشمال ما يزال الشمال، وكان الجنوب ما يزال الجنوب. وما يزال خط العرض ٣٨ يبقيهما منفصلتين.

عندما وصل الأمر إلى الحصول على ذلك المشروب –السبب الرئيسي للهروب من الكولاغ– كانت الطريقة الأكثر طبيعية، بطبيعة الحال، هي التسلل إلى ظهر واحدة من السفن العديدة التي تتوقف في الميناء في فلاديفوستوك. لكن سبعة على الأقل من أصدقاء آلَن في كوخ المعسكر فكروا بالشيء نفسه على مدى السنين، وتم اكتشاف أمر السبعة جميعاً وإعدامهم. وفي كل مرة حدث ذلك، كان الآخرون في المهجع ينتحبون. وكان أكثر المنتحبين هو هيربرت آينشتاين، كما يبدو. وكان آلَن فقط هو الذي يعرف

أن السبب في حزن هيربرت هو، مرة أخرى، أنه لَم يُعدَم هو.

كانت إحدى العقبات التي تعترض سبيل الوصول إلى متن السفينة هي أن كل سجين يرتدي ملابس السجن السوداء والبيضاء. ولذلك، فإن من المستحيل عليهم الاختلاط بالحشد. وبالإضافة إلى ذلك، كان هناك مجاز ضيق إلى السفينة محروساً جيداً، كما أن كلاب الحراسة المدربة جيداً تتشمم كل حمل تحمله الرافعة إلى السفينة.

وأيضاً، لم يكن من السهل تماماً العثور على سفينة يمكن أن يكون ألنْ مقبولاً فيها سلفاً كمسافر سريّ. كانت الكثير من الناقلات تذهب إلى الصين الأم، وأخريات إلى ونسان في ساحل كوريا الشمالية الشرقي.

كان هناك سبب للاعتقاد بأن القبطان الصيني أو الكوري الشمالي الذي يجد سجين الكولاغ في قبضته، إما أنه سيعيده أو يلقي به من على ظهر السفينة (وهو ما سيسفر عن نفس النتيجة النهائية، وإنما بقدر أقل من البيروقراطية). ولم يكن الهرب على اليابسة أسهل كثيراً. لم يكن الاتجاه شمالاً في داخل سيبيريا حيث الطقس بارد حقاً حلاً مناسباً. ولا الذهاب غرباً إلى الصين كذلك أيضاً. وهكذا، يتبقى الاتجاه جنوباً، إلى كوريا الجنوبية حيث سيعتنون حتماً بلاجئ من الكولاغ، والذي يُفترض أن يكون عدواً للشيوعية. من السيئ جداً أن كوريا الشمالية تقع في الوسط.

سوف تكون هناك بعض العقبات الكأداء على الطريق، كما أدرك ألنْ، حتى قبل أن يتسنى له الوقت لابتكار شيء يشبه بشكل غامض خطة هربه البري إلى الجنوب. لكن لم تكن هناك أي فائدة في إقلاق نفسه حتى الموت، لأنه لن يحصل عندئذ على أي فودكا على الإطلاق. هل يجرّب وحده، أم مع شخص آخر؟ في هذه الحالة ينبغي أن يكون هيربرت، على بؤسه الذي هو فيه. وفي الواقع، اعتقد ألنْ أنه يمكن أن يعثر على فائدة ما لهيربرت في استعداداته. كما سيكون من الأكثر متعة أن يكون اثنان في رحلة الهرب، بدلاً من واحد فقط.

«هرب؟» قال هيربرت آينشتاين. «على اليابسة؟ إلى كوريا الجنوبية؟ عن طريق كوريا الشمالية؟»

«بشكل أو بآخر»، قال ألَن. «على الأقل هذه هي الخطة العاملة.»

«لا يمكن أن تكون فرص نجاتنا أكثر من مِجهرية»، قال هيربرت.

«ربما تكون محقاً في هذا»، قال ألَن.

«أنا معك!» قال هيربرت.

بعد خمس سنوات، أصبح كل فرد في المعسكر يعرف مدى قلة النشاط المعرفي الذي يدور في رأس السجين رقم ١٣٣ –هيربرت. وحتى عندما يكون هناك مؤشر على وجود بعض النشاط، فقد بدا أن ذلك يحدث ليسبب له المزيد من المتاعب الداخلية وحسب.

هذا، في المقابل، خلق نوعاً معيناً من التعاطف لدى حراس السجن عندما يتعلق الأمر بهيربرت آينشتاين. إذا لم يقف أي سجين آخر بالطريقة التي ينبغي أن يقف بها في طابور الطعام، فإنهم سيصرخون به في أحسن الأحوال، وسيكون ثاني أفضل شيء هو أن ينال ضربة بعقب البندقية في بطنه، ثم ستكون الحالة الأسوأ هي أن يقال له وداعاً إلى الأبد.

لكن هيربرت ما يزال بعد خمس سنوات غير قادر على إيجاد طريقه إلى مهجعه. إنها كلها بذات اللون البني نفسه، وكلها بنفس الحجم؛ وذلك مربك حقاً. كان الطعام يقدّم دائماً في المنطقة بين المهجعين الثالث عشر والرابع عشر، لكنهم كثيراً ما يعثرون على السجين رقم ١٣٣ وهو يتجول إلى جانب المهجع رقم سبعة. أو تسعة عشر، أو خمسة وعشرين.

«اللعنة، يا آينشتاين»، كان حراس السجن يقولون. «إن طابور الطعام هناك. كلا، ليس هناك، هناك! إنه هناك دائماً كل الوقت بحق الشيطان!»

اعتقد ألَن أنه سيستطيع هو وهيربرت الاستفادة من هذه السمعة. يمكنهما بالطبع أن يهربا في ملابس سجنهما، لكن بقاءهما أحياء في نفس ملابس السجن تلك لأكثر من دقيقة أو اثنتين سيكون أصعب. يحتاج كل من ألَن وهيربرت إلى زي جندي. والسجين الوحيد الذي يستطيع أن يصل إلى أي مكان بالقرب من مستودع ملابس الجنود دون

إطلاق النار عليه فور اكتشافه، هو ١٣٣ آينشتاين.

وهكذا، أخبر ألَنْ صديقه بما يجب أن يفعل. إنها مسألة «السير في الاتجاه الخطأ» عندما يحين وقت الغداء، لأنه سيكون وقت الغداء أيضاً للموظفين في مستودع الملابس. وخلال نصف الساعة تلك، يكون المخزن تحت حراسة جندي واحد فقط وراء المدفع الرشاش في البرج رقم أربعة. ومثل كل الحراس الآخرين، فإنه يعرف عن تصرفات السجين ١٣٣ الغريبة، وإذا رأى هيربرت، فإنه ربما يصرخ فيه بدلاً من إطلاق الرصاص عليه. أما إذا أخطأ ألَنْ في هذا التخمين، فإن ذلك لن يكون قضية كبيرة بالنظر إلى تمنّي هيربرت الأبدي للموت.

اعتقد هيربرت أن ألَنْ خطط للأمر جيداً. ولكن، ما الذي يفترض فيه أن يفعله، هل يستطيع ألَنْ أن يقوله له مرة أخرى؟

سار الأمر خطأ، بطبيعة الحال. فقد ضاع هيربرت، ووجد نفسه، للمرة الأولى في عصور، في المكان الصحيح لطابور الطعام. كان ألَنْ يقف هناك مسبقاً، ودفع هيربرت متنهداً دفعة ودودة في اتجاه مخزن الملابس. لكن ذلك لم يساعد! ذهب هيربرت في الطريق الخطأ مرة أخرى، وقبل أن يعرف ذلك وجد نفسه في غرفة الغسيل. وماذا وجد هناك، إن لم تكن كومة كاملة من الأزياء العسكرية المغسولة والمكويّة حديثاً!

أخذ زوجاً من الأزياء وخبأهما داخل معطفه، ثم خرج عائداً للتسكع حول المهاجع مرة أخرى. وقد رآه الجندي في برج الحراسة رقم أربعة، لكنه لم يكلف نفسه حتى عناء الصراخ عليه. وفي الحقيقة، اعتقد الحارس أن الأمر يبدو كما لو ان الأحمق يتجه حقاً إلى مهجعه الخاص هذه المرة.

«معجزة»، تمتم لنفسه وعاد إلى ما كان يفعله قبل ذلك: الحلم بأنه موجود في مكان آخر بعيد.

والآن، أصبح لدى كل من ألَنْ وهيربرت زيّ عسكري بحيث سيبدوان مجندَين فخورَين في الجيش الأحمر. الآن، أصبح الأمر مسألة استكمال بقية الخطة.

لاحظ ألَنْ مؤخراً زيادة كبيرة في أعداد السفن التي تتخذ طريقها إلى وونسان. لم يكن الاتحاد السوفياتي مشتركاً رسمياً في الحرب على الجانب الكوري الشمالي، لكن الكثير والكثير جداً من المواد الحربية شرعت في الوصول إلى فلاديفوستوك بالقطار، حيث تُحمّل بعد ذلك على متن السفن التي لها جميعاً نفس الوجهة. ولم يكن الأمر أن وجهتها كانت معلنة فعلياً، لكن ألَنْ امتلك الحسّ السليم ليسأل البحارة. كما أنك تستطيع أحياناً رؤية ما تتكون منه البضاعة –على سبيل المثال، المركبات المخصصة للطرق الوعرة، أو حتى الدبابات- بينما تكون في أحوال أخرى مجرد حاويات خشبية.

كان ألَنْ في حاجةٍ إلى تكتيك لتشتيت الانتباه، مثل ذاك في طهران قبل ست سنوات. وباتباع المثل الروماني القديم عن ضرورة التزام المرء بما يستطيع أن يفعله أكثر ما يكون، اعتقد ألَنْ بأن بعض الألعاب النارية ربّما تكون الشيء المطلوب فقط.

كانت تلك هي النقطة التي دخلت فيها الحاويات الذاهبة إلى وونسان في الصورة. لم يكن ألَنْ يعرف على وجه اليقين، لكنه خمّن أن العديد منها تحتوي على متفجرات، وإذا حدث وأن اشتعلت النيران في حاوية من هذا النوع في منطقة التحميل، وإذا شرعت في الانفجار.. حسناً، ستكون لدى ألَنْ وهيربرت الفرصة للانسلال خلف الزاوية وارتداء ملابسهما السوفياتية. وعندئذ سيترتب عليها الاستيلاء على سيارة –التي ينبغي أن يكون مفتاحها موجوداً في المشغّل وخزانها ممتلئاً بالوقود، بالإضافة إلى عدم وجود مالكها في المكان. وبعد ذلك، يجب أن تُفتح البوابات المحروسة حسب أوامر ألَنْ وهيربرت، وما إن يصبحا خارج الميناء ومنطقة الكولاغ، لن يلاحظ أحدٌ شيئاً غريباً على الإطلاق، لا أحد سيفتقد السيارة المسروقة، ولا أحد سيحاول اللحاق بهما. كل ذلك، حتى قبل أن يغرقوا في محيط المشاكل، مثل كيف سيدخلان كوريا الشمالية، و–فوق كل شيء- كيف سينتقلان بعد ذلك من الشمال إلى الجنوب.

«ربما أكون بطيء الفهم قليلاً»، قال هيربرت. «لكن يبدو كأن خطتك ليست جاهزة تماماً.»

«لستَ بطيء الفهم»، احتجّ ألَنْ. «حسناً، ربما قليلاً، لكنك محقٌ تماماً حين يتعلق

الأمر بهذا. كلما فكرت أكثر، كلما اعتقدت أن علينا أن نترك الأمر عند هذا الحد، وسترى كيف ستتكشف الأمور كما تبتغي، لأن هذا هو ما يحدث عادة –دائماً تقريباً، في الحقيقة.»

وبذلك، تكونت الخطوة الأولى (والوحيدة) في خطة الهرب من إشعال النار في حاوية مناسبة. ولتلك الغاية، يحتاجان إلى ١) حاوية مناسبة، و٢) شيء يمكن أن يشعلوا النار به. وبينما ينتظران سفينة تحتوي على حاوية مناسبة، قام ألّنْ بإرسال هيربرت آينشتاين المعروف بغبائه لأداء مهمة أخرى. وبرهن هيربرت مرة أخرى أن إيمان ألّنْ به ليس في غير محله، حيث تمكن من سرقة صاروخ إشارة وإخفائه في سرواله أيضاً قبل أن يكتشف السوفيات وجوده في مكان لا يحق له التواجد فيه. ولكن، وبدلاً من إعدام السجين، أو تفتيشه على الأقل، صرخ الحارس فقط بشيء من قَبيل أن من غير المعقول أن يتوقع المرء استمرار السجين ١٣٣ في التخبط بعد خمس سنوات. وقال هيربرت إنه آسف، وانسلّ مبتعداً. ولإتمام المسرحية، ذهب في الاتجاه الخاطئ.

«المهجع إلى اليسار، يا آينشتاين»، صرخ الحارس في إثره. «كم يمكنك أن تحوز من الغباء بعد؟»

أشاد ألّنْ بعمل هيربرت المتقن ولعبه الدور ببراعة. واحمر وجه هيربرت وهو يتجاهل الإطراء، قائلاً إنه لم يكن من الصعب لعب دور الأحمق عندما يكون المرء أحمق فعلاً. قال ألّنْ إن هيربرت لا يعرف كم كان الدور الذي أداه صعباً صعباً، لأن الحمقى الذين قابلهم ألّنْ حتى الآن في حياته حاولوا كلهم عمل العكس.

ثم، جاء ما بدا أنه اليوم المناسب. كان صباحاً بارداً في الأول من مارس ١٩٥٣، عندما وصل قطار ذو عربات أكثر مما استطاع ألّنْ، أو هيربرت على الأقل، أن يحصيه. كانت الشحنة عسكرية بوضوح، وكان كل شيء سيحمّل في ثلاث سفن، كلها متجهة إلى كوريا الشمالية. ولم يمكن إخفاء ثماني دبابات من طراز «تي-٣٤» كجزء من الشحنة، لكن كل شيء آخر كان محزوماً في حاويات خشبية هائلة بلا أيّ شاخصات

أو تسميات. لكن الفجوات بين الألواح كانت كبيرة بما يكفي للسماح بإطلاق صاروخ الإشارة إلى داخل واحدة من الحاويات. وكان ذلك بالضبط هو ما فعله ألَنْ عندما سنحت له الفرصة بعد نصف يوم من التحميل.

وسرعان ما شرع الدخان في الاندفاع خارجاً من الحاوية، ولكن، وكما كان مؤملاً، استغرق الأمر بعض ثوان قبل أن تشتعل الشحنة، وهكذا استطاع ألَنْ الابتعاد ولم يشتبه أحدٌ مباشرة في تورطه. ثم سرعان ما أصبحت الحاوية نفسها تحترق، في مقاومة عنيدة لتأثير درجات الحرارة تحت الصفر في الخارج.

كانت الخطة تقتضي أن تنفجر الحاوية عندما تصل النار إلى قنبلة يدوية أو شيء مشابه في الشحنة. ذلك سيجعل الحراس يتصرفون مثل دجاجة مقطوعة الرأس، وسيتمكن ألَنْ وهيربرت من العودة إلى مهجعهما لتغيير ملابسهما بسرعة.

لكن المشكلة هي أن شيئاً لم ينفجر. غير أنه نتج مع ذلك قدر هائل من الدخان، وأصبح الأمر أسوأ عندما أمر الحراس الذين لم يريدوا الاقتراب من النار بأنفسهم بعض المساجين بصب الماء على الحاوية المشتعلة. وهذا، بدوره، جعل ثلاثة من المساجين يستخدمون الدخان كستار بينما يتسلقون السياج بارتفاع سبعة أقدام من أجل الوصول إلى الجانب المفتوح من الميناء. لكن الجندي في برج المراقبة شاهد ما يحدث. وكان يجلس أصلاً خلف مدفع رشاش، وأطلق الآن صلية وراء صلية من الرصاصات خلال الدخان باتجاه المساجين الثلاثة. وبما أنه استخدم ذخيرة تعقُّب، فقد أصاب الثلاثة بعدد هائل من الرصاصات وسقط الرجال على الأرض صرعى. ولو أنهم لم يكونوا ميتين مُسبقاً، لكانوا سيموتون بالتأكيد بعد لحظة لاحقاً، لأنه لم يكن السجناء وحدهم هم الذين أصابهم الرصاص. كانت ثمة حاوية غير متضررة تقف إلى يسار الحاوية المحترقة، والتي تلقت بدورها وابلاً من الرصاص.

كانت حاوية ألَنْ تضم خمسمائة بطانية عسكرية، بينما ضمت تلك التي بجانبها خمسمائة قنبلة يدوية. وكانت رصاصات التعقب تحتوي على الفسفور، وعندما أصابت

لول رصاصة أول قنبلة فجرتها، ولخذت هذه معها بعد جزء من الثانية أربعمائة وتسعة وتسعين قنبلة أخرى. كان الانفجار قوياً جداً حتى أن الحاويات الأربع المجاورة تطايرت على بعد ثلاثين إلى ثمانين متراً داخل المعسكر.

كانت الحاوية رقم خمسة تضم خمسمائة لغم أرضي، وسرعان ما حدث انفجار آخر لا يقل قوة عن الأول، والذي جعل بدوره محتويات أربع حاويات أخرى تتطاير في كل الاتجاهات.

كانت الفوضى هي ما تمناه ألّن وهيربرت، وكانت الفوضى هي ما حصلوا عليه. ومع ذلك، فإن الأمر بدأ بالكاد الآن. وصلت النار إلى حاوية بعد حاوية. وكانت إحداها مليئة بالديزل والبنزين. وكانت أخرى مليئة بالذخيرة، والتي اتخذت مسلكها الخاص بدورها.

أصبح اثنان من أبراج المراقبة وثمانية من المهاجع محترقة تماماً قبل أن تدخل بعض القذائف الخارقة للدروع في العرض. ونسفت القذيفة الأولى برج المراقبة الثالث؛ وذهبت الثانية مباشرة عبر مبنى مدخل المعسكر، وفي عبورها أخذت معها حاجز المدخل وكوخ الحرس. وكانت هناك أربع سفن راسية وجاهزة للتحميل، وقد تكفل الوابل التالي من القذائف الخارقة للدروع بإشعال النار فيها جميعاً.

ثم انفجرت حاوية أخرى تحتوى على قذائف يدوية، وبدأ ذلك سلسلة جديدة من ردود الفعل، وهو ما وصل أخيراً إلى آخر حاوية في نهاية الصف. وحدث أن كانت هذه شحنة مكونة من القذائف الخارقة للدروع مرة أخرى. والآن، انطلقت هذه القذائف في الاتجاه الآخر، في اتجاه الجزء المفتوح من الميناء حيث كانت ناقلة تحمل خمسة وستين ألف طن من النفط على وشك الرسو. وأفضت ضربة مباشرة للجسر إلى جعل الناقلة تنحرف، وأشعلت ثلاث ضربات أخرى في جانب هيكل الناقلة الحريق الأكبر على الإطلاق.

جنحت الناقلة التي تحترق بعنف الآن على طول حافة الرصيف باتجاه وسط البلدة. وخلال هذه الرحلة الأخيرة، أشعلت النار في كل البيوت في طريقها مسارها، لمسافة بلغت ١,٤ ميل.

كانت الريح في ذلك اليوم جنوبية شرقية. وهكذا، لم يستغرق الأمر أكثر من خمس وعشرين دقيقة أخرى قبل أن تصبح فلاديفوستوك كلها تحترق –حرفياً.

***

كان الرفيق ستالين قد انتهى لتوّه من تناول عشاء لطيف مع أتباعه، بيريّا، مالينكوف، بولغانين، وخروشوف في مقر إقامته في كرايلاتسكويا، عندما تلقى الأخبار بأن فلاديفوستوك، في الأساس، لم تعد موجودة بعد الآن، إثر حريق بدأ في حاوية بطانيات ثم عاث فساداً. وجعلت الأخبار ستالين يفقد رشده حقاً.

سأل الرجل المفضل الجديد عندَ ستالين، نيكيتا سيرغيفيتش خروتشوف المليء بالحيوية، عما إذا يمكن السماح له بأن يعرض نصيحة جيدة بشأن هذه المسألة، ولأجاب ستالين بحرج أن نعم، يستطيع نيكيتا سيرغيفيتش الاقتراح بالتأكيد.

«عزيزي الرفيق ستالين، قال كيه، أقترح اعتبار ما حدث في هذه الحالة وكأنه لم يحدث أبداً. اقترح أن يتم إغلاق فلاديفوستوك على الفور وعزلها عن بقية العالم، ثم نقوم بعد ذلك ببناء البلدة مرة أخرى بصبر، وأن ننشئ فيها قاعدة لأسطولنا في المحيط الهادئ، تماماً كما خطط الرفيق ستالين سابقاً. ولكن قبل كل شيء – ما حدث لم يحدث، لأن العكس سيشير إلى وجود ضعف لدينا لا نستطيع تحمُّل إظهاره. هل يفهم الرفيق ستالين ما أعني؟ هل يوافق الرفيق ستالين؟

كان ستالين ما يزال يشعر بانحراف المزاج. وكان ثملاً أيضاً. لكنه أطرق وقال إن رغبة ستالين هي أن يكون نيكيتا سيرغيفيتش نفسه مسؤولاً عن التأكد من أن ما حدث، لم يحدث. وبعد أن قال ذلك، أعلن أن الوقت قد حان لينسحب للاستراحة. إنه يشعر بأنه ليس على ما يرام.

فلاديفوستوك، فكر المارشال بيريّا. أليس هذا هو المكان الذي كنتُ قد أرسلتُ إليه ذلك الخبير السويدي الفاشي ليظل احتياطاً في حال لم نستطع بناء القنبلة بأنفسنا؟

لقد نسيت أمره تماماً. كان ينبغي أن أصفّي الشيطان عندما تمكن يوري بوريسوفيتش بوبوف من حل المشكلة بنفسه ببراعة. على أي حال، ربما يكون قد احترق الآن، ولو أنه لم يكن من الضروري أن يأخذ كل البلدة معه.

عند باب غرفة نومه، أبلغ ستالين موظفيه بأن لا يزعجوه تحت أي ظرف. ثم أغلق الباب، وجلس على حافة السرير، وفك أزرار قميصه وهو يفكر.

فلاديفوستوك.. البلدة التي قرر ستالين أن تكون قاعدة لأسطول المحيط الهادئ السوفياتي! فلاديفوستوك.. البلدة التي كان ينبغي أن تلعب دوراً مهماً في الهجوم القادم في الحرب الكورية! فلاديفوستوك.. لم تعد موجودة بعد الآن!

تسنّى لستالين الوقت فقط ليسأل نفسه كيف بحق الجحيم يمكن لحاوية تحتوي على بطانيات أن تحترق عندما تكون درجة الحرارة تحت صفر فهرنهايت. لا بد أن يكون شخص ما مسؤولاً، ذلك النذل ربما.. وعندئذ، سقط ستالين، رأسه أولاً، على الأرض. وهناك مكث، مصاباً بسكتة قلبية، حتى المساء التالي، لأنه إذا قال الرفيق ستالين أنه لا يريد أن يزعجه أحد، فليس عليك أن تزعجه.

***

كان مهجع ألَن وهيربرت من أوائل العنابر التي التقطتها النيران، وهكذا ألغى الصديقان فوراً خطتهما الخاصة بالتسلل وارتداء الملابس العسكرية.

كان السياج حول المعسكر قد انهار مسبقاً، وإذا كان أي من أبراج المراقبة ما يزال صامداً، فلن يكون فيه أحد يقوم بالحراسة. وهكذا، لم يكن الخروج من المعسكر صعباً. ولكن، ما الذي سيحدث بعد ذلك؟ إنهما لا يستطيعان سرقة شاحنة عسكرية لأن كل الشاحنات كانت تحترق. كما أن الذهاب إلى البلدة للعثور على سيارة ليس خياراً أيضاً. لسبب ما، كانت فلاديفوستوك كلها تحترق.

بقي معظم السجناء الذين نجوا من الحريق والانفجارات معاً في مجموعة وقفت على الطريق خارج المعسكر، على مسافة آمنة من القنابل والقذائف الخارقة للدروع وكل شيء آخر يتطاير في الهواء. وشرع البعض من الأكثر ميلاً إلى المغامرة بينهم

بالمسير، كلهم باتجاه الشمال الغربي، لأن ذلك هو الاتجاه الوحيد المنطقي للهرب بالنسبة لروسي. إلى الشرق هناك الماء، وإلى الجنوب هناك الحرب الكورية، وإلى الشمال مباشرة ثمة بلدة تحترق باطراد. وهكذا، يكون الخيار الوحيد الباقي هو السير مباشرة إلى سيبيريا الباردة حقاً. لكن الجنود خمنوا ذلك، وقبل أن تنقضي سحابة اليوم، كانوا قد أمسكوا بأولئك الهاربين وأرسلوهم إلى الأبديّة -كل واحد منهم.

أما الاستثناء الوحيد، فكان ألَنْ وهيربرت. تمكنا من شق طريقهما وصولاً إلى تلة تقع إلى الجنوب الغربي من فلاديفوستوك. وهناك جلسا لاستراحة قصيرة، ولينظرا إلى الدمار تحتهما.

«صاروخ الإشارة ذلك احترق بعبقرية هائلة»، قال هيربرت.

«تستطيع قنبلة ذريّة بالكاد أن تعمل أفضل»، قال ألَنْ.

«وإذن، ماذا سنفعل الآن؟» سأل هيربرت، وفي البرد القارس تاق تقريباً للعودة إلى المعكسر، الذي لم يعد موجوداً.

«الآن سنذهب إلى كوريا الشمالية، يا صديقي»، قال ألَنْ. «وبما أنها لا توجد أيّ سيارات في الجوار، سيكون علينا أن نمشي. ذلك سيبقينا دافئين.»

***

كان كيريل أفاناسيفيتش ميريتسكوف واحداً من أكثر القادة مهارة وحصولاً على الأوسمة في الجيش الأحمر. كان بطل الاتحاد السوفياتي، ومُنح وسام لينين ما لا يقل عن سبع مرات.

عندما كان قائداً للجيش الرابع، حارب الألمان حول لينينغراد، وبعد تسعمائة يوم مرعبة استطاع كسر الحصار. فلا عجب إذن أن يُمنح ميريتسكوف رتبة مارشال الاتحاد السوفياتي بالإضافة إلى رتبه الأخرى، وألقابه وأوسمته.

عندما تمّ الدفع بهتلر على أعقابه مرة وللأبد، ذهب ميريتسكوف إلى الشرق بدلاً من ذلك، مسافة ٦,٠٠٠ ميل بالقطارْ. كان ثمة حاجة إليه لقيادة جبهة الشرق الأقصى، من أجل طرد اليابانيين من منشوريا. وعلى نحو لم يفاجئ أحداً، نجح في ذلك أيضاً.

ثم جاءت الحرب إلى نهاية، وأصبح ميريتسكوف نفسه متعباً. وبما أنّ أحداً لم يكن ينتظره هناك في موسكو، بقي في الشرق. وانتهى به المطاف خلف مكتب عسكري في فلاديفوستوك. كان مكتباً جميلاً أيضاً. من خشب الساج الحقيقي.

في شتاء العام ١٩٥٣، كان ميريتسكوف في السادسة والخمسين من العمر، وكان ما يزال يجلس خلف مكتبه. ومن هناك، يدير ترتيب اللاوجود السوفياتي في كوريا الشمالية. وقد اعتبر كل من المارشال ميريتسكوف والرفيق ستالين أن من المهم استراتيجياً أن لا ينخرط الاتحاد السوفياتي الآن في حرب مباشرة مع الجنود الأمريكيين. إن الطرفين يمتلكان القنبلة، بطبيعة الحال، لكن الأميركيين متقدمون كثيراً في الأمام. هناك وقت لكل شيء، وليس هذا هو الوقت المناسب لأن تكون مستفِزّاً –وهو ما لم يمنع السوفيات طبعاً من التدخل في كوريا: الحرب الكورية يمكن كسبها، بل ويجب كسبها في الحقيقة.

الآن وقد أصبح مارشالاً، سمح ميريتسكوف لنفسه بأخذ الأمور ببساطة من حين لآخر. على سبيل المثال، يوجد لديه كوخ صيد خارج كراسكينو، على بعد بضع ساعات جنوب فلاديفوستوك. وهو يمكث هناك بقدر ما يستطيع، ويفضّل أن يكون ذلك في الشتاء – وحده إذا أمكن، عدا مساعده، بالطبع؛ لا ينبغي أن يقود المارشالات سياراتهم الخاصة. ماذا سيظن الناس؟

كانت أمام المارشال ميريتسكوف ومساعده قرابة ساعة كاملة تبقت من الرحلة بالسيارة حتى فلاديفوستوك عندما شاهدا، من الطريق الساحلي المتعرج، عموداً من الدخان الأسود. وكانت المسافة كبيرة جداً بحيث لن يفيد استخراج المنظار المقرّب من صندوق السيارة، وهكذا أمر المارشال ميريتسكوف مساعده بالمضي قُدُماً بأقصى سرعة، مضيفاً أن على المساعد العثور خلال الدقائق الخمس عشرة التالية على مكان للوقوف، بحيث تتوفر رؤية جيدة للخليج.

كان ألن وهيربرت قد سارا بعض المسافة على الطريق الرئيسي عندما شاهدا سيارة بوبيدا عسكرية أنيقة خضراء قادمة من الجنوب. واختبأ الهاربان خلف كُثيِّب ثلجي حتى

مرت للسيارة. لكن السيارة أبطأت عندئذ ووقفت على بعد نحو خمسين متراً.

ترجل من السيارة ضابط صدره مغطى بالأوسمة، مصحوباً بمرافقه. استخرج المرافق منظار الضابط من صندوق السيارة، ثم ابتعد الرجلان عن السيارة للبحث عن مكان يوفّر رؤية أفضل للخليج على الجهة الأخرى التي كانت فلاديفوستوك تقف عليها حتى وقت قريب. وذلك جعل من السهل على آلَنْ وهيربرت التسلل إلى السيارة، والاستيلاء على مسدس الضابط ورشاش المرافق الأتوماتيكي، ثم دفع الضابط ومرافقه إلى إدراك حقيقة أنهما أصبحا الآن في موقف صعب. أو، كما قال آلَنْ:

«أيها السادة، هلا تكرمتُما بخلع ملابسكما؟»

واشتعل المارشال ميريتسكوف غضباً. إنك لا تعامل مارشالاً للاتحاد السوفياتي بهذه الطريقة، حتى لو كنتَ سجيناً في معسكّر اعتقال. هل يقصد السيدان أن عليه هو -المارشال كيه. إيه. ميريتسكوف- أن يدخل فلاديفوستوك ماشياً على الأقدام ولا يرتدي شيئاً سوى الملابس الداخلية؟

أجاب آلَنْ بأن ذلك هو ما عناه هو وصديقه بشكل أو بآخر. سوف يُمنح السيدان بالطبع مجموعتين من ملابس السجناء السوداء والبيضاء الوضيعة في المقابل، وعلى أيّ حال، فإنهما كلما اقتربا أكثر من فلاديفوستوك -أو مهما تسمى تلك السحابة من الدخان والركام هناك- كلما أصبح الجوّ أكثر دفئاً.

وهو ما ارتدى آلَنْ وهيربرت بعده الأزياء المسروقة وتركا ملابس سجنهما في كومة على الأرض. ظن آلَنْ أنه ربما يكون من الأكثر أمناً أن يقودا السيارة بنفسيهما، وهكذا أصبح هيربرت هو المارشال ميريتسكوف، وأصبح آلَنْ مرافقه. وودّع آلَنْ المارشال وقال إنه لا يجب أن يغضب إلى هذا الحد، لأن آلَنْ متأكد تماماً أن ذلك لن يساعد مطلقاً. كما أن الربيع سيحل قريباً، والربيع في فلاديفوستوك يكون... حسناً، ربما لا يكون. على أي حال، حث آلَنْ المارشال على التفكير بإيجابية، لكنه أضاف أن ذلك سيعود كلية إلى المارشال نفسه، بطبيعة الحال. إذا أراد حقاً أن يسير وهو يرتدي ملابسه الداخلية فقط ويفكر في الحياة بطريقة سلبية، فإنه يستطيع أن يفعل ذلك.

«وداعاً، سيد مارشال. ولك أيضاً بالطبع»، أضاف آلَنْ متجهاً إلى المرافق.

ولم يُجب المارشال. استمر فقط في التحديق فيهما، بينما أدار ألَنْ محرك السيارة البوبيدا. وبعدئذ، انطلق هو وهيربرت باتجاه الجنوب. المحطة التالية.

كوريا الشمالية.

***

كان تجاوز المعبر الحدودي بين الاتحاد السوفياتي وكوريا الشمالية شأناً سريعاً وغير معقد. أولاً، وقف حرس الحدود السوفيات في وضع انتباه وأدوا التحيّة، ثم فعل الكوريون الشماليون الشيء نفسه. ومن دون تبادل حتى ولا كلمة واحدة، رُفع الحاجز لمارشال الاتحاد السوفياتي (هيربرت) ومرافقه (ألَنْ). واستطاع الأكثر إخلاصاً من حارسَي الحدود الكوريين بالكاد إبقاء عينيه جافتين عندما فكر بالالتزام الشخصي الذي يشاهده. لا يمكن أن يكون لكوريا الشمالية صديق أفضل من اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية. وعلى أغلب الظن، فإن المارشال في طريقه إلى وونسان ليتأكد أن الإمدادات من فلاديفوستوك وصلت بأمان.

لكن هذا المارشال بالذات لم يكن يفكر في رفاه كوريا الشمالية. بل إنه ليس من المؤكد أنه يعلم أيّ دولة هي التي يجد نفسه فيها. إنه مأخوذ بالكامل بهاجس محاولة معرفة كيفية فتح صندوق التابلوه في السيارة.

كان ما جمعه ألَنْ من البحارة في ميناء فلاديفوستوك هو أن الحرب الكورية وصلت إلى طريق مسدود، أن كلاً من الطرفين عاد مرة أخرى إلى جانبه من خط عرض ٣٨. وعندما سمع هيربرت هذه الأخبار، اقترح أن إحدى الطرق للمرور من الشمال إلى الجنوب ستكون استجماع السرعة والقفز من فوق خط الحدود (بما أنه ليس عريضاً جداً). هناك، بالطبع، مخاطرة بتعرضهما لإطلاق النار بينما يقفزان، ولن يكون ذلك مهماً جداً في الحقيقة. لكنه تبين –مع وجود طريق بعيدة حقاً إلى الحدود– أن هناك حرباً واسعة النطاق تستعر فعلاً من حولهما.

كانت الطائرات الأمريكية تحلق في الجو وبدا أنها تقصف كل شيء يشاهدانه. وأدرك ألَنْ أن سيارة عسكرية خضراء، لمسؤول روسي، ربما تُعتبر هدفاً ممتازاً،

ولذلك غادر الطريق الرئيسي (دون أن يطلب الإذن من مارشاله أولاً) وقادها في الطرق الداخلية، على دروب أصغر مع فرصة أكبر للعثور على ملجأ في كل مرة يسمعان فيها هدير طائرة فوق رأسيهما.

استمر آلَنْ في اتجاه جنوب الشرق، بينما يسليه هيربرت بسيل من التعليقات وهو يتفقد محتويات محفظة المارشال التي عثر عليها في الجيب الداخلي لسترته العسكرية. وضمّت المحفظة مبلغاً ضخماً من الروبلات، وإنما أيضاً معلومات عن اسم المارشال وبعض المراسلات حول الأنشطة في فلاديفوستوك.

«ربما يكون هو الشخص المسؤول عن شحنة القطار تلك»، قال هيربرت.

امتدح آلَنْ هيربرت على هذه الفكرة، التي وجدها حكيمة، واحمرّ وجه هيربرت خجلاً.

«بالمناسبة، هل تعتقد أنك تستطيع حفظ اسم المارشال كيريل أفاناسيفيتش ميريتسكوف؟» سأل آلَنْ، سيكون ذلك مفيداً.

«متأكد أنني أستطيع»، قال هيربرت.

عندما شرع الظلام بالهبوط، انعطف آلَنْ وهيربرت إلى فناء ما بدا مزرعة لأناس حسني الحال. ووقف المزارع، وزوجته وابناه بانتباه أمام الضيوف المهمين والسيارة الفاخرة. واعتذر المرافق (آلَنْ) بالروسية وكذلك بالصينية عن القدوم بلا سابق إنذار، لكنه تساءل عما إذا كان يمكنهما الحصول على شيء للأكل. سوف يدفعان ثمنه بطبيعة الحال، لكن ذلك سيكون بالروبلات؛ ليس معهما أي شيء آخر.

لم يفهم المزارع وزوجته كلمة واحدة مما قاله آلَنْ. لكن ابنهما الأكبر الذي يبلغ عمره اثني عشر عاماً تقريباً كان قد درس الروسية في المدرسة وترجم لوالده. وبعد ذلك، استغرق الأمر بضع ثوانٍ قبل أن يُدعى آلَنْ والمارشال هيربرت إلى منزل العائلة.

بعد أربع عشرة ساعة، أصبح ألّن وهيربرت مستعدَّين للمضيّ في طريقهما. قبل كل شيء، كانا قد تناولا العشاء مع المزارع، وزوجته، والأولاد. وقد قُدّم لهما طبق من لحم الخنزير المبهر بالفلفل الحار والثوم، مع الأرز، ومعه -هللويا! فودكا كورية! بطبيعة الحال، لم يكن مذاق الفودكا الكورية بالضبط مثل النوع السويدي، لكنه كان أكثر من رائع بعد خمس سنوات وثلاثة أسابيع من الصبر الإجباري.

بعد العشاء، عُرض على المارشال ومرافقه المبيت. وأعطيت للمارشال هيربرت غرفة كبيرة، بينما نام الأب والأم مع الأولاد. ووجد المرافق ألّن نفسه على أرضية المطبخ.

عندما طلع الصباح، تناول الضيفان إفطاراً من الخضراوات المُدخنّة، والفواكه المجففة والشاي، قبل أن يملأ المزارع سيارة المارشال ببعض البنزين الذي يحفظه في برميل في الحظيرة. وأخيراً، رفض المزارع قبول رزمة من الروبلات من المارشال، حتى اللحظة التي نبح فيها المارشال بالألمانية:

«سوف تأخذ هذا المال الآن، أيها الفلاح!»

ذلك أرعب المزارع إلى درجة جعلته يفعل ما قاله هيربرت، دون أن يفهم حتى كلمة واحدة مما قال.

لوحا بتحية ودية، ثم واصلا الرحلة في اتجاه الجنوب الغربي، دون أن يصادفا أي حركة سير أخرى على الطريق المتلوية، ولكن مع الهدير المهدِّد للقاذفات فوقهما. وبينما تقترب المركبة من بيونغيانغ، فكر ألّن بأن الوقت ربما يكون قد حان لوضع خطة جديدة.

أصبحت محاولة الوصول إلى كوريا الجنوبية الآن مسألة غير واردة على الإطلاق. وأصبحت الخطة بدلاً من ذلك هي محاولة ترتيب لقاء مع رئيس الوزراء كيم إيل سونغ. كان هيربرت بعد كل شيء مارشالاً للاتحاد السوفياتي، وينبغي أن يكون ذلك كافياً. واعتذر هيربرت عن التدخل في التخطيط، لكنه تساءل عن الفائدة من مقابلة كيم إيل سونغ.

أجاب ألَنْ أنه لا يعرف بعد، لكنه وعد بالتفكير في ذلك. وكان أحد الأسباب التي أعطاها لهيربرت مسبقاً هي أنك كلما كنت أقرب إلى الزعماء الأرفع، كلما كان الطعام أفضل –والفودكا.

أدرك ألَنْ أنها مسألة وقت فقط قبل أن يتم إيقافهما هو وهيربرت على الطريق ويتم التحقق منهما بالشكل الصحيح. لن يُسمح حتى لمارشال سوفياتي بأن يدخل هكذا إلى عاصمة بلد في حالة حرب دون أن يطرح أحدٌ ما سؤالاً أو اثنين على الأقل. وهكذا، أمضى ألَنْ بضع ساعات وهو يرشد هيربرت إلى ما ينبغي أن يقول –جملة واحدة فقط بالروسية، وإنما واحدة بالغة الأهمية:

«أنا المارشال ميريتسكوف من الاتحاد ألسوفياتي –خذوني إلى قائدكم!»

كانت بيونغيانغ محمية في هذا الوقت بطوق عسكري خارجي وآخر داخليّ. وقد تكوّن الطوق الخارجي، الذي يبعد اثني عشر ميلاً عن المدينة، من مدافع مضادة للطائرات ونقاط تفتيش مزدوجة على الطرق، بينما شكّل الطوق الداخلي متراساً تقريباً –خطاً أمامياً للدفاع ضد الهجمات الأرضية. وقد وقع ألَنْ وهيربرت في واحدة من نقاط التفتيش الخارجية أولاً وقابلهما جندي كوري شماليٌّ مخمور، علّق مدفعاً رشاشاً محشواً وجاهزاً على صدره. وكرّر عليه المارشال هيربرت عبارته الوحيدة بلا انتهاء، والآن قال:

«أنا قائدكم، خذني إلى... الاتحاد السوفياتي.»

لحسن الحظ، لم يكن الجندي يفهم الروسية، لكنه كان يفهم الصينية. ولذلك ترجم المرافق (ألَنْ) لمارشاله، وعندئذ أصبحت الكلمات بالترتيب الصحيح. كان الجندي قد وضع مقداراً مستحيلاً من الكحول تقريباً في دمه، ولم يكن قادراً مطلقاً على تقرير ما يفعل. لكنه دعا ألَنْ وهيربرت إلى كوخ حراسة نقطة التفتيش على الأقل، ثم اتصل بزميله على بعد ٢٠٠ ياردة. وبعد ذلك جلس في مقعد رث وأخرج زجاجة من فودكا الأرز (الثالثة لذلك اليوم) من جيب سترته الداخلي. ثم شرب جرعة وشرع بالهمهمة لنفسه، بينما يحدق مباشرة في الضيوف السوفيات بالتماعة خاوية في عينيه.

لم يكن ألَنْ راضياً عن جهود هيربرت أمام الحارس، وأدرك أن الأمر لن يتطلب، مع بقاء هيربرت مارشالاً، أكثر من بضع دقائق مع كيم إيل سونغ قبل أن يتم اعتقال المارشال ومرافقه حقاً. ومن خلال النافذة، استطاع ألَنْ أن يرى الحارس الآخر قادماً.

الآن عليهما أن يُسرعا.

«دعنا نتبادل الملابس، يا هيربرت»، قال ألن.

«ولكن لماذا؟» سأل هيربرت.

«افعل ذلك الآن»، قال ألن.

وهكذا، وبمنتهى العجلة، أصبح المارشال هو المرافق، وأصبح المرافق هو المارشال. ونقّل الجندي المخمور بشكل مستحيل تحديقته وتمتم بشيء باللغة الكورية.

وبعد بضع ثوان، دخل الجندي رقم ٢ كوخ الحراسة وأدى التحية فوراً حين شاهد أيّ ضيف بارز يستقبل. كما أن الجندي رقم ٢ يتحدث الصينية أيضاً، حيث عبر ألَنْ مرة أخرى (في هيئة المارشال) عن رغبته في مقابلة رئيس الوزراء، كيم إيل سونغ. وقبل أن يجد الجندي رقم ٢ الوقت للرد، توقف الجندي رقم ١ عن قرقرته.

«ماذا يقول؟» تساءل المارشال ألن.

«يقول إنكما خلعتما ملابسكما قبل قليل وارتديتماها مرة أخرى»، أجاب الجندي رقم ٢ بإخلاص.

«هذا قدر كبير من الفودكا!» قال ألَنْ وهز رأسه.

اعتذر الجندي رقم ٢ عن سلوك زميله، وعندما أصر رقم ١ على أن ألَنْ وهيربرت تجردا من ملابسهما وتبادلاها، تلقى لكمة على أنفه وأمراً بإبقاء فمه مغلقاً مرة وللأبد، إلا إذا أراد أن يتم الإبلاغ عنه بسبب السُكر.

قرّر الجندي رقم ١ البقاء هادئاً (وابتلع جرعة أخرى) بينما أجرى رقم ٢ بضع مكالمات هاتفية قبل أن يملأ تصريح عبور باللغة الكورية، ويوقعه ويختمه في مكانين، ويعطيه للمارشال ألَنْ. وقال عندئذ:

«سيد مارشال، أظهِر هذا عند نقطة التفتيش القادمة. ثم سيقودونك إلى القائد العام الثاني بعد القائد العام الثاني رئيس الوزراء».

شكره ألن، وحيّاه بالتحية العسكرية، واتجه إلى السيارة وهو يدفع بهيربرت أمامه.

«بما أنك أصبحت مرافقي تواً، سيكون عليك أن تقود السيارة من الآن فصاعداً»، قال ألن.

«لكَم ذلك مثير»، قال هيربرت. «لم أقد سيارة منذ أمرتني الشرطة السويسرية بأن لا أجلس خلف عجلة قيادة ثانية أبداً.»

«أعتقد أن من الأفضل أن لا تقول أكثر من ذلك»، قال ألن.

«أجد صعوبة في تمييز اليمين من اليسار»، قال هيربرت.

«لاحظت ذلك مسبقاً، أظن من الأفضل أن لا تقول أكثر من هذا»، قال ألن.

تواصلت الرحلة وقد أصبح هيربرت خلف عجلة القيادة، وسارت الأمور أفضل مما توقع ألن. وبمساعدة التصريح، لم تكن هناك مشكلة في قطع كل الطريق إلى المدينة، ثم مباشرة إلى قصر رئيس الوزراء. وبمجرد أن وصلا إلى هناك، استقبلهما القائد الثاني للقائد الثاني وقال إن القائد الثاني لا يستطيع أن يستقبلهما قبل ثلاثة أيام. وفي الأثناء، سيقيم السيّدان في جناح الضيوف في القصر، وسيتم تقديم العشاء في الساعة الثامنة، إذا كان ذلك يناسبهما.

«ماذا قلت لك.» قال ألن لهيربرت.

***

ولد كيم إيل سونغ في شهر أبريل ١٩١٢ لعائلة مسيحية تقيم في ضواحي بيونغيانغ. وعاشت تلك العائلة، مثل كل العائلات الكورية الأخرى، تحت السيادة اليابانية. وعلى مر السنين، ظلّ اليابانيون يفعلون ما يريدونه بشكل أو بآخر بالناس في المستعمرة. تم أسر الآلاف من البنات والنساء الكوريات واستخدامهن كعبيد جنس لمَن يحتاج من القوات الإمبراطورية اليابانية. وتم تجنيد الرجال الكوريين في الجيش للقتال من أجل الإمبراطور الذي يجبرهم، من بين أمور أخرى، على اتخاذ أسماء يابانية، ويبذل قصارى جهوده في نواحٍ أخرى للقضاء على اللغة والثقافة الكوريتين. وكان والد كيم إيل سونغ صيدلانياً هادئاً، لكنه صريح تماماً في نقده لليابانيين حتى وجدت عائلته ذات

يوم أن من الحكمة الانتقال باتجاه الشمال، إلى منغوليا الصينية. ولكن، بعد وصول القوات اليابانية إلى هناك في العام ١٩٣١، لم يعد المكان هادئاً تماماً هناك أيضاً. وكان والد كيم إيل سونغ قد توفي بحلول ذلك الوقت، لكن أمه شجعته على الانضمام إلى مقاتلي حرب العصابات الصينيين، على أمل طرد اليابانيين من منشوريا – وبالتالي كوريا.

صنع كيم إيل سونغ لنفسه سمعة جيدة من الخدمة مع الصينيين، كمقاتل شيوعي. وكسب شهرة كونه رجل أفعال، وشجاعاً أيضاً. وتم تعيينه قائداً لوحدة كاملة وقاتل بشراسة ضد اليابانيين، حتى نجا هو وبضعة آخرين من الوحدة فقط في نهاية المطاف.

كان ذلك في العام ١٩٤١، وسط الحرب العالمية، وأُجبر كيم إيل سونغ على الهرب عبر الحدود إلى الاتحاد السوفياتي. لكنه صنع لنفسه مهنة ناجحة هناك أيضاً. وسرعان ما أصبح برتبة رائد في الجيش الأحمر وقاتل فيه حتى العام ١٩٤٥. وعنت نهاية الحرب اضطرار اليابان إلى إعادة كوريا، ليعود كيم إيل سونغ من المنفى، الآن كبطل قومي. وأصبح كل ما تبقى هو بناء الدولة؛ ولم يكن ثمة شك في أن الناس يريدون أن يكون كيم إيل سونغ هو «القائد العظيم.»

لكن المنتصرين في الحرب، الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة، قسما كوريا إلى مناطق مصالح. وفي الولايات المتحدة، شعروا بأنه لا يمكنك أن تجعل شيوعياً موثوقاً يصبح رئيساً لكامل شبه الجزيرة. وهكذا، حملوا بالطائرة رئيس دولة خاص بهم، كورياً منفياً، ونصّبوه في الجنوب. وكان من المتوقع أن يكتفي كيم إيل سونغ بالشمال، لكن ذلك ما لم يفعله بالضبط. وبدلاً من ذلك، بدأ الحرب الكورية. إذا كان قد استطاع طرد اليابانيين، فإنه يستطيع كذلك أن يطرد الأمريكيين أيضاً وأتباعهم في الأمم المتحدة.

خدم كيم إيل سونغ في الجيش في كل من الصين والاتحاد السوفياتي. وهو الآن يقاتل من أجل قضيته الخاصة. وكان ما تعلمه خلال رحلاته الدرامية، من بين أمور أخرى، هو أن لا يعتمد على أحد أبداً. لكنه اتخذ استثناءً واحداً من تلك القاعدة. وقد عُيِّن هذا الاستثناء تواً ليكون التالي بعده في القيادة. وترتب على أي أحد يريد الاتصال برئيس الوزراء كيم إيل سونغ أن يسعى أولاً إلى لقاء ابنه. كيم يونغ إيل.

«وعليك دائماً أن تجعل زوارك ينتظرون اثنتين وسبعين ساعة على الأقل قبل أن تستقبلهم. هذه هي الطريقة لتصون سلطتك، يا بني»، أرشده كيم إيل سونغ.

«أعتقد أنني أفهم، يا أبي»، قال كيم يونغ إيل كاذباً، وهو ما بحث بعده عن قاموس، وفتش فيه عن الكلمة التي لم يفهمها.

***

ثلاثة أيام من الانتظار لم تزعج ألَنْ وهيربرت على الإطلاق، لأن الطعام كان جيداً والأسرّة ناعمة في قصر رئيس الوزراء. وإلى جانب ذلك، ندَر أن تأتي القاذفات الأمريكية قريباً من بيونغيانغ، لأنها تكون هناك أهدافاً أسهل للتصويب.

وأخيراً، مع ذلك، حان الوقت. قام القائدُ الثاني بعد القائد الثاني بإحضار ألَنْ وقاده في أروقة القصر إلى مكتب القائد الثاني. وكان ألَنْ مستعداً لحقيقة أن الثاني في القيادة هو أكثر قليلاً من غلام.

«أنا ابن رئيس الوزراء، كيم سونغ إيل»، قال كيم يونغ إيل. «وأنا الثاني في القيادة لأبي.»

كانت قبضة كيم يونغ إيل قوية، ولو أن يده اختفت كلها في قبضة ألَنْ الضخمة.

«وأنا المارشال كيريل أفاناسيفيتش ميريتسكوف»، قال ألَنْ. أنا ممتنّ لأن السيد كيم الشاب وافق على مقابلتي. هل يسمح لي السيد كيم الشاب بأن أعرض مهمتي؟»

وسمح كيم يونغ إيل، وهكذا مضى ألَنْ في كذبه: لدى المارشال رسالة لرئيس الوزراء مباشرة من الرفيق ستالين في موسكو. ولأنهم يشتبهون بأن الولايات المتحدة الأمريكية –الضباع الرأسماليين– تمكنت من التسلل إلى نظام الاتصالات السوفياتي (لم يرد المارشال الخوض في مزيد من التفاصيل، وأعرب عن أمله بأن يكون السيد كيم الشاب قد فهم)، قرر الرفيق ستالين وجوب نقل الرسالة شخصياً. وقد وقعت بعثة الشرف هذه على عاتق المارشال، وأولئك الذين يساعدونه (اللذين تركهم المارشال في جناحهم ليكون على الجانب الآمن).

نظر كيم يونغ إيل بشك إلى المارشال ألَنْ وبدا وكأنه يقرأ من كتاب تقريباً عندما قال

إن عمله هو حماية والده بأي ثمن. وكان جزء من مهمته هو أن لا يثق بأحد؛ والده علّمه ذلك، كما شرح. وهكذا، لا يستطيع كيم يونغ إيل التفكير في جعل المارشال يزور والده، رئيس الوزراء، حتى يتم التحقق من قصة المارشال مع الاتحاد السوفياتي. ونوى كيم يونغ إيل الاتصال هاتفياً بموسكو والسؤال عما إذا كان ستالين قد أرسل المارشال في الحقيقة.

«ليس من المناسب، بطبيعة الحال، أن يجلس مارشال بسيط هنا ويعترض، لكنني سأسمح لنفسي مع ذلك بملاحظة أنه لا ينبغي للمرء استخدام الهاتف للتحقق مما إذا كان صحيحا أن المرء لا ينبغي أن يستخدم الهاتف.»

استطاع كيم الشاب أن يلتقط فكرة ألن. ولكن كلمات والده ترددت داخل رأسه: «لا تثق بأحد أبداً، يا بني!»

وأخيراً، فكّر الصبي في حل. سوف يُهاتف العم ستالين في الحقيقة، لكنه سيتحدث معه بالرموز. كان السيد كيم الشاب قد التقى العم ستالين عدة مرات، واعتاد العم ستالين دائماً أن يدعوه «الثوري الصغير.»

«وهكذا، سأتصل بالعم ستالين، وأقدم نفسي باسم «الثوري الصغير»، ثم سأسأل العم ستالين إذا كان قد أرسل أحداً لزيارة والدي. وعندئذ، لن أكون قد قلت أكثر من اللازم، حتى لو أن الأمريكيين يستمعون. ما رأيك، مارشال؟»

اعتقد المارشال أنه شيطان خبيث، ذلك الصبي. كم يمكن أن يكون عمره؟ عشر سنوات؟ كان ألَنْ نفسه قد أصبح راشداً في وقت مبكر. وفي عمر كيم يونغ إيل، كان يعمل فعلاً بالديناميت بكل طاقته في مصنع النيتروغليسرين. وفوق ذلك، فكر ألَنْ بأن الأمور ربما تتجه إلى نهاية سيئة، لكنه لا يستطيع قول ذلك. على أي حال، ستكون الأمور كما هي، وهكذا.

«أعتقد أن السيد كيم الشاب صبي حكيم، وأنه سيذهب شوطاً بعيداً»، قال ألَنْ وترك البقية للقَدر.

«نعم، الفكرة أنني سأرث منصب أبي بعد أبي، وبالتالي، قد يكون المارشال على حق في ذلك. أما الآن، فأرجو أن تشرب كوباً من الشاي بينما أهاتف العم ستالين.»

سار السيد كيم الشاب إلى المكتب البنيّ في زاوية الغرفة، بينما سكب ألَنْ الشاي

وأخذ يفكر فيما إذا كان يجب أن يحاول القفز من النافذة. لكنه سرعان ما أسقط الفكرة، لأنه موجود في الطابق الرابع من قصر رئيس الوزراء، كما أن آنْ لا يستطيع التخلّي عن رفيقه أيضاً.

كان هيربرت سيكون أكثر من سعيد بالقفز (لو أنه يتجرأ فقط)، لكنه لم يكن هنا الآن، بالطبع.

قوطعت أفكار آنْ فجأة عندما انفجر الشاب السيد كيم بالبكاء. ووضع الهاتف، وهرع إلى آنْ باكياً:

«العم ستالين مات! العم ستالين مات!»

اعتقد آنْ أنّ هذا الحظ يتاخم العبث، ثم قال:

«هيا، لا بأس، سيد كيم الشاب. تعالَ الآن وسيعانقك العم المارشال. هيا، لا بأس...»

عندما هدأ السيد كيم الشاب، بشكل أو بآخر، لم يعد يبدو ناضجاً قبل الأوان كما كان. وبدا أنه لم يستطع البقاء راشداً لفترة أطول. وقال وهو يشهق بالبكاء أن ستالين أصيب بسكتة دماغية قبل عدة أيام، وأنه وفقاً للعمة ستالين (هكذا وصفها) توفي للتوّ، تماماً قبيل اتصال السيد كيم الشاب.

بينما جلس السيد كيم على ركبة آلن، تحدث لآنْ بعاطفة عن الذكرى المشرقة للقائه الأخير مع الرفيق ستالين. لقد تناولا الطعام في مأدبة معاً، ودخلا في ذلك المزاج الجيد حقاً، والذي ينشأ فقط بين الأصدقاء الحقيقيين. وقد رقص الرفيق ستالين وغنى قبل أن تنتهي الأمسية. وهمهم آنْ بالأغنية الشعبية الجورجية التي غناها ستالين في تلك المناسبة، تماماً قبل أن يحدث تماس ما داخل رأسه. وعرف السيد كيم الشاب الأغنية! كان العم ستالين قد غنى تلك الأغنية له أيضاً. وعندئذ –إن لم يكن قبل ذلك– ذهبت كل الشكوك بعيداً. إنّ للعم المارشال بوضوح تام هو من قال إنه هو. وسوف يتأكد السيد كيم الشاب من أن يستقبله والده، رئيس الوزراء، في اليوم التالي. لكنه يريد الآن عناقاً آخر...

•••

في الواقع، لم يكن رئيس الوزراء يجلس ويحكم نصف بلد تماماً من مكتب مجاور. ذلك سيكون مخاطرة كبيرة جداً في الحقيقة. كلا، إذا كنت ستقابل كيم إيل سونغ، فإن عليك الشروع في رحلة أطول، والتي تجري، لأسباب تتعلق بالأمن، في سيارة هلوتزر SU-١٢٢ مدرعة، لأن الثاني في القيادة رئيس الوزراء سيكون فيها معك أيضاً.

ولم تكن المركبة مريحة على الإطلاق، لكن ذلك ليس هو الهدف من للهاوتزر المدرعة، بطبيعة الحال. وأثناء الرحلة، توفر لآلَنْ متسع من الوقت للتفكير في شيئين غير مهمين على الإطلاق؛ الأول ما سيقوله لكيم إيل سونغ، والثاني ما النتيجة التي يأملها من ذلك.

أمام الثاني في القيادة لرئيس الوزراء (وابنه)، ادعى ألَنْ أنه جاء برسالة مهمة من الرفيق ستالين، وبفضل ضربة حظ مذهلة أصبح من السهل التعامل مع هذا الأمر. والآن، سيكون بوسع المارشال المزيف أن يقول أي شيء على الإطلاق، فقد أصبح ستالين ميتاً جداً ليستطيع إنكاره. ولذلك قرر ألَنْ أن تكون الرسالة إلى كيم إيل سونغ هي أن ستالين كان على وشك إعطاء كيم إيل سونغ مائتي دبابة لصالح النضال الشيوعي في كوريا. أو ثلاثمائة. كلما ارتفع الرقم، كلما سيكون رئيس الوزراء أكثر سعادة، بطبيعة الحال.

لكن الشيء الآخر هو الأكثر صعوبة. لم يكن ألَنْ مهتماً بشكل خاص بالسفر مرة أخرى إلى الاتحاد السوفياتي بعد أن ينجز مهمته مع كيم إيل سونغ. لكن جعل الزعيم الكوري الشمالي يساعد ألَنْ وهيربرت على الذهاب إلى كوريا الجنوبية بدلاً من ذلك لن يكون سهلاً. سوف يكون البقاء على مقربة من كيم إيل سونغ أقل وأقل صحيّة في كل يوم لا تصل فيه تلك الدبابات.

هل يمكن أن تكون الصين بديلاً؟ عندما كان ألَنْ وهربرت يرتديان زيّ السجن الأسود والأبيض، كان الجواب كلا، لكنهما ليسا كذلك الآن. ربما يكون جار كوريا العملاق الكوري قد تحول من تهديد إلى وعد، منذ أصبح ألَنْ مارشالاً سوفياتياً، خاصة إذا استطاع ألَنْ خداع كيم إيل سونغ ليزودهما برسالة تقديم لطيفة.

وإذن، هل تكون الصين هي المحطة التالية؟ عندئذ، فليحدث ما يحدث. إذا لم يظهر

خيار أفضل على الطريق، فيمكنهما أن يجربا المشي عبر جبال الهيمالايا مرة أخرى.

بذلك، شعر ألَن بأنه فكّر بما فيه الكفاية. أولاً، سوف يحصل كيم إيل سونغ على ثلاثمائة دبابة، أو حتى أربعمائة –لا داعي لأن يكون المرء بخيلاً. بعد ذلك، سوف يطلب المارشال الزائف بكل تواضع من رئيس الوزراء مساعدته بوسائل النقل والتأشيرات لرحلته إلى الصين، بما أن للمارشال عمل مع ماو تسي-تونغ أيضاً. وسُرّ ألَن بخطته.

وعند المساء تقريباً، دخلت القافلة المدرعة بركابها ألَن، وهيربرت، والشباب كيم يونغ إيل، فيما بدا نوعاً من معسكر للجيش.

«أتعتقد بأن المطاف انتهى بنا في كوريا الجنوبية؟» سأل هيربرت بأمل.

«إذا كان هناك مكان في العالم لن يكون كيم إيل سونغ جالساً فيه ويكون بعيداً عن المشاكل، فسيكون كوريا الجنوبية»، قال ألَن.

«كلا، طبعاً، فكرت فقط... لا، لا أعتقد أنني فعلت حقاً»، قال هيربرت.

عندئذ، اهتزت العربة المدرعة ذات العجلات العشر لتتوقف. وزحف الركاب الثلاثة خارجين. كانوا في مطار عسكري خارج مبنى بدا كمركز للقيادة. وأمسك السيد كيم الشاب بالباب ليبقيه مفتوحاً لألَن وهيربرت، وهو ما هرول بعده بلطف ليتجاوز الرجلين، وحتى ليفتح لهما الباب التالي. وبذلك، وصل الثلاثي إلى قدس الأقداس.

في الداخل استقرت طاولة كبيرة للكتابة مغطاة بالأوراق. وعلى الجدار خلفها تدلت خارطة كوريا، وإلى اليمين زوج من الأرائك الطويلة. وقد جلس رئيس الوزراء كيم إيل سونغ على إحدى الأريكتين، متحدثاً إلى ضيف جالس على الأخرى. وفي الجهة الثانية من الغرفة، وقف جنديان مسلحان ببندقيتين رشاشتين بانتباه.

«مساء الخير، سيد رئيس الوزراء»، قال ألَن. «أنا مارشال الاتحاد السوفياتي كيريل أفاناسيفيتش ميريتسكوف.»

«لستَ كذلك بالتأكيد»، قال كيم إيل سونغ بهدوء. «أنا أعرف المارشال ميريتسكوف جيداً جداً.»

«أوه»، قال ألَن.

على الفور، توقف الجنديان عن الوقوف بانتباه، وصوبا بندقيتيهما بدلاً من ذلك إلى المارشال المزيف ومرافقه الذي يفترض أنه مزيف بنفس المقدار. كان كيم إيل سونغ ما يزال هادئاً، لكن ابنه انفجر في نوبة من مزيج الدموع والغضب. ربما تكون هذه هي اللحظة التي اختفت فيها آخر شذرات من طفولته. لا تثق بأحد أبداً! لقد جلس في حضن المارشال المزيف! لا تثق بأحد أبداً! لن يثق أبداً، أبداً، بأي مخلوق في العالم مرة أخرى.

«سوف تموت!» صرخ بألَنْ وسط دموعه. «وأنت أيضاً! قال لهيربرت.»

«نعم، سوف تموت بالتأكيد»، قال كيم إيل سونغ بطريقته التي ما تزال هادئة. «لكننا نريد أن نعرف أولاً من هو الذي أرسلك.»

هذا لا يبدو جيداً، فكر ألن. هذا يبدو جيداً، فكر هيربرت.

***

لم يكن أمام المارشال كيريل أفاناسيفيتش الحقيقي ومساعده سوى المشي باتجاه ما قد يتبقى من فلاديفوستوك. وبعد عدة ساعات، وصلا إلى مخيم أقامه الجيش الأحمر خارج المدينة المدمرة. وهناك، أصبح الإذلال أكثر سوءاً، حين تم الاشتباه بالمارشال على أنه سجين هارب ندم على هربه. لكنه سُرعان ما جرى التعرف عليه وعومل بالطريقة التي يتطلبها مركزه.

مرة واحدة فقط في حياته سَمح المارشال ميريتسكوف بمرور مظلمة عليه، وحدث ذلك عندما أمر الرجل التالي لستالين في القيادة، بيريّا، باعتقاله وتعذيبه بلا سبب، وكان سيتركه يموت بالتأكيد لو لم يأت ستالين نفسه لنجدته.

ربما كان ينبغي لميريتسكوف أن يخوض معركة مع بيريّا بعد ذلك، لكن كانت هناك حرب عالمية ينبغي كسبها، كما أن بيريّا كان قوياً جداً على أيّ حال. ولذلك اضطُرّ إلى نسيان الأمر. لكن ميريستكوف قال لنفسه إنه لن يسمح لنفسه بأن تُهان مرّة أخرى أبداً.

وهكذا، فإن عليه الآن أن يبحث عن الرجلين اللذين سلباه سيارته وزيّه ويدمرهما.

وقد تعذر على ميريتسكوف الشروع في عملية المطاردة مباشرة لأنه لم يكن لديه زيّ المارشال. ولم يكن من السهل العثور على خيّاط في واحدة من خيام المعسكر، كما أنها ما تزال لديهم مشكلات في الأشياء بمثل سخافة الإبرة والخيط. لقد كف كل عمال الخياطة في فلاديفوستوك –إلى جانب بقية المدينة جميعاً– عن الوجود.

لكن زي المارشال أصبح جاهزاً بعد ثلاثة أيام. وبطبيعة الحال، كانت أوسمته مفقودة لأن الجنرال المزيف كان يتباهى بها. ومع ذلك، لن يدع ميريتسكوف هذا الأمر يوقفه.

استطاع المارشال ميريتسكوف ببعض الصعوبة تدبر الحصول على سيارة بوبيدا جديدة لنفسه ولمرافقه (معظم العربات العسكرية فقدت في الحريق بطبيعة الحال) وانطلق باتجاه الجنوب عند الفجر، بعد خمسة أيام من بدء ذلك الفصل المروّع. وتأكدت شكوكه عند الحدود الكورية. هناك مارشال، تماماً مثل المارشال، وفي سيارة بوبيدا، تماماً مثل سيارة المارشال، عبر الحدود ومضى باتجاه الجنوب. ولم يعرف حرس الحدود أكثر من هذا المقدار.

وصل المارشال ميريتسكوف إلى نفس الاستنتاج الذي كان ألنّ قد وصل إليه قبل خمسة أيام، وبالذات أن الاستمرار إلى الجبهة سيكون ضرباً من الانتحار. ولذلك استدار باتجاه بيونغيانغ، وبعد بضع ساعات استطاع التأكد من أنه اتخذ القرار الصائب. أخبره الحراس في طوق الدفاع الخارجي بأن المارشال ميريتسكوف مع مرافقه طلبا مقابلة مع رئيس الوزراء كيم إيل سونغ ومُنحا الإذن بمقابلة الثاني في القيادة بعد رئيس الوزراء. واستأنف المارشال ميريتسكوف ومرافقه رحلتهما باتجاه بيونغيانغ.

التقى المارشال ميريتكسوف بالثاني في القيادة بعد الثاني في القيادة بعد رئيس الوزراء بعد الغداء في نفس اليوم. وبكل السلطة التي لا يستطيع حشدها سوى مارشال في الاتحاد السوفياتي، سرعان ما أقنع المارشال الرجل الثاني في القيادة بعد الثاني في القيادة بأن رئيس الوزراء وابنه هما الآن تحت خطر وشيك بفقدان حياتهما، وأن الثاني في القيادة بعد الثاني في القيادة يجب أن يدلهما الآن وبدون تأخير على الطريق إلى مقر رئيس الوزراء. وبما أنه لا يمكن تضييع أي وقت، فإنهما سيستخدمان سيارة المارشال،

البوبيدا، وهي عربة لا بد أن تكون أسرع بأربع مرات من الهاوتزر المدرعة ذاتية الدفع التي كان كيم يونغ إيل يستقلها مع المجرمين.

***

«حسناً»، قال كيم إيل سونغ بغطرسة، وإنما ببعض الاهتمام. «من أنتم، من الذي أرسلكم، وماذا كان الغرض من خدعتك الصغيرة.»

لم يتسنَ لألَنْ الوقت ليجيب قبل أن ينفتح الباب ويُهرع المارشال ميريتسكوف الحقيقي داخلاً، وهو يهتف بأن الرجلين في منتصف الغرفة كانا سجينين في معسكر المجرمين، وأنهما يخططان لعملية اغتيال.

للحظة، أصبح هناك الكثير من المارشالات والمرافقين على الجنديين بالبندقيتين الرشاشتين. ولكن، بمجرد أن بدا من سلوك رئيس الوزراء أن المارشال الجديد هو الحقيقي، استطاع الجنديان التركيز ثانية على الدجالين.

«هوّن عليك، عزيزي كيريل أفاناسيفيتش»، قال كيم إيل سونغ. «الوضع تحت السيطرة.»

«سوف تموت!» قال المارشال ميريتسكوف الغاضب عندما رأى كيف وقف ألَنْ هناك في زي المارشال وبكل الأوسمة على صدره.»

«نعم، كلهم يقولون هكذا»، أجاب ألن. «أولاً كيم الصغير هنا، ثم رئيس الوزراء، والآن أنت، سيد مارشال. الشخص الوحيد الذي لم يطالب بموتي هو أنت»، قال ألَنْ واستدار إلى ضيف رئيس الوزراء. «لا أعرف من أنت، لكنني آمل بأن يكون لك رأي مختلف في هذه المسألة.»

«كلا بالتأكيد»، قال الضيف وهو يرد الابتسامة. «أنا ماو تسي-تونغ، زعيم جمهورية الصين الشعبية، وليس لدي أي تعاطف مخصوص مع أحد يرغب في إلحاق الضرر بالرفيق كيم إيل سونغ.»

«ماو تسي-تونغ!» قال ألن. «يا له من شرف. حتى لو أنه سيتم التخلص مني سريعاً، فيجب أن لا تنسى إبلاغ تحياتي لزوجتك الجميلة.»

«هل تعرف زوجتي؟» قال ماو تسي-تونغ، مندهشاً.

«نعم، إلا إذا غيّر السيد ماو زوجته حديثاً؛ كنت تفعل ذلك من وقت لآخر. جيانغ تشينغ وأنا التقينا في مقاطعة سيشوان منذ بضع سنوات. وقد تجولنا قليلاً في الجبال، نحن وفتى شاب اسمه آه مينغ.»

«هل أنت ألَنْ كارلسون؟» قال ماو تسي-تونغ، مشدوهاً. «منقذ زوجتي؟»

لم يفهم هيربرت آينشتاين الكثير، لكنه فهم أن لصديقه ألَنْ تسع أرواح، وأن موتهما الأكيد أصبح على وشك التحول إلى شيء آخر، مرة أخرى! لا يجب السماح لهذا بأن يحدث! وتصرف هيربرت في حالة من الصدمة.

«إنني أهرب، إنني أهرب، أطلقوا النار علي! أطلقوا النار عليّ!» صرخ واندفع عبر الغرفة، وفتح الباب الخطأ وألقى بنفسه فيّ خزانة للتنظيف حيث وقع مباشرة على سطل وممسحة.

«رفيقك...»، قال ما تسي-تونغ. «إنه ليس آينشتاين بالضبط، أهو كذلك؟»

«لا تقل ذلك»، قال ألن. «لا تقل ذلك.»

***

لم يكن هناك ما هو غريب في وجود ما تسي-تونغ في الغرفة، لأن كيم إيل سونغ أقام مقر قيادته في منشوريا الصينية، مباشرة خارج شينيانغ في مقاطعة لياونينغ، على بعد حوالي ثلاثمائة ميل إلى الشمال الغربي من بيونغيانغ. وقد أحب ماو قضاء الوقت في تلك المنطقة، حيث ربما يحظى بأقوى الدعم. كما أحب أن يكون مع صديقه الكوري الشمالي.

ومع ذلك، استغرق الأمر بعض الوقت لتسوية كل الأمور التي تنبغي تسويتها، وجعل كل أولئك الذين يريدون رأس ألَنْ على طبق يعيدون التفكير.

كان المارشال ميريتسكوف هو أول مَن مدّ يداً مُسامِحة. لقد عانى ألَنْ كارلسون بعد كل شيء من جنون للمارشال بيريّا، تماماً مثلما عانى ميريتسكوف نفسه. (حتى يكون على الجانب الآمن، استبعد ألَنْ القليل من التفاصيل عن كيف قام بإحراق كل

فلاديفوستوك). وعندما اقترح ألَنْ أن يتبادل هو والمارشال السترات العسكرية بحيث يستعيد المارشال أوسمته، تبخر غضب الجنرال على الفور.

كما لم يشعر كيم إيل سونغ، من جهته، بأن لديه سبباً للقلق. فبعد كل شيء، لم يقصد ألَنْ أبداً أن يلحق الأذى برئيس الوزراء. وكان مكمن قلق كيم إيل سونغ الوحيد هو شعور ابنه بأنه خُدع. كان كيم الصغير ما يزال يبكي ويصرخ واستمر في المطالبة بموت ألَنْ الفوري، ويفضل أن يكون العنيف. وفي النهاية، وجه كيم إيل سونغ لكمة لابنه على أذنه وطلب منه إقفال فمه على الفور، وإلا فإنه سيتلقى لكمة أخرى.

دُعي ألَنْ والمارشال ميريتسكوف إلى الجلوس على أريكة كيم إيل سونغ، لينضم إليهما سريعاً هيربرت المكتئب، بمجرد أن حرر نفسه من محتويات خزانة التنظيف.

تأكدت هوية ألَنْ نهائياً عندما تم استدعاء طباخ ماو تسي-تونغ ذي العشرين عاماً إلى الغرفة. وقد تعانق ألَنْ وآه-مينغ طويلاً حتى أمر ماو طباخه آه-مينغ بالعودة إلى المطبخ ليصنع بعض المعكرونة.

لم يعرف امتنان ماو تسي-تونغ لألَنْ على إنقاذ حياة زوجته أي حدود. وكان مستعداً لمساعدة ألَنْ ورفيقه بأي شيء يريدانه، وبلا حدود. وشمل ذلك البقاء في الصين. إذا رغب ألن، سوف يضمن ماو تسي-تونغ له، ولرفيقه أيضاً، حياة مريحة في وضع من الكرامة. لكن ألَنْ أجاب بأنه نال حتى الآن -وليعذره السيد ماو على ذلك- كل ما يمكن أن يناله من الشيوعية، وأنه يتوق الآن إلى الاسترخاء في مكان ما حيث يستطيع أن يشرب كأساً من شيء قوي دون أن يكون ذلك مصحوباً بمحاضرة سياسية.

وغفر ماو للسيد ألَنْ كارلسون ذلك، لكنه قال إن على كارلسون أن لا يبني آمالاً كبيرة على المستقبل لأن الشيوعية تصادف نجاحاً في كل مكان، وأنه لن يمر طويل وقت قبل أن تغزو العالم بأسره.

سأل ألَنْ أين يظن السادة أن الشيوعية ستأخذ أطول وقت حتى تصل -يفضل أن يكون مكاناً حيث تشرق الشمس، وحيث الشواطئ بيضاء، وحيث تستطيع أن تملأ كأسك بشيء غير ليكور الموز الأخضر الأندونيسي.

«أعتقد أنني بحاجة إلى إجازة»، قال ألن. «لم يسبق ولن أخذت إجازة قط.»

ناقش ماو تسي-تونغ والمارشال ميريتسكوف الأمر بينهما. برزت كوبا كاحتمال، وخلص السادة إلى أنك بالكاد تستطيع تخيل مكان أكثر رأسمالية. وشكرهما ألَنْ على المعلومة السريّة، لكنه قال إن منطقة الكاريبي بعيدة بشكل فظيع؛ كما أدرك لتوه أنه لا يمتلك نقوداً ولا جواز سفر، ولذلك فإن عليه خفض طموحاته إلى حدّ ما.

بالنسبة للنقود وجواز السفر، لا يحتاج السيد ألَنْ إلى القلق. وعد ماو تسي-تونغ بإعطاء ألَنْ وصديقه وثائق مزورة حتى يتمكنا من الذهاب إلى أي مكان يريدانه. كما سيزودهما أيضاً بكومة من الدولارات، لأن لديه فائضاً منها. كانت تلك نقوداً أرسلها الرئيس ترومان إلى حزب الكومينتانغ ونسيها الكومنتانغ وهم في عجلة من أمرهم أثناء هربهم إلى تايوان. لكن من الصحيح أن منطقة الكاريبي توجد على الجهة الأخرى من الكوكب، وهكذا ربما لن يكون التفكير في خيارات أخرى فكرة سيئة.

بينما واصل الشيوعيون الكبار الثلاثة مناقشتهم الإبداعية عن المكان الذي يمكن أن يذهب إليه شخص لديه حساسية تجاه أيديولوجيتهم لقضاء عطلة، شكر ألَنْ هاري ترومان بصمت على المساعدة المالية.

برزت الفلبين كاقتراح، لكنها اعتُبِرت غير مستقرة على الإطلاق من الناحية السياسية. وأخيراً، اقترح ماو مالي.

كان ألَنْ قد تذمّر من ليكور الموز الأندونيسي، وهو ما قاد ماو إلى التفكير في أندونيسيا. وهي ليست شيوعية أيضاً، حتى ولو أن الشيوعية تكمن بين الشجيرات، هناك كما في كل مكان آخر، مع إمكانية استثناء كوبا. لكنهما سيتوافران على إمكانية الوصول إلى أكثر من ليكور الموز في بالي، إن الرئيس ماو واثقٌ من ذلك.

«فلتكن بالي»، قال ألن. «هل أنت قادم، يا هيربرت؟»

كان هيربرت آينشتاين قد عود نفسه بالتدريج على حقيقة أنه سيعيش فترة أطول قليلاً، وأطرق بالموافقة مكتئباً. نعم، إنه قادم، ماذا يستطيع أن يفعل غير ذلك؟

تاسع عشر
الأربعاء، ١١ مايو - الأربعاء ٢٥ مايو، ٢٠٠٥

تمكن الهاربون والرجل الذي يُفتَرض أنه ميت من إبقاء أنفسهم متوارين عن الأنظار في مزرعة بيلرينغر. كانت المزرعة تقع على بعد مائة ياردة من الطريق الرئيسي، ومن تلك الزاوية كان بيت المزرعة والحظيرة يخفيان فناء المزرعة عن المشهد. وخلق ذلك منطقة حرة لسونيا. واستطاعت أن تقوم بمسيرات صغيرة بين الحظيرة والغابة الصغيرة خلف المزرعة.

كانت الحياة في المزرعة هادئة وممتعة بشكل عام. وظل بيني يغيّر ضمادات جروح بايك بانتظام وقدم له كمية معقولة ومحدودة من الدواء. وقد أحب «المغفّل» مشاهد سهل فوستغوتا المفتوحة، وأحبت سونيا الحياة هناك طالما لم تكن تجوع، وطالما بقيت راعيتها وربة نعمتها -الجميلة- هناك لتداعبها بكلمة لطيفة بين الحين والآخر. ومؤخراً، انضم إليهما الرجل العجوز أيضاً وفكرت الفيلة بأن ذلك جعل الأمور أفضل أيضاً.

بالنسبة لبيني والجميلة، ظلت الشمس مشرقة دائماً كيفما يكن الطقس، ولو أنهما لم يكونا هاربين من القانون، فإنهما ربما كانا سيتزوجان على الفور. إنك ما إن تصل إلى سن معين، حتى سيصبح من الأسهل عليك أن تحس عندما تكون الأمور صحيحة تماماً.

في الوقت نفسه، أصبح بيني وبوسّي شقيقين أفضل لبعضهما البعض. وعندما استطاع بيني إفهام بوسي أنه أصبح راشداً، حتى ولو أنّه يشرب عصير الفاكهة بدلاً من

الفودكا، أصبحت الأمور أكثر سلاسة بينهما بكثير. وكان بوسّي معجباً بكل شيء يعرفه بيني. ربّما لم يكن الأمر سيئاً تماماً أو مضيعة للوقت أن يذهب المرء إلى الجامعة؟ أصبح الأمر تقريباً كما لو ان أخاه الصغير أصبح أخاً كبيراً، وذلك شعور جيد حقاً، فكّر بوسّي.

أثار ألَنْ الكثير من الضجيج حول أيّ شيء. كان يجلس في الأرجوحة طوال النهار، حتّى ولو أن الطقس أصبح أكثر شبهاً بما يكون عليه عادة في السويد في مايو. في بعض الأحيان، كان بايك يجلس بجواره من أجل بعض الدردشة. وخلال واحد من تلك الأحاديث، تبيّن أن لديهما صورة مشتركة عن ماهية السَّكِينة. اعتقد كلاهما بأن ذلك الانسجام الكامل والمطلق يمكن العثور عليه في كرسي شاطئ تحت مظلة في مناخ مشمس ودافئ، حيث المُستخدمون يقدمون المَشروبات المثلجة من مختلف الأنواع. وقال ألَنْ لبايك كم كان وقتاً لذيذاً حقاً هو الذي قضاه في جزيرة بالي ذات مرة، عندما كان يقضي العطلة بالمال الذي أخذه من ماو تسي–تونغ. لكنه عندما جاء الأمر إلى ما ينبغي أن يكون في الكؤوس، اختلف بايك وألن. أراد المئوي فودكا الكولا، أو ربما فودكا العنب. وفي المناسبات الأكثر احتفالية، فضل الفودكا الصافية بلا إضافات. أما بايك غيردن، من الناحية الأخرى، فقد فضل السوائل الأكثر ألواناً –وأفضلها على الإطلاق شيء برتقالي يتحول إلى أصفر ذهبيّ، مثل غروب الشمس شيئاً ما.

بذلك، ترتّب وجود اقتراح ما في المنتصف. تساءل ألَنْ عما يريديه بايك بحق الشيطان بمظلة في كأسه. لا تستطيع أن تشربها. أجاب بايك بأنه بينما كان ألَنْ في الخارج ورأى العالم، وعرف بالتأكيد أكثر بكثير عن هذا وذلك من شخص بسيط تربيةِ سجون من ستوكهولم، فذلك شيء ليس لدى ألَنْ أدنى فكرة عنه.

هكذا استمرت هذه المشاحنات الودية عن موضوع السَّكينة بعض الوقت. أحدهما عمره ضعف الآخر، والآخر حجمه ضعف الأول، لكنهما انسجما جيداً معاً.

بينما تمر الأيام، ثم الأسابيع، وجد الصحفيون من الأصعب عليهم إبقاء القصة حية –تلك القصة عن القاتل الثلاثي المشتبه به وأعوانه. وبعد يوم أو اثنين فقط، توقف

التلفزيون الوطني والصحف المحلية عن نشر التقارير، وفقاً لوجهة النظر عتيقة الطراز التي يمكن الدفاع عنها بسهولة: إذا لم يكن لديك شيء لتقوله، فلا تقل شيئاً. لكن صحف المساء، صحف التابلويد السويدية، صمدت وقتاً أطول. إذا لم يكن لديك شيء لتقوله، فإن بوسعك دائماً أن تجري مقابلة مع شخص ما، والذي لا يعرف أنه ليس لديه شيء ليقوله هو أيضاً.

عبثت صحيفة «الإكسبرس» بفكرة استخدام بطاقات لعب الورق لمساعدتها في الوصول إلى مكان أَلَنْ، لكنها تخلت عن الأمر. يكفي هذا بشأن أَلَنْ كارلسون. اذهب وتشمم القطعة التالية من الخراء... كما قال شخص في المهنة. إذا لم يكن لديك أي شي آخر متوفر، يمكنك أن تنشر مقالاً عن أحدث معجزة في الحِمية وتخسيس الوزن. لطالما نفع ذلك دائماً.

هكذا، شرعت وسائل الإعلام في ترك بؤس المئوي يسقط في ثقب النسيان –باستثناء شيء واحد. في الصحيفة المحلية، ظهر عدد من التقارير الإخبارية المتعلقة باختفاء أَلَنْ كارلسون، منها –على سبيل المثال– أصبح مكتب التذاكر في محطة الحافلات الآن مزوداً بباب أمني ليشكل حماية ضد الهجمات المستقبلية. وأليس، مديرة دار المسنين، قررت أن أَلَنْ كارلسون أسقط حقّه في غرفته وأنها سوف تُعطى لشخص آخر يكون «أكثر تقديراً لرعاية الموظفين ودفئهم.»

مع ذلك، ضمت كل مادة إعادة تجميع قصيرة للأحداث التي تعتقد الشرطة أنها جاءت نتيجة لهبوط أَلَنْ كارلسون من نافذته في دار المسنين.

وصادف أن كان للصحيفة المحلية ناشر عتيق الطراز (نائب رئيس التحرير)، وهو رجل صاحب فكرة منتهية الصلاحية وعفا عليها الزمن، تقول بأن المواطن بريء حتى يثبت العكس. وهكذا، حرصت الصحيفة فيما يتعلق بأي أشخاص في هذه الدراما هم الذين تذكرهم بالاسم. كان أَلَنْ كارلسون في الحقيقة هو أَلَنْ كارلسون، لكن يوليوس كان «رجلٌ في السابعة والستين» وبيني يونغبيرغ كان «مالك بسطة نقانق.»

هذا بدوره قاد رجلاً محترماً غاضباً إلى مهاتفة كبير المفتشين أرونسون في مكتبه.

قال الرجل إن لديه معلومة عن ألَنْ كارلسون المفقود، الرجل المشتبه به بالقتل. وقال كبير المفتشين أرونسون أن هذه المعلومة هي بالضبط ما يحتاج إليه.

حسناً، لقد قرأ الرجل كل المواد في الصحيفة المحلية، وفكر بعناية بما حدث. وبينما ليس لديه قدر كبير من المعلومات مثل التي لدى كبير المفتشين، بدا له أن الشرطة لم تتحقق بما يكفي بشأن الأجنبي.

«وأنا متأكد من أن هذا هو المكان الذي ستجدون فيه الشرير الحقيقي»، قال الرجل.

«أجنبي؟» قال كبير المفتشين أرونسون.

«نعم، لا أعرف إذا كان اسمه هو إبراهيم أو محمد، لأن الصحيفة دائماً تسميه «مالك بسطة نقانق»، كما لو أننا لا نعرف أنّه تركي أو عربي. ليس هناك سويدي يمكن أن يفتح بسطة نقانق. ذلك سينفع فقط إذا كنت أجنبياً ولا تدفع أي ضرائب.

«آه» قال أرونسون. ذلك كثير ليأتي كله مرة واحدة. لكن يمكنك أن تكون تركياً ومسلماً في الوقت نفسه، أو عربياً ومسلماً إذا كان ذلك يهم، ذلك مرجح كثيراً في الواقع.»

«إذن، هو تركي ومسلم! بل وحتى أسوأ! عندئذ تحققوا من خلفيته بتمعن! وعائلته اللعينة. لا بد أن يكون له مائة قريب هنا، وسوف يكونون جميعاً ممن يعيشون على المساعدات العامة.»

«ليس مائة»، قال كبير المفتشين. «القريب الوحيد الذي لديه فعلاً هو شقيق...»

كان عندئذ حين شرعت فكرة في الإنبات في دماغ كبير المفتشين أرونسون. قبل بضعة أسابيع، أمر أرونسون بالتحقيق في عائلات كل من ألَنْ كارلسون، ويوليوس يونسون، وبيني يونغبيرغ. وكان ينبغي أن يجد التحقيق ما إذا كانت هناك أنثى، يفضل أن تكون حمراء الشعر، شقيقة أو ابنة عم أو ابنة أو حفيدة، تعيش في سمولاند. حدث ذلك قبل أن تتعرف الشرطة إلى غونيلا بيوركلُند. وأسفر التحقيق عن النتائج هزيلة. ظهر اسم واحد فقط، لم يبد أن له أدنى صلة في ذلك الوقت، أما الآن؟ إنّ لبيني يونغبيرغ أخ يعيش خارج فالكوبينغ مباشرة. أيكون ذلك هو المكان الذي يتحصن فيه الجميع؟

قوطعت أفكار كبير المفتشين بصوت المخبر المجهول.

«وأين هي بسطة نقانق الأخ؟ كم هي الضرائب التي يدفعها؟ يجب أن تتوقف هذه الهجرة الجماعية!»

قال أرونسون إنه ممتن للرجل على المعلومات، حتى ولو أن مالك بسطة النقانق في هذه الحالة يُدعى يونغبيرغ، وهو سويديّ بالكامل. أما إذا كان ليونغبيرغ مسلماً، فذلك ما لا يستطيع أرونسون أن يجزم به. ولا هو شأن يعنيه.

قال الرجل إنه أحسّ بشيء عدائي في إجابة كبير المفتشين، وإنها تكشف عن إشارات واضحة للاشتراكية.

«هناك الكثير من الناس الذين يفكرون مثلي؛ وأعدادنا في ازدياد. سوف ترى ذلك في انتخابات السنة القادمة.»

ثم قال كبير المفتشين للرجل أن يذهب وينطح الحائط، وأغلق الخط.

اتصل أرونسون بالمدعي العام رانيليد ليخبره بأنه ينوي في الصباح الباكر لليوم التالي، بعد إذن المدعي العام، أن يذهب إلى فوسترغوتلاند لمتابعة معلومات جديدة في قضية المئوي ورفاقه. (اعتقد أرونسون أنه ليس في حاجة لإخبار النائب بأنه عرف عن وجود أخ ل بيني يونغبيرغ منذ عدة أسابيع). وتمنى المدعي العام رانيليد لأرونسون حظاً سعيداً.

كانت الساعة تشير إلى الخامسة فجراً تقريباً، وكان المدعي العام يتهيأ لاستقبال النهار وهو يصفر لحناً لنفسه بهدوء. هل ينبغي أن يكتب كتاباً عن القضية؟ «أعظم انتصار للعدالة». أيكون هذا هو العنوان المناسب؟ أهو طنان أكثر من اللازم؟ «الانتصار الكبير للعدالة.» أفضل. وأكثر تواضعاً. إنه يناسب شخصية الكاتب تماماً.

عشرون
١٩٥٣-١٩٦٨

زود ماو تسي-تونغ ألَنْ وهيربرت بجوازات سفر بريطانية مزورة. وأخذتهم الرحلة بالطائرة من شينغيانغ، عن طريق شنغهاي، هونغ كونغ، وماليزيا. وسرعان ما أصبح الهاربان السابقان من سجن الكولاغ يجلسان تحت مظلة على شاطئ أبيض على بعد بضعة أمتار من المحيط الهندي. وكان كل شيء سيبلغ حد الكمال لو أن النادلة حسنة النيّة لم تفهم الأشياء خطأ كل الوقت. أيّاً يكن الشيء الذي يطلبه ألَنْ وهيربرت ليشرباه، كانا يحصلان على شيء مختلف -إذا حصلا على أي شيء من الأساس. في بعض الأحيان، كانت النادلة تضل طريقها تماماً على الشاطئ. وكانت القشة الأخيرة بالنسبة لألَنْ عندما طلب الفودكا مع الكوكا كولا («الفودكا أكثر قليلاً من الكولا») وحصل على -بيسانغ أمبون، ليكور الموز الأخضر النابض.

«طفح الكيل»، قال ألَنْ، وهمّ بالذهاب إلى مدير الفندق ليشكو ويطلب نادلة جديدة.

«على جثتي!» قال هيربرت. «إنها فاتنة تماماً!»

كان اسم النادلة هو ني وايان لاكسمي؛ في الثانية والثلاثين من عمرها تقريباً، وينبغي أن تكون قد تزوجت منذ وقت طويل. وقد بدت لطيفة، لكنها لم تكن تنتمي إلى عائلة مرموقة، لم يكن معها أي نقود، وفوق كل ذلك كانت معروفة بأنها تمتلك نفس ذكاء «الكوداك» -أي الضفدع بلغة بالي. وهكذا، بقيت ني وايان لاكسمي متروكة عندما

اختار الأولاد البنات واختارت البنات الأولاد في الجزيرة (طالما كان لديهم خيار).

لم يضايقها ذلك كثيراً في الحقيقة، لأنها شعرت دائماً بأنها غير مرتاحة في صحبة الذكور، في صحبة الإناث، في أي صحبة أي أحد على الإطلاق في حقيقة الأمر. حتى الآن! ثمة شيء خاص حقاً في واحد من الرجلين الأبيضين الجديدين في الفندق. اسمه هو هيربرت، ويبدو الأمر كما لو.... أن بينهما شيئاً مشتركاً. لا بد أنه أكبر منها بثلاثين سنة على الأقل، لكنها لم تفكر بأن ذلك يهم، لأنها... واقعة في الحب! وكانت مشاعرها متبادلة في الحقيقة. لم يكن هيربرت قد التقى بأي أحد من قبل، والذي اقترب بهذا القدر من بطء البداهة الذي كان عليه هو نفسه.

عندما أصبح عمر ني وايان لاكسمي خمسة عشر عاماً، أعطاها أبوها كتاب لغة، وكانت الفكرة أن تستخدمه الابنة لتتعلم اللغة الهولندية، لأن إندونيسيا كانت في ذلك الوقت مستعمرة هولندية. وبعد أربع سنوات من النضال مع الكتاب، جاء رجل ألماني للزيارة، وتجرأت ني وايان لاكسمي لأول مرة على تجربة اللغة الألمانية التي كان تعلمها صعباً جداً، وقيل لها إن ما تتحدثه هو الألمانية. لقد أعطاها والدها، الذي لم يكن لامعاً جداً هو نفسه، الكتاب الخطأ.

الآن، بعد ثلاثة عشر عاماً من ذلك، أنتج ذلك الظرف المؤسف شيئاً مفيداً على نحو غير متوقع، لأن ني وايان لاكسمي وهيربرت استطاعا أن يتحدثا إلى بعضهما البعض ويعلنا حبهما. وبعد ذلك، طلب هيربرت نصف كومة الدولارات التي كان ماو تسي-تونغ قد أعطاها لألن، ليسعى بعدها إلى والد ني وايان لاكسمي ويطلب يد ابنته الكبرى. وظن والدها أنه يسخر منه. ها هو ذا أجنبي، رجل أبيض بجيوب مليئة بالنقود، يأتي ليطلب يد الابنة الأكثر غباءً بما لا يقاس من بين بناته. كانت فكرة أن يطرق الرجل الباب وحدها مصدراً للدهشة، خاصة وأن عائلة ني وايان لاكسمي تنتمي إلى طبقة السودرا، الأدنى بين طبقات بالي الأربع.

«هل أنت واثق أن هذا هو البيت الصحيح؟» سأل الأب. «وأن ابنتي الكبرى هي التي تعنيها؟»

أجاب هيربرت آينشتاين بأنه بالرغم من أنه عادة ما يخلط الأمور، فإنه متأكد في هذه المناسبة بالذات من أنه مصيب.

وبعد أسبوعين، تزوجا، بعد أن تحول هيربرت إلى... دين ما نسي اسمه، لكنه واحدٌ ممتعٌ حقاً، بروؤس فيلة وذلك النوع من الأشياء. وطوال هذه الفترة، حاول هيربرت أن يتعلم اسم زوجته الجديدة، لكنه استسلم في نهاية الأمر.

«عزيزتي»، قال. «لا أستطيع أن أتذكر اسمك. هل ستغضبين كثيراً إذا ناديتك أماندا بدلاً عنه؟»

«كلا أبداً، عزيزي هيربرت. اسم أماندا يبدو جيداً. ولكن، لماذا أماندا؟»

«لا أعرف»، قال هيربرت. «هل لديك فكرة أفضل؟»

لم يكن لدى ني وايان لاكسمي فكرة أخرى، ولذلك أصبحت منذ تلك اللحظة أماندا آينشتاين.

اشترى هيربرت وأماندا منزلاً في قرية سانور، ليس بعيداً عن فندق الشاطئ حيث يقضي الآن أيامه. وتوقفت أماندا عن ممارسة مهنة النادلة؛ اعتقدت أن من المحتمل بنفس المقدار أن تُطرد من العمل -سوف تُطرد ذات يوم على أي حال لأنها لم تفعل أيّ شيء بالشكل الصحيح على الإطلاق. والآن، أصبح عليهما فقط تقرير ما سيفعلان للمستقبل.

تماماً مثل هيربرت، كانت أماندا تخلط في كل شيء يمكن الخلط فيه. اليمين يصبح اليسار، وفوق يصبح تحت، وهنا يصبح هناك... ولذلك لم تكن قد حصلت على أي تعليم. كان أقل شيء يتطلبه ذلك هو أن تتمكن من إيجاد طريقك إلى المدرسة بانتظام. أما الآن، فإن لدى أماندا وهيربرت قدراً فظيعاً من الدولارات، وبذلك سيرتب كل شيء نفسه بكل تأكيد. كانت أماندا قليلة الذكاء بشكل رهيب، كما أوضحت لزوجها، لكنها لم تكن حمقاء! ثم قالت لهيربرت إن كل شيء في إندونيسيا معروض للبيع، وهكذا يستطيع أي شخص يمتلك المال أن يحصل على أي شيء يريده هناك.

لم يفهم هيربرت ما تريده زوجته بالضبط، وكانت أماندا تعرف ما يعنيه أن لا يكون المرء قادراً على الفهم، وهكذا، وبدل أن تشرح الأمر أكثر، قالت:

«عزيزي هيربرت، أخبرني عن شيء تريده لنفسك.»

«هل تعنين... شيئاً مثل القدرة على قيادة سيارة؟»

«نعم، بالضبط!» قالت أماندا.

ثم استأذنت في المغادرة؛ إنّ لديها شيئاً يجب القيام به. لكنها ستعود قبل وجبة المساء.

وبعد ثلاث ساعات، عادت إلى المنزل مرة أخرى. وكانت معها رخصة قيادة صادرة حديثاً باسم هيربرت. لكن ذلك لم يكن كل شيء.

كانت معها أيضاً شهادة دبلوم تظهر أن هيربت هو مدرّب معتمد لقيادة السيارات، وإيصالٌ يُظهر أنها اشترت لتوها مدرسة تعليم سياقة محلية باسم جديد: مدرسة آينشتاين لتعليم قيادة السيارات.

هذا شيءٌ رائع، فكر هيربرت، ولكن... ذلك لا يجعله سائقاً أفضل، أم أنه كذلك؟

حسناً، نعم، لقد أصبح كذلك بشكل ما، أوضحت أماندا.

الآن أصبح له مركز سياقة. الآن يستطيع هو أن يقرر ما هي القيادة الجيدة وما هي غير ذلك. إن الحياة تعمل بطريقة لا يكون فيها الصواب دائماً صواباً، وإنما الذي يصادف أن يقول الشخص المسؤول أنه الصواب.

وأشرق وجه هيربرت: لقد فهم!

•••

سرعان ما أصبحت مدرسة آينشتاين لتعليم السياقة شركة ناجحة. فقد أراد كل مَن يحتاج رخصة سياقة في الجزيرة أن يتعلّم عند الرجل الأبيض اللطيف. وتأقلم هيربرت بسرعة مع هذا الدور. كان يعطي كل الدروس النظرية بنفسه، ويفسر بطريقة ودودة،

ورسمية مع ذلك، أن من الضروري أن لا يقود المرء بسرعة لأنه ربما يصطدم. وأنه لا ينبغي أن يقود ببطء شديد أيضاً، لأنه سيعطل السير. وبدا المعلم أنه يعرف ما يتحدث عنه.

بعد ستة أشهر، أغلقت مدرستا السياقة الأخريان في الجزيرة أبوابهما بسبب عدم وجود زبائن، وأصبح هيربرت الآن صاحب احتكار. وأخبر ألَنْ عن ذلك خلال واحدة من زياراته الأسبوعية للشاطئ:

«أنا فخور بك، هيربرت»، قال ألَنْ. «كيف أنك من بين كل الناس تورطت في تعليم السياقة! وهنا، حيث يقودون على يسار الطريق...»

«يقودون على اليسار؟» قال هيربرت. «هل يقودون على اليسار في إندونيسيا؟»

وأصبحت أماندا مشغولة أيضاً. أولاً، حازت على تعليم لائق، ولديها الآن درجة علمية في الاقتصاد. وقد استغرق الأمر بضعة أسابيع وكلف كثيراً، لكنها حصلت في النهاية على شهادة في يدها. وبعلامات متفوقة أيضاً، من واحدة من أفضل الجامعات في جاوة.

بعد أن أصبح لديها شهادة جامعية في يدها، ذهبت في مسيرة مشي طويلة على شاطئ كوتا وفكرت بعمق. ما الذي ستفعله هنا في الحياة، والذي سيجلب الحظ الطيب لعائلتها؟ حتى مع شهادتها في الاقتصاد، ما يزال من الصعب عليها أن تعُدّ الأشياء. لكنها ربما يجب أن تفعل... هل يمكن أن تفعل؟ نعم، سأفعل ذلك بحق اللعنة، فكرت أماندا آينشتاين.

«سوف أدخل في السياسة!»

أنشأت أماندا آينشتاين حزب الحرية الليبرالي الديمقراطي (اعتقدت بأن الكلمات الثلاث «ليبرالي»، «ديمقراطي»،و«حرية» تبدو جيدة مع بضعها البعض). وسرعان ما أصبح لديها ستة آلاف عضو خياليين، كلهم اعتقدوا بأن عليها أن تترشح لمنصب

الحاكم في الخريف. سوف يتنحّى الحاكم الحالي لأسباب تتعلق بالسنّ، وقبل أن تخطر لأماندا فكرتها، كان هناك مرشح واحد يرجّح أن يتولى المنصب. والآن أصبح هناك اثنان، أحدهما رجل من طائفة البيدانا، والآخر امرأة من طائفة السودرا. وكانت نتيجة الانتخابات مقررة سلفاً، لغير صالح أماندا. لولا أن لديها كومة من الدولارات.

لم يكن لدى هيربرت شيء ضد خوض حبيبته في السياسة، لكنه عرف أن ألنّ يكره السياسة بشكل عام، وأنه أصبح يكره الشيوعية بشكل خاص بعد سنواته في الكولاغ.

«هل سنصبح شيوعيين؟» سأل بغير ارتياح.

كلا، لا تعتقد أماندا أنهم سيفعلون. ليست هذه الكلمة موجودة في اسم الحزب. لكن إذا أراد هيربرت أن يصبح شيوعياً، فإنهم يمكن أن يضيفوها إليه.

«حزب الحرية الليبرالي الشيوعي الديمقراطي»، قالت أماندا وشعرت بكيف يدرج الاسم على لسانها. «ربما هو طويل قليلاً، لكنه سينفع.»

لكن ذلك لم يكن ما قصده هيربرت. العكس تماماً، فكر. كلما قلّ حزبهم من ربط نفسه بالسياسة، كلما كان ذلك أفضل.

ناقشا كيف سيمولان الحملة. رأت أماندا أنه لن يبقى لديهما الكثير من الدولارات عندما تنتهي الحملة، لأن الفوز باهظ الثمن. ماذا يعتقد هيربرت؟

أجاب هيربرت بأنه واثق من أن أماندا هي الطرف الذي يعرف الأفضل في العائلة. ليس هناك الكثير من المنافسة، كما ينبغي الاعتراف.

«عظيم»، قالت أماندا. «سوف نستخدم إذن ثلث رأس مالنا لحملتي الانتخابية، وثلثاً لرشوة رؤساء الدوائر الانتخابية، وثلثاً لتلطيخ سمعة الخصم الرئيسي، ثم سنحتفظ بثلث لنعيش عليه إذا لم تسر الأمر على ما يرام. ما رأيك؟»

حك هيربرت أنفه ولم يجد أي رأي على الإطلاق.

لكنه أخبر ألنّ في الحقيقة عن خطط أماندا، وتنهد ألنّ من فكرة أن واحدة لا تعرف الفرق بين ليكور الموز وبين الفودكا تعتقد الآن بأنها يمكن أن تصبح حاكماً. ولكن، ماذا في ذلك، لقد غادروا مع كومة دولارات من ماو تسي-تونغ، وتبقى الآن أكثر مما يكفي من النصف الخاص بألن. وهكذا، وعد هيربرت وأماندا بأن يعطيهما بعض النقود

الإضافية بعد الانتخابات. لكنه لا يريد بعد ذلك أن يسمع عن أي مشاريع في أشياء لا يفهم فيها هيربرت وأماندا. وشكره هيربرت على العرض. إن ألَنْ رجلٌ طيبٌ جداً؛ هذا القدر واضحٌ تماماً.

مع ذلك، لم تكن هناك حاجة لمساعدة ألَنْ. فقد انتهت انتخابات الحاكم بفوز كامل لأماندا. وفازت بأكثر من ٨٠ بالمائة من الأصوات، وحصل خصمها على ٢٢ في المائة. واعتقد الخصم بأن المجموع الذي يبلغ أكثر من ١٠٠ في المائة يشير إلى أن الانتخابات لم تكن عادلة، لكن المحكمة سرعان ما رفضت شكواه وهددته بعواقب وخيمة في حال استمر بتشويه سمعة الحاكمة المنتخبة، السيدة آينشتاين. وقبيل إعلان الحُكم فقط، حدث أن التقت أماندا برئيس المحكمة على كوب شاي.

بينما تستولي أماندا آينشتاين على الجزيرة ببطء، وإنما بوثوق، ويعلِّم زوجها هيربت الناس كيف يسوقون (دون أن يجلس خلف عجلة القيادة بأكثر مما هو ضروري ضرورة قصوى)، جلس ألَنْ في مقعده الشاطئي الطويل إلى جانب البحر، مع شراب مناسب في يده. وبما أن أماندا تقاعدت من مهنة النادل، أصبح يقدِّم له الآن (معظم الوقت) الشيء الذي يطلبه بالضبط.

بالإضافة إلى جلوسه حيث يجلس وشربه ما يشرب، تصفح ألَنْ الصحف العالمية التي يطلبها، وأكل كلما أحس بالجوع، وأخذ قيلولة في غرفته كلما أحس بأن رأسه مشوشة جداً.

أصبحت الأيام أسابيع، والأسابيع أصبحت شهُوراً، والشهور سنوات -ولم يمل ألَنْ أبداً من كونه في عطلة. وبعد خمس عشرة سنة كان ما يزال لديه الكثير من الدولارات المتبقية. حدث ذلك في جزء منه لأنها كانت هناك كومة من الدولارات كبداية، وإنما أيضاً لأنّ أماندا وهيربرت آينشتاين أصبحا منذ بعض الوقت يمتلكان الفندق الذي يقيم فيه، وجعلا ألَنْ على الفور ضيفاً مجانياً لا يدفع.

أصبح ألَنْ في الثالثة والستين من العمر الآن، ومع ذلك لم يكن يتجول أكثر من اللازم، بينما مضت أماندا من قوة إلى مزيد من القوة في مهنتها السياسية. كانت تتمتع بالشعبية عند الجماهير، كما يمكن أن يلاحَظ في استطلاعات الرأي المنتظمة التي

يجريها معهد الإحصاءات المحلي الذي تديره واحدة من شقيقاتها. وإلى جانب ذلك، صنفت منظمات حقوق الإنسان بالي على أنها أقل المناطق فساداً في البلاد. وجاء ذلك، بدوره، لأن أماندا قامت برشوة كامل لجنة التحقيق.

مع ذلك، كانت الحملة ضد الفساد واحدة من ثلاثة أشياء وَسَمَت عمل أماندا كحاكمة. بل إنها ألقت محاضرات عن مكافحة الفساد في كل مدارس بالي. وقد اعترض ناظر مدرسة في دنباسار في البداية -في رأيه يمكن أن يكون لكل شيء تأثير عكسي. لكن أماندا جعلته عندئذ رئيساً لمجلس المدرسة بدلاً من وظيفته، براتب مضاعف، وذلك تولى أمره.

الشيء الثاني كان نضال أماندا ضد الشيوعية. قبل الانتخابات، رتّبت أمر حظر الحزب الشيوعي المحلي الذي كان في سبيله لأن يصبح كبيراً جداً على مصلحتها الخاصة. وساعدها ذلك في عبور الانتخابات بميزانية أصغر بكثير مما كانت ستحتاجه بغير ذلك.

وكان الشيء الثالث الذي أسهم في نجاح أماندا هو، هيربرت وآلَنْ. فمن خلالهما، اكتشفت أن درجات الحرارة لم تكن بأي حال من الأحوال حول ٨٥ فهرنهايت طوال السنة في أجزاء واسعة من بقية العالم. فيما سمياه أوروبا، تكون الحرارة قارسة البرودة بشكل خاص، خاصة في أقصى الشمال من حيث جاء آلَنْ.

وهكذا، حفزت التنمية السياحية من خلال منح رخص البناء للفنادق الفاخرة على الأرض التي اشترتها لنفسها تواً.

وغير ذلك، اعتنت بالناس الأقرب إليها والأعز بأفضل طريقة تستطيعها. الوالدة، الوالدة، الأخوات، الأعمام، العمات، والخالات سرعان ما احتلوا جميعاً مناصب مركزية ومربحة في المجتمع البالي. وقاد ذلك إلى إعادة انتخاب أماندا حاكمة ما لا يقل عن مرتين. وفي المرة الثانية، زاد عدد الأصوات والناخبين أكثر وأكثر.

بمرور السنين، ولَدت أماندا أيضاً طفلين: أولاً آلَنْ آينشتاين (لدى هيربرت صديقه آلَنْ ليشكره على كل شيء تقريباً)، ثم ماو آينشتاين (تكريماً لتلك الكومة المفيدة من الدولارات).

لكن كل شيء تداعى ذات يوم. وبدأ الأمر عندما ثار غونونغ أغونغ، البركان الواقع على ارتفاع يقرب من ١٠,٠٠٠ قدم. وكان التداعي المباشر بالنسبة لألن، المقيم على بعد ٥٤ ميلاً، هو أن الدخان حجب الشمس. وبالنسبة للآخرين، كان الأمر أسوأ. مات آلاف الناس، واضطر أكثر منهم إلى الفرار من الجزيرة. ولم تتخذ حاكمة بالي الشعبية في ذلك الوقت أي قرارات تستحق الذكر. بل إنها لم تدرك حتى أن هناك عدداً من القرارات التي ينبغي أن تتخذها.

هدأ البركان بالتدريج، لكن الجزيرة ظلت تنفجر سياسياً واقتصادياً -تماماً مثل بقية البلد. في جاكرتا، تولى سوهارتو السلطة بعد سوكارنو، ولن يكون الزعيم الجديد متهاوناً بالتأكيد بشأن الانحرافات السياسية المختلفة مثل سلفه. وفوق كل شيء، انكب سوهارتو على مطاردة الشيوعيين، والشيوعيّين المفترضين، والشيوعيين المشتبه بهم، والشيوعيين المحتملين، والمستبعَد جداً أن يكونوا شيوعيين، وأي بريء يبدو غريباً. وفي وقت قصير، مات ما بين مائتين وثلاثمائة ألف شخص؛ لم تكن الأرقام مؤكدة، لأن العديد من أصحاب العِرق الصيني صُنِّفوا ببساطة كشيوعيين، وتمّ شحنهم إلى خارج إندونيسيا، وترتب عليهم النزول في الصين حيث عوملوا كرأسماليين.

عندما انجلى الغبار، لم يكن حتى ولو شخص واحد من سكان إندونيسيا البالغ عددهم مائتي مليون شخص ما يزال يفصح عن أفكار شيوعية (حتى نكون على الجانب الآمن، أُعلِن أن ذلك يشكل جريمة). وهكذا، أُنجِزت المهمة بالنسبة لسوهارتو الذي قام الآن بدعوة الولايات المتحدة الأميركية وآخرين من الغرب لتقاسم ثروات البلاد. وهذا بدوره جعل عجلات الاقتصاد تدور، وتحسنت أحوال الناس، والأفضل من كل شيء هو أن سوهارتو نفسه أصبح غنياً بقدر لا يصدق تقريباً. ولم يكن ذلك سيئاً بالنسبة لجندي بدأ مهنته العسكرية بتهريب السُكّر.

لم تعد أماندا آينشتاين تفكر بعد الآن بأن كون المرء حاكماً هو مصدر متعة. وقد فقد حوالي ٨٠,٠٠٠ من الباليين أرواحهم بسبب جهود حكومة جاكرتا لجعلهم يفكرون بالشكل الصحيح.

وسط الفوضى، تقاعد هيربرت، وأصبحت أماندا تفكر بالشيء نفسه، حتى ولو أنها

لم تكن قد بلغت الخمسين بعد. كانت العائلة تمتلك أراضي وفنادق بعد كل شيء، وتلك الكومة من الدولارات التي جعلت ازدهار العائلة ممكناً تحولت الآن إلى قدر أكبر بكثير من الدولارات. سيكون التقاعد جيداً بنفس المقدار، ولكن، ماذا يجب أن تفعل بدلاً من عملها الحالي؟

«ماذا لو أصبحتِ سفيرة أندونيسيا في باريس؟» سألها سوهارتو مباشرة بعد أن قدّم نفسه أولاً على الهاتف.

كان سوهارتو قد لاحظ عمل أماندا آينشتاين في بالي وقرارها الصارم بحظر الشيوعيين المحليين. وإلى جانب ذلك، أراد أن يوازن بين الجنسين عندما يتعلق الأمر بالمناصب العليا في السفارات (سيكون التوازن بسنبة ٢٤-١ إذا قبلت أماندا بالوظيفة).

«باريس؟» أجابت أماندا آينشتاين. «أين ذلك؟»

***

في البداية، ظن ألَنْ أن ثوران بركان ١٩٦٣ هو نوع من أعمال العناية الإلهية، والذي أراد إخباره بأن الوقت قد حان للرحيل. ولكن، عندما برزت الشمس مجدداً من وراء دخان البركان المتلاشي، عادت معظم الأمور إلى ما كانت عليه من قبل (سوى أنه بدا، لسبب ما، أن هناك حرباً أهلية تدور في الشوارع). وهكذا، بقي ألَنْ في كرسيه الشاطئي بضع سنوات أخرى.

ثم، كان بفضل هيربرت أنه حزم أشياءه وانتقل في نهاية المطاف. ذات يوم، أعلن هيربرت أنه سينتقل هو وأماندا إلى باريس، وإذا أراد ألَنْ أن يأتي معهما، فإن صديقه سيرتب له جواز سفر إندونيسياً مزوراً بدلاً من الجواز البريطاني المزور (ومنتهي الصلاحية) الذي استخدمه ألَنْ آخر مرة. وإلى جانب ذلك، سوف تعمل السفيرة المستقبلية على أن يحصل ألَنْ على وظيفة في السفارة، ليس لأنه سيتعين على ألَنْ أن يعمل، وإنما لأن الفرنسيين ربما يكونون صعبين قليلاً حول من يَسمحون له بدخول البلد.

وقَبِل ألَنْ العرض. لقد نال الكثير من الراحة. وإلى جانب ذلك، بدت له باريس

زاوية هادئة ومستقرة من العالم، من دون نوع الاضطرابات التي استعرت مؤخراً في بالي، وحتى حول فندق ألَنْ نفسه.

وغادروا في غضون ثلاثة أسابيع. وبدأت أماندا وظيفتها في السفارة في الأول من مايو.

كان ذلك هو العام ١٩٦٨.

واحد وعشرون
الخميس، ٢٦ مايو ٢٠٠٥

كان بير-غونار غيردن ما يزال نائماً عندما ظهر كبير المفتشين غوران أرونسون في مزرعة بيلرينغر، ولدهشته اكتشف ألنْ إمانويل كارلسون جالساً في أرجوحة على الشرفة الخشبية الكبيرة.

كان بيني، والجميلة، والمغفل مشغولين بحمل الماء إلى مسكن سونيا الجديد في الحظيرة. وترك يوليوس لحيته تنمو وأعطي إذن المجموعة بالذهاب مع بوسي إلى فولكوبينغ لشراء المؤن. وغفى ألنْ في الأرجوحة ولم يستيقظ إلى أن أعلن كبير المفتشين عن حضوره.

«ألنْ كارلسون، كما أفترض؟» قال كبير المفتشين أرونسون.

فتح ألنْ عينيه وقال إنه يفترض الشيء نفسه. لكنه هو، من الجهة الأخرى، ليست لديه أدنى فكرة عمّن هو الذي يخاطبه. هلا يتفضل الغريب بإلقاء بعض الضوء على ذلك.

كبير المفتشين سيفعل. قال إن اسمه هو أرونسون، وإنه كبير المفتشين في قوة الشرطة، وإنه يبحث عن السيد كارلسون منذ بعض الوقت، وأن السيد كارلسون هو رهن الاعتقال للاشتباه بقتله بعض الناس. كما أن أصدقاء السيد كارلسون، السيد يونسون والسيد يونغبيرغ والسيدة بيوركلُند هم أيضاً رهن الاعتقال، إذا كان ذلك يهم. ربما يستطيع السيد كارلسون أن يخبره بأين هم؟

لم يكن ألنْ في عجلة من أمره للإجابة. قال إنه يحتاج إلى استجماع أفكاره، فقد

استيقظ لتوه بعد كل شيء، وهو يأمل أن يتفهم كبير المفتشين. إنك لا تتحدث عن أصدقائك هكذا من دون التفكير بالأشياء بعناية. لا شك أن كبير المفتشين يوافق؟

قال كبير المفتشين إنه ليس من شأنه تقديم المشورة، لكن السيد كارلسون يجب أن يسرع ويخبره بما يعرفه. غير أن كبير المفتشين ليسَ على عجلة من أمره بدوره، في الحقيقة. ووجد ألَنْ ذلك مُطَمئِناً وطلب من كبير المفتشين أن يجلس على الأرجوحة، حتى يستطيع جلب بعض القهوة من المطبخ.

«هل تريد السكر في قهوتك، حضرة المفتش؟ الحليب؟»

لم يكن كبير المفتشين أرونسون شخصاً يمكن أن يسمح للجانحين المقبوض عليهم بالتحرك على راحتهم بأي طريقة، ولا حتى إلى مطبخ مجاور. لكن هناك شيءٌ مهدِّئ في هذا الرجل بخاصة. إلى جانب ذلك، يستطيع كبير المفتشين أن يتمتع برؤية جيدة للمطبخ من الأرجوحة. وهكذا، شكر أرونسون ألَنْ على العرض.

«حليب، لو سمحت. بلا سكر»، قال واتخذ وضعاً مريحاً على الأرجوحة.

شغل ألَنْ المقبوض عليه للتوّ نفسه في المطبخ. («ربما معجنات دنماركية، أيضاً؟»)

بينما جلس كبير المفتشين أرونسون على الشرفة يراقبه. وجد أرونسون صعوبة في فهم كيف أنه كان أخرقَ هو نفسه في مقاربته. لقد رأى، بطبيعة الحال، رجلاً مسناً وحيداً في شرفة بيت المزرعة واعتقد أنه ربما يكون والد بوسّي يونغبيرغ، وأنه سيقود بالتأكيد أرونسون إلى الابن، ولن الابن في المرحلة التالية سيؤكد أنه ليس هناك أي من المطلوبين موجود في الجوار، وأن الرحلة إلى فوسترغوتلاند كانت كلها بلا طائل.

لكن تبين عندما اقترب أرونسون بما يكفي من الشرفة، أن الرجل العجوز في الأرجوحة هو ألَنْ كارلسون نفسه. وقد تصرف أرونسون بطريقة هادئة ومهنية، إذا استطعت أن تصف بـــ«المهنية» تركك مشتبهاً به في جريمة قتل ثلاثية يذهب إلى المطبخ لتحضير بعض القهوة، لكنه يجلس الآن هناك ويشعر مثل هاوٍ. ألَنْ كارلسون، البالغ مائة عام من العمر، لم يبدُ خطيراً، ولكن ما الذي سيفعله أرونسون في حال ظهر المشتبه بهم الثلاثة الآخرون، ربما بصحبة بوسّي يونغبيرغ الذي ينبغي القبض عليه أيضاً بتهمة إيواء مجرم؟

«هل قلتَ الحليب بلا سكر؟» هتف ألَنْ من المطبخ. «في مثل سني، ينسى المرء بسرعة.»

كرر أرونسون طلبه الحليب في قهوته، ثم أخرج هاتفه النقال ليطلب تعزيزات من زملائه في فالكوبينغ. سوف يحتاج سيارتين، ليكون على الجانب الآمن.

لكن جرس الهاتف رنّ قبل أن يجري اتصاله. كان المتصل هو المدعي العام رانيليد –وكانت لديه بعض الأخبار المثيرة.

اثنان وعشرون

الأربعاء، ٢٥ مايو – الخميس، ٢٦ مايو ٢٠٠٥

البحار المصري الذي كان قد وهب بقايا يخت «البرغي» بأيلند النتنة للأسماك في البحر الأحمر، وصل أخيراً إلى جيبوتي لقضاء إجازة لمدة ثلاثة أيام. وفي جيب بنطاله الخلفي، قبعت محفظة البرغي وفيها ٨٠٠ كرونة سويدية. ولم تكن لدى البحار أي فكرة عن القيمة الحقيقية لذلك المبلغ، لكن لديه بعض الآمال، ولذلك شرع الآن في البحث عن مكان يستطيع فيه تصريف النقود.

سُمّيت عاصمة جيبوتي، على نحو يعوزه الخيال، باسم البلد نفسه، وهي مكان شاب مليء بالحيوية. مليء بالحيوية لأن جيبوتي تقع بطريقة استراتيجية في القرن الإفريقي، مباشرة حيث يلتقي البحر الأحمر بالمحيط، وهي مكان شاب لأن الناس الذين يقطنون جيبوتي لا يعيشون طويلاً. هناك، يعتبر وصول المرء إلى عيد ميلاده الخمسين استثناءً.

توقف البحار المصري في سوق السمك في المدينة، ربما بنية تناول شيء مقليّ قبل مواصلته بحثه عن مكان لتصريف النقود. ومباشرة إلى جانبه وقف رجل تفوح منه رائحة العرق، أحدُ السكان المحليين، والذي ينقّل وزنه بلا توقف من قدم إلى أخرى بنظرة محمومة متجولة في عينيه.

لم يجد البحار من الغريب أن يكون الرجل المتعرّق متعرقاً هكذا؛ لم تكن درجة الحرارة تقل عن ٩٥ درجة فهرنهايت في الظل بعد كل شيء، كما أن الرجل المتعرّق

يرتدي ساريّين وقميصَين تحت طربوشه المُسدل إلى الأسفل على وجهه.

كان الرجل المتعرّق في العشرينات من عمره، ولم يكن لديه أدنى طموح إلى أن يصبح أكبر عمراً من ذلك على الإطلاق. كانت روحه في حالة ثورة. ليس لأن نصف سكان البلد عاطلون عن العمل، ولا لأن كل واحد من بين خمسة من السكان مصابٌ بمرض الإيدز، ولا بسبب العوَز الميئوس منه لماء الشرب، ولا بسبب الطريقة التي تزحف بها الصحراء وتنتشر عبر أنحاء الدولة وتبتلع المساحة الصغيرة بشكل مثير للشفقة من الأرض الصالحة للزراعة. كلا، كان الرجل غاضباً لأن الولايات المتحدة أقامت لتوها قاعدة عسكرية في البلد.

وليست الولايات المتحدة وحيدة في هذا الصدد. كان الفيلق الفرنسي الأجنبي موجوداً هناك مُسبقاً. كان ثمة رابطة قوية بين فرنسا وجيبوتي. وكان البلد يُدعى «الصومال الفرنسي» (بالفرنسية طبعاً) إلى أن سُمح له بأن يذهب لشأنه ويتولى أموره بنفسه في السبعينيات.

إلى جانب قاعدة الفيلق الأجنبي، تفاوضت الولايات المتحدة الآن على تأسيس قاعدتها الخاصة على مسافة مريحة من الخليج وأفغانستان، وفي الحقيقة بجوار صف كامل من مآسي إفريقيا الوسطى القابعة قريباً قاب قوسين أو أدنى.

فكرة جيدة، فكّر الأمريكيون، في حين لا يمكن أن يكون معظم الجيبوتيين تقريباً أقل لامبالاة. كانوا مُنشغلين تماماً بمحاولة البقاء على قيد الحياة يوماً آخر. لكن واحداً منهم امتلك الوقت بكل وضوح ليفكر في مسألة التواجد الأمريكي. أو ربما كان ببساطة متديناً أكثر من أن يعتني بمصلحته الدنيوية الخاصة.

أياً كان السبب، فقد تجوّل الآن وسط العاصمة بحثاً عن مجموعة من الجنود الأمريكيين الخارجين من القاعدة في إجازة. وخلال مسيره، تعثر بعصبيّة بالسلك الذي ينبغي أن يشده –في الوقت المناسب– حتى ينسف الأمريكيين ويجعلهم يطيرون إلى جهنم، بينما يبحر هو نفسه هارباً في الاتجاه المعاكس.

ولكن، وكما سمعنا أعلاه، كان الجو حاراً (كما يميل إلى أن يكون عادة في جيبوتي). وكانت القنبلة نفسها مثبتة على بطنه وظهره ومغطاة بطبقة مزدوجة من

الملابس. ولا بد أن المفجر الانتحاري أخذ يغلي تحت الشمس، وكان أفضل ما يستطيع فعله في نهاية المطاف هو العبث أكثر من اللازم بسلك القنبلة. وبفعله ذلك، حول نفسه والتعساء الذين تصادف وجودهم بالقرب منه إلى لحم مفروم. وتوفي اثنان إضافيان من الجيبوتيين متأثرَين بجراحهما وأصيب عشرة أو نحو ذلك بإصابات بليغة. ولم يكن أيّ من الضحايا من الأمريكيين، لكن الرجل الذي كان يقف أقرب إلى المفجر الانتحاري بدا أوروبياً. وقد عثرت الشرطة على حافظة نقوده في حالة جيدة بشكل مثير بجوار رُفات صاحبها. وإلى جانب ٨٠٠ كرونة سويدية من الأوراق النقدية، ضمت الحافظة جواز سفر ورخصة سَوق.

في اليوم التالي، قام عمدة المدينة بإعلام القنصل الفخري السويدي في جيبوتي بأن كل الدلائل تشير إلى أن المواطن السويدي إيريك بينغيت بايلُند سقط ضحية لهجوم القنبلة المجنون في سوق السمك في المدينة. وللأسف، لم تتمكن المدينة من تسليم رفات بايلُند المذكور لأن جسده تضرر بشدة. لكن تم على الفور إحراق القطع، في ظروف محترمة. وتسلَّم القنصل حافظة نقود بايلُند فعلاً، والتي ضمت جواز السفر ورخصة السوق (اختفت النقود على الطريق). وأعرب عمدة المدينة عن بالغ أسفه لأن المدينة لم تتمكن من توفير الحماية للمواطن السويدي، لكنه وجد لزاماً عليه أن يوضح شيئاً ما، إذا سمح له القنصل بإبداء ملاحظة.

كان بايلُند موجوداً في جيبوتي من دون تأشيرة دخول صالحة. ولا يعرف العمدة عدد المرات التي أثار فيها هذه المشكلة مع الفرنسيين، بل ومع الرئيس الجيبوتي جيلة نفسه، إذا كان ذلك يهم. إذا ما أراد الفرنسيون نقل جنود الفيلق مباشرة إلى قاعدتهم، فذلك شأنهم الخاص. لكنه في نفس اللحظة التي يغادر فيها أحد أفراد الفيلق القاعدة ويذهب إلى مدينة جيبوتي («مدينتي»، كما قال العمدة) كمدني، فإنه يجب أن يحمل وثائق صالحة. ولم يكن العمدة يشك للحظة بأن بايلُند كان أحد عناصر الفيلق الأجنبي. إنه يعرف هذا النمط جيداً. الأمريكيون يتبعون القوانين، لكن الفرنسيين يتصرفون كما لو أنهم ما يزالون في أرض الصومال.

شكر القنصل الفخري العمدة على تعازيه، وكذَب ووعده باختيار فرصة مناسبة لمناقشة موضوع التأشيرات مع الممثلين الفرنسيين.

•••

كانت تجربة رهيبة بالنسبة لأرنيس إكستنز، الرجل سيئ الحظ المسؤول عن آلة سحق السيارات في ساحة الخردة في الضاحية الجنوبية لمدينة ريغا، عاصمة لاتفيا. فعندما تم سحق السيارة الأخيرة في الصف تماماً وأصبحت منبسطة، لاحظ فجأة ذراع إنسان تخرج من الكتلة المعدنية المكعبة التي كانت سيارة حتى وقت قريب.

اتصل آرنيس هاتفياً بالشرطة على الفور، ثم غادر إلى منزله، مع أن الوقت لم يتجاوز منتصف النهار. وسوف تظل صورة الذراع الميتة تطارده لوقت طويل. وصلى لله أن يكون الشخص قد مات بالفعل قبل أن يقوم بسحق السيارة بآلته.

أبلغ رئيس الشرطة في ريغا شخصياً سفير السويد في السفارة السويدية بأن مواطنهم هنريك مايكل هولتِن عُثر عليه ميتاً في سيارة فورد موستانغ في ساحة الخردة في ضواحي ريغا الجنوبية. وهذا يعني أنهم لم يتمكنوا بعد من تأكيد أنه هو، لكن محتويات حافظة النقود التي كان الرجل الميت يحملها معه تشير إلى أن هذه هي هويته.

عند الساعة الحادية عشرة والربع من صباح يوم ٢٦ أيار (مايو)، تلقت وزارة الشؤون الخارجية السويدية في ستوكهولم رسالة بالفاكس من القنصل الفخري في جيبوتي، تضم المعلومات والوثائق التي تتعلق بمواطن سويدي متوفَّى. وبعد ثماني دقائق من ذلك، وصل فاكس آخر، حول نفس الموضوع، لكنه مُرسل من السفارة في لاتفيا هذه المرة.

ميز المسؤول المناوب في الوزارة على الفور أسماء وصور الرجلين الميتين –لقد قرأ عنهما مؤخراً في صحف التابلويد. أمر غريب شيئاً ما، فكر المسؤول، لقد مات الرجلان بعيداً جداً عن السويد، لكن ذلك ليس الانطباع الموجود في الصحيفة. ذلك أمر يتعين على الشرطة والمدعي العام توضيحه. تفحص المسؤول الفاكسين، ثم كتب رسالة بالبريد الإلكتروني تتضمن كل المعلومات ذات الصلة عن الضحيتين.

أصبحت حياة المدعي العام رانيليد على وشك التداعي. كان ينبغي لقضية القاتل المئوي الثلاثي أن تكون الاختراق المهني الذي انتظره رانيليد طويلاً، والذي يستحقه بكل جدارة. لكنه تبين الآن أن الضحية رقم واحد، الذي كان قد مات في سودرمانلاند، مات ثانية بعد ثلاثة أسابيع في جيبوتي. والضحية رقم اثنان، الذي لقي حتفه في سمولاند، فعل الشيء نفسه في ريغا، لاتفيا.

بعد أن سحب عشرة أنفاس عميقة عبر نافذة المكتب المفتوحة، شرع دماغ المدعي العام رانيليد في العمل ثانية. ينبغي الاتصال بأرونسون، استنتج رانيليد. وعلى أرونسون أن يعثر على الضحية رقم ثلاثة. لا بد أن تكون هناك بعض الصلة للحامض النووي الرايبوزي بين المئوي ورقم ثلاثة. وبخلاف ذلك، يكون رانيليد قد جعل من نفسه أضحوكة وحسب.

***

عندما سمع كبير المفتشين أرونسون صوت رانيليد على الهاتف، شرع بإخباره على الفور كيف أنه وقع لتوه على مكان آلَنْ كارلسون، وأن كارلسون المذكور أصبح الآن رهن الاعتقال (ولو أنه يقضي الاعتقال واقفاً في المطبخ يحضر بعض القهوة لأرونسون).

«بخصوص الآخرين، أعتقد أنهم موجودون في الجوار، لكنني أظن من الأفضل أن أتصل أولاً لطلب تعزيزات....»

قاطع المدعي العام تقرير المفتش وقال له بيأس إن الضحية رقم واحد وُجد ميتاً في جيبوتي، والضحية رقم اثنين في ريغا، وأن سلسلة الأدلة الظرفية تتفكك.

«جيبوتي؟» قال كبير المفتشين أرونسون؟ «أين ذلك؟»

«ليست لدي فكرة»، قال المدعي العام رانيليد، «لكنها ما دامت تبعد أكثر من اثني عشر ميلاً عن مسبك قرية أكر، فإن ذلك يضعف قضيتي بشكل كبير. الآن، عليك العثور على الضحية رقم ثلاثة!».

وفي تلك اللحظة بالذات خطا بير-غونار غيردِن المستيقظ حديثاً خارجاً إلى الشرفة.

وأحنى رأسه بأدب وإنما بشيء من الحذر، باتجاه كبير المفتشين أرونسون الذي حدق في وجهه بعينين جاحظتين.

«أعتقد أن رقم ثلاثة قد وجدني توّاً.»

ثلاثة وعشرون
١٩٦٨

لم تكن واجبات وظيفة لَنْ في السفارة الأندونسية في باريس شاقة. وقدمت له السفيرة الجديدة، السيدة أماندا آينشتاين، غرفة خاصة به وقالت إن لَنْ حرّ الآن في أن يصنع ما يريد.

«لكنه سيكون لطفاً منك إذا استطعتَ المساعدة كمترجم في حال ساءت الأمور كثيراً بحيث أحتاج إلى مقابلة أشخاص من بلدان أخرى.»

أجاب لَنْ بأنه لا يستطيع استبعاد وصول الأمور إلى هذا الحد من السوء بالذات، نظراً لطبيعة المنصب. لا بد أن يكون أول أجنبي في الطابور منتظراً هناك في اليوم التالي نفسه بكل تأكيد، إذا فهم لَنْ الأمور بشكل صحيح.

شتمت أماندا عندما تم تذكيرها بأن عليها الذهاب إلى قصر الإليزيه لتقديم أوراق اعتمادها. لن يستمر الحفل لأكثر من دقيقتين، لكن ذلك أكثر من كاف بالنسبة لشخص لديه مَيل إلى قول الأشياء الحمقاء – مَيل تظن أماندا أنه لديها.

وافق لَنْ على أن شيئاً غير مناسب يخرج فعلاً من فمها بين الحين والآخر، وإنما قال إن الأمور ستكون على ما يرام مع الرئيس ديغول، طالما حرصَت على أن لا تتحدث سوى بالإندونيسية فقط خلال دقيقتيها، وأن لا تفعل غير ذلك سوى أن تبتسم وتبدو ودودة.

«ماذا قلت اسمها؟» سألت أماندا.

«إندونيسية، تحدثي بالإندونسية»، قال ألن. «بل حتى يُفضّل: الباليّة.»

وهو ما خرج ألَنْ على إثره ليتمشى في العاصمة الفرنسية. ظن أنه لن يكون ثمة ضرر في تحريك ساقيه قليلاً بعد خمس عشرة سنة على مقعد الشاطئ، كما أنه رأى نفسه تواً في مرآة في السفارة، وتذكر أنه لم يقصّ شعره أو يحلق ذقنه منذ بعض الوقت بعد ثوران البركان في العام ١٩٦٣.

لكن تبين، مع ذلك، أن من المستحيل العثور على صالون حلاقة مفتوح. كان كل شيء مغلقاً؛ وبدا أن الجميع تقريباً أضربوا عن العمل وأنهم يحتلون الآن المباني ويتظاهرون ويقلبون السيارات على جنوبها ويصرخون ويقسمون ويلقون بالأشياء على بعضهم البعض. وكانت حواجز مكافحة الشغب توضع على طول وعرض الشوارع حيث يسير ألَنْ، مبقياً رأسه منخفضاً.

كل شيء يبدو تماماً مثل بالي التي غادرها لتوه –وإنما أبرد قليلاً فقط. واستدار ألَنْ وقفل عائداً إلى السفارة.

وهناك التقى بسفيرة غاضبة. لقد اتصل الأليزيه تواً ليقول إن حفل الاعتماد الذي مدّته دقيقتان قد استُبدِلَ بغداء طويل، وأنه يُرحّب بأن تصطحب السفيرة معها زوجها –وبالطبع مترجمها الخاص، ولن الرئيس ديغول من جانبه ينوي دعوة وزير الداخلية فوشيه و–أخيراً وليس آخراً– أن الرئيس الأميركي ليندون بي. جونسون سيكون حاضراً هناك أيضاً.

كانت أماندا في حالة يأس مطبق. ربما كانت ستتدبر أمر دقيقتين في صحبة الرئيس دون المغامرة بالترحيل الفوري، أما ثلاث ساعات، ومع رئيس آخر أيضاً على الطاولة!

«ما الذي يحدث وماذا سنفعل، يا ألَنْ؟» سألت أماندا.

لكن التطور من مصافحة باليد إلى غداء طويل مع رئيسين كان غير مفهوم بنفس المقدار بالنسبة لألَنْ كذلك. ولم يكن فهم الأشياء التي لا تُفهم من طبيعته.

«ماذا سنفعل؟» أعتقد أننا يجب أن نعثر على هيربرت ونتناول شراباً. لقد دخل المساء فعلاً.»

***

حفل اعتماد مع الرئيس ديغول من ناحية، وسفيرة من دولة بعيدة وغير مهمة على الناحية الأخرى، عادة ما يتم في ستين ثانية على أكثر تقدير، لكنه قد يسمح له بأن يستمر ضعف الوقت إذا كان الدبلوماسي المعنيّ ثرثاراً. وفي حالة السفيرة الإندونيسية، تحول الأمر ليصبح مختلفاً تماماً على حين غرة، لأسباب سياسية رئيسية، أسبابٍ ما كان آلَنْ كارلسون ليخمنها أبداً حتى لو انه اهتم بالمحاولة.

كما حدث، جلس الرئيس ليندون بي. جونسون في السفارة الأمريكية في باريس وهو يتوق إلى انتصار سياسي. كانت الاحتجاجات في كل أنحاء العالم ضد الحرب في فيتنام تستعر الآن مثل إعصار، بينما يصبح الشخص الأكثر ارتباطاً بالحرب، الرئيس جونسون، غير شعبي بشكل لا يمكن إنكاره في كل مكان.

كان جونسون قد تخلى منذ فترة طويلة عن خططه للترشح في انتخابات نوفمبر، لكنه لا يمانع في أن يتذكره الناس بنعت أكثر جاذبية من «القاتل» والأسماء غير السارة الأخرى التي يجري الصراخ بها في كل مكان. ولذلك أمر أولاً بإيقاف القصف على هانوي، ونظم مؤتمراً للسلام. وعندئذٍ، وجد الرئيس جونسون حقيقة استعمار شبه حرب في شوارع المدينة سيعقد فيها المؤتمر شيئاً هزلياً تقريباً. هناك شيء يمكن لذلك الديغول أن ينشب فيه أنيابه.

كان للرئيس جونسون يعتقد أن ديغول غبي، وأنه «نسي» تماماً من هم الذين شمروا أكمامهم وأنقذوا بلده من الألمان. لكن قواعد السياسة تقول إنه لا يمكن تواجد رئيسٍ فرنسي وآخر أمريكي في نفس العاصمة دون أن يتناولا الغداء معاً على الأقل.

وهكذا، تم حجز الغداء، وأصبح من الواجب تحمله. لكن للفرنسيين لحسن الحظ خلطوا الأمور (لم يكن جونسون متفاجئاً) وحجزوا رئيسهم حجزاً مزدوجاً. وهكذا، سوف ينضم إليهم الآن السفير الإندونيسي -امرأة! واعتقد الرئيس جونسون بأن ذلك جيد؛ سيستطيع التحدث إليها بدلاً من ذلك الديغول.

لكنه لم يكن في الحقيقة حجزاً مزدوجاً. بدلاً من ذلك، خطرت للرئيس ديغول شخصياً وفي اللحظة الأخيرة فكرة عبقرية، هي التظاهر بأن ذلك هو واقع الحال. وبهذه

الطريقة، سيمكن تحمل الغداء. وسيستطيع التحدث مع السفير الإندونيسي –امرأة!– بدلاً من ذلك الجونسون.

لم يكن ديغول يحب جونسون، وإنّما لأسباب تاريخية أكثر من كونها شخصية. ففي نهاية الحرب، وضعت الولايات المتحدة فرنسا تحت الوصاية العسكرية الأمريكية –كانوا ينوون سرقة بلاده! كيف يستطيع ديغول أن يغفر لهم ذلك، بغض النظر عما إذا كان الرئيس الحالي متورطاً فعلاً؟ للرئيس الحالي، إذا كان ذلك يهم... جونسون... إنّه يُدعى جونسون. ليس للأميركيين ذوق، فكر تشارلز أندريه ماري ديغول.

***

سرعان ما اتفق أماندا وهيربرت على أنه سيكون من الأفضل إذا بقي هيربرت في السفارة خلال الاجتماع مع الرئيسين في قصر الإليزيه. بهذه الطريقة، كما فكرا كلاهما، تكون المخاطرة بحدوث شيء خطأ تماماً قد انخفضت إلى النصف بالضبط تقريباً. هل يعتقد ألّنْ ذلك أيضاً؟

صمت ألّنْ للحظة، مفكراً في الإجابات الممكنة، قبل أن يقول أخيراً:

«هيربرت، يجب أن تبقى في المنزل.»

***

تجمّع ضيوف الغداء في انتظار مضيفهم الذي يجلس بدوره في مكتبه منتظِراً –لمجرد الانتظار. ونوى أن يستمر في الانتظار بضع دقائق أخرى، على أمل أن يضع هذا ذلك الرجل جونسون في مزاج سيئ.

استطاع ديغول أن يسمع ضجيج المظاهرات من مسافة بعيدة، بينما الاضطرابات تستمر في باريسه المحبوبة. لقد شرعت الجمهورية الفرنسية الخامسة في الترنح، فجأة، ومن لامكان. في البداية، كانوا بعض الطلبة الذين يناصرون حرية الجنس ويناهضون الحرب الفيتنامية. وبقدر ما ذهب ذلك، فإنه لا بأس به بالنسبة للرئيس لأن الطلاب سيجدون دائماً ما يشتكون منه. لكن المظاهرات أصبحت أكبر وأكبر، وأكثر عنفاً

أيضاً، وعندئذ رفعت النقابات المهنية عقيرتها وهددت بإخراج عشرة ملايين عامل في إضراب. عشرة ملايين! كل البلد سيتوقف عن العمل!

كان ما يريده العمال هو أن يعملوا وقتاً أقل بأجور أعلى. وقاوم ديغول ذلك. ثلاثة أخطاء من ثلاثة، وفقاً للرئيس الذي خاض وكسب معارك أسوأ بكثير من ذلك. وقال المستشارون البارزون في وزارة الداخلية للرئيس أن يعامل التظاهرات المتصلبة بصلابة مماثلة. إن الأمر لا يتعلق بأي شيء كبير -على سبيل المثال، محاولة شيوعية مدبرة من الاتحاد السوفياتي للاستيلاء على البلد. لكن ليندون جونسون سيتكهن على فنجان قهوة، بطبيعة الحال، بإعطاء احتمال أن يكون هذا هو واقع الحال نصف فرصة. فبعد كل شيء، كان الأمريكيون يرون الشيوعيين يختبئون في كل أجمة. وحتى يكون على الجانب الآمن، أخذ ديغول معه وزير الداخلّية فوشيه وكبير مسؤولي الوزير واسع الاطلاع بشكل خاص. هذان الرجلان هما المسؤولان عن التعامل مع الفوضى الحالية في الدولة، ويستطيعان أن يكونا مسؤولين كذلك عن الدفاع عن نفسيهما في حال شرع جونسون بإقحام أنفه في الأمور.

«أفّ! اللعنة والقرَف!» قال الرئيس تشارلز ديغول (وإنما بالفرنسية) ونهض من مقعده. لا يستطيعون تأجيل الغداء أكثر من ذلك.

توخّى موظفو أمن الرئيس الفرنسي الحذر بشكل خاص عندما تعلق الأمر بتفتيش مترجم السفيرة الإندونيسية الملتحي طويل الشعر. لكن أوراقه نظامية، وتأكدوا من أنه لا يحمل سلاحاً. وإلى جانب ذلك، فإن للسفير -امرأة!- ساندته. وهكذا، أُجلِس الرجل الملتحي إلى طاولة الطعام بين مترجم أميركي أصغر سناً بكثير وأكثر أناقة في الملابس، وعلى الجانب الآخر، نسخة فرنسية من الشيء نفسه.

كان المترجم الذي عمل أكثر ما يكون هو الإندونيسي الملتحي، بما أن الرئيس جونسون وديغول وجها أسئلتهما إلى المدام السفيرة بدلاً من بعضهما البعض.

بدأ الرئيس ديغول بالاستعلام عن الخلفية المهنية للمدام السفيرة. وقالت أماندا آينشتاين إنها كانت أقرب إلى البلَه، أنها شقت طريقها بالرشوة إلى منصب حاكم بالي، ثم شقت طريقها بالرشوة إلى إعادة انتخابها في اثنتين من الانتخابات اللاحقة، أنها

صنعت أوعية من المال لنفسها ولعائلتها الممتدة طوال عدة سنوات حتى أن الرئيس الجديد سوهارتو، وتماماً من العدم، اتصل بها هاتفياً وعرض عليها منصب سفير في باريس.

«حتى أنني لم أعرف أين هي باريس؛ ظننت أنها بلد، وليس مدينة. هل سبق وأن سمعتم شيئاً بكل هذا الجنون؟» قالت أماندا آينشتاين وضحكت.

قالت كل هذا بلغتها الأم، وترجم المترجم الملتحي طويل الشعر كلامها إلى الإنجليزية، مغتنماً الفرصة ليقوم بتغيير كل شيء قالته أماندا آينشتاين تقريباً إلى شيء شعر أنه أكثر ملاءمة.

وعندما شارف الغداء على نهايته، كان الرئيسان قد اتفقا على شيء واحد، حتى لو أنهما لم يكونا يعيان هذه الحقيقة. اعتقد كلاهما بأن المدام السفيرة آينشتاين مسلية، متنورة، مثيرة للاهتمام، وحكيمة. ربما كان يمكنها أن تكون أكثر حكمة في اختيارها للمترجم، لأنه بدا أشبه بـــ«الرجل المتوحش من بورنيو.»

كان كبير موظفي وزير الداخلية فوشيه المطلع، كلاود بينانت، قد ولد في العام ١٩٢٨ في ستراسبورغ. وكان والداه شيوعيين عقائديين ومتعاطفين، واللذين ذهبا إلى إسبانيا للقتال ضد الفاشيين عندما اندلعت الحرب في العام ١٩٣٦. وأخذا معهما ابنهما الصغير ذي الثماني سنوات، كلاود.

ونجت العائلة كلها من الحرب، واستطاعت الهرب عبر طريق معقد إلى الاتحاد السوفياتي. وفي موسكو، عرض الوالدان خدماتهما لدعم مصالح الشيوعية الدولية. وقدما ابنهما، الذي أصبح الآن في الحادية عشرة من العمر، وأعلنا أنه يتحدث ثلاث لغات مسبقاً: الألمانية، والفرنسية من الوطن هناك في ستاسبرورغ، والإسبانية الآن أيضاً. هل يمكن لذلك، ربما على المدى الطويل، أي يخدم الثورة؟

نعم، يمكن. تم فحص موهبة كلاود الصغير في اللغات بعناية، وبعد ذلك ذكاءه العام عبر عدد من الاختبارات. ثم تم إلحاقه بمدرسة لتعليم اللغة والأيديولوجية، وقبل أن يصبح في الخامسة عشرة، كان يتحدث اللغات الفرنسية، والروسية، والإسبانية،

والإنجليزية والصينية بطلاقة. وعندما أصبح في الثامنة عشرة، مباشرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، سمع كلاود أمه وأباه وهما يعبران عن شكوكهما في المسار الذي تأخذه الثورة في ظل حكم ستالين. ونقل كلاود هذه الآراء إلى مسؤوليه. وقبل أن يمضي طويل وقت، أدين كل من ميشيل ومونيكا وتم إعدامهما بسبب ممارسة نشاطات غير ثورية. وهكذا كسب كلاود الصغير مكافأته الأولى، الميدالية الذهبية لأفضل تلميذ في سنته، ١٩٤٥-٤٦.

بعد العام ١٩٤٦، شرع كلاود في التحضير للخدمة في الخارج. وكانت النية وضعه في الغرب وجعله يشق طريقه صاعداً إلى أروقة السلطة، إذا لزم الأمر كعميل نائم لعشرات السنين. وكان كلاود تحت أجنحة المارشال بيريّا الحامية الأشبه بأجنحة الصقر، وأُبقي عليه بعناية بعيداً عن كافة الارتباطات الرسمية حيث قد ينتهي به المطاف إلى صورة فوتوغرافية.

كان الشيء الوحيد الذي سُمح لكلاود الشاب بممارسته هو العمل كمترجم من حين لآخر، وفقط عندما يكون المارشال نفسه حاضراً.

في العام ١٩٤٩، في سن الواحد وعشرين عاماً، أعيد إرسال كلاود بانيت إلى فرنسا، وإنما إلى باريس هذه المرة. وسُمح له بالاحتفاظ باسمه، ولو أنها أعيدت كتابة قصة حياته. وهناك، بدأ بارتقاء سلّمه المهني والوظيفي من السوربون.

بعد تسع عشرة سنة لاحقاً، في مايو ١٩٦٨، كان قد ارتقى ليصبح على مقربة من الرئيس الفرنسي نفسه. وفي السنتين الأخيرتين، أصبح الذراع اليمنى لوزير الداخلية فوشيه، وهكذا أصبح يخدم الثورة العالمية الآن أكثر من أي وقت مضى. وكانت نصيحته لوزير الداخلية -وبالتالي للرئيس- هو أن يردّوا على انتفاضات الطلبة والعمال الجارية بقسوة. وحتى يكون على الجانب الآمن، حرص على أن يرسل الشيوعيون الفرنسيون إشارات زائفة، من ضمنها أنهم ليسوا وراء مطالب الطلاب والعمال. وكانت الثورة الشيوعية في فرنسا قد قطعت شهراً واحداً على الأكثر، ولم تكن لدى ديغول وفوشيه أي فكرة عما يحصل.

بعد الغداء، تسنت الفرصة للجميع لتحريك أقدامهم قبل تقديم القهوة في غرفة الطعام.

والآن، لم يكن لدى الرئيسين خيار سوى تبادل المجاملات مع بعضهما البعض. وبينما يفعلان ذلك بالضبط جاء المترجم الملتحي طويل الشعر إليهما بشكل غير متوقع.

«اعذراني على مقاطعتي سيدَيّ الرئيسَين، لكنني يجب أن أتحدث إلى السيد الرئيس ديغول، ولا أظن أنه يمكنني أن أنتظر.»

أوشك الرئيس ديغول على استدعاء حارس، لأن الرئيس الفرنسي لا يختلط بكل تأكيد مع أي شخص بهذه الطريقة. لكن الرجل الملتحي طويل الشعر كان مهذباً تماماً، وهكذا سُمح له بالحديث.

«حسناً، ولكن كُن سريعاً في هذا. كما ترى، لدي أشياء أكثر أهمية من الثرثرة مع مترجم.»

آه، في الحقيقة، وعد ألنْ بأن لا يطيل. إنّ الحقيقة البسيطة هي أن ألَنْ يعتقد بأن على الرئيس معرفة أن مستشار رئيس الوزراء فوشيه الخاص هو جاسوس.

«عفواً، ولكن ماذا تقول بحق الجحيم؟» قال الرئيس ديغول بصوت عال، وإنّما ليس عالياً بحيث يسمعه فوشيه الذي يدخن في الخارج على الشرفة، وذراعه اليمنى الذي يدخن أيضاً في الخارج على الشرفة.

أخبره ألَنْ كيف كان من دواعي الشرف غير السار أنه تناول الطعام مع السيدين ستالين وبيريًا قبل عشرين عاماً بالضبط تقريباً، وأن ذراع وزير الداخلية الأيمن كان بالتأكيد هو مترجم ستالين في تلك المناسبة.

«كان ذلك قبل عشرين عاماً بالطبع، لكنه يبدو كما هو. وإنما أنا كنت مختلفاً. لم يكن لي عشّ عقعق على وجهي في تلك الأيام، ولم يكن شعري يتناثر في كل اتجاه. لقد تعرّفت على الجاسوس، لكنه لم يتعرف عليّ، لأنني تعرفت بالكاد على نفسي عندما شاهدت نفسي في المرآة أمس.»

امتقع وجه الرئيس ديغول واحمرّ، واستأذن، ثم طلب حديثاً خاصاً مع وزير داخليته على الفور («كلا، قلتُ حديثاً خاصاً، بدون مستشارك! الآن!»)

بقي الرئيس جونسون والمترجم الإندونيسي. وبدا جونسون بالغ السرور. وقرر أن يصافح يد المترجم، كشكر له على جعله الرئيس الفرنسي يفقد قناع تفوقه.

«سررت بمقابلتك»، قال الرئيس جونسون. «ما هو اسمك؟»

«أنا ألَنْ كارلسون»، قال ألن. «كنتُ أعرف ذات مرة سلفَ سلفَ سلفك، الرئيس ترومان.»

«حسناً، ربما لا تعرف!» قال الرئيس جونسون. «هاري الآن في طريقه إلى التسعين، لكنه ما يزال حياً وبصحة جيدة. نحن صديقان حميمان.»

«أبلغه تحياتي»، قال ألن، ثم استأذن في المغادرة ليبحث عن أماندا (أراد أن يخبرها بما قالته للرئيسين على المائدة).

•••

وصل الغداء مع الرئيسين إلى نهاية سريعة وذهب كل إلى منزله. لكن ألَنْ وأماندا وصلا بالكاد إلى السفارة قبل أن يتصل الرئيس جونسون بنفسه هاتفياً ويدعو ألَنْ إلى العشاء في السفارة الأميركية في الساعة الثامنة من مساء اليوم نفسه.

«سيكون ذلك رائعاً»، قال ألن. «كنت أنوي على أي حال أن أتناول وجبة جيدة هذا المساء، لأنك مهما تقل عن الطعام الفرنسي، فإنه يختفي من على طبقك دون أن تكون قد أكلت كثيراً في الحقيقة.»

كانت تلك ملاحظة اتفق معها الرئيس جونسون تماماً، وبدا وأنه يتطلع كثيراً إلى أحداث المساء.

هناك ثلاثة أسباب وجيهة على الأقل دعت الرئيس جونسون إلى دعوة ألَنْ إلى العشاء. أولاً، ليعرف أكثر عن الجاسوس وعن لقاء كارلسون بالمارشال بيريّا وستالين. ثانياً، أن هاري ترومان أخبره توّاً على الهاتف بما فعله ألَنْ كارلسون في لوس ألاموس في العام ١٩٤٥. وثالثاً، كان الرئيس جونسون نفسه بالغ السرور بما حدث في قصر الإليزيه. فقد استطاع على مدى قريب جداً الاستمتاع برؤية ديغول وهو يبدو مذعوراً ومرتبكاً، ولديه ألَنْ كارلسون ليشكره على ذلك.

***

«أهلاً بك، سيد كارلسون»، قال الرئيس جونسون وهو يحيّي آلَنْ بمصافحة مزدوجة. «دعني أقدم لك السيد ريان هوتون، إنه... حسناً، إنه سريّ قليلاً هنا في السفارة، كما يمكن القول. مستشار قانوني، أعتقد أنه يدعى كذلك.»

صافح آلَنْ المستشار السري ثم ذهب الثلاثة إلى طاولة الطعام. وأمر الرئيس جونسون بتقديم البيرة والفودكا مع الطعام، لأن النبيذ الفرنسي يذكره بالفرنسيين بينما يفترض بأن تكون هذه أمسية ممتعة. وبينما يتناولون الدورة الأولى من العشاء، روى آلَنْ بعضاً من قصة حياته، وصولاً إلى العشاء في الكرملين. كان هناك حيث أُغمِي على ذراع فوشيه اليمنى بدل أن يترجم إهانة آلَنْ الأخيرة لستالين المغضب أصلاً.

لم يكن الرئيس جونسون مسروراً الآن بذلك الكشف عن أن كلاود بينانت هو جاسوس سوفياتي في محيط الرئيس الفرنسي، لأن ريان هوتون أعلمه توّاً بأن الاختصاصي المسيو بينانت هو، بكل السرية، مخبرٌ للسّي آي إيه أيضاً. وفي الحقيقة، كان بينانت في ذلك الوقت قد أصبح المصدر الرئيس لمعلومات السّي آي إيه عن عدم وجود ثورة شيوعية وشيكة في فرنسا، حتى مع أن البلد مخترقٌ بعمق من قِبل الشيوعيين. الآن، يتعين إعادة النظر في كامل التحليل.

«هذه، بالطبع، معلومات غير رسمية وسرية»، قال الرئيس جونسون، «لكنني أستطيع الاعتماد على السيد كارلسون في حفظ السر، أليس كذلك؟»

«لم أكن لأثق كثيراً بذلك، سيدي الرئيس»، قال آلَنْ.

ثم روى آلَنْ كيف أنه تناول المشروب خلال رحلة الغواصة تلك في البلطيق مع رجل رائع بشكل استثنائي، أحد علماء الاتحاد السوفياتي الذريين البارزين. يوري بوريسوفيتش بوبوف، وأنه دار بعض الحديث في زحمة الأشياء عن التكنولوجيا النووية.

«هل قلتَ لستالين كيف يبني قنبلة؟» سأل الرئيس جونسون. «اعتقدت أن المطاف انتهى بك في معسكر سجن لأنك رفضت ذلك بالتحديد.»

«رفضتُ أن أخبر ستالين. ما كان ليفهمَ على أي حال. ولكن في اليوم السابق مع الفيزيائي النووي، ربما كنت قد ذهبت إلى تفاصيل أبعد مما ظننت أنني فعلت. ذلك ما يحدث عندما تشرب الكثير من الفودكا، سيدي الرئيس. لم يكن واضحاً لي حقاً أي رجل لئيم يمكن أن يكونه ستالين، ليس حتى اليوم التالي.»

وضع الرئيس جونسون راحته على جبهته، ودفع بأصابعه خلال شعره، وفكر بأن للكشف عن كيفية بناء القنبلة ليس شيئاً يحدث فقط لأن الكحول متورطة في الموضوع. إنّ ألَنْ كارلسون في الحقيقة... إنّه في الحقيقة... خائن. أليس كذلك؟ لكنه... ليس مواطناً أمريكياً، فماذا تفعل حينئذ؟ كان الرئيس جونسون في حاجة إلى وقت للتفكير.

«ثم، ماذا حدث؟» سأل، لأنه كان عليه أن يقول شيئاً.

ظن ألَنْ من الأفضل أن لا يحذف الكثير من التفاصيل الآن ما دام رئيس دولة هو الذي يسأله. وهكذا، أخبره عن فلاديفوستوك، عن المارشال ميريتسكوف، عن كيم إيل سونغ، عن كيم يونغ إيل، عن موت ستالين سيئ الحظ، عن ماو تسي-تونغ، عن كومة الدولارات التي تفضّل ماو بتزويده بها، عن الحياة الهادئة في بالي وعن الحياة غير الهادئة كثيراً في بالي، وأخيراً عن رحلته إلى باريس.

«هذا كل شيء تقريباً، كما أعتقد»، قال ألَنْ. «لكنني أصبحت عطشانَ حقاً مع كل هذا الحديث.»

طلب الرئيس المزيد من البيرة، لكنه أضاف أن شخصاً باح بأسرار نووية في حالة سُكر ينبغي أن يفكر في الامتناع عن المسكرات. ثم سأل:

«قضيتَ عطلةً بطول خمسة عشر عاماً، بتمويل من ماو تسي-تونغ؟»

«نعم، نوعاً ما. كانت في الحقيقة نقود تشيانغ كاي-تشيك، التي حصل عليها من صديقنا المشترك هاري ترومان. الآن وقد ذكرتُ هذا، سيد رئيس، ربما يجب أن أُهاتف هاري وأشكره.»

أصبحت لدى الرئيس جونسون مشكلة هائلة لدى معرفة أن هذا الرجل الملتحي طويل الشعر الجالس مقابله أعطى القنبلة لستالين. وعاش حياة مُترفةً دفعت كلفتها المساعدات الأميركية. وفوق كل ذلك، يمكنك أن تسمع الآن بخفوت كيف يهتف المتظاهرون في

الشارع خارج السفارة الأمريكية: «يا أمريكا اخرجي من فيتنام! يا أمريكا اخرجي من فيتنام!» وجلس جونسون هناك صامتاً، وملامح وجهه تشي ببؤسه.

في الأثناء، أفرغ ألن كأسه وهو يدرس ملامح وجه الرئيس الأمريكي القلقة.

«هل يمكنني تقديم أيّ مساعدة؟» سأل.

«ماذا قلت؟» قال الرئيس جونسون، الغارق عميقاً في أفكاره الخاصة.

«هل يمكنني تقديم أيّ مساعدة؟» كرر ألن. «إن الرئيس يبدو مرتاعاً، ربما يحتاج بعض المساعدة؟»

كان الرئيس جونسون على وشك الطلب من ألن جونسون أن يكسب له حرب فيتنام، لكنه عاد حينئذ إلى الواقع، وكان ما رآه أمامه ثانية هو الرجل الذي أعطى القنبلة لستالين.

«نعم، يمكنك أن تفعل لي شيئاً واحداً»، قال الرئيس جونسون بصوت متعب. «يمكنك أن تنصرف.»

•••

شكره ألن على العشاء، ومضى في طريقه، تاركاً خلفه الرئيس جونسون ومدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في أوروبا، الرجل السري جداً، رايان هوتون.

ارتاع ليندون بي. جونسون من الطريقة التي تطورت بها زيارة ألن كارلسون. لولا تلك البداية الرائعة، ثم جلس كارلسون هناك واعترف بأنه أعطى القنبلة، ليس للولايات المتحدة فقط، وإنما لستالين أيضاً. ستالين! شيوعيّ الشيوعيين!

«والآن، هوتون»، قال الرئيس جونسون. «ماذا سنفعل؟ هل نلتقط ذلك الكارلسون اللعين مرة أخرى ونغليه بالزيت؟»

«نعم»، قال العميل هوتون. «إما ذلك أو أن نتأكد من استخدامه في شيء مفيد.»

لم يكن العميل هوتون سرياً فقط، وإنما على دراية كاملة بمعظم الأشياء ذات المصلحة الاستراتيجية من منظور وكالة الاستخبارات المركزية. على سبيل المثال، كان على معرفة تامة بوجود الفيزيائي الذي شاركه ألن كارلسون جلسة شرب ممتعة

على متن الغواصة بين السويد ولينينغراد. وقد صنع يوري بوريسوفيتش نجاحاً مهنياً كبيراً منذ العام ١٩٤٩ وصاعداً. ويحتمل كثيراً أن تكون فرصته الأولى جاءت بفضل المعلومات التي زوده بها أَلَن كارلسون –بل إن من المحتمل جداً أن يكون هذا هو واقع الحال. والآن أصبح بوبوف في الثالثة والستين من العمر، وهو المدير الفني لكامل الترسانة النووية للاتحاد السوفياتي. وبهذا، تكون لديه معرفة قيّمة للغاية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، والتي لا يمكن تقديرها بثمن.

إذا تمكنت الولايات المتحدة من معرفة ما يعرف بوبوف، وبالتالي تحديد ما إذا كان الغرب متقدماً على الشرق فيما يتعلق بالأسلحة النووية –حسناً، عندئذ يستطيع الرئيس جونسون التقدم بمبادرة نزع التسلح المتبادل. والطريق إلى مثل تلك المعرفة يمر عبر –أَلَن كارلسون.

«تريد أن تجعل كارلسون عميلاً أمريكياً؟» قال الرئيس جونسون بينما يفكر بكيف يمكن لبعض النزع الجدّي للتسلح أن يصنع الكثير من الخير للكيفية التي سيتم تذكُره بها كرئيس، بغض النظر عن تلك الحرب اللعينة في فيتنام.

«نعم، بالضبط»، قال العميل السري هوتون.

«ولماذا يمكن أن يقبل كارلسون بذلك؟»

«حسناً... لأنه... يبدو من ذلك النوع. وقبل دقيقة فقط كان يجلس هنا ويسأل الرئيس عما إذا كان هناك شيء يستطيع المساعدة به.»

«نعم»، قال الرئيس جونسون. «فعل حقاً.»

صمت الرئيس ثانية بضع لحظات، ثم قال:

«أعتقد أنني بحاجة إلى مشروب قوي.»

***

في البداية، قاد موقف الحكومة الفرنسية المتصلب تجاه السخط الشعبي البلد إلى التوقف فعلياً. أضرب الملايين من الفرنسيين. وأُغلقت المرافئ في مرسيليا، وكذلك فعلت المطارات الدولية، والسكك الحديدية، وكل المحلات التجارية.

توقف توزيع الغاز والنفط، وكذلك جمع القمامة. وكانت مطالب العمال تأتي من كل حدب وصوب، بأجور أعلى، بطبيعة الحال، وساعات عمل أقل، وأمن وظيفي أفضل، وبنفوذ أكبر.

لكن هناك بالإضافة إلى ذلك مطالب بنظام تعليمي جديد، ومجتمع جديدا كانت الجمهورية الخامسة مهددة.

تظاهر مئات الآلاف من الفرنسيين في الشوارع، ولم تكن الأمور سلمية كل الوقت أيضاً. تم إحراق سيارات، وقطع أشجار، وحفر شوارع، وبناء متاريس... وكان هناك الدرك، وشرطة مكافحة الشعب، والغاز المسيل للدموع، والدروع...

عند تلك النقطة بالتحديد قام الرئيس الفرنسي، ورئيس الوزراء، والحكومة بتحويل سريع للوجهة. لم يعد لمستشار وزير الداخلية فوشيه الخاص أي تأثير الآن. (تم سجنه سراً في مقر الشرطة السرية، حيث واجه صعوبة بالغة في تفسير سبب وجود جهاز بث لاسلكي مثبت في غرفة حمّامه). وعُرضت على العمال في الإضراب العام زيادة كبيرة في الحدّ الأدنى للأجور، وزيادة عامة للأجور بنسبة ١٠٪، وخفض أسبوع العمل بواقع ثلاث ساعات، وزيادة في التعويضات العائلية، وقوة أكبر للنقابات العمالية، ومفاوضات على اتفاقيات شاملة للأجور العامة، وتعديل للأجور وفقاً للتضخم. واضطر بعض وزراء الحكومة إلى الاستقالة أيضاً، ومن بينهم وزير الداخلية فوشيه.

بهذه المجموعة من التدابير، تمكنت الحكومة والرئيس من تحييد الفصائل الأكثر ثورية. ولم يعد هناك دعم شعبي للذهاب بالأمور أبعد مما وصلته مسبقاً. وعاد العمال إلى أعمالهم، وتوقف احتلال الساحات العامة، وفتحت المحلات التجارية أبوابها، وشرع قطاع النقل في العمل. وأصبح مايو ١٩٦٨ الآن يناير ١٩٦٨. وكانت الجمهورية الخامسة ما تزال هناك.

اتصل الرئيس ديغول شخصياً بالسفارة الإندونيسية في باريس وسأل عن السيد ألَنْ كارلسون من أجل منحه وساماً. لكنهم قالوا في السفارة إن ألَنْ لم يعد يعمل هناك، وأن أحداً لا يعلم أين ذهب، بمن فيهم السفيرة نفسها.

أربعة وعشرون
الخميس، ٢٦ مايو ٢٠٠٥

اضطر المدعي العام رانيليد إلى محاولةِ إنقاذ ما يمكن إنقاذه من شرفه وحياته المهنية. ورتب لعقد مؤتمر صحفي في نفس ذلك المساء ليقول إنه ألغى لتوّه مذكرات القبض على الرجال الثلاثة والمرأة في قضية المئوي المختفي.

كان المدعي العام رانيليد جيداً في العديد من الأمور، ولكن ليس في الاعتراف بعيوبه وأخطائه. وقد حوّر المدعي العام في تفسيره الذي قال إنه بينما لم يكن ألَنْ كارلسون ورفاقه رهن الاعتقال (تم العثور عليهم، بالمناسبة، في فاسترغوتلاند في نفس ذلك المساء)، فإنهم ربما يكونون مذنبين على أي حال، وأنّ المدعي العام تصرّف بالشكل المناسب، وأن الشيء الوحيد الجديد هو الأدلة التي تغيرت بشكل جذري بحيث أصبحت مذكرات التوقيف غير صالحة في الوقت الحاضر.

تساءَل ممثلو وسائل الإعلام عن الطريقة التي تغيرت بها الأدلّة، ووصف لهم المدعي العام رانيليد بالتفصيل مضمون المعلومات الجديدة الواردة من وزارة الشؤون الخارجية فيما يتعلق بمصير بايلُند وهولتن في جيبوتي وريغا على التوالي. ثم ختم رانيليد بعد ذلك بأن القانون يتطلب سحب مذكرات التوقيف في بعض الأحيان، بغض النظر عن مدى الضيق الذي قد يسببه ذلك في بعض الحالات.

أحسّ المدعي العام رانيليد بأنه لم يغلق الأمر كلية. وتأكد ذلك الانطباع سريعاً عندما نظر ممثل صحيفة صحيفة داغينز نهيتر الوطنية البارزة من فوق نظارة قراءته

وبدأ مونولوجاً منفرداً ضم طائفة من الأسئلة التي جعلت المدعي العام غير مرتاح بشكل خاص.

«هل فهمت بشكل صحيح أنك ما تزال، على الرغم من الظروف الجديدة، تعتبر ألَنْ كارلسون مذنباً بالقتل أو القتل الخطأ؟ هل يعني ذلك أنك تعتقد بأن ألَنْ كارلسون، البالغ عمره مائة سنة كما نعلم، أجبر بينغيت بايلُند الذي عمره اثنتان وثلاثون سنة على اللحاق به إلى جيبوتي في القرن الإفريقي وهناك فجر بايلُند المذكور –وإنما ليس نفسه– إلى قطع في وقت قريب هو ما بعد ظهر يوم أمس، ثم غادر على جناح السرعة إلى فوسترغوتلاند؟ هل تستطيع أن تصف أي وسائل نقل تقترح أن يكون كارلسون قد استخدمها، مع الأخذ بعين الاعتبار أنها ليست هناك رحلات طيران مباشرة حسب معرفتي بين جيبوتي وغرب السويد، وبالنظر إلى أنه يقال إن ألَنْ كارلسون ليس لديه جواز سفر ساري المفعول؟»

عبّ المدعي العام رانيليد الهواء بعمق، وقال إنه لم يوضح وجهة نظره كما ينبغي. ليس هناك شك من أي نوع في حقيقة أن ألَنْ كارلسون، ويوليوس يونسون، وبيني يونغبيرغ، وغونيلا بيوركلُند بريئون مما كانوا متّهمين به.

«ليس هناك شك من أي نوع، كما قلت»، كرر رانيليد، وقد تمكن من إقناع نفسه بالأمر في اللحظة الأخيرة. لكن هؤلاء الصحفيين الملاعين لم يقنعوا بذلك.

«سبق لكَ وأن وصفت ببعض التفصيل التسلسل الزمني والجغرافي لجرائم القتل الثلاث المفترضة. إذا أصبح المتهمون الآن بريئين فجأة، ما هو المسار الجديد للأحداث؟ تساءل الصحفي من الصحيفة المحلية.

طفح الكيل. لا ينبغي أن يظنّ مراسل الصحيفة المحلية أنه يستطيع التغلب على المدعي العام رانيليد.

«لأسباب فنية ذات صلة بالتحقيق، لا أستطيع في الوقت الحاضر قول أكثر من ذلك»، كان تعليق المدعي العام رانيليد الختامي قبل أن ينهض من مقعده.

كانت عبارة «أسباب فنية ذات صلة بالتحقيق» قد أنقذت أكثر من مرة مدعياً عاماً في موضع ضعيف، لكنها لم تنفع هذه المرة. فلعدة أسابيع، ظل المدعي العام يبشر

بالأسباب التي تجعل الأربعة مذنبين، والآن تعتقد الصحافة بأن من باب الحقّ أن يخصص دقيقة أو اثنتين على الأقل لتفسير براءتهم. أو كما لخص الصحفي العارف من داغينز نهيتر:

«كيف يمكن أن يكون سراً «لأسباب فنية» أن تخبرنا عما كان عدد من الناس البريئين يفعلونه؟»

وقف المدعي العام هناك على حافة الهاوية. وأشار كلُّ شيء تقريباً إلى أنه سوف يسقط عن الحافة، مباشرة أو في غضون يوم أو اثنين. لكن لديه ميزة واحدة على الصحفيين. إنَّ رانيليد يعرف أين يتحصَّن كارلسون والآخرون. وبعد كل شيء، تبقى فوسترغوتلاند مقاطعة كبيرة. وسوف تكون هذه فرصته الأخيرة. قال المدعي العام رانيليد:

«إذا سمحتم لي مرة واحدة بأن تتركوني على راحتي! لأسباب تقنية ذات صلة بالتحقيق، لا أستطيع قول أي شيء آخر في الوقت الحاضر. لكنني سوف أعقد في الساعة الثالثة غداً مؤتمراً صحفياً جديداً حول تلك الفرضيات، وفي تلك المناسبة، أنوي أن أصف بالضبط ما حدث، كما طلبتم أن أفعل.

«أين بالضبط في فوسترغوتلاند يوجد الآنَ كارلسون الآن؟» سأل أحد الصحفيين.

«لن أقول»، قال المدعي العام رانيليد، وغادر.

***

كيف لمكن أن ينتهي الأمر على هذا النحو؟ جلس المدعي العام رانيليد في غرفته وقد أغلق الباب ودخن سيجارة للمرة الأولى في سبع سنوات. كان بصدد تسجيل حالة فريدة في التاريخ الجنائي السويدي كأول نائب عام يدين قتلة لم يتم العثور على جثث ضحاياهم. ثم فجأة، ظهرت الجثث. وفي الأماكن الخطأ أيضاً! وتبين أن الضحية رقم ثلاثة ما يزال حياً، ذلك الذي كان الأكثر موتاً من بينهم جميعاً. فكّروا فقط بمقدار الضرر الذي ألحقه رقم ثلاثة برانيليد.

«سوف أقتل ذلك الشيطان عقاباً له»، تمتم المدعي العام لنفسه.

لكن المسألة أصبحت الآن تتعلق بإنقاذ شرفه ومهنته، ولذلك لم يكن ارتكاب جريمة قتل هو الحل الأمثل. راجع المدعي العام وقائع المؤتمر الصحفي في ذهنه. كان في النهاية واضحاً تماماً إزاء حقيقة أن كارلسون وأتباعه بريئون. كل هذا لأنه... لا يعرف في الحقيقة. ما الذي حدث فعلاً؟ لا بد أن يكون البرغي بايلُند قد قتل على عربة ترولّي السكة تلك. وإذن، كيف أمكن بحق الجحيم أن يموت مرة أخرى بعد عدة أسابيع على بعد قارة كاملة؟

لعن المدعي العام رانيليد نفسه على تسرعه في مقابلة الصحافة. كان ينبغي أن يتحدث إلى كارلسون وأتباعه أولاً، ويحقق في كل شيء –وبعدئذ يقرر ما يحتاج الإعلام إلى معرفته. وفي معضلته الحالية –في أعقاب التصريحات الكارثية عن براءة كارلسون وأتباعه– إذا دعاهم إلى «المساعدة في التحقيقات»، فسيُنظر إلى ذلك ببساطة كما لو أنه يضطهدهم. ومع ذلك، لم تكن لدى رانيليد الكثير من الخيارات. عليه أن يعرف ما حدث... وعليه أن يعرف ذلك قبل الساعة الثالثة من بعد ظُهر اليوم التالي. وبخلاف ذلك، فإنه لن يبقى في عيون زملائه مدعياً عاماً، وإنما مهرجاً.

كان كبير المفتشين أرونسون في مزاج حسن، جالساً في أرجوحة في مزرعة بيلرينغر، يشرب القهوة، مع فطيرة محلاة ليغمسها فيها أيضاً. لقد انتهت رحلة مطاردة المثوي المختفي؛ وإلى جانب ذلك، لم تعد هناك مذكرة للقبض على العجوز اللطيف. أما لماذا هبط الرجل العجوز من نافذته قبل شهر تقريباً، وما حدث منذئذ، فهي أمور ما يزال يتعين اكتشافها، إذا كان ثمة حاجة إلى اكتشافها من الأساس.

ومع ذلك، هناك وقت بالتأكيد للمزيد من بعض الحديث الصغير أولاً. الرجل الذي شوهد وهو يُدهَس ويُقتل، أصبح الآن ناهضاً من بين الموتى، وقد تبين أن بير–غونار «الرئيس» غيردن هو من النوع العادي جداً من الرجال. وقد اقترح فوراً أن يسقطا الألقاب الرسمية ويتخاطبا بالأسماء الأولى، وأنه يفضّل في هذه الحالة أن يُدعى بايك.

«هذا جيد بالنسبة لي، بايك»، قال كبير المفتشين أرونسون. «يمكنك أن تناديني غوران.»

«بايك وغوران»، قال ألن. «ذلك يدرج جيداً على اللسان، ربما ستذهبان إلى تأسيس عمل معاً؟»

قال بايك إنه ليس متأكداً من أن لديه الاحترام اللازم لسلطات العوائد الداخلية وضرائبها حتى يتمكن من إدارة عمل شراكة مع كبير المفتشين، لكنه شكر ألنْ مع ذلك على نصيحته. وبذلك أصبح الوضع مرحاً على الفور. ولم يصبح أسوأ عندما انضم إليهم بيني والجميلة، ثم يوليوس وبوسّي أيضاً بعد قليل.

تحدثوا عن كل أنواع الأشياء هناك على الشرفة، ما عدا كيف جرت أحداث الشهر الماضي. وسجل ألنْ نجاحاً عندما قاد الفيلة فجأة حول الزاوية، وقدما هو وسونيا رقصة قصيرة معاً. وأصبح يوليوس أكثر وأكثر سروراً لأنه لم يعد مطلوباً للشرطة بعد الآن، وشرع في حلاقة اللحية التي شعر بأنه مضطّر إلى إطلاقها قبل أن يجرؤ على الظهور في فولكوبينغ.

«التفكيرُ بأنني كنت مذنباً طوال حياتي وأصبحت الآن بريئاً فجأة!» قال يوليوس. «يا له من شعور رائع!»

وبوسّي، من جانبه، ظن أن هذا سبب كافٍ لجلب زجاجة شمبانيا هنغارية أصلية لأصدقائه وكبير المفتشين حتى يتبادلوا الأنخاب.

اعتذر كبير المفتشين بتردد بأن سيارته موجودة في المزرعة، وبأن هناك غرفة محجوزة له في الفندق في فولكوبينغ، وسوف يصعب عليه ككبير للمفتشين أن يقود سيارته وهو ثمل بعض الشيء. لكن بيني جاء حينئذ للنجدة وقال إن الممتنعين عن شرب الكحول بشكل عام –وفقاً لألنْ– يشكلون تهديداً للسلم العالمي، لكنهم يكونون مفيدين إذا عثرت عليهم حين تكون في حاجة توصيلة إلى مكان ما.

«تناول كأساً من الشمبانيا أيها المفتش، وسأحرص على وصولك سالماً إلى فندقك.»

ولم يكن المفتش في حاجة إلى مزيد من الإقناع. كان قد عانى طويلاً من فقر مزمن في الحياة الاجتماعية، والآن وقد وجد نفسه أخيراً مع صحبة سارة، فإنه لا يستطيع أن يجلس هناك ويتنكد.

«حسناً الآن، نخبٌ صغيرٌ لبراءتكم جميعاً، أفترض أن قوة الشرطة يمكن أن تتعايش مع هذا»، قال. «أو حتى نخبان إذا لزم؛ هناك الكثيرون منكم في الحقيقة...»

هكذا مرت بضع ساعات من الفرح العام قبل أن يرنّ هاتف كبير المفتشين أرونسون النقال ثانية. مرة أخرى، كان المدعي للعام رانيليد على الخطّ. قال لأرونسون إنه بسبب ظروف مؤسفة في حضور الصحافة، أعلن لتوه أن الرجال الثلاثة والمرأة بريئون، وأنه فعل ذلك بطريقة لا تكاد تسمح بالتراجع. وإلى جانب ذلك، وفي غضون أقل من ٢٤ ساعة، يجب عليه أن يعرف ما حدث فعلاً منذ اليوم الذي تسلق فيه العجوز الغريب كارلسون هابطاً من نافذته وحتى هذا اليوم، لأن هذا هو ما استدعى الصحافة لسماعه في الساعة الثالثة من بعد ظهر الغد.

«بعبارات أخرى، أنت غارق جيداً في جدول خراء»، قال كبير المفتشين الثمل قليلاً.

«يجب أن تساعدني، غوران!»

«كيف؟ بتحريك الجثث جغرافيا؟ أم بقتل الناس سيئي الذوق إلى حدّ عدم كونهم أمواتاً كما تتمنى أن يكونوا؟»

اعترف المدعي العام رانيليد بأنه فكر فعلاً بذلك الحل الأخير، لكنه ربّما لن يجدي نفعاً. كلا، إنه يأمل بأن يسأل غوران بحذر آلَنْ كارلسون و... المتواطئين معه عما إذا كان رانيليد سيكون موضع ترحيب في المزرعة في الصباح التالي من أجل دردشة صغيرة -غير رسمية مطلقاً- عن هذا وذاك من الشؤون لتوضيح بعض ما حدث في غابات سودرمانلاند وسمولاند. ومن أجل تسهيل الأمر، وعد المدعي العام رانيليد بأن يعتذر للمواطنين الأربعة الأبرياء نيابة عن قوة شرطة سودرمانلاند.

«نعم... أو، كلا، نيابة عن نفسي»، قال المدعي العام رانيليد.

«مفهوم. خذ نفساً عميقاً فقط، كوني، سوف أسأل. وسأعاود الاتصال بك خلال دقائق.»

استدار كبير المفتشين أرونسون إلى أصحابه وأعلن الأخبار السعيدة، أن المدعي العام رانيليد عقد للتو مؤتمراً صحفياً أكد فيه كم كان آلَنْ كارلسون وأصدقاؤه الأربعة بريئين. ثم نقل إليهم التماس المدعي العام للزيارة.

ردّت الجميلة بمحاضرة متحركة، قائلة إن أي خير لن يأتي من وصف تفاصيل التطورات التي حدثت في الأسابيع الأخيرة للمدعي العام. ووافق يوليوس. إذا ما تم إعلانك بريئاً، فإنك بريء، هكذا يكون واقع الحال.

«وأنا لست معتاداً على هذا. وهكذا، سيكون سيئاً جداً إذا دامت براءتي أقل من أربع وعشرين ساعة.»

قال لَنْ إنه يتمنى على أصدقائه التوقف عن القلق من شيء صغير جداً. إن الصحف والتلفزيون لن تتركهم في حالهم بالتأكيد حتى يعرفوا قصتهم. وهكذا، ألن يكون من الأفضل أن يقولوها للمدعي العام على انفراد، بدل أن يملأ الصحفيون المكان طوال الأسابيع القليلة القادمة؟»

«إلى جانب ذلك، لدينا المساء كله لنخرج بقصة معقولة»، قال لَنْ.

كان كبير المفتشين أرونسون ليفضل عدم سماع هذا الجزء الأخير. نهض من مقعده ليؤكد على وجوده وليوقفهم عن قول المزيد. لقد حان الوقت ليسمّوا اليوم الذي انقضى يوماً، قال. إذا تفضل بيني بإيصاله بالسيارة إلى فندقه، فسيكون في غاية الامتنان. ومن السيارة، نوى أرونسون أن يهاتف المدعي العام رانيليد ويخبره بأنه سيكون موضع ترحيب حول الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي، إذا كان ذلك ما تتفق عليه المجموعة. وعلى أي حال، ينوي أرونسون القدوم أيضاً بسيارة أجرة، فقط ليأخذ سيارته. وبالمناسبة، سيكون من الممكن أن يحتسي نصف كأس آخر من تلك الشمبانيا البلغارية الفاخرة قبل مغادرته. ماذا؟ كانت هنغارية؟ حسناً، لا يهم، للأمانة.

قُدِّم لكبير المفتشين أرونسون كأسٌ أخرى، مملوءة إلى الحافة، والتي اجترعها على عجل قبل أن يمسح أنفه، ثم يدلف إلى مقعد الركاب في سيارته الخاصة، التي كان بيني قد قادها إلى الباب مسبقاً. وعندئذ، ارتجل بعض الأبيات من الشاعر السويدي كارل ميخائيل بيلمان عن الأصدقاء الطيبين والنبيذ الهنغاري.

وبيني، شبه الخبير في الأدب، أطرق مثنياً.

يوحنا ٨:٧. لا تنس ذلك صباح الغد، يا كبير المفتشين، هتف بوسّي في انبجاسة مفاجئة من الإلهام. الإنجيل: يوحنا ٨:٧.

خمس وعشرون
الجمعة، ٢٧ مايو ٢٠٠٥

يحتاج الوصول من إسكلستونا إلى فولكوبينغ إلى بعض الوقت. ولذلك، ترتّب على المدعي العام كوني رانيليد أن ينهض في الفجر (بعد نوم سيئ طوال الليل) حتى يصل إلى مزرعة بيلربنغر قبل العاشرة صباحاً. ولا يمكن أن يطول الاجتماع هناك لأكثر من ساعة واحدة، لو أن خطته ستتدمر. يفترض أن يبدأ المؤتمر الصحفي في الثالثة.

كان كوني رانيليد على وشك البكاء بينما يقود سيارته على الطريق السريع. «الانتصار العظيم للعدالة» –هكذا كان سيدعي كتابه. هه! إذا كانت هناك أي عدالة أصلاً في هذا العالم، فإن البرق سيضرب تلك المزرعة اللعينة وسيحترق كل شخص هناك حتى الموت. وعندئذ، سيستطيع المدعي العام رانيليد أن يقول ما يريد للصحفيين.

نام كبير المفتشين أرونسون متأخراً. وأفاق في التاسعة صباحاً، مع بعض الشعور السيئ في الضمير بسبب أحداث اليوم السابق. لقد شرب الشمبانيا مع جانحين محتملين، وسمع بوضوح كارلسون وهو يقول إنهم سيبتكرون قصة للمدعي العام رانيليد. هل هو على وشك أن يصبح متواطئاً –متواطئاً في ماذا، في هذه الحالة؟

عندما وصل كبير المفتشين إلى فندقه في الليلة السابقة، بحث عن يوحنا ٨,٧ في كتاب جدعون المقدس في غرفته. وتبعت ذلك بضع ساعات من القراءة في الإنجيل في زاوية بار الفندق، بصحبة الجن والتونيك، يتلوه جن وتونيك، وبعده كأس أخرى من الجن والتونيك.

كان الفصل المعني يتحدث عن امرأة ارتكبت خطيئة الزنا، وأخذها الفريسيون إلى يسوع المسيح ليضعوه في مأزق. إذا ما كانت المرأة سترجم وفق يسوع عقاباً على جريمتها، فإن يسوع سيرفض بذلك حكم موسى (سفر اللاويين). أما إذا وقف يسوع، من الناحية الأخرى، إلى جانب موسى، فإنه سيكون بصدد التخاصُم مع الرومان الذين احتكروا لأنفسهم حقّ الحكم بالموت. هل سيذهب يسوع ضد موسى أم ضد الرومان؟ واعتقد الفريسيون بأنهم حشروا السيّد في الزاوية.

لكن المسيح كان المسيح، وبعد إعادة التفكير في المسألة قال:

«دعوا ذلك الذي بلا خطيئة يرمي الحجر الأول!»

وبذلك، تجنب المسيح المجادلة مع موسى ومع الرومان، أو مع الفريسيين، إذا كان ذلك يهم. وقد انصرف الفريسيون، واحداً في إثر واحد (الرجال، بشكل عام، ليسوا خالين من الخطيئة بأقل قدر بطبيعة الحال). وأخيراً، لم يبق سوى يسوع والنساء وحدهم.

«أيتها المرأة، أين ذهبوا؟ ألم يُدِنكِ أحد؟»

«لا أحد»، أجابت.

أعلن المسيح:

«وأنا أيضاً لن أدينك، اذهبي الآن ولا تخطئي مرة أخرى.»

كانت حاسة الشم البوليسية لدى كبير المفتشين ما تزال سليمة، وكان متأكداً من أنه يشم رائحة خديعة. لكن المدعي العام رانيليد، واعتباراً من أمس، أعلن براءة كارلسون ويونسون ويونغبيرغ وبيوركلُند وغيردن، فمن يكون أرونسون ليدعوهم جانحين؟ إلى جانب ذلك، كانوا في الحقيقة رهطاً جذاباً في الحقيقة، و -كما أشار يسوع محقاً- من هو الذي في مكان يؤهله ليلقي الحجر الأول؟ وعادت أفكار أرونسون به إلى بعض اللحظات الأكثر قتامة في حياته الخاصة، لكنه غضب فوق كل شيء من الكيفية التي تمنى بها المدعي العام رانيليد أن يكون بايك غيردن اللطيف جداً ميتاً، فقط لخدمة أغراضه الخاصة.

«كلا، اللعنة! سيكون عليك أن تعرف ذلك بنفسك، يا رانيليد»، قال كبير المفتشين أرونسون واتجه إلى غرفة الإفطار في الفندق.

وهناك ابتلع جريش الحبوب، والخبز المحمص، والبيض، بمساعدة القهوة، ومعها أكبر صحيفتين يوميتين في البلاد، واللتين اقترحتا كلتاهما بحذر أن المدعي العام عرض شيئاً من الفشل في قضية المئوي المختفي الذي اتُّهم أخيراً بالقتل ثم بُرِئَت ساحتُه. لكن الصحيفتين اضطرتا إلى الاعتراف، مع ذلك، بأنهما لا تعرفان الكثير عن الموضوع. لم يمكن العثور على المئوي نفسه، ولم يرد المدعي العام قول المزيد حتى مساء الجمعة.

«كما لوحظ، رانيليد، سيكون عليك أن تعرف هذا بنفسك»، غمغم أرونسون.

ثم طلب كبير المفتشين سيارة أجرة، ووصل إلى مزرعة بيلرينغر في الساعة ٩:٥١، قبل ثلاث دقائق فقط من وصول المدعي العام.

لم تكن هناك أي مخاطر، حسب الأرصاد الجوية، من حدوث ما تمناه المدعي العام رانيليد بكل إخلاص: أن تضرب المزرعةَ صاعقة. لكن الجو كان غائماً وبارداً جداً. وهكذا، خطط قاطنو المزرعة للاجتماع في المطبخ الواسع.

في الليلة السابقة، اتفقت المجموعة على القصة البديلة التي سيقدمونها للمدعي العام رانيليد، وحتى يكونوا على الجانب الآمن، قاموا بالتدرب على القصة على الإفطار أيضاً. والآن أصبحوا على يقين معقول من أدوارهم في عرض الصباح، معتمدين على حقيقة أن الحقيقة تكون أيسر دائماً على التذكر من نقيضها. إن ذلك الذي يروي كذبة كبيرة يمكن أن يجد نفسه بسهولة في ورطة كبيرة، وهكذا كان على أفراد المجموعة الآن أن يفكروا ملياً قبل أن يفتحوا أفواههم.

«اللعنة والجحيم»، كانت الطريقة التي لخصت بها الجميلة التوتر العام السائد قبل اصطحاب كبير المفتشين أرونسون والمدعي العام رانيليد إلى المطبخ.

كان اللقاء مع المدعي العام كوني رانيليد أكثر متعة للبعض من الآخرين. وهذه هي الطريقة التي سار عليها اللقاء:

«حسناً، كبداية أود أن أشكركم على السماح لي بالقدوم»، قال المدعي العام رانيليد.

«ويجب أن أعترف بالأصالة عن... ر... بالأصالة عن مكتب المدعي العام عن أن البعض منكم صدرت بحقهم مذكرات توقيف بلا أيّ سبب على الإطلاق. أما وقد قلت ذلك، فإنني أود كثيراً أن أعرف ما حدث، منذ اللحظة التي هبطتَ فيها، سيد كارلسون، من نافذة بيت المسنين وحتى هذه اللحظة. هل ترغب في البدء، سيد كارلسون؟»

لم يكن لدى آلَنْ أي اعتراض على ذلك. وفكّر بأن ذلك ربما سيكون ممتعاً.

«أستطيع في الحقيقة، سيدي المدعي العام، حتى مع أنني مسنٌّ ومتهالك، ولم تعد ذاكرتي ما اعتادت أن تكون. لكنني أتذكر أنني هبطت من تلك النافذة، نعم أتذكر. وكانت هناك أسباب وجيهة جداً لذلك، أسباب وجيهة جداً. كما ترى، سيد مدعي عام، كنت في طريقي لرؤية صديقي القديم يوليوس يونسون هنا، وأنت لا تذهب لزيارته بدون زجاجة فودكا، وكان ذلك بالضبط ما استطعْت الحصول عليه بعد التسلل خارجاً إلى محلّ الخمور المحلي الذي تديره الدولة، حيث لم يكن أحد ينظر. في الحقيقة، ليس عليك في هذه الأيام حتى أن تذهب كل المسافة إلى محل الكحول المملوك للدولة، تستطيع ببساطة أن تطرق باب... حسناً، لن أقول لك اسمه، يا سيد مدعي عام، لأن ذلك ليس سبب وجودك هنا، لكنه يبيع فودكا مستوردة بالسر بأقل من نصف السعر العادي. على أي حال، لم يكن إيكلُند في البيت هذه المرة –آه، يا إلهي، قلت لك اسمه للتو– ولم يكن لدي خيار سوى شراء الفودكا من محل الدولة. ثم تمكنت من إدخال الزجاجة إلى غرفتي وعادة ما أكون عند تلك النقطة قد أصبحت آمناً وقد أنجزت الجزء الصعب. لكنني كنت سأقوم بإخراجها ثانية هذه المرة، وكانت المديرة أليس على رأس عملها ولها عيون في مؤخر رأسها وفي كل مكان آخر، كما أستطيع أن أقول لكم سيد مدعي عام. ليس من السهل خداع المديرة أليس. وهكذا فكرت بأن النافذة هي أفضل طريق في هذه المناسبة. كان عيد ميلادي المائة في ذلك اليوم، ومَن هو الذي يريد أن يُصادَر مشروب عيد ميلاده عندئذ.»

فكر المدعي العام بأن هذا الأمر ربما يطول. هذا الكارلسون العجوز غريب الأطوار ظل يهذي لفترة طويلة دون أن يقول أي شيء في الحقيقة. وفي أقل من ساعة، ينبغي على رانيليد أن يكون في طريقه عائداً إلى إسكيلستونا.

«شكراً لك، سيد كارلسون، على هذه الإضاءة المثيرة للاهتمام عن صعوباتك في الحصول على مشروب ليومك الكبير، لكنني آمل أن تعذرني لطلبي منك أن تكون أكثر انضباطاً في الرواية؛ ليس لدينا الكثير من الوقت، كما أنا واثق من أنك تفهم. ماذا عن الحقيبة والاجتماع مع البرغي بايلُند في محطة الحافلات؟»

«حسناً، الآن، كيف حدث ذلك؟ اتصل بير-غونار بيوليوس، الذي اتصل بي. ووفقاً ليوليوس، أراد مني بير-غونار أن أتولى مسؤولية الأناجيل ولم أرد أن أقول لا لأنني...»

«أناجيل؟» قاطعه المدعي العام رانيليد.

«إذا سمحت لي، سيد مدعي عام، ربما أستطيع أن أقدم بعض المعلومات الأساسية لتوضيح الخلفية؟» قال بيني.

«بكل تأكيد»، قال المدّعي العام.

«حسناً، كان الأمر كما يلي. إن آلَنْ هو صديق حميم ليوليوس في بايرينغ، والذي هو بدوره صديق حميم لبير-غونار، الرجل الذي ظن المدعي العام أنه ميت. وبير-غونار بدوره هو صديق حميم لي، وأنا جزئياً شقيق أخي بوسّي، الرجل الذي يستضيفنا اليوم، وجزئياً خطيب غونيلا، وهي السيدة الجميلة على رأس الطاولة، وتَشغل غونيلا نفسها في التفسير، وبهذا يكون لديها شيء مشترك مع بوسّي الذي يبيع الأناجيل -لبير-غونار على سبيل المثال.»

جلس المدعي العام هناك ممسكاً بقلم في يده، لكن ذلك كله قيل بسرعة كبيرة حتى أنه لم يستطع خربشة كلمة واحدة.

«التفسير؟»

«نعم، تفسير الإنجيل»، فسرت الجميلة.

تفسير الإنجيل؟ فكر كبير المفتشين أرونسون الذي جلس صامتاً إلى جانب المدعي العام. هل يكون من الممكن أن تفسر الإنجيل عندما تشتم بالقدر الذي سمع أرونسون الجميلة وهي تشتم به في الليلة السابقة؟ لكنه لم يقل شيئاً. هذا شيء ينبغي على المدعي العام أن يخمنه، جملة وتفصيلاً.

«تفسير الإنجيل؟» قال المدعي العام رانيليد، لكنه قرر في تلك اللحظة نفسها أن يمضي قدماً. «ليس مهماً، قل لي بدلاً من ذلك ما حصل مع الحقيبة وبايلُند البرغي في محطة الحافلات.»

الآن، جاء دور بير-غونار ليدخل في العرض.

«هلا سمحت لي، سيدي المدعي العام، أن أقول شيئاً؟»

«بالتأكيد»، أجاب المدعي العام رانيليد. طالما أنّ ما سيقوله أي شخص سيلقي بعض الضوء على هذا الأمر، فإنه حتى الشيطان نفسه يمكن أن يتحدث.»

«أرجوك أن تهذب ألفاظك» قالت الجميلة وحدقت في الأعلى. (أصبح كبير المفتشين واثقاً الآن أنهم يسخرون من المدعي العام).

«لا أظن أن «الشيطان» هو الوصف المناسب تماماً لذاتي المتواضعة منذ وجدت المسيح»، قال بير-غونار غيردن. «أنت، أيها السيد المدعي العام، لا بد أنك سمعت بأنني قدت منظمة تدعى «ليس ثانية أبداً». كان ذلك الاسم يشير في الأصل إلى أن أعضاءها لن يجدوا أنفسهم مرة أخرى أبداً خلف القضبان، حتى ولو أنها قد لا تكون هناك قلة في الأسباب القانونية لمثل هذا الترتيب، لكن الاسم اكتسب معنى آخر في الفترة الأخيرة. لن يغويني أي شيء ثانية أبداً إلى خرق القانون، ليس ذلك الذي كتبه الإنسان، وبالتأكيد ليس ذلك الذي كُتِب في السماء!»

«هل هذا هو السبب الذي جعل البرغي يحطم غرفة الانتظار، ويضرب موظفاً، ثم يختطف سائق حافلة وحافلته؟» سأل المدعي العام رانيليد.

«أوه، يا إلهي، الآن أستطيع بالتأكيد أن أشمّ رائحة سخرية في الهواء»، قال بير-غونار غيردن. «لكن كوني أنا نفسي قد رأيت النور لا يعني أن زملائي فعلوا الشيء نفسه. لقد ذهب واحد منهم في الحقيقة إلى أمريكا الجنوبية للقيام بالعمل التبشيري، لكن الاثنين الآخرين وصلا إلى نهايات مؤسفة. كنت قد عهدت إلى البرغي بجلب حقيبة تحتوي على مائتي إنجيل على طريق بوسي عائداً من أوبسالا إلى المنزل في فولكوبينغ. كنت سأستخدم الأناجيل لنشر الفرحة بين أسوأ الأشرار في البلاد، إذا عذرتني على لغتي، سيدي المدعي العام.»

حتى هذه اللحظة، كان بوسي، صاحب مزرعة بيلرينغر، هادئاً. لكنه عند هذه المرحلة وضع حقيبة رمادية ثقيلة على طاولة المطبخ وفتحها. وفي الداخل استقر عدد من الأناجيل فائقة الرقّة، المغلفة بالجلد الأسود الأصلي، وقد نُقشت عليها الحروف الذهبية، والتنويتات والرموز، وثلاثة أشرطة للتوسيم، وخرائط ملونة، والكثير من الأمور.

«لن تصادف لقاءً مع الإنجيل أكثر روعة من هذه، سيدي المدعي العام»، قال بوسي ليونبيرغ بقناعة. «هل تسمح لي بأن أقدم لك نسخة؟ يجب أن نسعى جميعاً إلى النور، سيدي المدعي العام!»

خلافاً للآخرين، كان بوّسي يعني ما قاله فعلاً. ولا بد أن يكون ذلك قد لامس المدعي العام، لأنه بدأ يشكك في قناعته بأن هذا الحديث عن الإنجيل هو مجرد ذريعة. وهكذا، قبل بإنجيل بوسي وفكر بأن البحث عن الخلاص الفوري ربما يكون خياره الوحيد.

«هل يمكننا أن نعود مرة أخرى ونهائية إلى المسألة التي بين أيدينا؟» سأل. ماذا حدث لتلك الحقيبة اللعينة في مالمكوبينغ؟»

«بلا شتائم!» حاضرت الجميلة.

«ربما حان دوري مرة أخرى؟ قال ألن. «حسناً، كما ترى، ذهبتُ إلى محطة الحافلات في وقت أبكر قليلاً مما توقعت، لأن يوليوس طلب مني ذلك. وكان بايلُند البرغي قد اتصل هاتفياً ببير-غونار مسبقاً في ستوكهولم، وكان -اعذرني، سيد مدعي عام، مرة أخرى على لغتي- مخموراً قليلاً! وكما تعرف، سيدي مدعي عام، أو ربما لا تعرف لأنني لا أعرف عاداتك في الشرب، لكن على أي حال... أين كنتُ؟ آه، نعم، كما تعرف، سيد مدعي عام، كيف أنه عندما تدخل الفودكا من الباب، يخرج المنطق من الشباك، أو مهما يكن المثل الشائع. أنا نفسي، في حالة سكر، قلت أكثر مما ينبغي في الغواصة على عمق سبعمائة قدم في وسط بحر البلطيق...»

«بحق الله، ادخل في الموضوع!» قال المدعي العام رانيليد.

«لا تجديف!» حثّت الجميلة.

وضع النائب العام رانيليد إحدى يديه على جبينه، وعبّ الهواء بعمق عدة مرات.

ومضى آلَن كارلسون في حديثه:

«حسناً، اتصل باولُند البرغي هاتفياً ببير-غونار في ستوكهولم ليقول إنه سيستقيل من نادي بير-غونار للكتاب المقدس، وإنه يريد الانضمام بدلاً من ذلك إلى الفيلق الأجنبي، لكنه قبل كل شيء -عند هذه النقطة يجب أن تجلس، سيد مدعي عام، لأن ما سأقوله الآن مروع- نوى إشعال النار في الأناجيل في ميدان مالمكوبينغ العام!»

«لكي نكون أكثر دقة، يقال بأنه صرخ: 'تلك الأناجيل الداعرة الملعونة'» قالت الجميلة.

«لا عجب، إذن، أن يتم إرسالي للعثور على السيد البرغي وأخذ الحقيبة منه قبل فوات الأوان. عادة ما يكون لدينا القليل من الوقت، وأحياناً يكون لدينا وقت حتى أقل مما يمكن أن نتخيل. مثل، على سبيل المثال، ما حدث عندما كان الجنرال فرانكو في إسبانيا قريباً جداً من أن يُنسف إلى قطع أمام عينيّ هاتين.»

«ما دخل الجنرال فرانكو في إسبانيا بهذه القصة؟» تساءل المدعي العام رانيليد بعجب.

«لا شيء على الإطلاق، سيد مدعي عام، سوى أنني استخدمته كمثال توضيحي. لا يمكنك أبداً أن تحصل على الكثير جداً من الوضوح.»

«في هذه الحالة، ماذا لو أنك جلبت شيئاً من الوضوح لهذا الأمر، سيد كارلسون؟ ماذا حدث للحقيبة؟»

«حسناً، لم يرد السيد برغي أن يعطيها لي، ولم تسمح لي لياقتي البدنية حقاً بمحاولة أخذها منه بالقوة، وليس لياقتي البدنية وحدها، إذا كان ذلك يهم. من حيث المبدأ، أعتقد بأنها مروعة تلك الطريقة التي يحاول بها الناس...»

«ابقَ في الموضوع، سيد كارلسون!»

«نعم، تقبل اعتذاري، سيد مدعي عام. حسناً، عندما احتاج السيد البرغي، وسط كل شيء، إلى زيارة المراحيض العامة في المحطة، اغتنمت فرصتي. وصعدت، إلى جانب الحقيبة، على متن الحافلة إلى سترانغناس، التي أخذتني إلى بايرينغ والعجوز يوليوس

هنا، أو يولي، كما نقول أحياناً.»

«يولي؟» قال المدعي العام، وقد شعر بأن عليه أن يقول شيئاً ما.

«أو يوليوس»، قال يوليوس. «تشرفتُ بمقابلتك.»

جلس المدعي العام هناك صامتاً بضع لحظات. لقد شرع الآن فعلاً بأخذ بعض الملاحظات، وبدا وأنه يقيم خطوط الصلة بين هذه الملاحظات.

«لكنك، سيد كارلسون، دفعت أجرة رحلة الحافلة بورقة من فئة الخمسين كرونة، وسألت عن المسافة التي سيوصلك إليها ذلك المبلغ. كيف ينسجم ذلك مع وجود نيّة مبيتة لديك للسفر إلى بايرينغ وليس أي مكان آخر؟»

«ها هاه!» قال ألن. «إنني أعرف تماماً كم يكلف السفر إلى بايرينغ. لكن الذي حدث فقط هو أنها كانت لديّ ورقة من فئة الخمسين كرونة في محفظتي، ومزحت قليلاً مع السائق. ذلك ليس مخالفاً للقانون. أم أنه كذلك، سيد مدعي عام؟»

لم يكلف المدعي العام رانيلد نفسه عناء الإجابة.

«باختصار: ماذا حدث بعد ذلك؟»

«باختصار؟ باختصاررر، يوليوس وأنا، قضينا أمسية جميلة معاً، حتى جاء السيد البرغي وحاول فكّ براغي الباب، إذا عذرتني على اللعب بالكلمات، سيد مدعي عام. ولكن، ولأنها كانت لدينا زجاجة فودكا صغيرة على الطاولة، وربما أنك تتذكر مما رويت سابقاً في قصتي أن ذلك هو ما كنت قد أخذته معي -زجاجة فودكا- و، حتى أكون صادقاً، ليست واحدة بل اثنتين، لا ينبغي للمرء أن يقول غير الحقائق عن المسائل الأقل أهمية، وعلى أي حال، من يستطيع أن يحكم عما هو الأكثر أو الأقل أهمية في هذه الحكاية، هذا متروك لك، سيد مُدّ...»

«أكمِل!»

«نعم، أعتذر. حسناً، هدأ السيد البرغي عندما أدرك أن هناك لحمُ أيّل مشوي وفودكا على قائمة العشاء. حتى أنه قرر في وقت متأخر من تلك الأمسية عدم إحراق الأناجيل بفضل حالة النشوة المسكرة التي قُدمت إليه. إن للكحول في الحقيقة جوانبها الإيجابية، ألا تعتقد، سيد مُدّ...»

«أكمِل!»

«في الصباح، عانى السيد البرغي أسوأ المخلفات. أنا شخصياً لم أصل إلى ذلك الحد منذ ١٩٤٥، عندما بذلت قصارى جهدي لأجعل نائب الرئيس ترومان يسكر تحت الطاولة بمساعدة التكيلا. ولسوء الحظ، ذهب الرئيس روزفيلت ومات في نفس ذلك اليوم بحيث اضطررنا إلى قطع الحفلة مبكراً، وربما كان ذلك من حسن حظي لأنني لا أستطيع البدء ما بدا عليه رأسي في اليوم التالي. لكنه يمكنك القول بأنني كنتُ أفضل قليلاً من روزفيلت.»

طرفت عينا المدعي العام رانيليد بسرعة. وفي النهاية، تمكن فضوله منه:

«ما الذي تقوله؟ هل كنت تشرب التكيلا مع نائب الرئيس ترومان عندما مات الرئيس روزفيلت؟»

«ربما يجب أن لا نتورط في التفاصيل. أو ما هو رأيك، سيد مدعي عام؟»

لم يقل المدعي العام شيئاً.

«لم يكن السيد البرغي، بأي حال، في حالة تمكنه من مساعدتنا في دفع دوّاسات عربة الترولي عندما حان الوقت للانتقال إلى مسبك أكِر في الصباح التالي.»

«بل إنه لم يكن يرتدي حذاءً، كما فهمت»، قال المدعي العام. «كيف يمكن أن تفسر ذلك، كارلسون؟»

«لو أنك، سيدي المدعي العام، شاهدت أيّ آثار للسُكْر عانى منها السيد برغي في ذلك الصباح... كان يمكن كثيراً أن يجلس هناك بلا شيء سوى سرواله الداخلي.»

«وحذاؤك أنت، كارلسون؟ لقد عثر عليه لاحقاً في مطبخ يونسون.»

«نعم، لقد استعرت حذاءً من يوليوس، بالطبع. إذا كان عمرك مائة سنة، فإنك تجد نفسك أحياناً وقد خرجت بالحذاء المنزلي، بالشبشب، كما ستكتشف بنفسك، سيد مدعي عام، إذا انتظرت أربعين أو خمسين سنة.»

«لا أعتقد أنني سأعيش كل هذا الوقت الطويل»، قال المدعي العام رانيليد. «السؤال الآن هو ما إذا كنت سأعيش حتى نهاية هذه المحادثة. كيف تفسر أنه عندما تم العثور على عربة الترولي، شمّت كلبة الشرطة رائحة أثر جثة ميت؟»

«أنت أخبرني، سيد مدعي عام. كان السيد البرغي بطبيعة الحال هو الأخير الذي غادر العربة. وهكذا، ربما كان ليخبرنا بنفسه لو أنه لم يكن سيئ الحظ ليموت هناك في جيبوتي. هل تعتقد، سيد مدعي عام، أنني ربما كنت أنا مَنشأ تلك الرائحة؟ أنا لست ميتاً، هذا القدر أكيد، لكنني عجوز إلى حد مروّع... هل يمكن أن تخرج رائحة شخص ميت أبكر قليلاً من موعدها؟»

بدأ صبر المدعي العام رانيليد ينفد. لقد غطوا حتى الآن أقل من يوم واحد من أصل ستة وعشرين يوماً. وكان تسعون بالمائة مما خرج من فم العجوز الغريب هراءً محضاً.»

«أكمِل!» قال المدعي العام رانيليد.

«حسناً، تركنا السيد البرغي نائماً على تلك العربة وذهبنا من أجل نزهة منعشة على الأقدام إلى بسطة النقانق، التي كان يديرها بطبيعة الحال بيني، صديق بير-غونار.»

«هل دخلت أنت أيضاً السجن؟» سأل المدعي العام.

«كلا، لكنني كنت قد درست علم الجريمة، قال بيني صادقاً تماماً، قبل أن يختلق قصة عن كيف أنه أجرى ذات مرة مقابلة مع السجناء في سجن كبير، والتقى ببير-غونار حينذاك.

بدا أن المدعي العام رانيليد قد لاحظ شيئاً مرة أخرى، وهو ما أمر بعده آلَنْ بشكل رتيب «أكمِل»!

«بكل طيب خاطر. كان بيني في الأصل سيوصلني أنا ويوليوس بالسيارة إلى ستوكهولم حتى نتمكن من تسليم الأناجيل لبير-غونار. لكن بيني قال إنه يريد أن يلتف ويحول الطريق عبر سمولاند ليرى خطيبته، غونيلا...»

«السلام عليكم»، قالت غونيلا وأومأت برأسها للمدعي العام رانيليد.

ومضى آلَنْ في حكايته:

«كان بيني بالطبع شخصاً يعرف بير-غونار أفضل ما يكون، وقال بيني أن بوسع بير-غونار أن ينتظر الأناجيل بضعة أيام؛ لم يكن يعتقد أن هناك شيئاً ذا قيمة إخبارية فيها، وعليك الاعتراف بأنه كان محقاً في ذلك. لكنك لا تستطيع الانتظار إلى الأبد، لأنه

عندما يعود المسيح حقاً إلى الأرض، فإن كل فصول الكتاب عن عودته الوشيكة تكون قد عفا عليها الزمن...

«ابقَ في الموضوع!»

«طبعاً، سيد مدعي عام! سوف أبقى في الموضوع بالتأكيد، وإلا يمكن أن يزول حال الأشياء على نحو سيئ. ربما أعرف ذلك أفضل منك. فلو أنني لم أبقَ في الموضوع أمام ماو تسي-تونغ في منشوريا، لكانت النار قد أطلقت عليّ غالباً في نفس المكان واللحظة.»

«كان ذلك سيوفر الكثير من المشاكل بلا ريب»، قال النائب العام رانيليد.

«على أي حال، لم يعتقد بيني أنه لن يتسنّى للمسيح الوقت ليعود إلى الأرض بينما كنا في سمولاند، وحسب ما وصلت إليه معرفتي، كان بيني محقاً في ذلك...»

«كارلسون!»

«آه، نعم. حسناً، ذهبنا ثلاثتنا بالسيارة إلى سمولاند قبل أن نُخطر بير-غونار بذلك أولاً، وكانت تلك غلطة بطبيعة الحال.»

«نعم، كانت كذلك»، أضاف بير-غونار عند هذه النقطة. «أعتقد أنه كان بوسعي انتظار الأناجيل بضعة أيام؛ لم تكن تلك قضية. ولكن، كما ترى، سيدي المدعي العام، اعتقدت أن البرغي ارتكب حماقة ما مع يوليوس وآلَن وبيني. لم يحبّ البرغي أبداً فكرة أن تبدأ «ليس ثانية أبداً» بنشر الأناجيل. وبطبيعة الحال، لم يتحسّن شعوري عندما قرأت الصحف!»

أومأ المدعي العام برأسه مطرقاً. ربما يكون هناك شيء يشبه المنطق هنا بعد كل شيء. وعندئذ، تحول إلى بيني.

«ولكن، عندما قرأت عن اشتباه محتمل باختطاف رجل في المائة من عمره -لماذا لم تتصل بالشرطة؟

«حسناً، لقد خطر لي ذلك في الحقيقة. لكنني عندما أثرت الموضوع مع آلَن ويوليوس، رفضا السماح بذلك. قال يوليوس إنه لا يتحدث أبداً مع الشرطة من حيث المبدأ، وقال آلَن إنه هاربٌ من دار المسنين، وأنه لا يرغب بالتأكيد بأن يُعاد إلى المديرة

أليس، فقط لأن الصحف والتلفاز فهما هذا الشأن وذاك خطأ.»

«أنت لا تتحدث إلى الشرطة من حيث المبدأ؟» قال المدعي العام رانيليد ليوليوس يونسون.

«لقد صادفت بعض سوء الحظ في علاقاتي مع الشرطة على مر السنين. ولكن، بعد اللقاءات السارة –مثل اللقاء مع كبير المفتشين أرونسون أمس ومعكم اليوم، سيدي المدعي العام– أنا سعيد بقبول استثناء. هل تريد مزيداً من القهوة؟»

نعم، يريد المدعي العام ذلك في الحقيقة. إنه يحتاج إلى كل الطاقة والقوة اللتين يستطيع حشدهما للوصول بهذا اللقاء إلى نوع من النظام، ثم ليتمكن من تقديم شيء للإعلام في الساعة الثالثة. شيء يكون حقيقياً، أو يتسم بشيء من المصداقية على الأقل. لكن المدعي العام لم يرد أن يفلت بيني من ورطته.

«ولماذا لم تتصل بصديقك بير-غونار غيردن؟ لا بد أنك أدركت أنه سيقرأ عنكم في الصحيفة.»

«اعتقدت أن الشرطة والمدعي العام ربما لم يكونوا قد علموا بعد بحقيقة أن بير-غونار قد قابل المسيح، ولذلك سيكون هاتفه تحت المراقبة. وعليك أن تعترف، سيدي المدعي العام، بأنني كنت على حق.»

غمغم المدعي العام بشيء ما، وكتب ملاحظة، وندم على تركه ذلك التفصيل يخرج إلى الصحفيين، لكن ما حدث قد حدث. والتفت إلى بير-غونار غيردن.

«سيد غيردن، يبدو أنك قد أُعلِمتَ بالمكان الذي يتواجد فيه أَلَنْ كارلسون وأصدقاؤه. من أين جاءتك تلك المعلومة؟»

«للأسف، ربما لن نعرف ذلك أبداً. لقد أخذ زميلي هذه المعلومة معه إلى قبره. أو إلى ساحة الخردة، على وجه الدقة.»

«وماذا كانت المعلومة؟»

«أن ألن، وبيني، وصديقته شوهدوا في روتني في سمولاند. اتصل صديق للسطل، كما أعتقد. كنت مهتماً بشكل رئيسي بالمعلومة أيضاً. علمت أن صديقة بيني تعيش في سمولاند وأن لها شعراً أحمر. وهكذا، أمرت السطل بالذهاب إلى روتني والوقوف

خارج السوبرماركت. لأنه يجب عليك أن تأكل...»

«وكان للسطل سعيداً بذلك الالتزام، بحق يسوع؟»

«حسناً، ليس تماماً! إنك تضرب الأمر على رأسه هناك، سيدي المدعي العام. يستطيع المرء قول الكثير عن السطل، أما... متدين؟ كلا، لم يكن كذلك أبداً. إذا كان ثمة شيء، فهو أنه كان أكثر ضيقاً من البرغي فيما يتعلق بالاتجاه الجديد الذي اتخذه النادي. وقد تحدث عن الذهاب إلى روسيا أو دول البلطيق والالتحاق بعمل المخدرات هناك... هل سبق وأن سمعت شيئاً مروعاً كهذا؟ ربما يكون قد فعل ذلك، لكن عليك أن تسأله عن هذا بنفسك... كلا، ذلك ليس ممكناً....»

نظر المدعي العام إلى بير-غونار غيرن بنوع من الشك.

«لدينا تسجيل صوتي، تماماً كما افترضّ بيني يونغبيرغ. وفيه، تشير إلى غونيلا بيوركلُند بصفة «الكهلة» ثم بعد قليل في المحادثة تشتم ببذاءة أيضاً. ما هو رأي الربّ في هذا الموضوع؟»

«آه، إن الرب سريع الغفران، كما ستعرف سريعاً إذا فتحت الكتاب الذي أُعطيَ لك توّاً.»

«قال يسوع: 'فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ،'» قال بوسي متدخلاً.

«الإنجيل وفق يوحنا؟ قال كبير المفتشين أرونسون، الذي اعتقد أنه ميز الاقتباس من الساعات التي قضاها في ركن حانة الفندق في المساء السابق.

«هل تقرأ الإنجيل؟» سأله المدعي العام رانيليد مندهشاً.

لم يجب كبير المفتشين أرونسون، لكنه ابتسم للمدعي العام رانيليد بورع.

«اخترت تلك اللهجة لأنني أردت أن يميز السطل ذلك النمط المعروف من الأيام الخوالي؛ اعتقدت أن ذلك ربما يجعله يطيع الأوامر»، فسر بير-غونار غيردن.

«وهل فعل؟» تساءل المدعي العام.

«نعم ولا. لم أكن أريده أن يكشف نفسه لآلّن ويوليوس وبيني وصديقته، لأنني اعتقدت بأن سلوكه غير المألوف لن يروق كثيراً للمجموعة.»

«لم يكن يروق بالتأكيد»، أضافت الجميلة.

«كيف ذلك؟» تساءل المدعي العام رانيليد.

«حسناً، جاء مشحوناً إلى مزرعتي وكان يدخن ويشتم وأراد الكحول... أستطيع تحمل الكثير والتسامح معه، لكنني لا أستطيع التكيف أبداً مع الأشخاص الذين يلجأون إلى الشتائم البذيئة.»

تمكن كبير المفتشين أرونسون بصعوبة من تجنب الاختناق وقد غُصّ بكعكته. كانت للجميلة في الأمسية الماضية القريبة فقط تجلس هناك في الشرفة وتشتم ببذاءة بلا توقف حتى لالتقاط نفس. وتأكد أرونسون أكثر وأكثر أنه لا يريد معرفة الحقيقة مطلقاً في هذه الفوضى. إن الأمور كلها على ما يرام كما هي. ومضت الجميلة إلى القول:

«أنا متأكدة تماماً أنه كان مخموراً عندما وصل، وتأمل فقط، جاء في سيارة أيضاً! ثم انطلق في المكان وهو يلوح بمسدسه مستعرضاً، وقال إنه سوف يذهب لتسليم المخدرات في... ريغا، كما أعتقد. ولذلك صرخت فيه، نعم، سيدي المدعي العام: «لا أسلحة على أرضي!» وجعلته يضع مسدسه هناك على الشرفة. لا أعتقد أنني التقيت أبداً برجل أكثر سوءاً في المزاج والإزعاج...»

«ربما كانت الأناجيل هي التي جعلته يفقد أعصابه»، قال ألن. «يمكن أن يثير الدين بسهولة مشاعر الناس. ذات مرة، عندما كنت في طهران...»

«طهران؟» بادره المدعي العام.

«نعم، قبل بضع سنوات، ذلك أكيد. كانت الأمور على ما يرام في تلك الأيام، كما قال لي تشيرشل عندما غادرنا بالطائرة.»

«تشيرشل؟» قال المدعي العام.

«نعم، رئيس الوزراء. أو ربما لم يكن رئيس الوزراء في ذلك الوقت، وإنما سابقاً. ولاحقاً، في الحقيقة.»

«أعرف بحق الشيطان من كان تشيرشل، أنا فقط... أنت وتشيرشل معاً في طهران؟»

«لا شتائم، سيدي المدعي العام!» قالت الجميلة.

«كلا، ليس معاً بالضبط. كنت أعيش لبعض الوقت مع مبشّر. كان خبيراً في جعل الناس يفقدون صوابهم.»

كان فقدان الصواب هو بالضبط ما يفعله المدعي العام رانيليد الآن. لقد أدرك لتوه أنه يحاول استخلاص الحقائق من رجل في المائة من عمره، والذي يزعم أنه قابل فرانكو، وترومان، وماو تسي-تونغ، وتشيرشل. لكن فقدان رانيليد صوابه لم يزعج ألَنْ. فمضى إلى القول:

«طاف السيد السطل الشاب مثل غيمة برق بشرية كل الوقت الذي تواجد فيه في مزرعة البحيرة. وقد أرعد مرة واحدة فقط، وكان ذلك عندما غادر. عندئذ، فتح نافذة سيارته وصرخ: «لاتفيا، ها أنا قادم!» وقد آثرنا تفسير ذلك على أنه يعني أنه في طريقه إلى لاتفيا، لكنك أنت، سيد مدعي عام، أكثَر خبرة في شؤون الشرطة، ولذلك ربما يكون لديك تفسير مختلف؟»

«أحمق!» قال المدعي العام.

«أحمق؟» قال ألن. «لم يدعُني بذلك أحد من قبل. كلبٌ وفأر، نعم، ترك ستالين هاتين الصفتين تنزلقان من فمه عندما كان في قمة غضبه، وإنما ليس أحمق أبداً.»

«إذن، حان الوقت لذلك»، قال المدعي العام رانيليد.

عندئذ، هتف بير-غونار غيردن مقاطعاً:

«هيه، الآن، لا حاجة بك إلى الغضب لمجرد أنك لا تستطيع أن تحتجز أي شخص عندما تريد ذلك، سيدي المدعي العام. هل تريد سماع بقية القصة، أم لا؟»

نعم، أراد المدعي العام سماعها، ولذلك تمتم باعتذار ما. أو ربما لم تكن «أراد» هي الكلمة المناسبة... كان مضطراً ببساطة إلى سماعها. ولذلك ترك بير-غونار يستمر في حديثه:

«وهكذا، بالنسبة لنادي «ليس ثانية أبداً»، ذهب البرغي إلى إفريقيا ليصبح جندياً فرنسياً، والسطل إلى لاتفيا ليبدأ عملاً في المخدرات، وكاراكاس عاد إلى الوطن... حسناً، عاد إلى الوطن. كل ذلك ترك لي القليل، وحيداً تماماً، مع المسيح إلى جانبي فقط، بطبيعة الحال.»

«صحيح»، تمتم المدعي العام. «أكمِل!»

«اتخذت طريقي إلى مزرعة البحيرة لرؤية غونيلا، صديقة بيني. فقد اتصل السطل على الأقل وأخبرني بالعنوان قبل أن يغادر البلاد.»

«مممم. لدي بعض الأسئلة بهذا الشأن»، قال المدعي العام رانيليد. الأول لك، يا غونيلا بيوركلُند. لماذا غادرتِ المزرعة، واشتريتِ حافلة قبل أيام من مغادرتك -لماذا غادرتِ من الأساس؟»

في الليلة السابقة، كان الأصدقاء قد قرروا الإبقاء على سونيا خارج الموضوع كله. فتماماً مثل ألن، كانت سونيا هاربة، لكنها على العكس من ألن، لا تتمتع بحقوق المواطن. ربما لا تُعتبر سويدية مثله، وفي السويد، تماماً مثل معظم البلدان، لا يكون لك كبير قيمة إذا كنت أجنبياً. وهكذا، ربما يتم ترحيل سونيا أو الحكم عليها بالسجن المؤبد في حديقة حيوانات، أو كلا الأمرين معاً.

«صحيح أن الحافلة اشتُرِيت باسمي»، قالت الجميلة، لكنني أنا وبيني اشتريناها معاً في الحقيقة، اشتريناها لبوسّي، شقيق بيني.»

«وكان سيملؤها بالأناجيل؟» انفجر المدعي العام. لم يعد قادراً على التحكم بمزاجه وتصرفاته.

«كلا، بالبطيخ»، أجاب بوسّي. «هل تريد تذوق ألذ وأحلى بطيخ في العالم، سيدي المدعي العام؟»

«كلا، لا أريد»، أجاب المدعي العام رانيليد. «أريد الحصول على بعض الوضوح لما تبقى من القصة، ثم أعود إلى دياري وأجتاز مؤتمري الصحفي بسرعة، ثم أريد أن آخذ إجازة. هذا ما أريده. والآن، دعونا نستمر. لماذا بحق الجحيم... مممم، لماذا بحق السماء غادرتم مزرعة البحيرة عندما وصل بير-غونار غيردن؟»

«لكنهم لم يكونوا يعرفون أنني كنت في طريقي إلى هناك»، قال بير-غونار غيردن. «هل تجد صعوبة في المتابعة، سيدي المدعي العام؟»

«نعم، هو كذلك»، قال المدعي العام رانيليد. «آينشتاين نفسه سيجد من الصعب المتابعة لو أنه اضطر إلى سماع هذا الهراء.»

«الآن وقد ذكرت آينشتاين...»، قال آلَن.

«كلا، سيد كارلسون»، قال المدعي العام رانيليد بصوت حازم. لا أريد سماع ما فعلتماه أنت وآينشتاين معاً. بدلاً من ذلك، أريد أن يفسر لي السيد غيردن كيف جاء «الروس» إلى الصورة.

«الروس؟» قال بير-غونار غيردن.

«نعم، الروس. لقد قمعت حديث زميلك السطل عن «الروس» في محادثتك التي جرى التنصت عليها. وشكوت من أن السطل لم يتصل بك عن طريق هاتفك ذي البطاقات المدفوعة مُسبقاً، وأجاب السطل بأن ذلك ينطبق فقط عندما يكون لك عمل مع الروس.»

«ذلك شيء لا أريد التحدث عنه»، قالَ بير-غونار غيردن، بشكل رئيسي لأنه لم يعرف ما يقول.

«لكنني أريد»، قال المدعي العام رانيليد.

ران الصمت حول الطاولة. لم تكن الصحف قد ذكرت ذلك الجزء عن الروس في محادثة غيردن الهاتفية، ولم يتذكر غيردن نفسه ذلك الأمر. لكن بيني قال عندئذ:

«يسلي تشيلوفيك كوريت، أون بلوتشو إيغريت فو فوتبول.» وحدّق الجميع فيه بذهول.

«المقصود بـــالروس أنا وأخي»، فسّر بيني. «كان أبونا -ليتغمده الله بواسع رحمته- وعمّي فراسّي -فليرحمه الله أيضاً- أحمرين قليلاً. ولذلك جعلاني أنا وأخي نتعلم الروسية عندما كنا أطفالاً، ولقبنا المعارف بالروس. ذلك هو ما قلته للتوّ، وإنما بالروسية طبعاً.»

مثل كل شيء آخر في هذا الصباح المخصوص، كان لما قاله بيني القليل جداً من الصلة بالحقيقة. وإنما حاول ببساطة انتشال بابك غيردن من ذلك الموقف الضيّق. وكان بيني قد أكمل تقريباً متطلبات البكالوريوس في اللغة الروسية (لم يقم أبداً بتسليم المقالات النهائية لنيل الدرجة)، لكن ذلك حدث قبل وقت طويل، وكان كل ما استطاع بيني أن يتذكره وهو في عجلة من أمره، هو عبارة:

«إذا كنت تدخن، فإنك لن تصلح كثيراً للعب كرة القدم.»

لكن ذلك نفع. وكان ألَنْ هو الشخص الوحيد الذي فهم ما قاله بيني بين الحاضرين.

أصبح ذلك كثيراً جداً على المدعي العام رانيليد: أولاً: كل هذه الإحالات الغبية لشخصيّات تاريخية، ثم أناس يتحدثون الروسية....

«هل تستطيع أن تفسر، سيد غيردِن، كيف قام أصدقاؤك أولاً بصدمك وقتلك، ثم نهضت من بين الموتى وتجلس الآن هنا و... تأكل البطيخ؟ وهل أستطيع أن أتذوق ذلك البطيخ، بعد كل شيء؟»

«بالطبع»، قال بوسّي. «لكن الوصفة ستبقى سرية مع ذلك! أو كما يقول المثل: «إذا كان الطعام سيصبح لذيذاً حقاً، فإنك لا تريد أن يراقبك مفتش للطعام عندما تصنعه.»

ولم يكن ذلك مثلاً سمع به كبير المفتشين أرونسون، ولا المدعي العام رانيليد أبداً من قبل. لكن أرونسون قرر مرة وللأبد أن يبقى هادئاً بأكبر قدر ممكن، ولم يكن رانيليد يتمنى شيئاً الآن أكثر من الوصول بكل ذلك إلى نهاية... مهما كانت... ويغادر. ولذلك لم يطلب تفسيراً. وبدلاً من ذلك، أشار إلى أن البطيخ المذكور هو ألذ شيء تناوله في حياته.

شرح بير-غونار غيردن كيف أنه وصل إلى مزرعة البحيرة تماماً عندما كانت الحافلة تغادر، وكيف ذهب ليبحث في المكان وأدرك أن الحافلة ربما تحمل أصدقاءه، وكيف أنه قام عندئذ بمطاردتها، وفقد السيطرة على سيارته في انزلاق –و، حسناً، لم تكن صور السيارة المحطمة مشهداً غير مألوف للمدعي العام، كما يفترض.

«لا مفاجأة في أنه لحق بنا»، أضاف ألَنْ، بعد أن ظل صامتاً لفترة. كانت لديه قوة أكثر من ثلاثمائة حصان تحت غطاء المحرك. ليس مثل للفولفو بي في ٤٤٤ التي أخذتني لزيارة رئيس الوزراء إيرلاندر. بقوة أربعة وأربعين حصاناً! كان ذلك كثيراً في تلك الأيام. وأتساءل كم حصاناً كانت قوة غوستافنسون عندما انعطف إلى فناء منزلي بالخطأ...»

«توقف عن ذلك... من فضلك، سيد كارلسون، قبل أن تقضي عليّ»، قال المدعي العام رانيليد.

وأكمل رئيس «ليس ثانية أبداً» قصته. لقد فقد، بطبيعة الحال، القليل من الدم في السيارة المحطمة، بل كثيراً منه في الحقيقة، لكنه سرعان ما تم تضميده ولم يجد من الضروري أن يذهب إلى المستشفى من أجل مجرد جرح صغير، وذراع مكسورة، وارتجاج في الدماغ، وبضعة أضلاع مكسورة.

«علاوة على ذلك، كان بيني قد درس الأدب»، قال ألَنْ.

«الأدب؟» كرر المدعي العام.

«هل قلتُ الأدب؟ قصدتُ الطبّ.»

«لقد درستُ الأدب أيضاً»، قال بيني. «ربما يكون المفضل لديّ فوق الجميع هو كاميلو خوسيه ثيلا، وخاصة روايته الأولى، من الأربعينيات، عائلة....»

«عد إلى القصة.»

وحدث أن المدعي العام نظر خلال التماسه باتجاه ألَنْ، ولذلك قال ألَنْ:

«اسمع لنا، سيد مدعي عام، لقد قلنا لك كل شيء. لكنك إذا أردت بالتأكيد أن تسمعنا نقول شيئاً أكثر، فإنه ربما يمكنني أن أتذكر مغامرة أو اثنتين من الوقت الذي قضيته جاسوساً للسي آي إيه -بل، وربما الأفضل من رحلتي عبر جبال الهيمالايا. وهل تريد وصفة صنع الفودكا من حليب الماعز؟ كل ما تحتاجه هو حبة بنجر والقليل من أشعة الشمس. وبعض حليب الماعز بطبيعة الحال.»

في بعض الأحيان، يبدو فمك وأنه يذهب في طريقه الخاص بينما يقف دماغك ساكناً في محله، وربما يكون ذلك هو ما حدث مع المدعي العام رانيليد عندما حدث -على عكس ما قرره تواً- ولن علّق على هراء ألَنْ الأخير.

«أنت عبرت الهيمالايا، في عمر المائة؟»

«كلا، لا تكن سخيفاً»، قال ألَنْ. «كما ترى، سيدي المدعي العام، لم أكن دائماً في المائة من عمري. كلا، هذا جديد.»

«هل نستطيع أن ننتقل...»

«كلنا ننمو ونصبح أكبر سناً»، أكمل ألَنْ. ربما لا تفكر هكذا وأنت طفل. خذ السيد كيم يونغ إيل الشاب، على سبيل المثال. جلس ذلك الصبي التعيس يبكي على ركبتي،

لكنه الآن رئيس دولة، مع كل ما يستتبع ذلك....»

«لا عليك، كارلسون.»

«أنا آسف. كنت تريد سماع قصة عندما عبرت جبال الهيمالايا، سيد مدعي عام. حسناً، لعدة أشهر كان رفيقي الوحيد جمل، ولك أن تقول ما تريد عن الجمال، إنها ليست مصدر فرح...»

«كلا!» هتف المدعي العام رانيليد. «لا أريد سماع ذلك أبداً. أريد فقط... لا أعرف...»

ثم صمت المدعي العام رانيليد لحظات، قبل أن يقول بصوت هادئ إنه لم تعد لديه أسئلة أخرى... ربما باستثناء أنه لم يستطع فهم السبب في أن الأصدقاء ظلوا مختفين لعدة أسابيع عندما لم يكن هناك شيء يختبئون منه.

«كنتم بريئين، ألم تكونوا كذلك؟»

«لكن البراءة يمكن أن تعني عدة أشياء، اعتماداً على المنظور الذي تعتمده»، قال بيني.

«كنت أفكر على نفس المنوال»، قال ألَنْ. «خذ الرئيس جونسون وديغول على سبيل المثال. من كان المذنب ومن كان البريء عندما يتعلق الأمور بعلاقتهما السيئة؟ أبقِ في بالك أنني لم أثر هذه المسألة عندما التقينا، كانت لدينا أمور أخرى لنتحدث عنها، ولكن...»

«أرجوك، سيد كارلسون»، قال المدعي العام رانيليد. «أتوسل إليك، اصمت لطفاً.»

ليس عليك أن تركع على ركبتيك، سيدي المدعي العام. سأكون هادئاً مثل فأر من الآن فصاعداً، أعدك بذلك. خلال سنواتي المائة، زلق لساني مرتين فقط. الأولى عندما أخبرت الغرب كيف تبني قنبلة ذرية، ثم عندما فعلت الشيء نفسه للشرق.»

نهض المدعي العام رانيليد ببطء، وبانحناءة رأس شكرهم بهدوء على البطيخ، على القهوة، والكعك، و، على المحادثة... وعلى حقيقة أن الأصدقاء في مزرعة بيلرينغر كانوا متعاونين جداً. وركب بعدها سيارته وانطلق مبتعداً.»

«ذلك مضى على ما يرام»، قال يوليوس.

«لقد فعل في الحقيقة»، قال آلن. «أعتقد أنني غطيت معظمه.»

***

في سيارته على الطريق السريع، أرخى الشلل الدماغي قبضته عن المدعي العام رانيليد بالتدريج. استعرض القصة التي قيلت له، مضيفاً شيئاً هنا، وحاذفاً شيئاً هناك (حاذفاً في المقام الأول)، ورتق ورقّع ولمّع حتى شعر بأن لديه قصة مرتبة جيداً وستنفع حقاً. كان الشيء الوحيد الذي أقلقه فعلاً هو أن الصحفيين لن يصدقوا أن آلَنْ كارلسون المئوي حمّل مسبقاً رائحة موته. وعندئذ خطرت للمدعي العام رانيليد فكرة. كلبة الشرطة اللعينة تلك... يمكنهم إلقاء اللوم كلّه على كاهل الكلبة؟

لو يستطيع رانيليد جعل الأمر يبدو وكأن الكلبة كانت مجنونة! وظهرت للمدعي العام احتمالات لا يمكن تخيلها حتى يهرب بجلده. ستكون القصة عندئذ أنه لم تكن هناك أي جثة قط على عربة الترولّي في غابة سودرمانلاند، وهو السبب في أنه لم يتم العثور على جثة. لكن المدعي العام خُدع إلى الاعتقاد بالعكس، وذلك قاد بدوره إلى عدد من الاستنتاجات المنطقية والقرارات –التي تبيّن أنها خاطئة كليّة. لكنك لا تستطيع لوم المدعي العام على ذلك. كان الأمر كله خطأ الكلبة.

يمكن أن يكون ذلك عبقرياً ورائعاً، فكر المدعي العام رانيليد. قصة الكلبة التي فقدت لمستها تحتاج فقط إلى تأكيد من مصدر آخر. وعندئذ، فإنّ كيكي –هل ذلك هو اسمها؟– ينبغي أن تنهي أيامها بسرعة. لن ينفعها أن تثبت مهاراتها بعد أن يشرح المدعي العام ما حدث.

كان للمدعي العام فضل على مدرب كيكي منذ ذلك الوقت، قبل بضع سنوات، عندما تمكن بهدوء من إخفاء أثر قصة شرطي مشتبه به في السرقة من متجر «سفن إلفن.» لا ينبغي إنهاء الحياة المهنية لشرطي بسبب كعكة نسي أحد ما أن يدفع ثمنها، فكر رانيليد. لكن الوقت حان الآن ليرد مدربُ الكلبة الجميل.

«وداعاً، كيكي»، قال المدعي العام رانيليد وابتسم للمرة الأولى منذ دهور.

بعد ذلك بوقت قصير، رنّ هاتفه. كان ذلك رئيس شرطة المقاطعة. وقد حطّ تقرير التشريح وتحديد الهوية توّاً على مكتبه.

«الجثة المضغوطة في ساحة الخردة هي هنريك هولتِن»، قال رئيس الشرطة.

«لطيف سماع ذلك»، قال المدعي العام رانيليد. «وجميل أنك اتصلت! هل تستطيع أن تصلني بالاستقبال؟ أحتاج العثور على روني باكمان، مدرب الكلاب...»

***

بعد أن لوّح الأصدقاء في بيلرينغر مودعين للنائب العام رانيليد، عادوا إلى طاولة المطبخ بناءً على اقتراح ألَنْ. هناك، كما قال، مسألة تحتاج إلى حل.

بدأ ألَنْ الاجتماع بسؤال كبير المفتشين أرونسون عما إذا كان لديه شيء ليقوله عمّا قيل توّاً للنائب العام رانيليد. ربما يفضل كبير المفتشين الذهاب في نزهة بينما يعقد الأصدقاء اجتماعهم؟

أجاب أرونسون بأنه يعتقد أن القصة كانت واضحة ومناسبة بكل الطرق الممكنة. وبالقدر الذي يهم رئيس الشرطة، فإن القضية أغلِقت، وإذا سمحوا له بالبقاء جالساً إلى الطاولة، فإنه سيكون سعيداً بذلك. إنه هو نفسه ليس خالياً من الخطيئة، قال أرونسون، ولن يكون الشخص الذي سيلقي الحجر الأول، ولا حتى الثاني، في هذا الصدد.

«ولكن، اصنعوا لي معروفاً بعدم قول أشياء لا أعتقد حقاً بأنني أحتاج معرفتها. أعني، إذا كان يجب أن تكون هناك إجابات بديلة عن تلك التي أعطيتموها توّاً لرانيليد...»

وعد ألَنْ، وأضاف بأن صديقه أرونسون موضع ترحيب ليبقى.

صديقه أرونسون، فكر أرونسون. خلال عمله على مدى السنوات، صنع أرونسون العديد من الأعداء بين أكثر أشرار البلد تجرداً من القيم والضمير، ولكن ليس صديقاً واحداً. وفكر بأن الوقت قد حان لذلك! وهكذا، قال إنه إذا رغب ألَنْ والآخرون في ضمه إلى دائرة صداقتهم، فإنه سيكون فخوراً وسعيداً معاً.

أجاب ألَنْ بأنه كان خلال حياته الطويلة على قدم المساواة الرفاقية مع كل من الرؤساء والكهنة، ولكن ليس مع شرطي حتى الآن. وبما أن صديقهم أرونسون لا يريد

أن يعرف الكثير حتماً، وعد ألَنَ بعدم قول شيء عن المكان الذي جاءت منه كومة نقود المجموعة. من أجل خاطر الصداقة.

«كومة نقود؟» سأل كبير المفتشين أرونسون.

«نعم، تعرفُ تلك الحقيبة؟ قبل أن تحتوي على الأناجيل فائقة الرقة في أغلفة الجلد الأصلي، كانت مملوءة إلى الحافة بأوراق نقدية من فئة الخمسمائة كرونة. حوالي خمسين مليون كرونة.»

«ماذا بحق الشيطان...» قال كبير المفتشين أرونسون.

«اشتم إذا أردت»، قالت الجميلة.

«خمسون مليوناً؟» سأل كبير المفتشين أرونسون.

«ناقصة بعض المصاريف في مسار رحلتنا»، قال ألَنْ. «والآن، على المجموعة أن تحدد من هو الذي يمتلكها. وبذلك سأطلب إلى بايك أن يتحدث.»

حك بير-غونار بايك أذنه. ثم قال إنه يريد أن يبقى الأصدقاء والملايين متماسكين معاً. ربما يستطيعون الذهاب في عطلة معاً، لأنه لم يعد هناك ما يتوق إليه بايك الآن أكثر من أن يُقدم له المشروب الملوّن تحت مظلة في مكان ما بعيد، بعيد جداً. وإلى جانب ذلك، حدث أن بايك عرّف عن وجود ميول من طبيعة مماثلة لدى ألَنْ.

«ولكن من دون المظلة»: قال ألَنْ.

قال يوليوس إنه يتفق مع ألَنْ على أن الحماية من المطر فوق الفودكا ليس واحدة من ضروريات الحياة، خاصة إذا كنت مستلقياً بالفعل تحت مظلة وكانت الشمس تشرق من سماء زرقاء صافية. لكنه اعتقد أيضاً بأن الأصدقاء ليسوا في حاجة إلى التجادل حول ذلك. بدت فكرة العطلة المشتركة شيئاً رائعاً.

ابتسم كبير المفتشين بخجل لدى سماع الفكرة، غير مجترئ على افتراض أنه ينتمي إلى المجموعة. وقد لاحظ بيني ذلك، وعندها وضع ذراعه حول كتف كبير المفتشين وسأل كيف يحِبُّ ممثل قوة الشرطة أن تقدَّم إليه مشروباته. وابتسم كبير المفتشين، وكان على وشك الإجابة عندما أحبطت الجميلة كل شيء دفعة واحدة.

«لن أتحرك خطوة واحدة من دون سونيا والمغفل!»

ثم صمتت لوهلة قبل أن تضيف:

«ليس حتى بمقدار فرصة كرة الثلج في الجحيم!»

وبما أن بيني من جانبه لا يستطيع مجرد التفكير في قطع خطوة واحدة من دون الجميلة، فقد تبخر حماسه سريعاً.

«إلى جانب ذلك، لا أظن أن نصفنا يمتلكون حتى جواز سفر ساري المفعول، وتنهد.»

لكن ألَنْ شكر بايك بهدوء على كرمه فيما يتعلق بكيفية تقاسم نقود الحقيبة على أفضل وجه. واعتقد بأن العطلة فكرة جيدة، ويفضل أن تكون على بُعد أكبر قدر من آلاف الأميال عن المديرة أليس. وإذا وافق أفراد المجموعة الآخرون فقط، فإنهم سيستطيعون بالتأكيد تدبر طريقة لحل قضايا النقل، وأن يجدوا وجهة لا تكون كبيرة الحساسية إزاء تأشيرات البشر والحيوانات.

«وكيف تنوي أن تأخذ معك فيلة وزنها خمسة أطنان في طائرة؟» قال بيني بيأس.

«لا أعرف»، قال ألَنْ. «لكننا طالما فكرنا بإيجابية، فإن الحل سيظهر.»

«وجوازات السفر سارية المفعول؟»

«طالما فكرنا بإيجابية»، كما قلت.

«لا أعتقد أن سونيا تزن حقاً أكثر بكثير من أربعة أطنان، ربما أربعة أطنان ونصف على أبعد تقدير»، قالت الجميلة.

«كما ترى، بيني»، قال ألَنْ. «ذلك ما أعنيه بالتفكير بإيجابية. أصبحت المشكلة فوراً أقل بطنّ كامل.»

«ربما تكون لدي فكرة»، قالت الجميلة.

«وأنا أيضاً»، قال ألَنْ. «هل أستطيع استخدام هاتفك؟»

ست وعشرون
١٩٦٨-١٩٨٢

عاش يوري بوريسوفيتش وعمل في مدينة ساروف في نيزني نوفغورود، على بعد حوالي ٢٢٠ ميلاً إلى الجنوب الشرقي من موسكو.

كانت ساروف مدينة سرية، بل أكثر سرية من العميل السري هوتون تقريباً. بل إنه لم يكن مسموحاً حتى بأن تُدعى ساروف بعد الآن، وإنما أعطيت اسماً لم يكن رومانسياً بشكل خاص: آرزاماس-١٦. وإلى جانب ذلك، أزيلت المدينة كلها عن كافة الخرائط. كانت ساروف موجودة وغير موجودة في الوقت نفسه، اعتماداً على ما إذا كنت تشير إلى الواقع أم إلى شيء آخر -شيء يشبه وضع فلاديفوستوك لبضع سنوات منذ العام ١٩٥٣ فصاعداً، سوى أنه العكس.

كانت أرزاماس-١٦ محاطة بالأسلاك الشائكة، ولم يكن يُسمح لروح واحدة بأن تدخل أو تخرج بلا تدقيق أمني قوي. وإذا كان لديك جواز سفر أمريكي وكنت تقيم في السفارة الأمريكية في موسكو، فإنه ليس من المستحسن أن تأتي إلى أي مكان قريب.

تدرب عميل السي آي إيه، ريان هوتون، وتلميذه الجديد ألَنْ كارلسون على أبجديات التجسس من الألف إلى الياء لعدة أسابيع قبل أن يتم تثبيت ألَنْ في السفارة الأمريكية في موسكو تحت اسم أَلِنْ كارسون، وبوصف وظيفي غامض «مسؤول.» وعلى نحو أحرج العميل السري هوتون، فقد أهمل تماماً حقيقة أن الهدف الذي سيقصده ألَنْ

كارلسون غير قابل للاقتراب منه، حيث يقبع مغلقاً عليه خلف الأسلاك الشائكة في مدينة محميّة جيداً حتى أنه لم يكُن يُسمح بأن تسمى باسمها، لو أن تكون حيث هي.

أخبر العميل السري هوتون تلميذه ألَنْ بأنه آسف على الغلطة، لكنه أضاف أن السيد كارلسون سيفكر بالتأكيد في شيء ما. لا بد أن بوبوف يزور موسكو بين الحين والآخر.

«لكن عليك أن تعذرني الآن، سيد كارلسون»، قال العميل السري هوتون على الهاتف من العاصمة الفرنسية. لدي بعض الأعمال الأخرى على مكتبي. حظاً سعيداً!»

وضع العميل السري هوتون السماعة، وتنهد بعمق، وعاد إلى فوضى ما بعد الانقلاب العسكري الذي وقع في اليونان في السنة الماضية –المدعوم من السي آي إيه. إنه، مثل الكثير جداً غيره في الأوقات الأخيرة، لم يسفر بالضبط عما كان مقصوداً.

لم تكن لدى ألَنْ، من جانبه، أي فكرة أفضل من القيام بنزهة منعشة على الأقدام إلى مكتبة المدينة في موسكو كل يوم، حيث يجلس ساعات ليقرأ الصحف اليومية والمجلات. وكان يأمل بالعثور على مادة تخبر عن ظهور علني ليوبوف خارج الأسلاك الشائكة التي تحيط بأرزاماس-١٦.

تعاقبت الشهور ولم تظهر مثل هذه الأخبار. لكن ألَنْ استطاع أن يقرأ الأخبار عن كيف لقي المرشح الرئاسي روبرت كنيدي نفس مصير أخيه، وكيف أن تشيكوسلوفاكيا طلبت مساعدة الاتحاد السوفياتي في إعادة النظام لاشتراكيتها.

وبالإضافة إلى ذلك، لاحظ ألَنْ ذات يوم أن ليندون بي. جونسون ذهب، وخلفه رجل يدعى ريتشارد م. نيكسون. ولكن، وبما أنه ما يزال يتلقى نفقاته من السفارة في مغلف كل شهر، فقد اعتقد ألَنْ أن من الأفضل له الاستمرار في البحث عن بوبوف. وإذا ما تغير شيء، فإن العميل السري هوتون سيتصل بلا شك.

تحول العام ١٩٦٨ إلى ١٩٦٩ وكان الربيع يقترب عندما عثر ألَنْ أثناء تقليبه الأبدي لصفحات الصحف في المكتبة على شيء مثير للاهتمام. كانت أوبرا فيينا على

وشك تقديم عرض من عروض الفرق الضيفة على مسرح البولشوي في موسكو، حيث يؤدي فرانكو كوريللي التينور، وتؤدي النجمة السويدية العالمية بيرجت نيلسون دور توراندوت.

حكَّ ألَنْ نقنه الحليقة (مرة أخرى الآن) وتذكر الأمسية الأولى والوحيدة الكاملة التي قضاها هو ويوري معاً. في وقت متأخر من ذلك الليل، شرع يوري في غناء مقطوعة. كانت «نيسون دورما» هي ما غناه –ليس مسموحاً لأحد بالنوم! وبعد وقت ليس بالطويل، سقط نائماً لأسباب تتعلق بالكحول، لكن ذلك كان شأناً آخر.

وفق طريقة ألَنْ في التفكير، فإن شخصاً تمكّن ذات مرة من تقديم أداء جيد، بدرجة أو بأخرى، لأوبرا بوتشيني وتوراندوت على عمق سبعمائة قدم، سيفوّت بالكاد أداء ضيوف من فينا يؤدون نفس الأوبرا على مسرح البولشوي في موسكو، هل يفعل؟ خاصة إذا كان الرجل المعنيّ يعيش على بعد بضع ساعات فقط، وأنه تلقى العديد من الأوسمة بحيث لن يصادف صعوبة في الحصول على مقعد.

أم أنه ربما يفعل. في تلك الحالة، سيكون على ألَنْ أن يستمر في نزهاته اليومية إلى المكتبة ومنها. ذلك هو أسوأ ما يمكن أن يحصل، وليس ذلك سيئاً جداً.

أما في الوقت الحاضر، فقد اشتغل ألَنْ على أساس افتراض أن يوري ربما يظهر خارج الأوبرا، وعندئذ سيكون كل ما عليه أن يفعله هو أن يكون واقفاً هناك، وأن يذكره بجولة شربهما الأخيرة. وسيكون ما يكون.

أم أنه لن يكون.

ليس على الإطلاق، في الحقيقة.

***

في مساء يوم ٢٢ آذار (مارس) ١٩٦٩، وضع ألَنْ نفسه بطريقة استراتيجية على الجهة اليسرى من المدخل الرئيسي لمسرح البولشوي. كانت الفكرة أنه سيستطيع من هذا المكان تمييز يوري بوبوف عندما يمر في طريقه إلى داخل قاعة المسرح.

لكن تبين أن هناك مشكلة، مع ذلك: بدا كل الزوار القادمين لحضور العرض متطابقون تقريباً. كانوا كلهم رجالاً في بذلات سوداء تحت معاطف سوداء، ونساءً في فساتين طويلة تظهر من تحت معطف فرائي أسود أو بني. وجازوا كلهم في أزواج ودخلوا بسرعة هاربين من البرد في الخارج إلى دفء المسرح. وإذن، كيف بحق السماء يستطيع ألَنْ أن يميز بين هؤلاء وجهاً كان قد شاهده لمدة يومين قبل اثنتين وعشرين سنة؟ إلا إذا صادفه الحظ الذي لا يُصدّق فتعرّف عليه يوري بدلاً من ذلك!

كلا، لا يتمتع ألَنْ بمثل هذا الحظ. كان بعيداً كل البعد عن التأكيد بطبيعة الحال أن يوري بوريسوفتش موجود الآن داخل المسرح، لكنه إذا كان كذلك، فإنه يكون قد مر على بعد بضع ياردات عن صديقه القديم دون أن يُلاحظ.

وإذن، ماذا يستطيع ألَنْ أن يفعل؟ فكر بصوت عال.

«إذا كنتَ قد دخلت المسرح فقط، عزيزي يوري بوريسوفيتش، فإنك ستخرج بالتأكيد مرة أخرى على الأغلب في غضون بضع ساعات من الباب نفسه. لكنك ستبدو عندئذ تماماً كما كنت عندما دخلت. وهكذا لن أتمكن من العثور عليك. ذلك يعني أن عليك أنت أن تجدني.»

فليكن كذلك. عاد ألَنْ إلى مكتبه في السفارة، وأجرى استعداداته، وعاد قبل وقت جيد من تمكن الأمير كالاف من جعل قلب الأميرة توراندوت يذوب.

أكثر من أي شيء آخر، كان هوتّون قد ألح على ألَنْ بكلمة «التعقل.» إن العميل الناجح لا يصدر أبداً أي ضوضاء. ينبغي أن يذوب في المكان حيث ينشط إلى درجة يكون معها غير مرئي تقريباً.

«هل تفهم، يا سيد كارلسون؟»

«بالتأكيد، سيد هوتون»: أجاب ألَنْ.

دُعيت بيرجت نيلسون وفرانكو كوريللي للعودة إلى المسرح عشرين مرة بتصفيق الجمهور؛ كان العرض نجاحاً هائلاً. ولذلك استغرق الأمر وقتاً إضافياً طويلاً قبل أن يشرع الناس الذين يبدون جميعاً متشابهين بالتدفق هابطين الأدراج ثانية. وكان الذي

لاحظه الجميع عندئذ هو رجل يقف وسط الدرجة السفلى، وقد مد كلتا ذراعيه في الهواء وهما تحملان شاخصة يدوية الصنع، مكتوب عليها:

أنا
ألن
إيمانويل

كان ألَنْ قد استوعب بطبيعة الحال عظات العميل السري هوتون؛ لكنه لم يعرها أي اهتمام ببساطة. في باريس هوتون كان الجو ربيعياً، لكنه في موسكو مظلمٌ وباردٌ معاً. كان ألَنْ يتجمد، والآن أصبح يريد نتائج. في البداية نوى أن يكتب اسم يوري على الشاخصة، لكنه قرر في النهاية أنه إذا أراد لن يصبح طائشاً، فينبغي أن يكون ذلك بالأصالة عن نفسه هو.

تعلقت لاريسا أليكساندريفنا، زوجة بوريسوفيتش بوبوف، بذراع زوجها بحبٍّ، وشكرته للمرة الخامسة على التجربة الرائعة التي تقاسماها للتوّ. كانت بيرجت نيلسون بمثابة ماريا كالاس صرفة! والمقاعد! الصف الرابع، تماماً في الوسط. إن لاريسا الآن أسعد مما كانت عليه منذ وقت طويل. وإلى جانب ذلك، سوف تقيم هي وزوجها في فندق، ولن تضطر للعودة إلى تلك المدينة البشعة وراء الأسلاك الشائكة لأربع وعشرين ساعة تقريباً. سوف يتناولان عشاءً رومانسياً لاثنين... فقط هي ويوري... وعندئذ ربما...

«عفواً حبيبتي»، قال يوري ووقف على الدرجة العليا خارج أبواب المسرح.

«ما الأمر، عزيزي؟» سألت لاريسا بقلق.

«ربما لا شيء... ولكن، أترين الرجل الواقف هناك مع الشاخصة؟ يجب أن أذهب لإلقاء نظرة... لا يمكن أن يكون... لكن الرجل ميت!»

«من هو الميت، يا عزيزي؟»

«هيا! قال يوري وشق طريقه هابطاً الأدراج مع زوجته.

على بعد ثلاث ياردات من آلن، وقف يوري وحاول أن يجعل عقله يفهم ما رأته عيناه. رأى آلن صديقه منذ زمن سحيق محدقاً بجنون، ثم يخفض شاخصته، وقال:

«هل كانت جيدة، بيرجت؟»

لم يقل يوري أيّ شيء بعد، لكن زوجته همست –هل هذا هو الرجل للميت؟

قال آلن إنه ليس ميتاً، وإذا أراد الزوجان بوبوف أن لا يتجمد حتى الموت، فسيكون من الأفضل أن يقوداه فوراً إلى مطعم حيث يمكنه الحصول على بعض الفودكا، وربما لقمة يأكلها.

«إنه أنت حقاً...» تمكن يوري أخيراً من الهتاف. «ولكن... هل تتحدث الروسية...؟»

«نعم، لقد أمضيت دورة مدتها خمس سنوات في دراسة لغة بلدك بعد وقت قصير من لقائنا الأخير»، قال آلن. «كان اسم الكلية هو: الكولاغ. ماذا عن الفودكا؟»

كان يوري بوريسوفيتش رجلاً أخلاقياً جداً، وقد شعر على مدى السنوات الإحدى والعشرين الأخيرة بالذنب الشديد لأنه استدرج خبير القنابل الذري السويدي كَرْهاً إلى موسكو ليُنقل لاحقاً إلى فلاديفوستوك، حيث يفترض أن السويدي مات في الحريق –إن لم يكن قبل ذلك– الذي عرف بشأنه كل المواطنين السوفيات المطلعين بشكل معقول. وقد عانى طوال إحدى وعشرين سنة، لأنه أحبّ على الفور ذلك السويدي، وقدرته التي لا يمكن وقفها –كما بدا– على النظر إلى الجانب المشرق.

الآن، ها هو يوري بوريسوفيتش يقف خارج مسرح البولشوي في موسكو، حيث درجة الحرارة فقط حول صفر فهرنهايت، بعد أداء أوبرالي دافئ و... كلا، لا يمكن أن يصدق ذلك. لقد تمكن آلن إيمانويل كارلسون من النجاة. لقد عاش. وهو يقف أمام يوري في هذه اللحظة نفسها. وسط مدينة موسكو. ويتحدث بالروسية!

تزوج يوري بوريسوفيتش من لاريسا إليكساندريفنا منذ أربعين عاماً، وعاشا

سعيدين جداً معاً. لم يُرزقا بأطفال، لكن ثقتهما المتبادلة كانت بلا حدود. وقد تقاسما كل شيء، حلواً كان أم مراً، وكان يوري قد عبّر لزوجته أكثر من مرة عن الحزن الذي يشعر به إزاء مصير ألَنْ مانويل كارلسون. والآن، وفي حين يحاول يوري استيعاب الأحداث، تولت لاريسا أليكساندريفنا زمام الأمور.

«إذا فهمت الأمر بشكل صحيح، فإن هذا هو صديقك من الأيام الخوالي، الرجل الذي أرسلته بشكل غير مباشر إلى حتفه. عزيزي يوري، ألن تكون فكرة جيدة إذا ما أخذناه سريعاً، حسب رغبته، إلى مطعم لنزوده ببعض الفودكا قبل أن يموت حقاً؟»

لم يجب يوري، لكنه أطرق موافقاً وجعل زوجته تجره إلى السيارة الليموزين المنتظرة، التي أُجلِس فيها إلى جانب رفيقه الميت حتى وقت قريب، بينما أعطت زوجته التعليمات للسائق.

«مطعم بوشكين، لو سمحت.»

احتاجوا كأسي مشروب جيّدين لألَنْ حتى يذوب عنه الجليد، واثنين آخرَين ليوري حتى يستعيد رشده مرة أخرى. وفي الغضون، تعرف ألَنْ ولاريسا إلى بعضهما البعض.

عندما استطاع يوري أخيراً أن يستبدل الصدمة بالفرح («الآن سوف نحتفل!»)، ظن ألَنْ أن الوقت قد حان للبدء بالعمل. إذا كان لديك شيء لتقوله، فيفضل أنه تقوله على الفور.

«ما رأيك في أن تصبح جاسوساً؟» سأل ألَنْ. أنا كذلك أنا نفسي، الأمر مثير حقاً.»

غُصّ يوري بكأسه الخامسة.

«جاسوس؟» سألت لاريسا بينما زوجها يسعل.

«نعم، أو «عميل». لا أعرف الفرق بينهما، في الحقيقة.»

«مثير جداً! قُلْ لنا المزيد، لطفاً، يا ألَنْ إيمانويل.»

«كلا، لا تفعل يا ألَنْ»، قال يوري بين نوبات السعال، «لا نريد أن نعرف المزيد!»

«لا تكن سخيفاً، عزيزي يوري»، قالت لاريسا. «دع صديقك يخبرنا عن عمله؛ أنتما لم تريا بعضكما لسنوات طويلة. أكمل، آلَنْ إيمانويل.»

مضى آلَنْ في حديثه وأصغت لاريسا باهتمام، بينما أخفى يوري وجهه بيديه. أخبرَهما آلَنْ عن العشاء مع الرئيس جونسون والعميل السري هوتون من السي آي إيه، واللقاء مع هوتون في اليوم التالي، والذي اقترح خلاله أن يسافر آلَنْ إلى موسكو ليعرف كيف هو حال الأمور مع الصواريخ الروسية.

كان البديل الذي رآه آلَنْ أمامه هو أن يبقى في باريس، حيث ستكون يداه مشغولتين تماماً بمنع السفيرة وزوجها من خلق الأزمات الدبلوماسية –فقط بمجرد فتح فميهما. وبما أن أماندا وهيربرت كانا اثنين، وربما لا يتمكن آلَنْ من التواجد في أكثر من مكان في الوقت نفسه، فقد وافق على عرض العميل السري هوتون. بدا الأمر أقل إجهاداً. وإلى جانب ذلك، سيكون من اللطيف أن يقابل يوري بعد كل هذه السنوات.

كان يوري ما يزال يغطي وجهه بيديه، لكنه يختلس النظر إلى آلَنْ من بين أصابعه. هل سمع يوري اسم هيربرت آينشتاين يُذكر الآن؟ تذكره يوري وستكون أخباراً جيدة بالتأكيد إذا ما استطاع هيربرت النجاة أيضاً من الخطف ومعسكر السجن الذي أرسله إليه بيريا.

أوه، نعم، أكد آلَنْ. ثم قصّ الحكاية باختصار، حكاية السنوات العشرين التي قضاها مع هيربرت؛ عن كيف أن صديقه لم يكن يريد شيئاً في البداية أكثر من أن يموت، لكنه عندما فعل ذلك أخيراً، حيث سقط ميتاً بعمر سبعة وستين في كانون الأول (ديسمبر) الماضي في باريس، كان قد غير رأيه تماماً إزاء ذلك. وقد ترك خلفه زوجة ناجحة –الآن أرملة– هي دبلوماسية في باريس، وابنين في سن المراهقة. وقالت التقارير الأخيرة من العاصمة الفرنسية أن العائلة تكيفت جيداً مع وفاة هيربرت، وأن السيدة آينشتاين أصبحت مفضلة نوعاً ما في الدوائر المهمة. كانت فرنسيتها مروعة باعتراف الجميع، لكن ذلك شكل جزءاً من سحرها؛ كانت تقول بين الحين والآخر أشياء غبيّة لا يمكن أنها تعنيها.

«لكننا خرجنا عن موضوعنا كما يبدو»، قال ألِنْ. «لقد نسيت أن تجيب عن سؤالي. ما رأيك في أن تصبح جاسوساً. ألم يحن الوقت لإجراء تغيير؟»

«ولكن يا ألِنْ ليمانويل، يا صديقي العزيز. لا يمكن أن يحدث هذا، ببساطة! أنا أكثر فخراً وشرفاً بخدماتي التي أقدمها لبلدي الأمّ من أي شخص غير عسكري آخر في التاريخ الحديث للاتحاد السوفياتي. أن أصبح جاسوساً هو أمر غير قابل لمجرد التفكير فيه!» قال يوري ورفع كأسه إلى فمه.

«لا تقل ذلك، عزيزي يوري»، قالت لاريسا، وجعلت زوجها يلفظ مشروبه رقم ستة الذي توقف في حلقه ولم يستطع ابتلاعه، كما فعل بالمشروب رقم خمسة.

«أليس من الأفضل أن تشرب الفودكا بدلاً من رشها في المكان؟» سأل ألِنْ بلطف.

توسعت لاريسا بوفوف في شرح منطقها، بينما وضع زوجها يديه أمام وجهه مرة أخرى. سوف تكون هي ويوري في الخامسة والستين قريباً، وما الذي لديهما حقاً ليشكرا الاتحاد السوفياتي عليه؟ نعم، لقد تلقى زوجها العديد والعديد من الأوسمة والجوائز، وذلك قاد في النهاية إلى الحصول على تذاكر جيدة في الأوبرا. أما خلاف ذلك؟

لم تنتظر لاريسا جواب زوجها، لكنها ذهبت إلى قول إنهما مسجونان كلاهما داخل أرزاماس-١٦، المدينة التي يكفي اسمها وحده لجعل أي شخص يكتئب. وخلف أسلاك شائكة أيضاً. نعم، تعرف لاريسا أنهما حران في الدخول والخروج كما يريدان، لكن يوري يجب أن لا يقاطعها الآن لأنها لم تنته بعد.

لأجل خاطر مَنْ يَشقى يوري ويكدح يوماً بعد يوم؟ أولاً لأجل خاطر ستالين، وكان الرجل مجنوناً تماماً. ثم جاء دور خروتشوف، وكانت العلامة الوحيدة التي كشف بها الرجل عن أي دفء إنساني هي أمره بإعدام المارشال بيريّا. والآن، جاء بريجينيف -ذو الرائحة الكريهة!

«لاريسا!» هتف يوري بوريسوفيتش برعب.

«لا ينبغي الآن أن تجلس هناك وتصرخ بي، عزيزي جيلجي. إن لذلك البريجينيف رائحة كريهة -هذه كانت كلماتك أنت.»

مضت إلى قول أن ألَنْ إيمانويل جاء في اللحظة المناسبة أكثر ما يكون، لأنها أصبحت في الآونة الأخيرة أكثر إحباطاً وكآبة من فكرة الموت داخل سياج من الأسلاك الشائكة في المدينة غير الموجودة رسمياً. هل تستطيع لاريسا ويوري حتى الاعتماد على أن تكون لهما شواهد قبور حقيقية؟ لم لَنك ستحتاج إلى كتابة لغة مشفَّرة عليهما أيضاً، لأسباب متعلقة بالأمن؟

«هنا يرقد الرفيق (س) وزوجته العزيزة (ص)»، قالت لاريسا.

لم يُجب يوري. ربما يكون لزوجته العزيزة بعض الحق هنا. والآن، وجَّهت لاريسا الضربة القاضية:

«وإذن، لماذا لا تتجسس بضع سنوات مع صديقك هنا، وعندئذ سنتلقى المساعدة للهروب إلى نيويورك، حيث نستطيع الذهاب هناك إلى العاصمة كل مساء. سوف نحصل على حياة، عزيزي يوري، فقط قبل أن نموت.»

بينما ظهر يوري وكأنه شرع في الاستسلام، ذهب ألَنْ إلى شرح كيفية حصول ما حصل بمزيد من التفصيل. لقد التقى بطريق ملتوية نوعاً ما بالسيد هوتون في باريس، وكان هذا الهوتون رجلاً بدا وثيق الصلة بالرئيس السابق جونسون، وأنه له مكانة عالية داخل وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية أيضاً. وعندما سمع هوتون أن ألَنْ يعرف يوري بوريسوفيتش منذ وقت طويل، وأن يوري ربما يدين لألَنْ بمعروف، قام هوتون عندئذ بوضع خطة. ولم يستمع ألَنْ بكثير من العناية للعناصر التي تخصّ السياسة العالمية من الخطة، لأنه عندما يشرع الناس في التحدث بالسياسة، فإنه يكف عن الاستماع. إنها أمر يبدو كما لو أنه يحدث من تلقاء نفسه نوعاً ما.

عاد العالم النووي السوفياتي إلى رشده، وأطرق الآن إقراراً. لم تكن السياسة موضوع يوري المفضل، ليس بأي حال. كان بالطبع اشتراكياً، قلباً وقالباً، لكنه في حال طلب منه أحد أن يعلق، فإنه يصادف المتاعب.

حاول ألَنْ تلخيص ما قاله العميل السري هوتون. وكان له صلة بحقيقة أن الاتحاد السوفياتي إما سيهاجم الولايات المتحدة بالأسلحة النووية، أو أنه لن يفعل. ووافق يوري على أن الوضع كذلك. إما-أو، وبدون وجود فارق واسع بين البديلين.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن رجل السي آي إيه هوتون، بقدر ما يستطيع الآنَ أن يتذكر، عبّر عن قلقه من تداعيات هجوم سوفياتي على الولايات المتحدة. لأنه حتى لو كانت الترسانة النووية السوفياتية كبيرة فقط بما يكفي لمسح أمريكا عن الخريطة مرة واحدة، فإن ذلك سيئ كفاية كما يعتقد هوتون. وأطرق يوري بوريسوفتيش موافقاً مرة ثالثة، وقال إنه سيكون سيئاً جداً للشعب الأمريكي بلا أدنى شك أن تُزال الولايات المتحدة الأمريكية عن الخريطة.

أما كيف ربط هوتون كل النهايات معاً، فذلك ما لا يعرفه الآنَ. لسبب ما، أراد أن يعرف مكونات الترسانة النووية. وعندما يعرف، فإنه يستطيع أن يوصي الرئيس بأن يبدأ المفاوضات مع الاتحاد السوفياتي حول موضوع نزع الأسلحة النووية. ومع أن جونسون لم يعد الآن، بطبيعة الحال، هو رئيس الولايات المتحدة، فإن... كلا، إن الآنَ لا يعرف. لم تكن السياسة غالباً أمراً غير ضروري فحسب، وإنما هي معقدة بشكل غير ضروري في بعض الأحيان أيضاً.

كان يوري هو الرئيس التقني لكامل برنامج الأسلحة النووية السوفياتي، وهو يعرف كل شيء عن استراتيجية البرنامج، وجغرافيته، وقوته. لكنه لم يفكر طوال ثلاث وعشرين سنة من الخدمة في البرنامج النووي للاتحاد السوفياتي –ولم يكن في حاجة إلى التفكير– حتى بفكرة سياسية واحدة. وناسب ذلك صحة يوري بطريقة استثنائية. لقد تمكن من البقاء والنجاة تحت حكم ثلاثة قادة مختلفين، وكذلك المارشال بيريّا. ولم يكن العيش كل هذه الفترة في منصب عال هو مصير الكثير من الرجال النافذين في الاتحاد السوفياتي.

كان يوري يعرف التضحيات التي اضطرت لاريسا إلى تقديمها. والآن، عندما أصبحا يستحقان معاشاً ومنزلاً إضافياً على ساحل البحر الأسود، أصبح حجم التضحية الذاتية أكبر من أي وقت مضى. لكنها لم تكن تشكو على الإطلاق. لم تتذمر أبداً. ولذلك، استمع يوري بطريقة أكثر قرباً عندما قالت:

«عزيزي الحبيب يوري. دعنا نُسهم، مع الآنَ إيمانويل، قليلاً في سلام هذا العالم،

ودعنا ننتقل بعد ذلك إلى نيويورك. يمكنك أن تعيد الأوسمة، ويمكن أن يعلقها بريجينيف على مؤخرته.»

استسلم يوري وقال «نعم» للصفقة برمتها (باستثناء الجزء الخاص بمؤخرة بريجينيف) وبعد ذلك بقليل، اتفق يوري وآلِنْ على أن الرئيس نيكسون ربما لا يكون بحاجة لسماع الحقيقة كلها، وإنما شيء يمكن أن يجعله سعيداً. لأن نيكسون السعيد سيجعل بريجينيف سعيداً، وإذا كانا كلاهما سعيدَين، فإنه لا يمكن أن تقع حرب بالتأكيد، أليس كذلك؟

جنّد آلِنْ لتوّه جاسوساً عن طريق رفع شاخصة في مكان عام، في البلد الذي يضم أكثر مؤسسات الشرطة السرية كفاءة. وكان هناك نقيب عسكري من إدارة الاستخبارات الخارجية السوفياتية، ومدير مدني من لجنة أمن الدولة السوفياتي (الكيه جي بي) حاضرين هناك أيضاً في مسرح البولشوي في تلك الأمسية المعنية، مع زوجتيهما. وقد رأيا كلاهما، مثل الجميع، ذلك الرجل صاحب الشاخصة على الدرجة السفلى. وكان كلاهما قد اشتغلا في مجال الأمن فترة طويلة جداً بحيث لم يدقّا ناقوس الخطر لزميل ما في نوبة العمل. إن أي شخص يريد أن يفعل أي شيء ذي طبيعة معادية للثورة لن يفعل ذلك بمثل هذه الطريقة العلنية. لا يمكن أن يكون هناك أحد بهذا الحمق.

بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك حفنة من مخبري إدارة الاستخبارات العسكرية الخارجية ولجنة أمن الدولة على الأقل في المطعم حيث تم تنفيذ عملية التجنيد بنجاح في تلك الأمسية. على الطاولة رقم تسعة، ثمة رجل يبصق الفودكا على الطعام، ويغطي وجهه بيديه، ويلوح بيديه ويرفع حاجبيه، وتوبخه زوجته –بمعنى آخر، المشهد المألوف تماماً في أي مطعم روسي. لا شيء يستحق الملاحظة.

وهكذا، حدث أنه سُمح لعميل أمريكي أعمى سياسياً أن يطبخ استراتيجية السلام العالمي مع رئيس برنامج أسلحة نووية روسي أعمى سياسياً بدوره – دون أن تلاحظهما أي من إدارة الاستخبارات الخارجية ولجنة أمن الدولة السوفياتية، لتمارس عليهما حق

النقض. وعندما تلقى رئيس السي آي إيه في باريس، ريان هوتون، إخطاراً بأن عملية التجنيد قد تمت، قال لنفسه إن كارلسون يجب أن يكون أكثر احترافية مما يبدو.

***

اعتاد مسرح البولشوي تجديد قائمة عروضه ثلاث أو أربع مرات في السنة. وبالإضافة إلى ذلك، كان يجب أن يضم ذلك عرضاً لضيف خارجي مرة واحدة في السنة على الأقل، مثل ذلك الذي أدته أوبرا فيينا. وهكذا، توفرت حفنة من المناسبات كل سنة، يستطيع ألنْ ويوري بوريسوفيتش الاجتماع على هامشها سراً في جناح يوري ولاريسا في الفندق، حيث يسلقان بعض المعلومات المناسبة عن الأسلحة النووية ليتم إرسالها إلى وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية. وكلانا يخلطان الحقيقة بالخيال بطريقة تبدو معها المعلومات، من المنظور الأمريكي، موثوقة ومشجعة في الوقت نفسه.

كانت إحدى تداعيات تقارير ألنْ الاستخبارية هي أن فريق الرئيس نيكسون بدأ في أوائل السبعينيات العمل مع موسكو من أجل عقد قمة ثنائية حول نزع التسلح النووي على الأجندة. وقد شعر نيكسون بالاطمئنان لدى معرفة أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الأقوى بين الطرفين.

لم يكن الرئيس بريجينيف، من طرفه، ضد عقد معاهدة لنزع السلاح النووي في واقع الأمر، لأن تقاريره الاستخباراتية أعلمته بأن الاتحاد السوفياتي هو الأقوى بين الطرفين. لكن ما عقّد الصورة هو أن السيدة التي تقوم بالتنظيف في قسم السي آي إيه للتقارير الاستخبارية، باعت معلومات مهمة جداً لدائرة الاستخبارات العسكرية الخارجية السوفياتية. فقد وقعت السيدة على وثائق مرسلة من مكتب السي آي إيه في باريس، والتي أشارت إلى أن لدى السي آي إيه جاسوساً في مركز برنامج الأسلحة النووية السوفياتية. لكن المشكلة هي أن المعلومات التي يرسلها ليست صحيحة. وإذا أراد نيكسون نزع الأسلحة على أساس المعلومات الكاذبة التي أرسلها سوفياتي كاذب

مجنح الخيال إلى السي آي إيه في باريس، فليس لدى بريجينيف أي شيء ضد ذلك. لكن الأمر كله بالغ التعقيد بحيث يحتاج إلى وقت للتفكير. كما أنه يجب العثور على ذلك الكاذب المبالغ.

كان إجراء بريجينيف الأول هو استدعاء رئيسه التقني للأسلحة النووية، الرجل الموالي بثبات لا يهتز، يوري بوريسوفتيش بوبوف، حيث طلب منه تحليلاً عن المصدر الذي يمكن أن تأتي منه المعلومات الزائفة التي تذهب إلى الأمريكان. لأنه حتى لو أن السي آي إيه حصلت على معلومات تقلل بدرجة كبيرة من قدرة الأسلحة النووية السوفياتية، فإن الطريقة التي صيغت بها الوثائق تكشف عن اطلاع جيد بدرجة مقلقة على الموضوع، وهو السبب في الحاجة إلى مساعدة خبير مثل بوبوف.

قرأ بوبوف ما كان قد سلقه هو وصديقه ألَنْ، وهزّ كتفيه باستخفاف. قال بوبوف إن هذه الوثائق يمكن أن يكتبها أي طالب لدى إجراء القليل من البحث في مكتبة. إنها ليست شيئاً يحتاج الرفيق بريجينيف إلى القلق بشأنه، إذا سمح الرفيق بريجينيف لفيزيائي بسيط بأن يدلي برأيه في المسألة؟

نعم، ذلك بالضبط هو السبب الذي جعل بريجينيف يطلب قدوم يوري بوريسوفتيش. وقد شكر رئيسه التقني للأسلحة النووية بحرارة على مساعدته، وأرسل تحياته إلى لاريسا إليكساندريفنا، زوجة بوريسوفيتش الفاتنة.

***

بينما وضعت (الكيه جي بي) مراقبة سرية على الأدبيات المتعلقة بالأسلحة النووية في مائتي مكتبة في الاتحاد السوفياتي، استمر بريجينيف بالتساؤل عن الكيفية التي ينبغي أن يستجيب بها لمقترحات نيكسون غير الرسمية، حتى ذلك اليوم -يا للرعب!- عندما دُعي نيكسون إلى الصين لمقابلة ذلك السمين، ماو تسي-تونغ!

كان كل من بريجينيف وماو قد أبلغ الآخر مؤخراً بأن يذهب إلى الجحيم مرة وللأبد. والآن نجم فجأة خطر احتمال أن تشكل الصين والولايات المتحدة الأمريكية تحالفاً غير مقدس ضد الاتحاد السوفياتي. وذلك ما لا ينبغي السماح له بالحدوث.

وهكذا، وفي اليوم التالي، تلقى ريتشارد م. نيكسون، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، دعوة رسمية لزيارة الاتحاد السوفياتي. ثم أعقب ذلك عمل شاق في الكواليس. وعندئذ، قاد الشيء إلى آخر، فلم يقتصر الأمر على تصافح بريجينيف ونيكسون بالأيدي، وإنما وقعا معاهدتين منفصلتين لنزع السلاح النووي أيضاً: واحدة تتعلق بالصواريخ البالستية (معاهدة إيه بي إم)، وأخرى متعلقة بالأسلحة الاستراتيجية. وبينما كانت إجراءات التوقيع تتم في موسكو، اغتنم نيكسون الفرصة ليصافح الجاسوس في السفارة الأمريكية، الذي قام بتزويده ببراعة بالمعلومات عن قدرات الأسلحة النووية السوفياتية.

«على الرحب والسعة، سيدي الرئيس»، قال ألَنْ. «ولكن، ألن تدعوني إلى العشاء أيضاً؟ إنهم يفعلون معي ذلك في العادة.»

«من الذي يفعل؟» سأل الرئيس المذهول.

«حسناً»، قال ألَنْ. «الناس الذين كانوا يرضون عن مساعدتي... فرانكو وترومان وستالين... والرئيس ماو... ولو أنه لم يقدم لي شيئاً على العشاء سوى المعكرونة... لكن الوقت كان متأخراً جداً من الليل بطبيعة الحال... كما أن رئيس وزراء السويد قدم لي القهوة فقط، عندما أفكر في الأمر. ولم يكن ذلك سيئاً جداً أيضاً، بما أننا كنا نتبنى سياسة الترشيد وشد الأحزمة على البطون في تلك الأيام...

لحُسن الحظ، كان الرئيس نيكسون قد أُطلع بإيجاز على ماضي العميل، حتى إنه قال بهدوء إنه ليس هناك وقت لتناول العشاء مع السيد كارلسون، للأسف. لكنه أضاف أن الرئيس الأمريكي لا يمكن أن يكون أقل التزاماً من رئيس وزراء السويد، ولذلك يمكن طلب فنجان قهوة الآن بالتأكيد، والكونياك معها أيضاً. الآن في هذه اللحظة نفسها، إذا كان ذلك مناسباً؟

شكره ألَنْ على الدعوة، وسأل عما إذا كان بالوسع وضع كونياك مزدوج في القائمة في حال تخلى عن القهوة. وأجاب نيكسون بأن الميزانية القومية الأمريكية ربما تستطيع أن تتحمل كلفة تقديم الاثنين معاً.

قضى الرجلان ساعة لطيفة معاً، أو على الأقل، لطيفة قدر الإمكان لأنّ وهو

يستمع إلى حديث الرئيس نيكسون في السياسة. وقد سأل الرئيس الأمريكي عن الكيفية التي تعمل بها اللعبة السياسية في إندونيسيا. ومن دون ذكر أماندا بالاسم، وصف ألَنْ بالتفصيل كيف تُصنع المهن والمناصب السياسية هناك. وقد استمع الرئيس نيكسون بعناية، وبدا وأنه يعطي لهذا الموضوع اهتماماً جدياً.

«مثير للاهتمام»، قال. «مثير للاهتمام.»

***

سُرّ ألَنْ ويوري ببعضهما البعض وبالتطورات. بدا أن دائرة الاستخبارات العسكرية الخارجية والكيه جي بي قد هدأتا فيما يتعلق بالبحث عن الجاسوس، ووجد ألَنْ ويوري ذلك مطمئناً. أو كما قال ألَنْ:

«من الأفضل أن لا تكون هناك منظمتان قاتلتان تلاحقانك على الأعقاب.»

ثم أضاف أن الصديقين لا ينبغي أن يصرفا كثيراً من الوقت على (الجي. آر. يو) و(الكي. جي. بي) وكل المختصرات الأخرى، التي لا يستطيعون فعل أي شيء حيالها على أي حال. وبدلاً من ذلك، يبدو أن الوقت قد حان لطبخ التقرير الاستخباراتي التالي للعميل السري هوتون ورئيسه. ثمة ضرر كبير تسبب به الصدأ في مخزن الصواريخ متوسطة المدى في كامتشاتكا، هل يمكنهما التعليق على ذلك؟

امتدح يوري ألَنْ على خياله المشرق. فقد جعل من السهل كثيراً تلفيق أجزاء التقارير الاستخبارية معاً بسرعة. وعنى ذلك كسب المزيد من الوقت لتناول الطعام، والشرب، والصحبة الطيبة.

كانت لدى ريتشارد كل الأسباب التي تدعوه لأن يكون راضياً بمعظم الأشياء. حتى جاء الوقت الذي لم يعد فيه لديه أي سبب لذلك على الإطلاق.

لقد أحب الأمريكيون رئيسهم وأعادوا انتخابه في العام ١٩٧٢، بأغلبية كاسحة. فاز نيكسون في تسعة وأربعين ولاية، في حين تمكن جورج ماكغوفيرن من كسب ولاية واحدة فقط.

لكن كل شيء أصبح أكثر صعوبة بعد ذلك. بل وأكثر صعوبة. وفي النهاية، اضطر

نيكسون إلى فعل ما لم يفعله أي رئيس أمريكي من قبل.

اضطر إلى الاستقالة.

قرأ آلَنْ عما يسمى «فضيحة ووترغيت» في كل الصحف المتوافرة في مكتبة مدينة موسكو. وباختصار، اتضح أن نيكسون غشّ فيما يتعلق بضرائبه، وتلقى تبرعات غير قانونية لحملته الانتخابية، وأمر بتفجيرات سرية، وقام بإعدام الأعداء، واستفاد من عمليات الاقتحام والتنصت على الهواتف. وفكر آلَنْ بأن الرئيس لا بد أن يكون قد تأثر بتلك المحادثة حول كأس الكونياك المزدوج في باريس. ثم قال لصورة نيكسون في الصحيفة:

«كان يجب أن تبحث عن مهنة لك في إندونيسيا بدلاً من ذلك. كنت لتقطع شوطاً بعيداً جداً هناك.»

***

توالت الأعوام. وتم استبدال نيكسون بجيرالد فورد، الذي تم استبداله بجيمي كارتر. وفي كل هذه الفترة، بقي بريجينيف في مكانه. تماماً مثل آلَنْ، ويوري، ولاريسا. واستمر ثلاثتهم في الالتقاء خمس أو ست مرات في السنة، حيث يقضون وقتاً طيباً في كل مناسبة. وأسفرت اللقاءات دائماً عن تقرير خيالي مناسب حول الوضع الحالي لترسانة الأسلحة النووية السوفياتية. وعلى مر السنين، اختار آلَنْ ويوري التقليل من شأن القدرة السوفياتية أكثر وأكثر، لأنهما لاحظا كم يجعل ذلك الأمريكيين أكثر ارتياحاً (بغض النظر عمن يكون الرئيس، كما يبدو)، وكم يبدو الجو أكثر بهجة عندئذ بين قادة البلدين. ولكن، أين هي الأشياء المفرحة التي تدوم إلى الأبد؟

ذات يوم، مباشرة قبل توقيع معاهدة ستارت-٢، اعتقد بريجينيف أن أفغانستان تحتاج مساعدته. ولذلك أرسل قوات النخبة لديه إلى ذلك البلد، وحدث أنهم قتلوا الرئيس هناك، بحيث لم يجد بريجينيف مناصاً من تعيين رئيسه الخاص. وقد أغضب ذلك الرئيس كارتر (بعبارة ملطفة). وكان الحبر قد جف على معاهدة ستارت-٢ مسبقاً. ولذلك، رتب كارتر مقاطعة لدورة الألعاب الأولمبية في موسكو، كما زاد من دعم (السي

آي إيه) السري للمجاهدين، قوات حرب العصابات الأصولية في أفغانستان. ولم يكن لدى كارتر الوقت ليفعل الكثير فوق ذلك، لأنه سرعان ما تولى رونالد ريغان الرئاسة، وتميز بمزاج أكثر حدة عندما يتعلق الأمر بالشيوعيين بشكل عام، وبريجينيف العجوز المتداعي بشكل خاص.

«يبدو أنه غاضب بشكل مخيف، ذلك الريغان»، قال ألَنْ ليوري في أول اجتماع عقداه بين العميل والجاسوس بعد أداء الرئيس الجديد قسم الرئاسة.

«نعم»، أجاب يوري. الآن، لن نتمكن من تفكيك المزيد من ترسانة الأسلحة النووية السوفياتية لأنه لن يتبقى منها شيء.»

«في هذه الحالة، أقترح أن نفعل العكس»، قال ألَنْ. «وينبغي أن يعمل ذلك على تليين ريغان قليلاً، انتظر وسترى.»

وهكذا، وقف تقرير التجسس التالي إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بواسطة العميل السري هوتون، شاهداً على زيادة سوفياتية مثيرة في دفاعاته الصاروخية. وقد ذهب خيال ألَنْ مباشرة إلى الفضاء. ومن الأعلى هناك، ابتكر ألَنْ فكرة أن الصواريخ السوفياتية ستكون قادرة على التقاط أيّ شيء تنوي الولايات المتحدة الهجوم به وإسقاطه من الأرض. وبذلك، وضع العميل الأمريكي الأعمى سياسياً ألَنْ، وصديقه رئيس برنامج الأسلحة النووية السوفياتية الأعمى سياسياً يوري، أسس انهيار الاتحاد السوفياتي. لأن رونالد ريغان استعر غضباً عندما قرأ التقرير الاستخباري الذي أرسله ألَنْ، وانكبّ مباشرة على مبادرته للدفاع الاستراتيجي، المعروفة باسم «حرب النجوم». وكان وصف المشروع، بأقماره الصناعية ومدافع الليزر، نسخة مطابقة تقريباً عما كان ألَنْ ويوري قد طبخاه قبل بضعة أشهر، في غرفة فندق في موسكو، تحت تأثير ما ظناه قدراً مناسباً من الفودكا. وبلغت الميزانية الأمريكية للبرنامج المعد ضد الأسلحة النووية أرقاماً فلكية. وحاول الاتحاد السوفياتي مجاراة ذلك، لكنه لم يتمكن من تحمل كلفته. وبدلاً من ذلك، شرع البلد في التصدع إلى شذرات.

سواء كان ذلك ناجماً عن الصدمة من الخطط العسكرية الأمريكية (لم يقم ريغان حتى بإبلاغ الأمريكيين عنها حتى ٢٣ مارس، ١٩٨٣)، أو لسبب آخر ما، لا يستطيع

المرء أن يعرف. لكن بريجينيف توفي يوم ١٠ أكتوبر ١٩٨٢، بسكتة قلبية. وفي المساء التالي، حدث أن عقد ألَنْ، ويوري، ولاريسا واحداً من اجتماعاتهم الاستخبارية.

«ألم يحن الوقت لوقف كل هذا الهراء؟» سألت لاريسا.

«نعم، دعونا نوقف هذا الهراء»، قال يوري.

وأطرق ألَنْ، ووافق على أن كل شيء ينبغي أن يصل إلى نهاية، وربما الهراء بشكل خاص. وأضاف أنه سيتصل بالعميل السري هوتون هاتفياً في الصباح التالي. إن ثلاثة عشر سنة ونصف من الخدمة في السي آي إيه تكفي؛ أما أن معظمها كان بمثابة تظاهُر، فليس هنا ولا هناك. واتفق الثلاثة على أن من الأفضل إبقاء هذا الجزء سراً عن العميل السري هوتون ورئيسه الغضوب.

والآن، يجب على السي آي إيه أنْ تمتثي بأمر نقل يوري ولاريسا جواً إلى نيويورك؛ لقد وعدوا بذلك من قبل، بينما شرع ألَنْ نفسه بالتساؤل عما أصبحت عليه الأمور في السويد القديمة الطيبة.

***

وفت السي آي إيه والعميل هوتون بوعدهم. وتم نقل يوري ولاريسا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، عن طريق تشيكوسلوفاكيا والنمسا. وأعطيت لهما شقة في الشارع الغربي ٦٤ في مانهاتن، وراتبٌ سنوي يتجاوز احتياجاتهما بكثير. ولم يكن ذلك مكلفاً بشكل خاص للسي آي إيه أيضاً، لأن يوري مات أثناء نومه في كانون الثاني (يناير) ١٩٨٤، وتبعته لاريسا بعد ثلاثة أشهر، متوفاة بسبب الحزن. كان عمر كل منهما تسعة وسبعين عاماً وقضيا أسعد سنة لهما معاً في ١٩٨٣، وذلك عندما احتفلت أوبرا العاصمة بذكرى تأسيسها المئوية، بمجموعة لا نهاية لها من العروض والتجارب التي لا تنسى للزوجين.

أما ألَنْ، من جانبه، فحزم حقائبه وأعلم القسم الإداري في السفارة الأمريكية في موسكو بأنه على وشك المغادرة إلى الأبد. وكان ذلك حين علم القسم أن ألَنْ كارلسون

لم يكن يتقاضى، لأسباب غامضة، سوى علاواته الخارجية الإضافية خلال السنوات الثلاث عشرة وخمسة أشهر التي أمضاها في الخدمة.

«ألم تلاحظ أبداً أنك لم تكن تتقاضى راتباً؟» سأله المسؤول.

«كلا»، قال ألَنْ. «أنا لا آكل الكثير والفودكا رخيصة هنا. اعتقدت أن ذلك أكثر من كافٍ.»

«طوال ثلاث عشرة سنة؟»

«نعم، لكَم يطير الوقت سريعاً!»

حدج المسؤول ألَنْ بنظرة مستغرِبة، ثم وعده بأن تُدفع له نقوده بواسطة شيك بمجرد أن يتصل السيد كارلسون، أو أياً يكن اسمه الحقيقي، بالسفارة الأمريكية في ستوكهولم.

سبع وعشرون

الجمعة ٢٧ مايو – الخميس ١٦ يونيو، ٢٠٠٥

.

كانت أماندا آينشتاين ما تزال على قيد الحياة. وقد أصبحت الآن في الرابعة والثمانين من العمر وعاشت في جناح في فندق مترف في بالي، كان يملكه ويديره ابنها الأكبر، آلَن.

كان لآلَنْ آينشتاين في الحادية والخمسين من عمره، وله دماغ هادئ، تماماً مثل شقيقه الأصغر منه بسنة واحدة. لكنه في حين أصبح آلَنْ اختصاصياً في الأعمال التجارية (بشكل حقيقي) ومدير فندق في نهاية المطاف (كانت أمه قد منحته الفندق المعنيّ في عيد ميلاده الأربعين)، اتجه شقيقه الصغير ماو إلى الهندسة. وفي البداية، لم تسر أموره المهنية جيداً، لأن ماو كان مفرطاً في العناية بالتفاصيل. وقد أُعطي وظيفة في شركة النفط الإندونيسية الرائدة مهمته فيها هي ضمان جودة نظام الإنتاج. وكان خطأ ماو هو أن فعل ذلك.

فجأة، وجد جماعة الإدارة المتوسطة في الشركة أنهم لم يعودوا قادرين على تسريب مبالغ مختلفة من تحت الطاولة عندما يأمرون بإجراء تصليحات، لأنهم لم يعودوا في حاجة إلى الأمر بأي تصليحات. وزادت فعالية الشركة بنسبة ٣٥٪، وأصبح ماو هو الشخص الأقل شعبية في المنظمة كلها. وعندما تحولت بلطجة زملائه العامة إلى تهديدات أكثر مباشرة، فكر ماو بأن من الحكمة أن ينسحب بدلاً من ذلك، وحصل على

وظيفة في دولة الإمارات العربية المتحدة. وسرعان ما زادت فعالية العمل هناك أيضاً، فيما عادت الشركة في إندونيسيا، على نحو أراح الجميع، إلى مستوى فعاليتها القديم.

كانت أماندا فخورة بلا نهاية بولديها. لكنها لم تستطع أن تفهم كيف أنهما كانا كلاهما ذكيين جداً. صحيح أن هيربرت أخبرها ذات مرة بأن هناك جينات جيدة في أسرته، لكنها لم تستطع أن تتذكر ما يشير إليه بالضبط.

فليكن ذلك ما يكون. عندما تلقت أماندا مكالمة هاتفية من ألَن، شعرت بفرحة غامرة وأعربت عن رغبتها في تقديم استقبال حار له ولأصدقائه في بالي. سوف تناقش الموضوع فوراً مع ألَن الصغير؛ سيترتب عليه أن يطرد بعض الضيوف الآخرين من الفندق الذي صادف أنه ممتلئ. وسوف تتصل بماو في أبو ظبي وتأمره العودة إلى الوطن في إجازة. وهم، بطبيعة الحال، يقدمون المشروبات في الفندق، بمظلات وبدون. و، نعم، وعدت أماندا بأن تشارك هي نفسها في التقديم الفعلي للمشروبات.

قال ألَن إنهم سيكونون جميعاً هناك في القريب. ثم ختم ببعض الكلمات المشجعة عن كيف أنه يعتقد أنه ليس هناك شخص مفرد واحد في العالم، استطاع قطع كل هذا الطريق بمثل هذا الذكاء المحدود كما فعلت أماندا. وقالت أماندا إنه عبر عن المسألة بشكل جميل، حتى إن الدموع طفرت من عينيها.

«عجّل وتعال إلى هنا، عزيزي ألَن. أسرع!»

***

افتتح المدعي العام رانيليد مؤتمر ما بعد الظهر الصحفي بالخبر الحزين عن كلبة الشرطة كيكي. لقد أشارت إلى وجود جثة على عربة الترولي تلك في مسبك آكِر، وقاد ذلك المدعي العام بالتالي إلى وضع مجموعة من الافتراضات –التي كانت صحيحة بالطبع عندما بُنيت على إشارات الكلبة، لكنها خاطئة مع ذلك، خاطئة للغاية. وقد ظهر الآن أن الكلبة المعنية كانت قد فقدت عقلها مباشرة قبل هذه المهمة، ولذلك لا ينبغي الثقة بروايتها. لم يكن هناك، بكل بساطة، أي جثة في ذلك المكان أبداً. وقد نبا إلى علم المدعي العام تواً أنه تم التخلص من كلبة الشُرطة، ويعتقد المدعي العام بأن ذلك كان

قراراً حكيماً من مدربها. (بدلاً من ذلك، كانت كيكي، تحت اسم مستعار، في طريقها إلى شقيق مدرب الكلاب في شمال السويد، لكن المدعي العام لم يعرف ذلك أبداً).

بالإضافة إلى ذلك، أعرب المدعي العام رانيليد عن أسفه لأن شرطة إسكلتونا أهملت إعلامه بشأن الاتجاه العام الإيفانجيليكاني الجديد والمشرف الذي سلكته منظمة «ليس ثانية أبداً.» ولو أنه عرف هذه المعلومات، لكان المدعي العام بلا شك قد أعطى تعليمات مختلفة لتوسيع جهود التحقيق. وبالأصالة عن الشرطة، يود المدعي العام رانيليد الاعتذار عن الاستنتاجات التي توصل إليها. لقد قامت في جزء منها على إشارات كلبة مجنونة، وفي الجزء الآخر على المعلومات التي قدمتها الشرطة –والخاطئة كما تبيّن.

أما بخصوص اكتشاف جثة هنريك «السطل» هولتِن في ريغا، فإن من المرجح أن يتم إجراء تحقيق جديد في جريمة القتّل. كما أن قضية المتوفى بالمثل، بينغيت «البرغي» بايلُنذ، أُغلقت الآن. هناك أدلة قوية على أن المدعو بايلُند انضم إلى الفيلق الأجنبي الفرنسي. وبما أن كل عناصر الفيلق ينضمون تحت أسماء مستعارة، فإنه ليس من الممكن تأكيد ذلك نهائياً، لكن الاحتمالات عالية مع ذلك لأن يكون المدعو بايلُند قد ذهب ضحية تفجير انتحاري وقع وسط جيبوتي قبل بضعة أيام.

قدم المدعي العام رواية مفصلة عن العلاقات بين مختلف الفرقاء، وفي ذلك السياق، أطلع ممثلي وسائل الإعلام المجتمعين على نسخة الإنجيل التي تلقاها في وقت سابق من اليوم من بوسّي يونغبيرغ. وفي نهاية المؤتمر الصحفي، أراد الصحفيون معرفة مكان تواجد ألّنْ كارلسون وأصحابه حتى يحصلوا على نسختهم من رواية الأحداث، لكن المدعي العام رانيليد ليست لديه أيّ معلومات يعطيها لهم حول ذلك الموضوع (ليس لديه ما يكسبه مطلقاً من السماح لخرف الشيخوخة ذاك بأن يتدفق عن تشرشل والله يعلم ماذا أيضاً مع ممثلي للصحافة). وهكذا، تحول تركيز الصحافة الآن على هولتِن «السطل». يفترض أنه قد قُتل، ولم يعد القتلة المفترضون السابقون مشتبهاً بهم بعد الآن. وإذن، من الذي قتل هولتِن؟

أمل رانيليد بأن يُنسى الأمر بسهولة، لكن عليه التأكيد الآن على أن التحقيق سيبدأ

مباشرة بعد اختتام المؤتمر الصحفي، وقال إنه سوف يعود إلى التعليق على الموضوع في مناسبة لاحقة. ولدهشة المدعي العام رانيليد، قبل الصحفيون بذلك، وكل البقية مما قاله.

المدعي العام رانيليد، ومهنته، نجيا معاً في ذلك اليوم.

***

طلبت أماندا آينشتاين من ألْنْ وأصدقائه الإسراع بالسفر إلى بالي، وهو ما أراده الأصدقاء أيضاً. ففي أي لحظة، يمكن لصحفي بارع جداً أن يجد طريقه إلى مزرعة بيلرينغر، وسيكون أسلم لجميع المعنيين أذا وجد المكان مهجوراً. وقد أنجز ألْنْ الجزء الخاص به بالاتصال بأماندا. وتُرك الباقي للجميلة.

ليس بعيداً عن مزرعة بيلرينغر يقع مطار ساتيناس العسكري، وهناك طائرة شحن عسكرية فيه من طراز هيركيوليس، والتي يمكن أن تبتلع فيلة أو حتى اثنتين بسهولة. وقد حلقت الطائرة المعنيّة فوق مزرعة بيلرينغر وكادت أن تخيف الفيلة حتى الموت، وهو ما أوحى للجميلة بالفكرة.

تحدثت الجميلة إلى الكولونيل في ساتيناس، لكنه كان أكثر عناداً بكثير مما ينبغي. أراد أن يرى كل أنواع الشهادات والأذونات قبل أن يمكنه حتى مجرد التفكير في تقديم مساعدة النقل العابر للقارات لعدد من الناس والحيوانات. على سبيل المثال، كان محظوراً على الجيش تماماً أن يتنافس مع الخطوط الجوية التجارية، وسوف يحتاجون إلى شهادة من وزارة الزراعة تفيد بأن ذلك ليس هو واقع الحال. وسيتطلب النقل أيضاً أربع محطات توقف، وفي كل مطار يجب أن يتوفر طبيب بيطري حاضر للتحقق من حالة الحيوان. وفيما يتعلق بالفيلة، ليس هناك أي شك بأي شيء أقل من اثنتي عشرة ساعة استراحة بين الرحلات الجوية.

«اللعنة والحريق على البيروقراطية السويدية»، قالت الجميلة، واتصلت بدلاً من ذلك بخطوط لوفتهانزا في ميونخ.

كانوا أكثر تعاوناً بقليل فقط. إنهم يستطيعون بالطبع نقل فيلة وعدد من المسافرين المرافقين، ويمكن القيام بذلك من مطار لاندفيتر بجوار غوتنبيرغ، ويمكنهم بالطبع أن ينقلوهم إلى إندونيسيا. وكل ما كان مطلوباً هو شهادة ملكية للفيلة، وأن يصحبهم طبيب بيطري معتمد في الطائرة. وبطبيعة الحال، يجب تقديم الوثائق الضرورية التي تثبت القبول بهم في جمهورية إندونيسيا، للناس والحيوانات على حد سواء. وعندما يتم الوفاء بهذه الشروط، فإنه يمكن لإدارة خطوط الطيران أن ترتب لنقلهم في غضون الأشهر الثلاثة التالية.

«اللعنةُ والحريق على البيروقراطية الألمانية»، قالت الجميلة وهاتفت إندونيسيا بدلاً من ذلك.

استغرق الأمر بعض الوقت، لأن هناك في إندونسيا إحدى وخمسين شركة خطوط جوية مختلفة، وليس لديها جميعاً موظفون يتحدثون اللغة الإنجليزية. لكن الجميلة لم تستسلم، وأخيراً نجحت.

في باليمبانغ، في سومطرة، وجدت شركة نقل ستكون سعيدة، مقابل أجر معقول، بتسيير رحلة ذهاباً وإياباً إلى السويد. لديهم طائرة بوينغ ٧٤٧ مناسبة لهذا الغرض، وهي ناقلة تم شراؤها مؤخراً من الجيش الأذربيجاني. (حدث هذا لحسن الحظ قبل وضع الاتحاد الأوروبي كافة شركات الطيران الإندونيسية على القائمة السوداء ومنعها من الهبوط في أوروبا). ووعدت الشركة بترتيب كل الأوراق اللازمة للهبوط في السويد، بينما ستكون مسؤولية عميلتها هي ترتيب أمر إذن الهبوط في بالي. طبيب بيطري؟ لماذا؟

أصبح كل ما تبقى هو أمر الدفع. وقد ارتفع السعر بنسبة ٢٠ في المائة قبل أن تتمكن الجميلة، بالاستخدام الأقصى لمفرداتها الفنية، من جعل الشركة توافق على الدفع لها نقداً بالكرونات السويدية لدى الوصول إلى السويد.

بينما أقلعت البوينغ الإندونيسية في طريقها إلى السويد، عقد الأصدقاء اجتماعاً

للتشاور. وفيه كُلِّف بيني ويوليوس بمهمة تزوير بعض الأوراق التي يمكنهم التلويح بها أمام من افترضوا أنهم سيكونون موظفين دقيقين في مطار لاندفيتر، ووعد ألَنْ بتدبير أمر إذن الهبوط في بالي.

***

واجهوا بعض المشكلات في المطار بالقرب من غوتنبيرغ، لكن بيني لم يكن يحمل فقط شهادة البيطرة المزورة، وإنما القدرة على إطلاق قائمة من العبارات المهنية البيطرية المتخصصة بسرعة ومهارة. هذا، إلى جانب شهادة الملكية وشهادة الصحة للفيلة، وحزمة كاملة من الوثائق الموثوقة التي كتبها ألَنْ بالإندونيسية، تكفلت جميعاً بأن يتمكن الجميع من ركوب الطائرة كما كان مخططاً. وبما أن الأصدقاء قالوا في خضم التزوير العام أن محطتهم التالية ستكون كوبنهاغن، فإن أحداً لم يسألهم عن جوازات سفرهم.

ضم الفريق المسافر كلاً من المئوي ألَنْ كارلسون؛ اللص التافه يوليوس يونسون (الذي أُعلِن الآن بريئاً)؛ طالب العلم الأبدي بيني يونغبيرغ؛ خطيبته، الجميلة غونيلا بيوركلُند؛ وحيواناتها الأليفة، الفيلة سونيا والكلب الألزاسي «المغفل»؛ شقيق يونغبيرغ بائع الجملة المتدين حديثاً، بوسّي؛ كبير المفتشين الذي كان شديد الوحدة سابقاً، أرونسون من إسكلتونا؛ رئيس العصابة السابق بير-غونار غيردن؛ ووالدته، في الثمانين من عمرها، روز-ماري، التي كانت قد كتبت ذات مرة رسالة مشؤومة لابنها عندما كان مسجوناً في سجن إي-هول.

استغرقت الرحلة إحدى عشرة ساعة، دون الكثير من التوقفات غير الضرورية على الطريق، وكانت المجموعة في حالة حسنة عندما أعلم القبطان الإندونيسي الركاب بأنهم يقتربون الآن من مطار بالي الدولي، وأن الوقت قد حان ليستخرج ألَنْ كارلسون إذن الهبوط ذاك. وطلب ألَنْ من القبطان أن يعلمه عندما يتصل ضابط وحدة التحكم في الحركة الجوية في بالي. سوف يتكفل ألَنْ بالبقية.

«ها هم»، قال القبطان القلق. «ماذا أقول لهم؟ يمكنهم إطلاق النار علينا وإسقاطنا في أي لحظة!»

«لا تقلق»، قال لَنْ وأخذ السماعة. «مرحباً؟ هل معي مطار بالي؟» قال بالإنجليزية، وتلقى الجواب بأن عليهم التعريف بنفسهم فوراً، إلا إذا أرادوا مواجهة سلاح الجو الإندونيسي.

«اسمي دولار»، قال ألَنْ. «مائة ألف دولار.»

صمت ضابط السيطرة تماماً. ونظر القبطان الإندونيسي ومساعده إلى ألَنْ بإعجاب.

«في هذه اللحظة، يقوم ضابط السيطرة وأقرب زملائه إليه بإحصاء كم ستكون حصة كل منهما.»

«أعرف»، قال القبطان.

مرت بضع ثوانٍ أخرى قبل أن يتصلّ بهم قائد للسيطرة مرة أخرى.

«مرحباً؟ هل أنت هناك، سيد دولار؟»

«نعم، أنا هنا»، قال لَنْ.

«عفواً، ما اسمك الأول، سيد دولار؟

«مائة ألف»، قال ألَنْ. «أنا مائة ألف دولار، وأريد الإذن بالهبوط في مطاركم.»

«عفواً، سيد دولار. الصوت ضعيف جداً. هل تسمح بقول اسمك الأول مرة أخرى؟»

شرح لَنْ للقبطان أن ضابط التحكم قد شرع الآن في التفاوض.

«أعرف»، قال القبطان.

«اسمي الأول هو مائتا ألف دولار، قال لَنْ. هل لدينا إذن بالهبوط؟»

«لحظة واحدة، سيد دولار»، قال قائد السيطرة الجوية، وتشاور مع زميله. ثم قال:

«مرحباً بكم في بالي، سيد دولار. سيكون وجودكم هنا من دواعي سرورنا.»

وشكر ألَنْ القائد.

«يجب أن لا تكون هذه زيارتك الأولى إلى بالي»، قال القبطان، وابتسم.

«إندونيسا هي البلد الذي كل شيء فيه ممكن»، قال ألَنْ.

عندما أدرك كبار المسؤولين في مطار بالي الدولي أن العديد من زملاء السيد دولار من المسافرين ليس لديهم جوازات سفر، وأن أحدهم يزن حوالي خمسة أطنان وله أربع أرجل بدلاً من اثنتين، فإن ذلك يكلف خمسين ألف دولار أخرى لترتيب وثائق الجمارك وتوفير وسيلة نقل مناسبة لسونيا. لكن المجموعة كلها أصبحت في مكانها في فندق عائلة آينشتاين بعد ساعة من الهبوط، بمن فيهم سونيا التي تم نقلها إلى هناك مع بيني والجميلة في واحدة من شاحنات التموين في المطار (رحلة طائرة ذلك المساء إلى سنغافورة، بالمناسبة، افتقرت إلى صواني العشاء، للأسف).

استقبل أماندا وماو آينشتاين ضيوفهما، وبعد جولة من المعانقة والتقبيل، تم إرشادهم إلى غرفهم. وفي الأثناء، تستطيع سونيا والمغفل تمرين أرجلهما في حديقة الفندق المسيجة الهائلة. وقد أعربت أماندا عن أسفها مسبقاً على عدم وجود أصدقاء من الفيلة لسونيا في بالي، لكنها سترتب على الفور إحضار صديق محتمل من سومطرة. أما عندما جاء الأمر إلى صديقات المغفل، فإنه ربما يعثر عليهن بنفسه؛ هناك الكثير من الكلبات الجميلات اللواتي يتجولن في أنحاء الجزيرة. ووعدت أماندا بأنها ستقام قرب المساء حفلة باليبنية جهنمية من أجلهم جميعاً، وحثتهم على أخذ قيلولة أولاً.

التزم الجميع بتلك الوصية سوى ثلاثة. لم يستطع بايك وأم بايك الانتظار أكثر من ذلك للحصول على ذلك المشروب تحت المظلة، وانطبق الأمر نفسه على آلَنْ – بدون المظلة. وقد اتخذ الثلاثة طريقهم إلى الكراسي الشاطئية الطويلة إلى جانب الماء، واستلقوا في أوضاع مريحة، وانتظروا استقبال ما طلبوه تواً من البار. كانت النادلة في الرابعة والثمانين من عمرها، وقد أخذت المناوبة من ساقي الحانة.

«ها هو شراب المظلة الأحمر من أجلك، سيد غيردن. وشراب المظلة الأخضر من أجلك، سيدة ماما غيردن. و... لكن انتظر لحظة... إنك لم تطلب الحليب، هل فعلت، يا آلَنْ؟»

«ظننتُ أنكِ وعدتِ بعدم التورط في تقديم المشروبات، عزيزتي أماندا»، قال آلَنْ.

«كذبتُ، عزيزي آلَنْ. كذبت.»

أرخى الظلام سدوله على الفردوس الأرضيّ وتجمع الأصدقاء لتناول وجبة من ثلاثة أطباق، دعا إليها مضيفوهم أماندا، وألَن، وماو آينشتاين. كمقبلات، قُدم لهم طبق «ستيت إيليت» الباليّ، وفي الطبق الرئيسي، قدم لهم «ببيبيك بيتوتو»، وكحلوى قُدم لهم «جاجا باتون بيديل.» وشربوا «توال ولياه»، وبيرة النخيل، باستثناء بيني الذي شرب الماء.

كانت الليلة الأولى على التراب الإندونيسي طويلة بقدر ما كانت ممتعة تقريباً. ووصل الطعام إلى نهايته، وأعقبه تقديم مشروب بيسانغ لمبون للجميع ما عدا ألَنْ الذي شرب الفودكا، وبيني الذي شرب كوباً من الشاي.

شعر بوسّي بأن هذا اليوم وهذا المساء يحتاجان إلى بعض التوازن الروحي، فوقف واقتبس المسيح من إنجيل متى («سعداء هُم... حاجاتهم الروحية»). واعتقد بوسي أنهم سيستفيدون جميعاً من الاستماع إلى الله والتعلم من الله. ثم ضم راحتيه معاً وشكر الرب على يوم غير عادي وطيب بشكل غير معتاد.

«سوف يسير كل شيء على ما يرام»، قال ألَنْ من قلب الصمت الذي صنعته كلمات بوسي.

***

شكر بوسّي الربّ، وربما يكون الرب قد شكره بالمقابل، لأن حظهم الطيب دام ونما. وسأل بيني الجميلة عما إذا كانت تقبل الزواج به، وهو ما أجابت عنه:

«نعم، اللعنة! الآن فوراً!»

أقيم الاحتفال في المساء التالي واستمر ثلاثة أيام. وقامت روز-ماري غيردن، الثمانينية، بتعليم أعضاء نادي المتقاعدين المحلي كيف يلعبون لعبة جزيرة الكنز (ولكن ليس أفضل منها حتى تستطيع أن تفوز في كل مرة)؛ واستلقى بايك على الشاطئ تحت مظلة يوماً بعد يوم، وتناول مشروبات البارإسول من كل ألوان قوس قزح؛ واشترى بوسي ويوليوس قارب صيد أسماك ونادراً ما غادراه؛ وأصبح كبير المفتشين أرونسون عضواً يحظى بالشعبية في الطبقات البالينية العليا: إنه رجلٌ أبيض بعد كل شيء،

ورئيس محققين أيضاً، وإذا لم يكن ذلك كافياً، فقد أتى من البلد الأقل فساداً في العالم. إنك لا تستطيع الحصول على شيء أكثر غرابة من هذا.

كل يوم، سار ألَنْ وأماندا مسافات مناسبة على طول الشاطئ الأبيض المتوهج خارج الفندق. كان لديهما الكثير ليتحدثا عنه دائماً، وأصبحا يشعران أفضل وأفضل في صحبة بعضهما البعض. لم يكونا يسيران بسرعة، لأنها في سنتها الرابعة والثمانين، وأصبح هو في سنته الأولى بعد المائة الآن. وبعد فترة، بدآ يشبكان أيديهما، من أجل حفظ التوازن. ثم قررا تناول العشاء، هما الاثنان فقط، على شرفة أماندا في الأمسيات، لأن الوضع يصبح مزعجاً جداً بوجود كل الآخرين. وفي النهاية، انتقل ألَنْ ليقيم مع أماندا إلى الأبد. وبتلك الطريقة، أمكن تأجير غرفة ألَنْ لسائح بدلاً عنه، وكان ذلك جيداً لميزانية الفندق.

خلال واحدة من مسيرات اليوم التالي، أثارت أماندا السؤال حول ما إذا يجب عليهما أن يفعلا مثل بيني والجميلة، أي، أن يتزوجا ما داما يعيشان معاً بأي حال. قال ألَنْ إن أماندا هي طفلة صغيرة مقارنة به، لكنه يستطيع أن يجعل نفسه تتغاضى عن هذا الظرف. كما أنه أصبح هو الذي يتولى مزج مشروباته الخاصة هذه الأيام، وبذلك ليست هناك مشكلة في هذا الشأن أيضاً. وهكذا، وباختصار، لم يرَ ألَنْ أي اعتراض حاسم على ما اقترحته أماندا للتوّ.

«أهي خطة أذن؟» قالت أماندا.

«نعم، إنها خطة»، قال ألَنْ.

وشبكا أيديهما بقوة إضافية. من أجل التوازن.

•••

كان التحقيق في موت هينريك «السطل» هولتِن قصيراً وبلا نتيجة. وقد بحثت الشرطة في ماضيه وحققت مع رفاق السطل السابقين في سمولاند (ليس بعيداً عن مزرعة غونيلا بيوركلُند، مزرعة البحيرة في الحقيقة)، لكنهم لم يكونوا قد سمعوا أو رأوا أي شيء.

سعى الزملاء من الشرطة في ريغا إلى السكير الذي كان قد أخذ الموستانغ إلى ساحة الخردة، لكنهم لم يستطيعوا استخلاص كلمة واحدة ذات معنى منه، حتى فكر أحد الزملاء الشرطة بدفعه إلى تلميع ذاكرته بزجاجة نبيذ. وعندئذ شرع السكير فجأة بإخبارهم -بأنه ليست لديه فكرة عن الشخص الذي طلب منه أخذ السيارة إلى ساحة الخردة. ظهر شخص ما فقط عند مقعد الحديقة في أحد الأيام مع ملء حقيبة من زجاجات النبيذ.

«لستُ عفيفاً، كما ينبغي الاعتراف»، قال السكير. «لكنني لا أصبح مخموراً أبداً إلى درجة قول لا لأربع زجاجات من النبيذ.»

اتصل صحفي واحد فقط بعد بضعة أيام ليعرف كيف يجري التحقيق حول موت السطل هولتِن، لكن المدعي العام رانيليد لم يكن هناك ليتلقى المكالمة. لقد ذهب في عطلة، وحجز في اللحظة الأخيرة على رحلة رخيصة إلى لاس بالماس. كان ما يريده حقاً هو الهروب من كل شيء، وقد سمع أن بالي جيدة، لكن الرحلة إلى هناك كانت محجوزة كلها بالكامل.

ينبغي أن تَفي جزر الكناري بالغرض. وهناك جلس في مقعد شاطئي طويل تحت مظلة، وشراب الباراسول في يده، وهو يتساءل أين ذهب أرونسون. يبدو أنه قدم إخطاراً، وأخذ كل أيام الإجازة المستحقة له، واختفى فقط.

ثمان وعشرون
١٩٨٢-٢٠٠٥

جاء الراتب من السفارة الأمريكية في الوقت المناسب عندما عاد ألَنْ إلى السويد. وجدَ كوخاً أحمرَ على بعد بضعة أميال فقط من حيث نشأ، ودفع ثمنه نقداً. وبينما يقوم بعملية الشراء، اضطر إلى التجادل مع السلطات حول ما إذا كان موجوداً في عالم الأحياء أصلاً. وفي النهاية، استسلموا وشرعوا بدفع معاش تقاعدي له -بما فاجأ ألَنْ.

«لماذا؟» سأل ألَنْ.

«أنت من مستحقي التقاعد»، قالت السلطات.

«أنا؟» قال ألَنْ.

وكان كذلك، بطبيعة الحال، وبهامش جيد أيضاً. في الربيع التالي سيكون في الثامنة والسبعين، وأدرك ألَنْ أنه قد كبر وأصبح مسناً، رغم كل المتناقضات والمصاعب، ودون أن يكون قد فكر بذلك. لكنه سيصبح أكبر سناً بكثير...

مرت السنوات بخطو متمهل وبدون أن يؤثر ألَنْ على التطورات العالمية بأي شكل من الأشكال. بل إنه لم يؤثر حتى على الأشياء في بلدة فلِن، التي غامر أخيراً بالذهاب إليها من وقت آخر لشراء مواد البقالة (من حفيد بائع الجملة غوستافسون الذي أصبح يدير الآن السوبرماركت المحلي، والذي لم يكن يعرف لحسن الطالع من يكون ألَنْ). ومع ذلك، لم تتلق المكتبة العامة في فلِن زيارات جديدة، لأن ألَنْ عرف أن بوسعك الاشتراك في الصحف التي تريدها، والتي ستحط بأناقة في صندوق البريد خارج كوخك. مطلق العملية!

عندما بلغ الناسك في الكوخ خارج يزهولت الثالثة والثمانين، اعتقد بأن كل ذلك الذهاب بالدراجة الهوائية إلى فلِن ومنها يصبحُ أصعب، ولذلك سيشتري سيارة بدلاً من ذلك. وللحظة، فكر بإقران ذلك بحيازة رخصة قيادة، لكن بما أن مدرب القيادة ذكر «فحص نظر» و«رخصة مؤقتة»، قرر ألَنْ أن يتدبر الأمر بدونها. وعندما مضى المدرب إلى ذكر «كتب»، و«دروس نظرية»، و«دروس سياقة» و«الفحص النهائي المزدوج»، كان ألَنْ قد توقف عن الاستماع منذ وقت طويل.

في العام ١٩٨٩، شرع الاتحاد السوفياتي بالتمزق إلى شذرات، وهو ما لم يفاجئ الرجل العجوز في يزهولت الذي يمتلك جهاز تقطير الفودكا الخاص به في القبو. كان الرجل الجديد الشاب على قمة السلطة، غوّرباتشوف، قد بدأ حقبته في سدة الحكم بحملة ضد شرب الفودكا الهائل في بلده. ذلك ليس شيئاً سيجعل الجماهير تقف في صفك، أليس كذلك؟

في السنة ذاتها، في عيد ميلاد ألَنْ في الحقيقة، ظهر قطٌّ فجأة على درجات الشرفة، وأشار إلى أنه جائع. ودعاه ألَنْ إلى مطبخه وقدم له الحليب والسجق. وقد أحب القط ذلك كثيراً حتى أنه انتقل للعيش معه. كان قطّ مزرعة مخططاً مثل النمر، ذكراً، أُعطيَ اسم مولوتوف، ليس على اسم الوزير، وإنما على اسم الكوكتيل. ولم يكن مولوتوف يقول الكثير، لكنه كان ذكياً جداً ورائعاً في الاستماع. وإذا ما كان لدى ألَنْ شيء ليقوله، فما عليه سوى أن يستدعي القط؛ ويأتي هذا دائماً متقافزاً، إلا إذا كان منشغلاً بمطاردة فأر (كان مولوتوف يعرف أنه مهم). وعندها، كان يقفز إلى حضن ألَنْ، ويضع نفسه في وضع مريح، ويشير بأذنيه ليخبر ألَنْ بأنه أصبح بوسعه أن يقول الآن ما يريد أن يقول. وإذا قام ألَنْ بحك مؤخرة رأس مولوتوف أو رقبته في الأثناء، فإنه لم يكن هناك حد لطول الوقت الذي يمكن أن تستغرقه الدردشة.

عندما أحضر ألَنْ بعض الدجاجات، كان كافياً أن يقول لمولوتوف مرة وحيدة أنه لا ينبغي عليه الركض وراءهن، حتى يُطرِق القط برأسه ويفهم. أما حقيقة أنه تجاهل ما قاله ألَنْ وركض وراء الدجاجات مع ذلك حتى لم يعد يجد ذلك ممتعاً، فلم تكن مهمة.

ماذا يمكنك أن تتوقع؟ إنّه قطٌ بعد كل شيء.

اعتقد ألَنْ أنه ليس هناك أحد أكثر براعة من مولوتوف، ولا حتى الثعلب الذي يتسكع دائماً متسللاً حول قن الدجاجات باحثاً عن ثغرات في الشّبك. وقد رتّب الثعلب خططاً للقط أيضاً، لكن مولوتوف كان سريعاً جداً على ذلك.

أضيفت سنوات جديدة إلى تلك التي جمعها ألَنْ من قبل. وكل شهر، وصلت نقود التقاعد من السلطات دون أن يقوم ألَنْ بأي شيء في المقابل. وبتلك النقود، اشترى ألَنْ الجبن، والنقانق، والبطاطا، وكيساً من السكر من حين لآخر. وبالإضافة إلى ذلك، دفع قيمة اشتراك الصحيفة المحلية، ودفع فاتورة الكهرباء كلما ظهرت.

لكن بعض النقود ظلت تفيض كل شهر، وأيّ نفع في ذلك؟ وحاول ألَنْ ذات مرة أن يرسل الفائض إلى السلطات في مغلف، لكن موظفاً جاء بعد فترة إلى كوخ ألَنْ وأعلمه بأنه لا يستطيع فعل ذلك. وهكذا استعاد ألَنْ نقوده، واضطر إلى قطع وعد بالتوقف عن المجادلة مع السلطات.

عاش ألَنْ ومولوتوف حياة طيبة معاً. وفي كل يوم، إذا سمح الطقس، كانا يخرجان في جولة صغيرة على الدراجة على طول الطرق الحصوية الريفية في المنطقة. كان ألَنْ يبدّل بالدواسات، بينما يجلس مولوتوف في سلة ويتمتع بالريح والسرعة.

عاشت الأسرة الصغيرة حياة ممتعة وعادية. واستمر ذلك حتى جاء يوم تبين فيه أنه لم يكن ألَنْ وحده هو الذي أصبح أكبر سناً، وإنما مولوتوف أيضاً. فجأة، تمكن الثعلب من الإمساك بالقط، وكان ذلك مفاجئاً للثعلب والقط بقدر ما كان محزناً لألَنْ.

كان ألَنْ أكثر حزناً، ربما أكثر مما حزن في كل حياته السابقة، وسرعان ما تحول الحزن إلى غضب. ووقف خبير المتفجرات القديم هناك على شرفته وقد اغرورقت عيناه بالدموع، وهتف بالليل الشتائي:

«إذا كانت الحرب هي ما تريد، فإن الحرب هي ما ستحصل عليه، أيها الثعلب الملعون!»

للمرة الأولى والوحيدة في حياته، كان ألَنْ غاضباً. ولم يمكن تخفيف ذلك بالفودكا، ولا بجولة (بدون رخصة سوق) في سيارته، ولا نزهة بالدراجة أطول من المعتاد. كان

آلَنْ يعرف أن العيش مع رغبة الانتقام هو شيء بائس. ومع ذلك، فإن ذلك بالضبط هو ما كان على أجندته.

زرع آلَنْ شحنةً ناسفةً إلى جانب قنّ الدجاج حتى تنفجر عندما يجوع الثعلب في المرة القادمة ويمد أنفه أطول قليلاً إلى منطقة الدجاجات. لكن آلَنْ نسي في غمرة غضبه أنه يخزن كل ديناميته هناك مباشرة إلى جانب قن الدجاج.

هكذا حدث أنه عند غسق اليوم الثالث من صعود مولوتوف إلى السماء، سُمع صوت انفجار في ذلك الجزء من سودرمانلاند، من النوع الذي لم يُسمع مثله منذ أواخر العشرينيات.

تم تفجير الثعلب إلى نُتَف صغيرة، تماماً مثل دجاجات آلَنْ، وقنّ دجاجاته، وسقيفة الحطب. لكن الانفجار أخذ معه الحظيرة والكوخ أيضاً. وكان آلَنْ يجلس في كرسيه المتحرك عندما حدث ذلك، وطار في الهواء مع الكرسي وهبط في حفرة ثلجية خارج قبو البطاطا. وجلس هناك ينظر حوله وقد علا وجهه تعبير دهشة، قبل أن يقول أخيراً:

«كانت تلك نهاية الثعلب.»

الآن، كان آلَنْ قد أصبح في التاسعة والتسعين من عمره وشعر بالصدمة مما حدث حتى أنه بقي حيث هو. لكنه لم يكن من الصعب على سيارة الإسعاف، والشرطة، وفرق الإطفاء أن تجد طريقها إليه، لأن ألسنة اللهب حلقت عالياً إلى السماء. وعندما تأكدوا من أن العجوز في كرسيه في حفرة الثلج إلى جانب قبو البطاطا الخاص به لم يُصب بأذى، حان الوقت لاستدعاء جماعة الخدمات الاجتماعية.

في أقل من ساعة واحدة، كان الاختصاصي الاجتماعي هنريك سودر يقف إلى جانبه. كان آلَنْ ما يزال جالساً في كرسيه المتحرك، لكن رجال الإسعاف لفوا حوله زوجاً من بطانيات المستشفيات، وهو ما لم يكن ضرورياً في الحقيقة لأن النيران المشتعلة في البيت الذي احترق عن آخره تقريباً ما تزال ترسل الكثير جداً من الحرارة.

«سيد كارلسون، أفهم أنك نسفت منزلك الخاص؟» قال الاختصاصي الاجتماعي سودر.

«نعم، إنها عادة سيئة فيّ.»

«دعني أخمن أنك، سيد كارلسون، لم تعد تملك منزلاً بعد الآن؟» استأنف الاختصاصي الاجتماعي.

«هناك بعض الحقيقة في ذلك»، قال آلَنْ. «هل لديك أي اقتراحات؟ أيها السيد اختصاصي اجتماعي؟»

لم يستطع الاختصاصي الاجتماعي التفكير بشيء على الفور، وهكذا سيق آلَنْ -على حساب الخدمات الاجتماعية- إلى الفندق وسط فلِن، حيث احتفل آلَنْ في المساء التالي بالسنة الجديدة، في جو كرنفالي، بين آخرين، مع الاختصاصي الاجتماعي سودر وزوجته.

لم يكن آلَنْ قد تواجد وسط مثل هذه الموجودات الفاخرة منذ ذلك الوقت بُعيد الحرب عندما أقام في فندق غراند المترف في ستوكهولم. وفي الحقيقة، حان الوقت ليدفع الفاتورة هناك، لأنها لم تُدفع أبداً بسبب المغادرة المتعجلة.

في بداية يناير ٢٠٠٥، حدّد الاختصاصي الاجتماعي سودر مكاناً محتملاً لإقامة الرجل العجوز اللطيف الذي حدث أنه أصبح بلا مأوى فجأة قبل أسبوع.

وهكذا، وجد آلَنْ نفسه في دار مالمكوبينغ للمسنّين، حيث أصبحت الغرفة رقم (١) متاحة للتوّ. وهناك رحبت به المديرة، أليس، التي ابتسمت له بودّ، لكنها امتصت الفرح من حياة آلَنْ حين بسطت له كل قواعد المنزل. قالت المديرة أليس إن التدخين ممنوع، والشرب ممنوع، والتلفزيون ممنوع بعد التاسعة مساءً. الإفطار يقدّم في الساعة ٦:٤٥ صباحاً في أيام الأسبوع، وبعد ساعة من ذلك في نهايات الأسبوع. الغداء في الساعة ١١:١٥، القهوة في ١٥:١٥، والعشاء ١٨:١٥. وإذا كنت في الخارج ولم تراقب الوقت وعدت إلى الدار متأخراً جداً، فإنك قد تضطر إلى تدبر أمرك بدون ذلك كله.

بعد ذلك، استعرضت المديرة أليس القواعد المتعلقة بالاستحمام، وتفريش الأسنان، والزيارات من الخارج، والزيارات للمسنين الآخرين المقيمين؛ في أي وقت يتم تسليم الأدوية المختلفة؛ وبين أي الأوقات يمكنك أن تزعج المديرة أليس أو واحداً من زملائها- إلا إذا كان الأمر طارئاً، وهو ما يكون كذلك، وفقاً للمديرة أليس، التي أضافت أن هناك

الكثير من التذمر بين المقيمين بشكل عام.

«هل يستطيع المرء أن يذهب للخراء عندما يريد؟»

وهي الكيفية التي أصبح بها ألَنْ والمديرة أليس على خلاف بعد أقل من خمس عشرة دقيقة على لقائهما.

لم يكن ألَنْ مسروراً من نفسه حول مسألة الحرب ضد الثعلب هناك في الوطن (حتى مع أنه كسب). لم يكن فقدان صوابه من طبيعته. وإلى جانب ذلك، فقد استخدم الآن لغة ربما تكون المديرة في المنزل تستحقها، لكنها ليست مع ذلك من أسلوب ألَنْ. أضف إلى ذلك قائمة بطول مِيلٍ من القواعد والأنظمة التي أصبح عليه الآن الانصياع لها...

لقد فقد ألَنْ قطّه. وهو الآن في التاسعة والتسعين وثمانية أشهر. كان الأمر كما لو أنه فقد السيطرة على روحه نفسها، وكان للمديرة أليس الكثير من الصلة بذلك.

طفح الكيل.

انتهى ألَنْ من الحياة، لأن الحياة يبدو أنها انتهت منه، وهو الذي ظل دائماً رجلاً لا يحبّ دفع نفسه إلى الأمام.

وهكذا، قرر أن يدخل الغرفة ١، ويتناول عشاءه في الساعة ١٨:١٥ ثم يذهب – وقد استحم حديثاً وفي شراشف نظيفة وبيجاما جديدة– إلى النوم، ويموت أثناء نومه، ويُحمَل إلى الخارج، ويُدفن في الأرض، ويُنسى.

شعر ألَنْ بما يشبه تياراً كهربائياً من المتعة يسري في جسده عندما ذهب في الثامنة مساءً، للمرة الأولى والأخيرة، واندسّ في أغطية سريره في دار المسنين. في غضون أقل من أربعة أشهر، سوف يصل عمره إلى ثلاثة خانات. أغلق ألَنْ إيمانويل كارلسون عينيه وشعر بأنه مقتنع تماماً بأنه سوف يموت الآن إلى الأبد. كانت رحلة مثيرة، كاملة، لكن ليس ثمة ما يدوم إلى الأبد، ربما باستثناء الغباء العام.

عندئذ، لم يفكر ألَنْ في أي شيء إضافي. غلبَهُ التعب. وأعتمَ كل شيء.

حتى أضاءت الأشياء ثانية –بالتماعة بيضاء. تخيلوا ذلك، المَوت تماماً مثل النوم. هل سيتسنّى له الوقت ليفكر قبل أن ينتهي كل شيء؟ هل سيتسنى له الوقت ليفكر بأنه فكرَ بذلك؟ ولكن، مهلاً، كم يكون لديك من الوقت لتفكر قبل أن تنتهي من التفكير؟

«إنها السابعة والربع، يا ألَنْ، وقت الإفطار. إذا لم تأكل، سوف نأخذ عصيدتك ولن تحصل على شيء حتى الغداء»، قالت المديرة أليس.

إلى جانب كل شيء آخر، لاحظ ألَنْ أنه قد أصبح ساذجاً في شيخوخته. لا يمكنك ببساطة أن تذهب وتموت حسب الطلب. وهناك الآن مخاطرة كبيرة من أن توقظه تلك المرأة المروعة، وأن تُقدّم له العصيدة المروعة بنفس المقدار أيضاً.

أوه، حسناً. ما تزال أمامه بضعة أشهر يقطعها إلى المائة، ولذلك، سيتدبر أمر الانصراف عن الدنيا قبل ذلك. «الكحول تقتل!» هذه هي الطريقة التي تبرر بها المديرة أليس قاعدة «لا كحول» في غرف النزلاء. يبدو هذا واعداً، فكر ألَنْ. سيكون عليه أن يتسلل خارجاً إلى متجر الكحول التابع للدولة.

***

مرت الأيام وتحولت إلى أسابيع. أصبح الشتاء ربيعاً وألَنْ يتوق إلى الموت، تقريباً كما فعل صديقه هيربرت قبل خمسين عاماً. لكن أمنية هيربرت لم تتحقق حتى غيّر رأيه. لم يكن ذلك فأل خير.

ثمّ، هناك حتى الأسوأ من ذلك: لقد بدأ العاملون في دار المسنين بالتحضير لعيد ميلاد ألَنْ القادم. مثل حيوان مسجون في قفص سيكون عليه تحمُّل أن يُنظَر إليه، أن يُغنّى لَه، وأن يُطعَم كعك عيد الميلاد. ليس ذلك بالتأكيد شيئاً طلبه.

الآن بقيت له ليلة واحدة ليموت فيها.

تسع وعشرون
الاثنين، ٢ مايو ٢٠٠٥

قد تظنُّ أنه قرر ذلك في وقت أبكر، ولأنه كان رجلاً بما يكفي ليُبلغ المحيطين به بقراره. لكن ألَنْ كارلسون لَم يحظَ أبداً بموهبة تأمُّل الأشياء لوقت طويل.

وهكذا، لم يكد الخاطر يُلِمُّ بذهن الرجل العجوز حتى فتح نافذة غرفته في الطابق الأرضي من دار المسنِّين في مالمكوبينغ، ويتدلّى منها هابطاً في حوض الزهور.

وتطلبت هذه المناورة بعض الجهد، بما أن ألَنْ كان في المائة من عمره - في هذا اليوم نفسه في حقيقة الأمر. كانت أقل من ساعة قد تبقّت على بدء حفلة عيد ميلاده في الصالة الرئيسية لدار المسنِّين. وسيكون عمدة المدينة حاضراً هناك. والصحيفة المحلية. وكل العجائز الآخرين. وكامل موظفي المنزل، وعلى رأسهم المديرية سيئة المزاج، أليس.

لكنّه صبيّ عيد الميلاد نفسه فقط هو الذي لم ينو الظهور في تلك الحفلة.

ختام

عاش آلَن وأماندا سعيدين جداً معاً. بدا أنهما خُلقا لبعضهما البعض. أحدهما كان حماساً تجاه كل الحديث في الدين والسياسة، بينما لم تعرف الأخرى ما تعنيه الأيديولوجيا ولم تستطع طوال حياتها تذكر اسم الإله الذي يفترض أنها تصلي له. وإلى جانب ذلك، تبين في إحدى الأمسيات عندما أصبح القرب المتبادل كثيفاً بشكل خاص، أن البروفسيور لوندبورغ لا بد أن يكون مهملاً قليلاً لدى استخدامه المشرط الجراحي في ذلك اليوم من أيام أغسطس ١٩٢٥، لأن آلَن -لدهشته البالغة- استطاع أن يفعل ما كان يراه حتى هذه اللحظة في الأفلام فقط.

في عيد ميلادها الخامس والثمانين، أهدى زوج أماندا لها جهاز حاسوب محمولاً، مع وصلة إنترنت. فقد سمع آلَن بأن هذا الشيء الذي اسمه الإنترنت هو شيء يستمتع به الشباب.

استغرق الأمر بعض الوقت حتى تعلمت أماندا كيفية تسجيل الدخول، لكنها لم تستسلم، واستطاعت في غضون بضعة أسابيع تأسيس موقعها الإلكتروني الخاص. وظلت تكتب طوال اليوم، عن الأشياء العالية والخفيضة، القديمة والجديدة. على سبيل المثال، كتبت عن رحلات زوجها ومغامراته في أنحاء العالم. وكان جمهورها المستهدف هو صديقاتها من السيدات في المجتمع البالينيّ. مَن غيرُهن يمكن أن يجد طريقه إليها؟

ذات يوم، كان ألَنْ جالساً كالعادة في الشرفة ويستمتع بإفطاره عندما ظهر رجل محترم في بدلة. قدم الرجل نفسه على أنه ممثل الحكومة الإندونيسية، وقال إنه قرأ بعضاً من الأشياء المدهشة في موقع على الإنترنت. الآن، بالنيابة عن الرئيس، يريد الاستفادة من معرفة السيد كارلسون الخاصة، إذا كان ما قرأه صحيحاً.

«وبماذا تريدني أن أساعدك، إذا كان لي أن أسأل؟» قال ألَنْ. كان هناك شيئان فقط أستطيع القيام بهما أحسن من معظم الناس. أولهما صناعة الفودكا من حليب الماعز، والثاني تجميع قنبلة نووية.

«ذلك بالضبط ما نحن مهتمون به»، قال الرجل.

«حليب الماعز؟»

«كلا»، قال الرجل، «ليس حليب الماعز.»

طلب ألَنْ من ممثل الحكومة الإندونيسية أن يجلس. وبعد ذلك شرح أنه قدّم القنبلة لستالين وأن ذلك كان خطأً لأن ستالين كان مجنوناً كما تبين. ولذلك، يريد ألَنْ أولاً أن يعرف عن الحالة العقلية للرئيس الإندونيسي. أجاب ممثل الحكومة بأن الرئيس يودهويونو هو شخص حكيم جداً وعاقل.

«أنا سعيد لسماع ذلك»، قال ألن. «في هذه الحالة سأكون سعيداً بالمساعدة.»

وهو ما فعل.

الشكر كل الشكر الى ميكي، ليزا، ريكسون، مود والخال هانز.

يوناس.





يجلس ألَنْ كارلسون ساكناً في غرفته في منزل المسنين، في انتظار حفلة لا يريد أن يبدأها -حفلة عيد ميلاده المئة، بالتحديد. وسوف يحضر عمدة المدينة، لكنّ ألَنْ نفسه هو الذي لن يحضر.

يهبط ألَنْ من خلال نافذة غرفة نومه (بحذائه المنزلي الخفيف) إلى حوض الزهور، ويجتاز البوابة الرئيسية. وهكذا، يبدأ خبرة تشرده ورحلته الأبعد عن التصور، والتي تضم مجرمين، وقبضة من القتلة، وحقيبة مليئة بالنقود، ورجال شرطة غير بارعين. وفيما مغامراته تتكشف، تظهر معها تفاصيل حياة ألَنْ السابقة. تلك الحياة التي لعب فيها، من وراء الكواليس، أدواراً رئيسية في صناعة بعض أكثر الأحداث العالمية أهمية ودرامية في القرن العشرين.

المئوي الذي هبط من النافذة واختفى

«جنون مكتمل، حكايةٌ مرحةٌ إلى حدّ لا يصدق.» *أفتونبلاديت*

«*من الطراز الأول*». *دير شبيغل*

«*منتهى الجَذَل... ظاهرة في عالم النشر*» *كوريبيري ديلا سيرا*

«*خليط من فيلم الطريق ورواية المتشردين، مغلفة بقالب حداثي. قراءتها متعة حقيقية*»

إن دي آر كولتور، ألمانيا.

«*انها قصة تجيد تحريف كل كلمة وكل فعل. لغة بارعة ومختلفة حد الإدهاش*»

نيريكيا أليياندا، السويد.

«*الظاهرة العالمية الجديدة... التي تفيض بالمرح*» *إلموندو، إسبانيا.*

«*كوميديا ديناميتية*» *لوفيغارو، فرنسا.*

«ساحرة بشكل لا يصدق، محكيّة ببساطة مبهجة»

داغبلاديت، *النرويج.*

«*شيء بهيج.. احتفاء هائل بالمرح الغرائبي*» *هلسينغن سانومات، فنلندا.*


ISBN 978-91-87333-18-7
9789187333187

دار المنى

www.daralmuna.com